المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جَامِعَةُ أمّ القُرىٰ

مجلة جامعة أم القرى
لعلوم اللغات وآدابها

Journal of Umm Al-Qura University for Language Sciences and Literature

علميّة ـ دوريّة ـ محكّمة ـ نصف سنويّة

العدد (٢٦)
محرم ١٤٤٢هـ - أغسطس ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات التواصل

❁ للتواصل مع المجلة وإرسال الأعمال والاستفسارات توجه جميع المراسلات إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها على أحد الوسائل التالية:

- هاتف: 5563313 (12) 966+.
- موقع المجلة: (https://uqu.edu.sa/jll).
- البريد الإلكتروني للمجلة: (jll@uqu.edu.sa).
- البريد الإلكتروني لإدارة مجلات الجامعة: (usj@uqu.edu.sa).

❁ **الاشتراكات:**

يتم التنسيق بخصوص الاشتراكات مع إدارة المجلات العلمية بالجامعة.

❁ **حقوق الطبع:**

© ١٤٤٢هـ (٢٠٢٠م) جامعة أم القرى.

تعبر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل أصحابها مسؤولية صحة المعلومات والاستنتاجات ودقتها. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر تُحَوَّل ملكيّة النشر من المؤلف إلى المجلة.

الرقم الدولي المعياري (ردمد ـ ISSN)

❁ النسخة المطبوعة (٤٦٩٤ ـ ١٦٥٨) رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢٣٥٩ بتاريخ ١٤٣٠/٣/١٨هـ

❁ النسخة الإلكترونية (٨١٢٦ ـ ١٦٥٨) رقم الإيداع: ٤٤٣٧ بتاريخ ١٤٤٠/٥/١٧هـ

❋ ❋ ❋

المشرفون على المجلات العلمية

المشرف العام على المجلة

معالي الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عمر باحسين بافيل

رئيس الجامعة

نائب المشرف العام على المجلة

الأستاذ الدكتور/ عبد الوهاب بن عبد الله بن صالح الرسيني

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

المشرف العام على إدارة المجلات العلمية

الأستاذ الدكتور/ محمد بن شكري إبراهيم الصوفي

عميد البحث العلمي

نائب المشرف العام على إدارة المجلات العلمية

الأستاذ الدكتور/ تركي بن محمد عبد الكريم حبيب الله

نائبة المشرف العام على إدارة المجلات العلمية

الدكتورة/ نهلة بنت عبد القادر حسن طيب

❋ ❋ ❋

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

- **أ. د. عبد الله بن عبد الرحمن بانقيب**
  جامعة أم القرى - السعودية

أعضاء هيئة التحرير

- **أ. د. حسن البنا مصطفى عز الدين**
  جامعة الزقازيق - مصر
- **أ. د. حصة بنت زيد الرشود**
  جامعة أم القرى - السعودية
- **أ. د. سعد بن عبد الرحمن البازعي**
  جامعة الملك سعود - السعودية
- **أ. د. سيف بن عبد الرحمن العريفي**
  جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية
- **أ. د. صالح بلعيد**
  جامعة مولود معمري بتيزي وزو - الجزائر
- **أ. د. محمد المختار أحمد مشبال**
  جامعة عبد المالك السعدي - المغرب
- **أ. د. مسعود محمد صحراوي**
  جامعة الأغواط - الجزائر
- **أ. د. نهاد الموسى**
  الجامعة الأردنيّة - الأردن
- **أ. د. نور الهدى باديس النويري**
  جامعة تونس - تونس
- **د. أحمد بن سعيد العدواني**
  جامعة أم القرى - السعودية
- **د. عبد الرحمن محمد طعمة**
  جامعة القاهرة - مصر

❋ ❋ ❋

التعريف بالمجلة

مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها تعد امتدادًا لمجلة الجامعة لعلوم الشريعة واللغة العربية، والتي كانت قد صدرت عام ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩م، وصدر عنها عشرون مجلداً حتى عام ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧م، وبعدها صدر قرار المجلس العلمي بتاريخ ١٣ /١ /١٤٢٩هـ بتعديل مسميات بعض المجلات العلمية بالجامعة، وإنشاء مجلات علمية جديدة ليصل عددها إلى سبع مجلات، تختص كل مجلة بجانب من جوانب المعرفة الإنسانية والعلمية.

وتبعًا لذلك تأسست مجلة علوم اللغات وآدابها التي بدأت ممارسة نشاطها البحثي في العام ١٤٢٩هـ، مضطلعةً بمهمة نشر البحوث اللغوية والأدبية والنقدية والأسلوبية القائمة على المناهج النظرية والتطبيقية الحديثة والقديمة، ونشر البحوث القائمة على القراءة التحليلية الواعية للتراث في ضوء اللسانيات الحديثة، وتعدد النظريات والمناهج النقدية والأدبية واللغوية.

وقد صدر عددها الأول في محرم ١٤٣٠هـ/ يناير ٢٠٠٩م، وهي **مجلة دورية علمية مُحكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة أم القرى** لنشر البحوث العلمية الأصيلة في مجال اللغات وآدابها وفروعها المختلفة ذات الصبغة اللغوية والنقدية والأسلوبية القائمة على المناهج النظرية والتطبيقية الحديثة والقديمة، التي لم يسبق نشرها لدى جهات أخرى بعد مراجعتها من قبل هيئة التحرير وتحكيمها من الفاحصين المختصّين، وتنشر بحوثها حاليًا باللغتين العربية والإنجليزية، كما تستقبل البحوث المكتوبة باللغات الأخرى كالفرنسية والألمانية...الخ.

❋ ❋ ❋

الرؤية والرسالة والأهداف

الرؤية:

أن تكون المجلة رائدًة في نشر البحوث العلمية الخاصة بعلوم اللغات وآدابها، وأن ترقَى إلى مصافّ المجلات العلمية المصنَّفة عالميّا.

الرسالة:

نشر البحث العلمي القائم على الموضوعية والعلمية والمنهجية في ميدان اللغات وآدابها، وفروعها المختلفة، في إطار مقاييس الجودة العالمية في البحث العلمي.

الأهداف:

١ - نشر البحوث العلمية الأصيلة والجديدة والمتميزة في مجال اهتمامات المجلة.

٢ - العناية بجوانب البحث العلمي المتنوعة: تأليفًا، وتحقيقًا، وترجمةً.

٣ - تطبيق ما يُستجد من نظريات ومناهج واتجاهات في اللغة والأدب، والنقد والأسلوبية، وتعليم اللغات الأجنبية.

❋ ❋ ❋

قواعد النشر

تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في **مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها** حسب المواصفات التالية:

(١) يُقدم صاحب البحث المادة العلمية على موقع المجلة (نموذج نشر بحث)، ويُعَبَّأ النموذج الخاص بالنشر على موقع المجلة.

(٢) تُقدم البحوث العربية مطبوعة بالخط العربي التقليدي (Traditional Arabic)، بحجم (١٦) للنصوص في المتن.

(٣) تُقدم البحوث الإنجليزية مطبوعة بخط (Times New Roman)، بحجم (١٤) للنصوص في المتن، وبالخط نفسه بحجم (١٢) للهوامش والمراجع.

(٤) كتابة البحث على وجه واحد من الصفحة، مع ترك مسافة بين الأسطر بقدر (١.٥)، وبهوامش (٢.٥ سم كحد أدنى) لكل من أعلى وأسفل وجانبي الصفحة، على ألا يزيد حجم البحث عن خمسين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.

(٥) تُرقم صفحات البحث ترقيما متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتُطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

(٦) يُرفق ملخَّصان بالعربية والإنجليزية لجميع البحوث، بما لا يزيد عن مائتي (٢٠٠) كلمة لكل ملخص، وأن يتضمن البحث كلمات مفتاحية دالة على التخصص الدقيق للبحث باللغتين، لا يتجاوز عددها (٦) كلمات، توضع بعد نهاية كل ملخص.

(٧) أن يذكر اسم الباحث، ورتبته العلمية، وجهة عمله، وعنوان المراسلة، بعد عنوان البحث مباشرةً باللغتين العربية والإنجليزية.

(٨) يشار إلى جميع الإحالات والتعليقات والهوامش آخر البحث، بالإشارة إلى عنوان

الكتاب، واسم المؤلف، والصفحة، عند الاقتباس المباشر. وترقم هذه الإحالات والتعليقات والهوامش تسلسليًا من بداية البحث حتى نهايته، وتكون مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.

(٩) تُعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن تُرَتَّب هجائياً حسب اسم المؤلف كاملاً، متبوعًا بعنوان الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة، فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو اسم المجلة (في حالة المقال)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب)، وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو السنة، والعدد، وأرقام الصفحات.

(١٠) يُمنح الباحث نسختين من العدد الذي صدر فيه بحثه.

❋ ❋ ❋

دعوة للنشر

ترحب المجلة بجميع الباحثين في مجال اهتمامها العلمي والبحثي، وتدعوهم للإسهام المتميز في إنتاج المعرفة اللغوية والأدبية بكافة صورها ومناحيها واتجاهاتها، وتنمية البحث اللغوي والأدبي بما يتناسب مع تطور العصر وتقدمه التقني، وبما يتلاءم مع أهداف الجامعة ورسالتها ورؤيتها، وبما يواكب طموح الهيئة الإشرافية، وأعضاء هيئة التحرير، والهيئة الاستشارية.

❋ ❋ ❋

المحتويات

العنوان

- افتتاحية العدد (كلمة رئيس هيئة التحرير) . . . . . س

القسم العربي

- رسالة في إعراب الجملة وشبه الجملة لتاج الدين محمد بن محمد المعروف بالفاضل الإسفراييني المتوفّى سنة ٦٨٤هـ

  د. أيمن بن مرعي غرمان العَمْري ١

- أوجه إعراب القرآن الضعيفة عند الباقولي في كتابه (كشف المشكلات) «جمعًا ودراسة»

  د. محمد صالح زكريا برناوي ٤٧

- السيرة الذاتية بين التشكيل الرمزي والتتابع الدلالي ـ غازي القصيبي نموذجاً

  د. انتصار عبد العزيز منير ٩٣

- النسق القيمي في بنية الخطاب الروائي لدى المرأة السعودية

  د. منى صالح الرشادة ١٤٧

- استراتيجيّات تهديد الوَجه وصِيانته في خبر الأصمعي مع ولَدِ حاتم وامرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة في ضوء نظرية التأدّب

  د. الجوهرة بنت بخيت آل جهجاه ٢٢٥

- ثنائية السؤال والجواب في رسائل الجاحظ

  د. خلود بنت عبد اللطيف الجوهر ٢٧٧

Content

القسم الإنجليزي

- A contrastive study of theme types and patterns in medical research article abstracts written in English by native and Saudi scholars

  Dr. Hesham Suleiman Alyousef, & Mrs. Maryam Hamad Alsharif 365

- Translating idiomatic expressions in literary texts Saving the pragmatic meaning

  Dr. Tahani Saleh Alabdali 389

- "al-bahr" in the Holy Quran and Translation Variations: A Study upon Three Translations of the Holy Quran

  Dr. Izzeddin Mohammad Ibrahim Issa 419

❋ ❋ ❋

افتتاحية العدد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد:

فيسرّ **مجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم اللغات وآدابها** أنْ تقدّم لقرّائها العدد (السادس والعشرون: محرم ١٤٤٢هـ - أغسطس ٢٠٢٠م). وبلغ عدد أبحاث هذا العدد تسعة أبحاث، تنوّعت بين أبحاثٍ لغويّةٍ وأدبيّةٍ وبلاغيّةٍ، جاء ستّةٌ منها باللغة العربيّة، وثلاثةٌ باللغة الإنجليزيّة.

ونشير إلى أنَّ أوّل الأبحاث العربيّة لهذا العدد جاء تحقيقًا لمخطوطٍ للفاضل الإسفراييني، واختُصّ البحث الثاني ببحث: أوجه إعراب القرآن الضعيفة عند الباقولي في كتابه (كشف المشكلات)، في حين عالج البحث الثالث موضوع: السيرة الذاتية بين التشكيل الرمزي والتتابع الدلالي ـ غازي القصيبي نموذجًا، وناقش البحث الرابع موضوع: النسق القيمي في بنية الخطاب الروائي لدى المرأة السعودية، وأمّا البحث الخامس فدرس موضوع: استراتيجيّات تهديد الوَجه وصِيانته في خبر الأصمعي مع ولَدِ حاتم وامرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة في ضوء نظرية التأدّب، وبحث البحث السادس موضوع: ثنائية السؤال والجواب في رسائل الجاحظ.

وأمّا بحوث اللغة الإنجليزية فقد درس البحث الأول موضوع: دراسة مقارنة لأنواع المبتدأ والتسلسل الموضوعي في المستخلصات الإنجليزية العلمية الطبية والتي كتبها باحثون ناطقين باللغة الإنجليزية وباحثين سعوديين، وعالج البحث الثاني موضوع: ترجمة العبارات الاصطلاحية في النصوص الأدبية: الحفاظ علي المحتوى الدلالي، في حين ناقش البحث الثالث موضوع: البحر في القرآن الكريم واختلافات الترجمة: دراسة من خلال ثلاث ترجمات للقرآن الكريم.

وتأمل المجلّة أنْ تكون قد قدّمت عبر أبحاث هذا العدد للباحثين ما يجدون فيه فائدةً علميّة. وتسعد المجلّة باستقبال مقترحات الباحثين والقرّاء حول المجلّة عبر وسائل الاتّصال الموجودة بموقعها، وستكون هذه المقترحات محلّ اهتمام هيئة تحرير المجلّة إن شاء الله تعالى.

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عبد الله بن عبد الرحمن بانقيب

❋ ❋ ❋

القسم العربي

رسالة في إعراب الجملة وشبه الجملة

لتاج الدين محمد بن محمد المعروف بالفاضل الإسفراييني (ت٦٨٤هـ)

«دراسة وتحقيق»

إعداد

د. أيمن بن مرعي غرمان العَمْري

الأستاذ المساعد بقسم اللغة والنحو والصرف

كلية اللغة العربية وآدابها، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

amamry@uqu.edu.sa

رسالة في إعراب الجملة وشبه الجملة
لتاج الدين محمد بن محمد المعروف بالفاضل الإسفراييني (ت٦٨٤هـ)
«دراسة وتحقيق»

د. أيمن بن مرعي غرمان العَمْري

(قدم للنشر في ١٧/ ٠٦/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٠/ ٠٧/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: إنّ هذا النص (موضوع التحقيق) رسالة نفيسة في بابها، ألّفها صاحبها تاج الدين محمد بن محمد المعروف بالفاضل الإسفراييني المتوفّىٰ سنة ٦٨٤هـ، وموضوعها في إعراب الجملة وشبه الجملة، جمع فيها شتات المسألة وفصّل، وقسّم ورتّب، وذكر الأمثلة المختلفة، معتمدًا في ذلك علىٰ القسمة العقلية، كل هذا رغبة منه في تمهيد الإعراب وقواعده، وتذليل عقباته لطالبه، فجاءت بنية الرسالة ذات تناسق مقصود، محرّرة بأوضح العبارات وأدقّها؛ ليجد أهل العربية وطلبة العلم بغيتهم بسهولة ويسر في هذا الباب والتي قد لا يجدونها في غيرها إلا بصعوبة وتكلّف.

وقد خلص هذا البحث بفضل الله تعالىٰ إلىٰ إخراج هذه الرسالة القيّمة، وتحقيق ما فيها من فوائد حسب أصول التحقيق المعروفة، وتقديم تعريفٍ بمؤلفها مبنيٍّ علىٰ شذراتٍ عنه وردت متفرّقة في الكتب المطبوعة والرسائل العلميّة، ودراسةٍ لنصّ الرسالة تبيّن موضوعها ومنهج المؤلف وأسلوبه فيها.

الكلمات المفتاحية: إعراب، الجملة، شبه الجملة، الفاضل الإسفراييني.

***

Message in Syntax and semi-sentence To Taj al-Din Muhammad bin Muhammad known as Al-Fadhil Al-Isfaraeni He died in (684 AH) «Study and Investigation»

Dr. Aiman Mari Ghorman ALAmry

(Received 11/02/2020; accepted 15/03/2020)

Abstract: This text (the subject of the investigation) is a precious message in its chapter, written by its owner, Taj al-Din Muhammad bin Muhammad, known as Al-Fadil Al-Isfaraeni, who died in the year 684 AH, and its topic in the syntax of the sentence and the semi-sentence, in which he collected the matter scattered and separated, divided and arranged, and mentioned various examples, relying on that Mental division, all of this is a desire to pave the expression and its rules, and overcome its obstacles to its requestor, so the message structure with intentional consistency came out, edited in the clearest and most accurate terms;

By the grace of God Almighty, this research concluded with the output of this valuable message, achieving its benefits according to the known origins of the investigation, providing a definition of its author based on fragments about it, and which were sporadic in the printed books and scientific messages, and a study of the text of the message showing its object, method, and method of the author.

Key words: syntax, sentence, semi-sentence, Al-Fadil Al-Isfaraeni.

❊ ❊ ❊

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أفصح العرب لسانًا، وأعظمهم بيانًا، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا. أمّا بعد؛

فهذه رسالة نحويّة للفاضل الإسفراييني ٦٨٤هـ، صاحب العلم الواسع، والتصانيف الكبار التي لا تخفىٰ، صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة والنفع، وموضوعها في إعراب الجملة وشبه الجملة، وقد دفعني إلىٰ تحقيقها أنّ مؤلِّفها جَمَعَ فيها شتات المسألة وفَصَّل، وقَسَّمَ ورَتّب، وذَكَرَ الأمثلة المختلفة، وبعض ما في المسألة من خلافٍ نحويٍّ، كل هذا في رسالة مستقلّة؛ ليجد أهل العربية وطلبة العلم بغيتهم بسهولة ويسر في هذا الباب والتي قد لا يجدونها في غيرها إلا بصعوبة وتكلّف.

وبفضلٍ من الله وتوفيقٍ حصلتُ علىٰ ثلاث نسخ من هذه الرسالة، وقمتُ بالتفتيش وسؤال أهل العلم المتخصصين عن تحقيقٍ سابقٍ لها فلم أجد ذلك، حينها عقدتُ العزم علىٰ تحقيقها متوكّلًا علىٰ المولىٰ سبحانه، فجاءت خطة البحث علىٰ قسمين، تسبقهما المقدّمة:

القسم الأوّل: الدراسة، وتشتمل علىٰ مبحثين: الأوّل: التعريف بالفاضل الإسفراييني، وذكر سيرته ومنزلته العلميّة، والثاني: التعريف بالمخطوط، وفيه: عنوان

المخطوط، وتوثيق نسبة المخطوط، ومنهج المؤلِّف في المخطوط، ووصف نسخ المخطوط، ومصوّرات النسخ.

القسم الثاني: تحقيق المخطوط، وفيه النصّ المحقَّق، وقد اتبعتُ فيه المشهور عند أهل هذا الفنّ، وعلىٰ ما نهجه لنا علماؤنا فيه، ثمّ ذيّلتُ ذلك بملحق يشتمل علىٰ (تَشْجِير) يقرّب المسألة وتفريعاتها، ويسهّل استحضارها للقارئ، ثمّ بفهرسٍ للمصادر والمراجع.

وختامًا أسأل الله ﷻ أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما فيه من نقصٍ أو زلل، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين، وصلىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.. وعلىٰ الله قصد السبيل.

* * *

القسم الأول

الدراسة

المبحث الأوّل
(المؤلِّف)، سيرته ومنزلته العلميّة

لا تسعفنا المصادر التي وقفتُ عليها وترجمتْ للمؤلِّف إلا بمعلوماتٍ يسيرة، لا تكفي لبناء تصوّر واضح عن سيرته ومنزلته العلميّة، فقد اكتفتْ بذكر اسمه، ونسبه، وتاريخ وفاته، وبعض آثاره، وبقي جانبٌ كبيرٌ من حياته يكتنفه الغموض، كالحديث عن مولده، وشيوخه، وتلامذته، ومع هذا وإنْ ضنّتْ مظانّ ترجمته بأخباره فإنّه لا يمكن لأحد أن ينكر علوّ كعبه، وسموّ منزلته في اللغة، والشاهد علىٰ ذلك ما وصل إلينا من كتبه ومصنّفاته، ولعلّي أذكر هنا ما ظفرتُ به من سيرته في أثناء البحث والمطالعة، فأقول:

❋ اسمه ونسبه:

هو[1] تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن السيف[2]، البُوْسْتِي[3]، البويجاهي[4]، النحوي اللغوي، المعروف بالفاضل[5] الإسفراييني، المشتهر عند المتأخرين من النحاة بِـ(صاحب اللباب)، و(مؤلف الضوء)[6].

قال عنه السيوطي: «لم أقف له علىٰ ترجمة»[7]، ونحن نعلم عن الإمام جلال الدين السيوطي حرصه وتتبّعه لتراجم اللغويين والنحاة، لكن يبدو أنّ الفاضل الإسفراييني لم يكن ذا حظٍّ كبيرٍ بحيث يترجِم له مَنْ عُنُوا بتراجم الرجال بما يناسب شخصيّته العلميّة المتميّزة، ولا يضيره ذلك!؛ فكم من علماء لا نعرف عنهم شيئًا سوىٰ أسمائهم وإشاراتٍ مقتضبةٍ من أخبارهم ومصنّفاتهم، ولعلّ السبب في هذا - والله أعلم - عائدٌ إلىٰ أنهم لم يحظوا بتلاميذ نجباء أوفياء ينقلون عنهم، وينشرون

علمهم ومؤلفاتهم[٨].

والإسفراييني «بكسر الألف، وسكون السين المهملة، وفتح الفاء والراء، وكسر الياء المنقوطة باثنتين من تحتها»[٩] نسبة إلىٰ إسفرايين، بلدة صغيرة حصينة من نواحي نيسابور علىٰ منتصف الطريق من جُرْجان، وصفها الثعالبي بأنّها «حرم أمن، وجنّة عدن»[١٠]، فقد كانت مشهورة باعتدال هوائها، وكثرة خيراتها، وحسن شمائل أهلها، وإقبالهم علىٰ العلم، وشهدت منذ القديم بيئة علميّة هيّأت لظهور علماء نوابغ في كل علم وفنّ، حتىٰ صاروا من أعيان الأئمة، كالإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، أحد حفّاظ الدنيا الجوّالين والمحدّثين المكثرين، توفي ٣١٦هـ، والإمام أبي حامد أحمد بن أبي طاهر، فقيه بغداد الذي انتهت إليه الرئاسة في مذهب الشافعي، توفي ٤٠٦هـ، والإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران، أحد من بلغ حدّ الاجتهاد، وتبحّر في جميع العلوم، توفي ٤١٨هـ، وغيرهم كثير[١١].

*** حياته ونشأته:**

تُغفل جميع المصادر التي ترجمتْ له تاريخ مولده، وهذه الملحوظة واردة في تراجم أكثر علمائنا الأسلاف، حيث يُختلف في تاريخ ولادتهم وربّما أُغفل، في حين نجد تاريخ وفاتهم قد حُدِّد غالبًا ونُصَّ عليه.

كذلك لم تتعرّض كتب التاريخ التي عُنيت بالقرن السابع الهجري الذي عاش فيه المؤلِّف إلىٰ إلقاء بعض الضوء علىٰ شيء من جوانب حياته، فلم يذكروا له شيوخًا ولا تلاميذ، علىٰ الرغم من شهرة مصنّفاته المتعدّدة، عدا نتفًا لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا.

وعلىٰ كلّ حال فالفاضل الإسفراييني قد ورد في نسبه من قبلُ أنه البُوسْتِي أو

البُسْتِي، وعليه فربما كان مولده في تلك المدينة، ثمّ استقرّ به الحال في إسفرايين فكانت نشأته الحقيقيّة فيها، ولا يُستبعد ذلك؛ فإسفرايين كما ذُكِر آنفًا كان أهلها معروفين بالخير والصلاح، وحبّهم للعلم وإقبالهم عليه، ساعدهم في ذلك البيئة العلميّة المحفِّزة، وبخاصّة إذا عرفنا أنّ الإسفراييني قد نشأ وترعرع في أسرة عُرفت بالعلم والأدب، فوالده وجدّه كانا عالمين جليلين أخذ عنهما اللغة، وظهر أثرهما الواضح عليه في نتاجه العلمي، فمن خلال مطالعتي لمؤلفّاته التي بين يديّ وجدته ينقل عنهما في بعضها[١٢]، ولكن للأسف يبدو أنهما لم يكونا بأحسن حظًّا منه؛ إذْ لا نعرف عنهما شيئًا.

«ويبدو أنّ الإسفراييني قد بلغ فيما طرقه من علوم شأوًا بعيدًا، حتىٰ أصبح محطّ أنظار كثير من ذوي السلطان المهتمين بالعلم والعلماء آنذاك، فقرّبه صاحب ديوان الممالك شمس الدين محمد الجويني الذي كان هولاكو قد فوّض إليه منصب ديوان البلاد كلها، وأطلق يده وقواها في حلّ الأمور وعقدها، وترتيبها وضبطها، ولقي عنده الإسفراييني حظوةً بالغة، ومنزلةً رفيعة، لذا نراه يخصّه بتأليف كتاب يهديه إيّاه مقابل إحسانه إليه»[١٣].

*** وفاته:**

ذكرتْ بعض المصادر التي ترجمتْ للفاضل الإسفراييني أنه توفي ٦٨٤هـ[١٤].

*** آثاره ومصنّفاته:**

للفاضل الإسفراييني مؤلفات عديدة جُلّها في علم النحو، أذكرها علىٰ سبيل الإجمال:

١- المفتاح في شرح المصباح: وهو مؤلَّفٌ كبيرٌ يشرح فيه كتاب (المصباح في

النحو للمطرّزي ٦١٠هـ)[١٥]، وقد حقّقه مؤخرًا الباحث: بدر بن إبراهيم الرشودي، في رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية، في جامعة القصيم، سنة ١٤٤١هـ.

٢- ضوء المصباح: وهو مختصرٌ لكتابه السابق وملخَّصٌ له[١٦]، وقد طُبع قديمًا في الهند سنة ١٨٥٠م، وحُقّق في أربع رسائل علمية: الأولىٰ بتحقيق الدكتور حسين البدري النادي، رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية، في جامعة الأزهر، سنة ١٣٩٣هـ، والثانية بتحقيق الدكتور عبدالمجيد عوض أبو الحاج، رسالة دكتوراه، بجامعة القديس يوسف في بيروت سنة ١٩٨٤م، والثالثة بتحقيق محمد عصام قرة بلا، رسالة ماجستير، بجامعة دمشق سنة ٢٠٠١م، والرابعة بتحقيق رافع منذور الجميلي، رسالة ماجستير، بجامعة المرقب في ليبيا، سنة ٢٠٠٨م.

٣- ضوء المفتاح: وهو شرحٌ للقسم الثالث من كتاب (المفتاح للسكّاكي ٦٢٦هـ)[١٧]، ولم أقف عليه مطبوعًا أو محقّقًا، ويبدو لي أنّه مفقودٌ، أو ما يزال حبيسًا في خزائن المكتبات ينتظر يدًا حانيةً تفكّ أسره، وتزيل عنه غبار الزمن.

٤- لباب الإعراب: وهو أشهر كتبه، «ولا أدلّ علىٰ ذلك من أنهم إذا أطلقوا (صاحب اللّباب) فإنما يعنون به الإسفراييني»[١٨]، ويُسمّىٰ عند بعضهم باللّباب في علم الإعراب، أو اللّباب في النحو، أو اللّباب، وعليه شروحٌ كثيرة[١٩]، وقد حُقّق في أربع رسائل علميّة: الأولىٰ بتحقيق طه محمد الزيني، رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية، في جامعة الأزهر، سنة ١٩٧٤م، والثانية بتحقيق عبد الباقي عبد السلام الخزرجي، رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية، في جامعة الأزهر، سنة ١٣٩٩هـ، والثالثة بتحقيق الدكتور بهاء الدين عبد الرحمن، رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية، بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، ونشره سنة ١٤٠٥هـ، والرابعة بتحقيق شوقي المعرّي،

بكلية اللغة العربية، في جامعة دمشق، ونشره سنة ١٤١٢هـ.

٥- حواشي اللّباب: وقد وضعها تعليقًا على كتابه السابق؛ لتجري مجرى الشرح لبعض مشكلاته، مع التنبيه على لمع يسيرة من تفسير ما فيه من الشواهد[٢٠]، وقد حقّقها الدكتور عبد العزيز صالح العُمَري، من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونشرها في مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، العدد الثالث عشر، جمادى الآخرة، ١٤٣٥هـ.

٦- فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة: وهو كتاب في إعراب سورة الفاتحة[٢١]، بيّن الإسفراييني أنّ غرضه من تأليفه هو علم الإعراب وحده، فجاء مستوعبًا لجميع أحكامه المتفرّقة في أبواب النحو المختلفة على حدّ قوله[٢٢]، وقد حقّقه أوّل مرّة الدكتور عفيف عبد الرحمن بجامعة اليرموك بالأردن، ونشره سنة ١٤٠٠هـ، ثمّ حقّقه ثانيًا شيخي الأستاذ الدكتور محسن سالم العميري، مستدركًا بعض ما وقع في التحقيق السابق، وطبعه في مركز إحياء التراث الإسلامي، في جامعة أم القرى، سنة ١٤٣١هـ.

٧- لبّ الألباب في علم الإعراب: ألّفه لصاحب الديوان شمس الدين الجويني، وقد حظي هذا الكتاب باهتمام العلماء، وله عدّة شروح[٢٣]، وقد حقّقته الباحثة أسماء عبد الله الغامدي، في رسالة ماجستير، بقسم اللغة العربية، في كلية التربية للبنات في أبها، سنة ١٤٢٣هـ.

٨- شرح القصيدة الطنطرائية: وهو شرحٌ صغيرٌ على منظومة أبي نصر الطنطرائي ٤٨٥هـ التي نظمها في مدح الوزير نظام الملك[٢٤]، وقد وجدتُ في بعض المصادر أنّ هذا الشرح يُنسب لعلاء الدين محمد بن أحمد البُهُشْتي الإسفراييني

المتوفّىٰ سنة ٧٤٩هـ[٢٥]، والله أعلم.

٩- رسالة في النحو للردّ علىٰ صدر الأفاضل الخوارزمي ٦١٧هـ فيما ذهب إليه من أنّ إعراب المضارع أصلٌ، وأنّ إعراب الاسم فرعٌ عليه، وقد ذكر شيخي الأستاذ الدكتور محسن العميري أنّه لم يجد مَنْ نَصَّ علىٰ هذه الرسالة سوىٰ مؤلِّفها في إعراب الفاتحة[٢٦].

١٠- رسالة في إعراب الجملة وشبه الجملة: وهي موضوع البحث[٢٧].

١١- رسالة في إعراب جملة وردتْ في كتاب (اليميني) لأبي النصر العُتبي ٤٢٧هـ، ولم أجد من أشار إليها في المصادر التي اطّلعتُ عليها، وقد قطعتُ شوطًا كبيرًا في تحقيقها ولله الحمد والمنّة، وعسىٰ أن ترىٰ النّور قريبًا.

***

المبحث الثاني
التعريف بالمخطوط

❋ عنوان المخطوط، وتوثيق نسبته:

ثمّت غير واحد ممن ترجموا للفاضل الإسفراييني ذكروا له هذه الرسالة، فقد ذَكَر ذلك بروكلمان، والزركلي، كما وُجِد ذلك أيضًا مذكورًا في فهرس المخطوطات الخاص بدار الكتب المصرية[٢٨]، كذلك ورد اسم المؤلّف في ديباجة الرسالة في جميع النسخ المعتمدة في التحقيق، حيث جاء فيها: «هَذِهِ ضَابِطَةٌ نَافِعَةٌ، وَفَائِدَةٌ جَامِعَةٌ، مِنْ أَمَالِي المَوْلَىٰ الإِمَامِ الأُسْتَاذِ العَلَّامَةِ تَاجِ المِلَّةِ وَالدِّينِ مُحَمَّدٍ الإِسْفَرَايِينِيِّ المُشْتَهِرِ بِالفَاضِلِ ﷺ»، ولعلّ مما يُستأنس به في إثبات نسبتها له هو تشابه أسلوبه وألفاظه في تأليفها مع سائر مؤلفاته الأخرىٰ التي وقفتُ عليها، ولا شكّ أنّ هذا كلّه قد جعل الباحث يطمئنّ إلىٰ صحّة تلك النسبة للمؤلِّف.

غير أنّ هذه الرسالة قد ورد اسمها في المصادر بِـ(رسالة في الجملة الخبرية)، ولا أعلم من أين جيء بهذه التسمية؟، ولا علامَ اعتُمد في ذلك؟؛ إذْ الحقيقة أنّ المؤلِّف لم يسمّ رسالته لا في مقدّمتها ولا في خاتمتها، وإنّما بدأها بقوله: «اعْلَمْ أَنَّ الجُمْلَةَ لَا تَخْلُو: إِمَّا أَنْ لَا تَحْتَمِلَ الصِّدْقَ وَالكَذِبَ كَـ(الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالاسْتِفْهَامِ وَالتَّمَنِّي وَالنِّدَاءِ)، وَإِمَّا أَنْ تَحْتَمِلَ ذَلِكَ كَـ(الجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ)، وَالقِسْمُ الأَوَّلُ لَا مَحَلَّ لَهُ مِنْ الإِعْرَابِ...»، وختمها بقوله: «فَهَذِهِ عُجَالَةُ الوَقْتِ مِمَّا سَأَلْتَ وَاقْتَرَحْتَ مِنْ الكَلَامِ الضَّابِطِ فِي الجُمَلِ، وَالجَوَازِ مَعَ مَجْرُورَاتِهَا، وَمَوَاقِعِهَا الَّتِي لَا مَحَلَّ لَهَا مِنْ الإِعْرَابِ فِيهَا، وَالَّتِي لَهَا مَحَلٌّ فِيهَا...»، فإذا كان العنوان السابق ليس من المؤلِّف أو من ناسخ

المتن وكاتبه، بلْ هو اجتهاد من ناظرٍ أو قارئ جاء بعدُ؛ فإنني لستُ موافقًا له في هذا، وإنما أرىٰ أنْ يكون العنوان: (رسالة في إعراب الجملة وشبه الجملة)، وهو في ظنّي الأقرب والأنسب؛ ليتوافق مع مضمون الرسالة، وأمّا العنوان الأوّل ففيه ما يوحي إلىٰ أنّ المؤلّف قصر حديثه فيها علىٰ الجملة الخبريّة دون أن يتطرّق إلىٰ غيرها، وهذا غير صحيح، فموضوع هذه الرسالة – كما ذُكر قبلُ – الكلام في الجمل التي لها محلّ من الإعراب، والتي ليس لها محلّ، وفي شبه الجملة الظرف والجارّ والمجرور، والله أعلم.

وأمّا سبب تأليف هذه الرسالة فقد كان علىٰ إثر طلبٍ من أحد الوجهاء والمقرّبين ممّن له حظوة عنده، لكنه لم يصرّح به، فقد جاء في نهايتها: «فَهَذِهِ عُجَالَةُ الوَقْتِ مِمَّا سَأَلْتَ وَاقْتَرَحْتَ مِنْ الكَلَامِ الضَّابِطِ فِي الجُمَلِ، وَالجَوَارِّ مَعَ مَجْرُورَاتِهَا، وَمَوَاقِعِهَا الَّتِي لَا مَحَلَّ لَهَا مِنْ الإِعْرَابِ فِيهَا، وَالَّتِي لَهَا مَحَلٌّ فِيهَا، فَاعْرِفْهَا حَقَّ العِرْفَانِ، فَإِنَّهَا جَدِيرَةٌ أَنْ تُكْتَبَ بِالتِّبْرِ لَا بِالحِبْرِ»، ولا أستبعد أن يكون صاحب ديوان الممالك شمس الدين الجويني؛ فقد ثبت أنه أهدىٰ إليه كتابه: (لب الألباب في علم الإعراب)؛ مقابل إحسانه إليه، ولما لقيه عنده من حظوة بالغة، ومنزلة رفيعة كما أسلفنا.

*** منهج المؤلِّف في المخطوط:**

سار الفاضل الإسفراييني في هذه الرسالة سيرًا حسنًا، اتّسم كلامه بالدقّة والشمول في عرض الموضوع، معتمدًا في ذلك علىٰ السَّبْر والتقسيم، فتجده يقول: الجملة لا تخلو من قسمين: الأول كذا، والثاني كذا، والثاني لا يخلو إمّا أن يكون كذا أو لا، فإن كان كذا كان كذا، وإلا كان كذا... وهكذا حتىٰ انتهىٰ من تحرير المسألة،

فجاءت بنية الرسالة ذات تناسق مقصود، واهتمام واضح بالتفصيلات والاحتمالات، وعبارته فيها مباشرة سهلة، خالية من الزخرفة اللفظية، والسجع والإغراب، محرّرة بأوضح العبارات وأدقّها، وإنّ الناظر في هذه الرسالة ليدرك رغبة الإسفراييني في تمهيد الإعراب وقواعده، وتذليل عقباته لطالبه، لأنّ النحو في نظره - كما صرّح بذلك في خاتمة كتابه: (فاتحة الإعراب) - ما زال عسير الفهم، صعب الانقياد.

وقد عرض الإسفراييني للخلاف في هذه الرسالة في موضعين: الأول: في إعراب الجارّ والمجرور اللغو، نحو: (مررت بزيد)، هل له محل من الإعراب أو لا؟، وقد اختار مذهب الأكثرين في أنّ محلّه النصب علىٰ المفعوليّة. والثاني: في إعراب الاسم الظاهر الواقع بعد الجارّ والمجرور، فقد بيّن أنه إن كانا مسبوقين بمبتدإ، أو موصوفٍ، أو موصولٍ، أو صاحبِ حال، أو حرفِ استفهام أو نفي؛ كان فاعلًا بالإجماع، وإن لم يُسبقا بشيء من ذلك فالبصريون يعربونه مبتدأً مؤخّرًا، والكوفيون فاعلًا، ولم يرجّح هنا أحد القولين كما فعل في الموضع الأوّل.

ويؤخذ عليه في رسالته هذه أمران: الأوّل: خلوّها من الشواهد القرآنية والأحاديث النبويّة والأشعار والأمثال ونصوص العلماء وأقوالهم، ولعلّ الإيجاز قد كان مقصدًا من مقاصده قدر المستطاع حين شرع في تأليفها، لتيسير ضبطها وحفظها للقارئ. والثاني: نصُّه علىٰ إجماع النحاة واتفاقهم - كما ذُكر آنفًا - علىٰ إعراب الاسم الظاهر الواقع بعد الجارّ والمجرور فاعلًا إنْ سبقهما مبتدأٌ، أو موصوفٌ، أو موصولٌ، أو صاحبُ حال، أو حرفُ استفهام أو نفي، وهذا وَهْمٌ منه؛ فقد ورد في المسألة عدّة مذاهب أوضحتُها في موضعها من التحقيق.

*** وصف نسخ المخطوط، ومصوّراتها:**

اعتمدتُ في تحقيق الرسالة علىٰ ثلاث نسخ خطية، ولم أقف علىٰ غيرها علىٰ حسب اطّلاعي:

الأولىٰ: تحتفظ بها المكتبة الملكية (مكتبة الدولة حاليًا) ببرلين، تحت رقم: (Lbg= Landberg 763)، في ورقة واحدة، ضمن مجموع، وهي الورقة (٤٤)، في صفحتين، مسطرتها (٢٦) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (٢١) كلمة، مكتوبة بخط نستعليق واضح، ويرجع تاريخ نسخها إلىٰ سنة ٩٢٨هـ، وقبلها في المجموع: حاشية عيسىٰ بن محمد بن الحسن علىٰ (المعافية في شرح الكافية) لشهاب الدين أحمد بن عمر الزوالي الدولت آبادي الهندي ٨٤٩هـ، كتبت بخط المصنف سنة ٩٢٨هـ، في (٤٣) ورقة. وقد استعمل فيها الناسخ رموزًا واختصارات لبعض الكلمات، فكلمة (حينئذ) يكتبها: ح، وكلمة (يخلو) يكتبها: يخ، وكلمة (الظاهر) يكتبها: الظ... وغيرها وهذه النسخة عليها حواشٍ وتعليقاتٌ كثيرةٌ، آثرتُ إثباتها في الهوامش، لأني رأيتُ فيها توسيعًا للبحث ومزيدَ إفادة. وقد جعلتها الأصل الذي أعتمد عليه في التحقيق؛ لقدم نسخها، ووضوح خطّها، ورمزت لها بالرمز (ص).

الثانية: تحتفظ بها مكتبة مجلس الشورىٰ الإسلامي في طهران، بعنوان: (أقسام الجمل)، تحت رقم: (١٩١٨)، في ثلاث صفحات، ضمن مجموع، وهي في الورقتين (٣٢٣٧، ٣٢٣٨)، من صفحة (١٥٥ – ١٥٧)، مسطرتها (٢٠) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١١) كلمة، مكتوبة بمداد أحمر في بعض الكلمات وأسود للباقي بخط نسخ واضح، ويرجع تاريخ نسخها إلىٰ أواخر القرن العاشر الهجري

تقديرًا، ولم يذكر اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ. وقد رمزت لها بالرمز (ش).

الثالثة: تحتفظ بها مكتبة مجلس الشورىٰ الإسلامي في طهران، بعنوان: (إعراب الجمل)، تحت رقم: (١٧٣٠٢)، في ثلاث صفحات، ضمن مجموع، من صفحة (٢- ٤)، مسطرتها (١٧) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٤) كلمة، مكتوبة بخط نسخ واضح، كتبت يوم السبت سادس ربيع الثاني سنة ١٢٥٦هـ، نقلًا عن نسخة برلين كما ذكر ناسخها، واسمه:... مرزا زكي، ويعيبها أنّ الناسخ إذا استشكل عليه قراءة بعض الكلمات رسمها رسمًا، وكذلك عليها آثار رطوبة في جوانبها لم تؤثر علىٰ كلماتها. وقد رمزت لها بالرمز (ط).

وأجد لزامًا عليّ أن أشير إلىٰ أنّ المكتبة المركزيّة بوزارة الأوقاف المصرية، تحتفظ بنسخة منها تحت رقم: (٧٣٦)، ضمن مجموع (ألغاز نحويّة) عدد أوراقه (٦٧) ورقة، ليس فيها سوىٰ الديباجة فقط. كما أنّ هنالك نسخة أخرىٰ تحتفظ بها دار الكتب المصرية في القاهرة، بعنوان: (رسالة في الجملة الخبرية)، تحت رقم: (٦٣٧ مجاميع)، ضمن مجموعة مخطوطة بخطوط مختلفة، وقد عزّ عليّ مطلبها والوقوف عليها.

هذا وقد اتبعتُ في تحقيق الرسالة قواعد التوثيق والتحقيق التي استقرّت عند شيوخ هذه الصنعة، وهو منهج يقف أمام النصوص بالمراجعة علىٰ كتب التراث العربي، مع بذل أقصىٰ جهد في ضبط النصّ والوصول به إلىٰ درجة الصواب الذي يرضىٰ عنه مؤلِّفه، ولستُ أظنّ بعملي هذا الكمال، ولا أبرّئه من النقصان، ولكن حسبي أنني حاولت، وبذلت وسعي ما استطعت، ولا يلام المرء بعد اجتهاده، وفوق كل ذي علم عليم.

* مصوّرات النسخ المخطوطة:

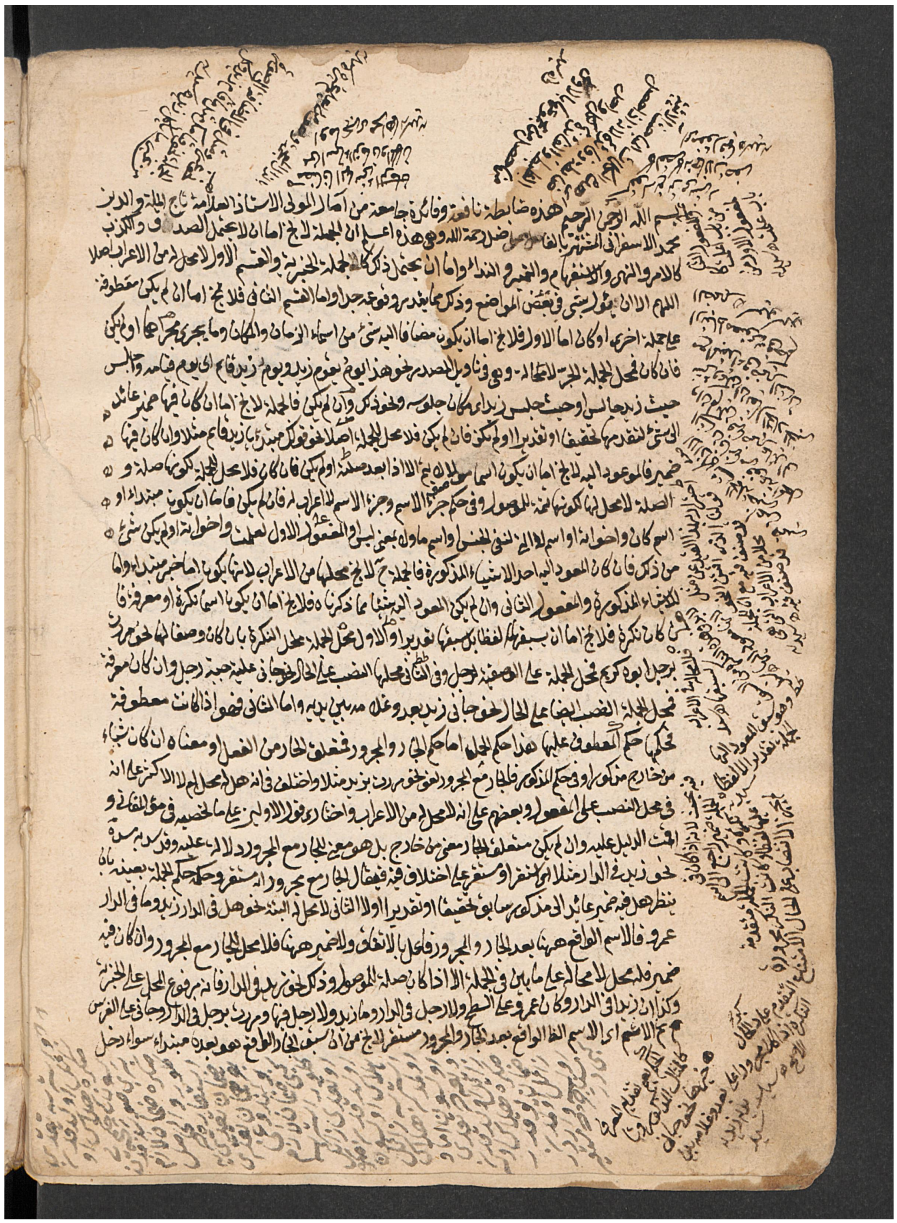

صورة الصفحة الأولىٰ من نسخة مكتبة الدولة ببرلين (٧٦٣)

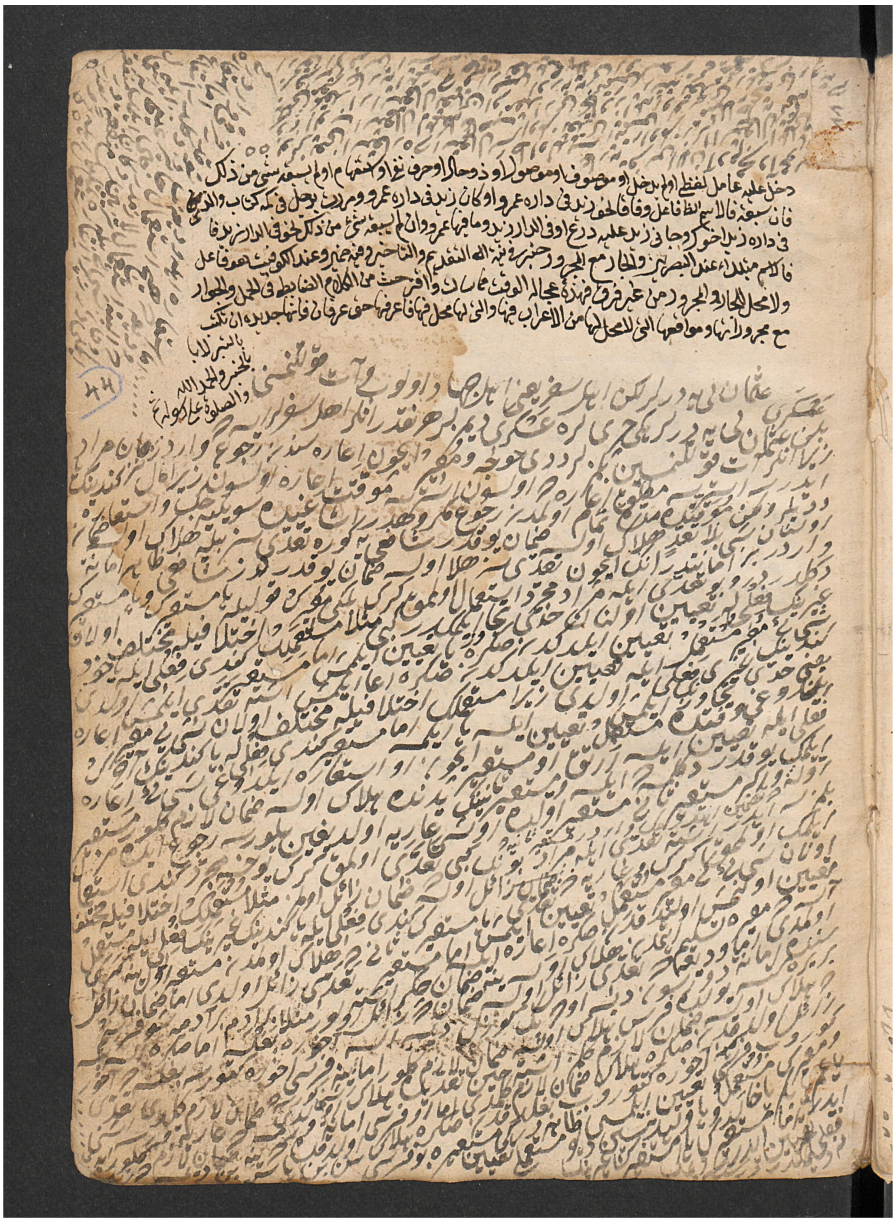

صورة الصفحة الثانية الأخيرة من نسخة مكتبة الدولة ببرلين (٧٦٣)

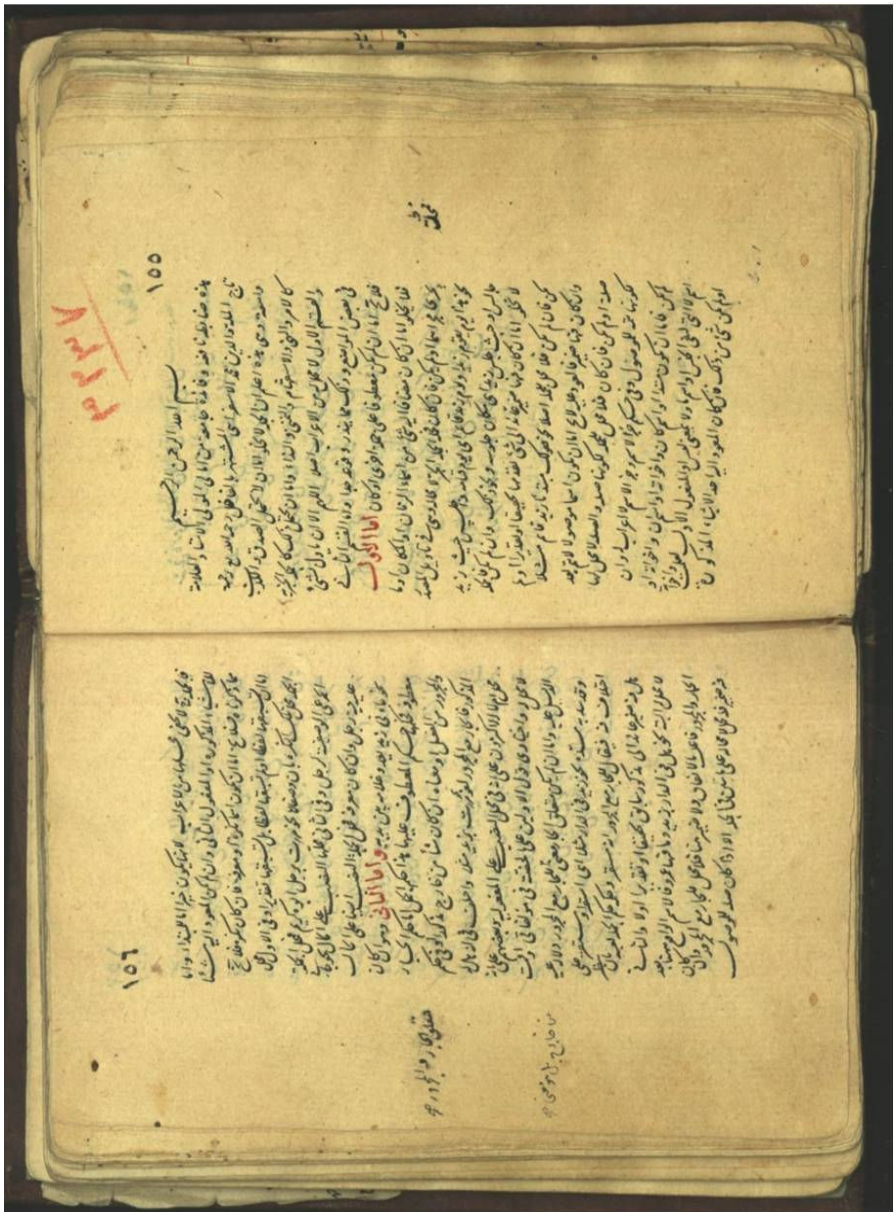

صورة الصفحتين الأولىٰ والثانية من نسخة مكتبة مجلس الشورىٰ بطهران (١٩١٨)

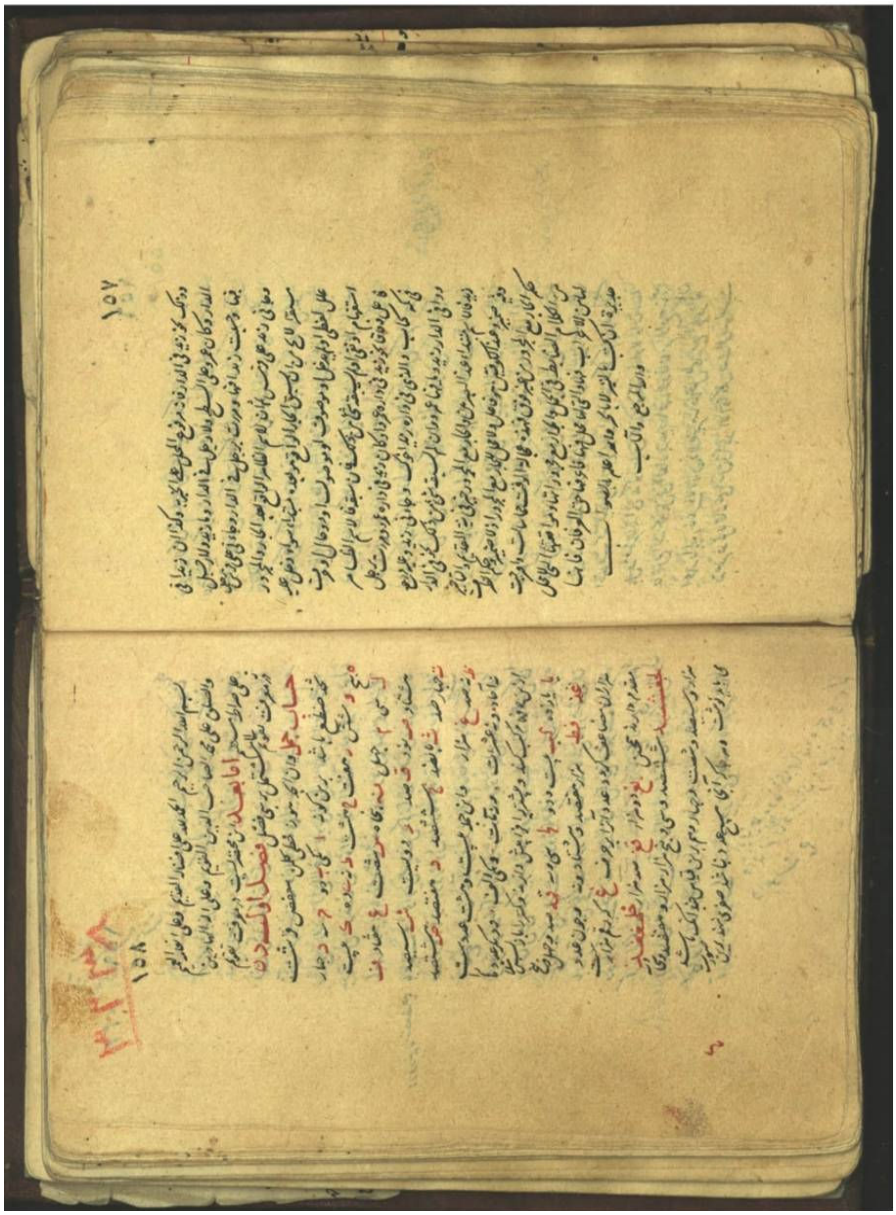

صورة الصفحة الثالثة الأخيرة من نسخة مكتبة مجلس الشورى بطهران (١٩١٨)

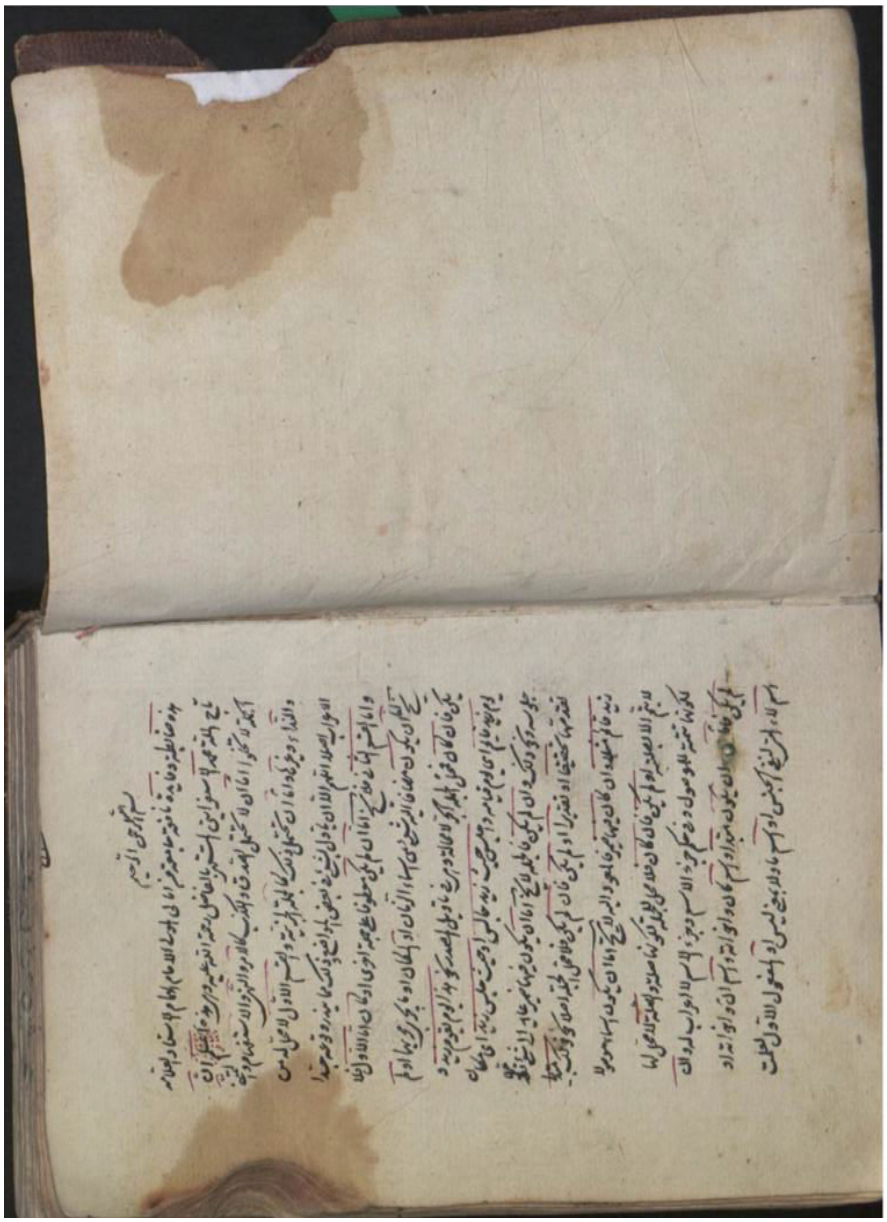

صورة الصفحة الأولىٰ من نسخة مكتبة مجلس الشورىٰ بطهران (١٧٣٠٢)

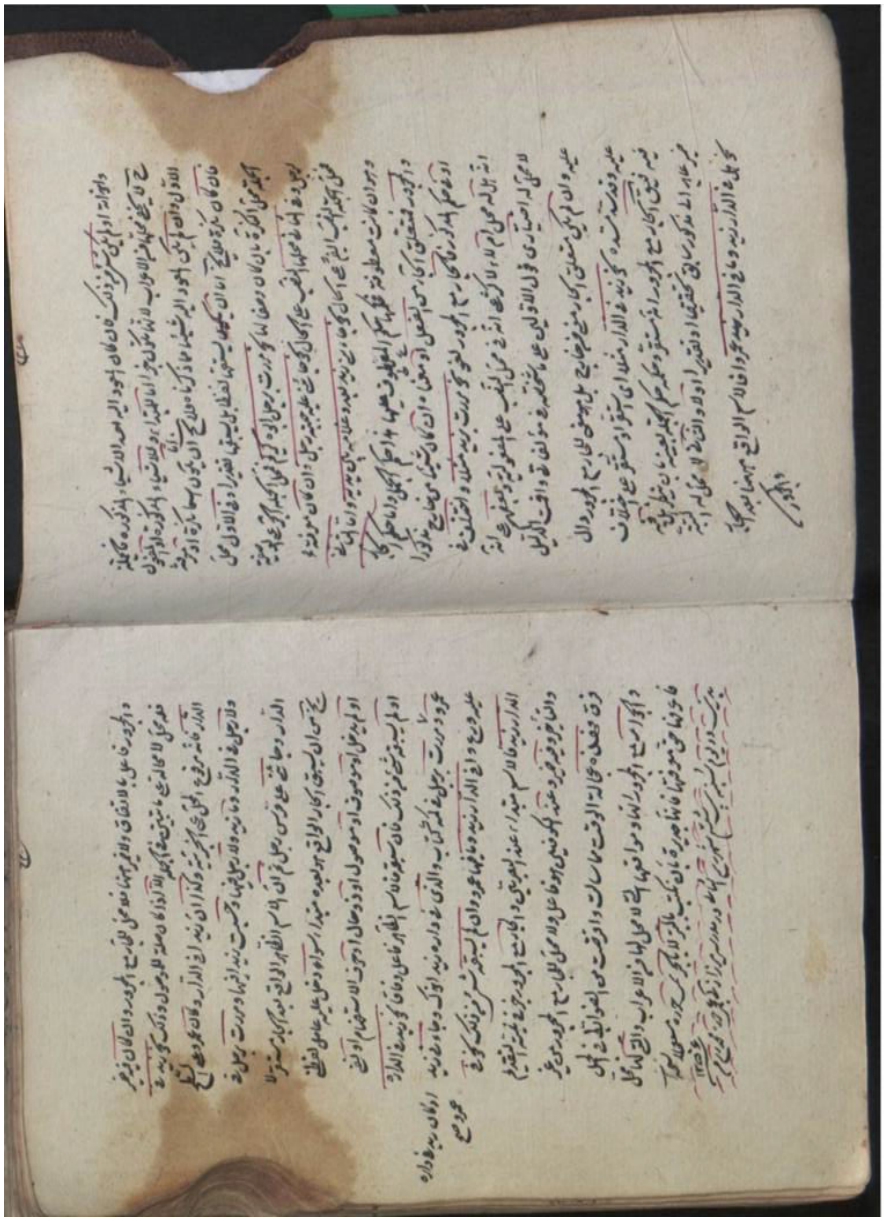

صورة الصفحتين الثانية والثالثة الأخيرة من نسخة مكتبة مجلس الشورى بطهران (١٧٣٠٢)

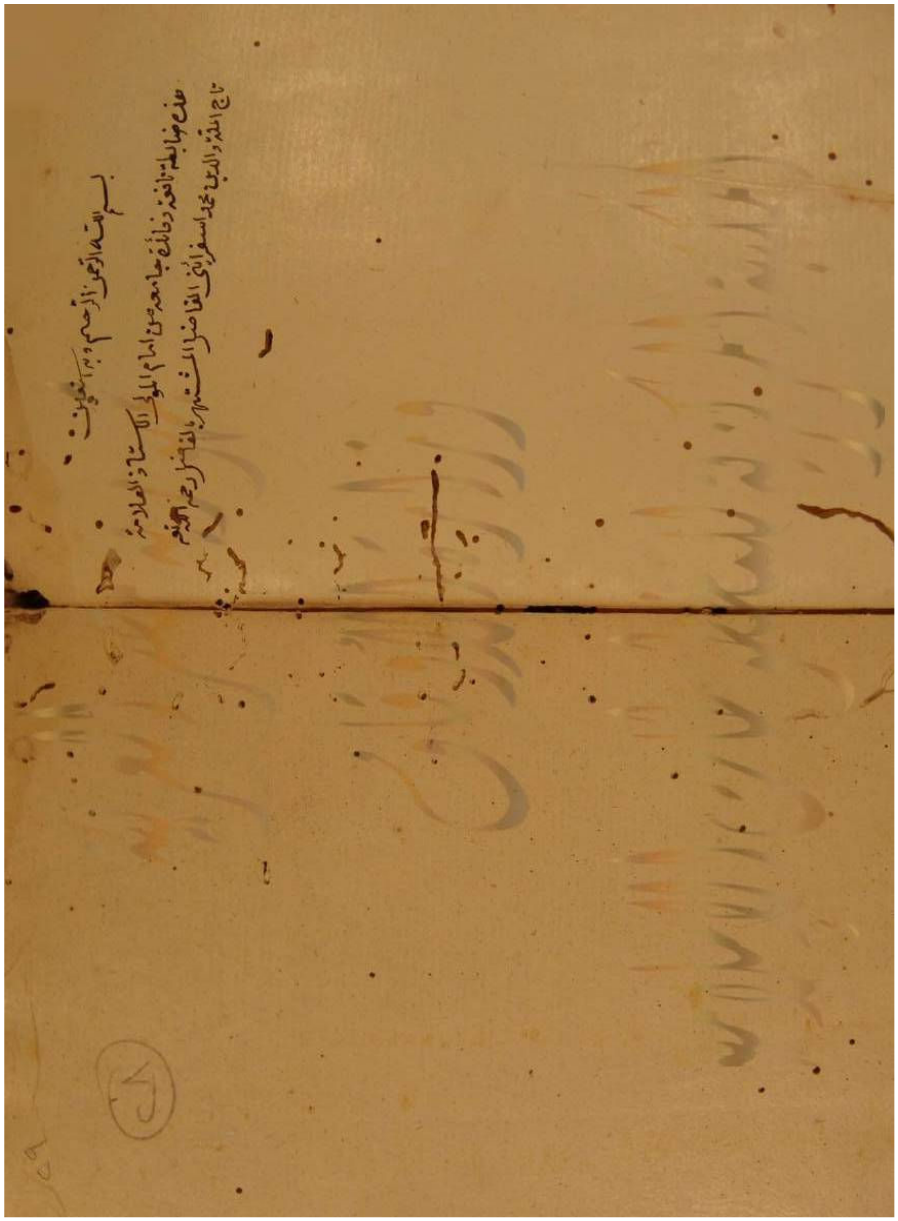

الديباجة من نسخة المكتبة المركزية بوزارة الأوقاف المصريّة (٧٣٦)

* * *

القسم الثاني
تحقيق المخطوط

/ ١أ/ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذِهِ ضَابِطَةٌ نَافِعَةٌ، وَفَائِدَةٌ جَامِعَةٌ[٢٩]، مِنْ أَمَالِي[٣٠] الـمَوْلَىٰ [الإِمَام][٣١] الأُسْتَاذِ[٣٢] العَلَّامَةِ تَاجِ الـمِلَّةِ وَالـدِّينِ[٣٣] مُحَمَّدٍ الإِسْفَرَايِينِيِّ[٣٤] الـمُشْتَهِرِ بِالفَاضِلِ ﷺ [تَعَالَىٰ رَحْمَةً وَاسِعَةً][٣٥]، وَهِيَ هَذِهِ:

اعْلَمْ أَنَّ الجُمْلَةَ لَا تَخْلُو: إِمَّا أَنْ لَا تَحْتَمِلَ الصِّدْقَ وَالكَذِبَ كَـ(الأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالاسْتِفْهَامِ وَالتَّمَنِّي وَالنِّدَاءِ)، وَإِمَّا أَنْ تَحْتَمِلَ ذَلِكَ كَالجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ[٣٦]، وَالقِسْمُ الأَوَّلُ لَا مَحَلَّ لَهُ مِنْ الإِعْرَابِ أَصْلًا، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُؤَوَّلَ بِشَيءٍ فِي بَعْضِ الـمَوَاضِعِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَنْدُرُ[٣٧] وُقُوعُهُ جِدًّا[٣٨].

وَأَمَّا القِسْمُ الثَّانِي فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْطُوفًا[٣٩] عَلَىٰ جُمْلَةٍ أُخْرَىٰ، أَوْ كَانَ.

أَمَّا الأَوَّلُ: فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ وَالـمَكَانِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا، أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنْ كَانَ فَمَحَلُّ الجُمْلَةِ الجَرُّ لَا مَحَالَةَ، وَهِيَ فِي تَأْوِيلِ الـمَصْدَرِ، نَحْوُ: (هَذَا يَوْمُ يَقُومُ زَيْدٌ، وَيَوْمُ زَيْدٌ قَائِمٌ)، أَيْ: يَوْمُ قِيَامِهِ، وَ(اجْلِسْ حَيْثُ زَيْدٌ جَالِسٌ، أَوْ حَيْثُ جَلَسَ زَيْدٌ)، أَيْ: مَكَانَ جُلُوسِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ[٤٠]، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَالجُمْلَةُ لَا تَخْلُو: إِمَّا إِنْ كَانَ فِيهَا ضَمِيرٌ عَائِدٌ إِلَىٰ شَيْءٍ يَتَقَدَّمُهَا[٤١] تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا، أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَلَا مَحَلَّ لِلْجُمْلَةِ أَصْلًا، نَحْوُ قَوْلِكَ مُبْتَدِئًا: (زَيْدٌ قَائِمٌ) مَثَلًا[٤٢]، وَإِنْ كَانَ فِيهَا ضَمِيرٌ فَالـمَعْهُودُ إِلَيْهِ[٤٣] لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا مَوْصُولًا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِصِلَتِهِ[٤٤]، أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنْ كَانَ فَلَا مَحَلَّ لِلْجُمْلَةِ؛ لِكَوْنِهَا صِلَةً، وَالصِّلَةُ لَا مَحَلَّ لَهَا لِكَوْنِهَا تَتِمَّةً لِلْمَوْصُولِ، وَفِي حُكْمِ جُزْءِ الاسْمِ، وَجُزْءُ الاسْمِ لَا إِعْرَابَ لَهُ[٤٥]، فَإِنْ

لَمْ يَكُنْ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، أَوْ اسْمَ (كَانَ) وَأَخَوَاتِهِ، [أَوْ اسْمَ (إِنَّ) وَأَخَوَاتِهِ][٤٦]، أَوْ اسْمَ (لَا) الَّتِي لِنَفْيِ الجِنْسِ، أَوْ اسْمَ (مَا) وَ(لَا) بِمَعْنَىٰ (لَيْسَ)، أَوْ الـمَفْعُولَ الأَوَّلَ لِـ(عَلِمْتُ) وَأَخَوَاتِهِ[٤٧]، أَوْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ[٤٨] مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ الـمَعُودُ إِلَيْهِ أَحَدَ الأَشْيَاءِ الـمَذْكُورَةِ فَالجُمْلَةُ حِينَئِذٍ لَا يَخْفَىٰ[٤٩] مَحَلُّهَا مِنْ الإِعْرَابِ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ خَبَرًا إِمَّا لِلْمُبْتَدَإِ، وَإِمَّا لِلأَشْيَاءِ الـمَذْكُورَةِ، أَوْ الـمَفْعُولَ الثَّانِي[٥٠]، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الـمَعُودُ إِلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا نَكِرَةً أَوْ مَعْرِفَةً، فَإِنْ كَانَ نَكِرَةً فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَسْبِقَهَا لَفْظًا، [أَوْ لَمْ يَسْبِقْهَا لَفْظًا][٥١] بَلْ يَسْبِقُهَا تَقْدِيرًا[٥٢]، وَ[فِي][٥٣] الأَوَّلِ مَحَلُّ الجُمْلَةِ مَحَلُّ [تِلْكَ][٥٤] النَّكِرَةِ، بِأَنْ كَانَ[٥٥] وَصْفًا لَهَا، نَحْوُ: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَبُوهُ كَرِيمٌ)، فَمَحَلُّ الجُمْلَةِ [الجَرُّ][٥٦] عَلَىٰ الوَصْفِيَّةِ لِـ(رَجُلٍ)، وَفِي الثَّانِي مَحَلُّهَا النَّصْبُ عَلَىٰ الحَالِ، نَحْوُ: (جَاءَنِي عَلَيْهِ جُبَّةٌ رَجُلٌ)[٥٧]، وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً فَمَحَلُّ الجُمْلَةِ النَّصْبُ أَيْضًا عَلَىٰ الحَالِ، نَحْوُ: (جَاءَنِي زَيْدٌ يَعْدُو غُلَامُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ)[٥٨].

وأَمَّا الثَّانِي: فَهُوَ[٥٩] إِذَا كَانَتْ[٦٠] مَعْطُوفَةً فَحُكْمُهَا حُكْمُ الـمَعْطُوفِ عَلَيْهَا. هَذَا حُكْمُ الجُمَلِ.

[وَ][٦١] أَمَّا حُكْمُ الجَارِّ وَالـمَجْرُورِ: فَمُتَعَلَّقُ الجَارِّ [وَالـمَجْرُورِ][٦٢] مِنْ الفِعْلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ خَارِجٍ مَذْكُورًا[٦٣] أَوْ فِي حُكْمِ الـمَذْكُورِ؛ فَالجَارُّ مَعَ الـمَجْرُورِ لَغْوٌ، نَحْوُ: (مَرَرْتُ بِزَيْدٍ) مَثَلًا، وَاخْتُلِفَ فِي أَنَّهُ هَلْ لَهُ مَحَلٌّ أَمْ لَا؟، الأَكْثَرُونَ[٦٤] عَلَىٰ أَنَّهُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَىٰ الـمَفْعُولِيَّةِ[٦٥]، وَبَعْضُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا مَحَلَّ لَهُ مِنْ الإِعْرَابِ[٦٦]، وَاخْتِيَارِي[٦٧] قَوْلُ الأَوَّلِينَ عَلَىٰ مَا لَخَّصْتُهُ[٦٨] فِي مُؤَلَّفَاتِي، وَأَقَمْتُ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ[٦٩].

وَ[أَمَّا][٧٠] إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَلَّقُ الجَارِّ مَعْنًىٰ مِنْ خَارِجٍ، بَلْ هُوَ مَعْنًىٰ لِلْجَارِّ مَعَ

الـمَجْرُورِ دَلَالَةً[٧١] عَلَيْهِ، وَقَدْ سَدَّ بِهِ[٧٢] مَسَدَّهُ، نَحْوُ: (زَيْدٌ فِي الدَّارِ) مَثَلًا، أَيْ: اسْتَقَرَّ أَوْ مُسْتَقِرٌّ، عَلَىٰ اخْتِلَافٍ فِيهِ[٧٣]؛ فَيُقَالُ[٧٤] لِلْجَارِّ مَعَ الـمَجْرُورِ[٧٥]: إِنَّهُ (مُسْتَقَرٌّ)[٧٦]، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الجُمْلَةِ بِعَيْنِهِ؛ بِأَنْ يُنْظَرَ هَلْ فِيهِ ضَمِيرٌ عَائِدٌ إِلَىٰ مَذْكُورٍ سَابِقٍ تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا أَوْ لَا؟، [وَ][٧٧] الثَّانِي لَا مَحَلَّ لَهُ البَتَّةَ، نَحْوُ: (هَلْ فِي الـدَّارِ زَيْدٌ[٧٨]؟)، وَ(مَا فِي الـدَّارِ[٧٩] عَمْرٌو[٨٠])، فَالاسْمُ الوَاقِعُ هَاهُنَا بَعْدَ الجَارِّ وَالـمَجْرُورِ فَاعِلٌ بِالاتِّفَاقِ[٨١]، وَلَا ضَمِيرَ هَاهُنَا[٨٢]، فَلَا مَحَلَّ لِلْجَارِّ مَعَ الـمَجْرُورِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ضَمِيرٌ فَلَهُ مَحَلٌّ لَا مَحَالَةَ عَلَىٰ مَا بُيِّنَ[٨٣] فِي الجُمْلَةِ، إِلَّا إِذَا كَانَ صِلَةً لِلمَوْصُولِ، وَذَلِكَ نَحْوُ: (زَيْدٌ فِي الـدَّارِ)، فَإِنَّهُ مَرْفُوعُ الـمَحَلِّ عَلَىٰ الخَبَرِيَّةِ، وَكَذَا (إِنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ)، وَ(كَانَ عَمْرٌو عَلَىٰ السَّطْحِ)، وَ(لَا رَجُلَ فِي الدَّارِ)، وَ(مَا زَيْدٌ وَلَا رَجُلٌ فِيهَا)، [وَ(حَسِبْتُ زَيْدًا فِيهَا)][٨٤]، وَ(مَرَرْتُ بِرَجُلٍ فِي الدَّارِ)، وَ(جَاءَنِي عَلَىٰ فَرَسٍ[٨٥] [رَجُلٌ][٨٦]، [وَ(جَاءَنِي زَيْدٌ عَلَىٰ فَرَسٍ)][٨٧].

ثُمَّ الاسْمُ - أَيْ: الاسْمُ الظَّاهِرُ[٨٨] الوَاقِعُ بَعْدَ الجَارِّ وَالـمَجْرُورِ (مُسْتَقَرٌّ) - لَا يَخْلُو: مِنْ أَنْ يَسْبِقَ الجَارَّ - الوَاقِعُ هُوَ بَعْدَهُ - مُبْتَدَأٌ، سَوَاءٌ دَخَلَ / ١ب/ عَلَيْهِ عَامِلٌ لَفْظِيٌّ، أَوْ لَمْ يَدْخُلْ، أَوْ مَوْصُوفٌ، [أَوْ مَوْصُولٌ][٨٩]، أَوْ ذُو حَالٍ، أَوْ حَرْفُ اسْتِفْهَامٍ، أَوْ نَفْيٍ[٩٠]، أَوْ لَمْ يَسْبِقْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ سَبَقَهُ فَالاسْمُ الظَّاهِرُ فَاعِلٌ وِفَاقًا[٩١]، نَحْوُ: (زَيْدٌ فِي دَارِهِ[٩٢] عَمْرٌو)، أَوْ (كَانَ زَيْدٌ فِي دَارِهِ عَمْرٌو)، وَ(مَرَرْتُ بِرَجُلٍ فِي كُمِّهِ كِتَابٌ)، وَ(الَّذِي فِي دَارِهِ زَيْدٌ أَخُوكَ)، وَ(جَاءَنِي زَيْدٌ [وَ][٩٣] عَلَيْهِ دِرْعٌ)، وَ(أَفِي[٩٤] الـدَّارِ زَيْدٌ؟)، وَ(مَا فِيهَا عَمْرٌو). وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ نَحْوُ: (فِي الدَّارِ زَيْدٌ)؛ فَالاسْمُ مُبْتَدَأٌ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ، وَالجَارُّ مَعَ الـمَجْرُورِ خَبَرٌ فِي نِيَّةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَفِيهِ ضَمِيرٌ، وَعِنْدَ الكُوفِيِّينَ هُوَ فَاعِلٌ، وَلَا مَحَلَّ لِلجَارِّ وَالـمَجْرُورِ؛ [إِذْ لَا ضَمِيرَ، وَحُكْمُ الظَّرْفِ حُكْمُ الجَارِّ وَالـمَجْرُورِ][٩٥] مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ[٩٦].

فَهَذِهِ عُجَالَةُ الوَقْتِ مِمَّا سَأَلْتَ وَاقْتَرَحْتَ[٩٧] مِنْ الكَلَامِ الضَّابِطِ فِي الجُمَلِ، وَالجَوَارِّ مَعَ مَجْرُورَاتِهَا[٩٨]، وَمَوَاقِعِهَا الَّتِي لَا مَحَلَّ لَهَا مِنْ الإِعْرَابِ فِيهَا، وَالَّتِي لَهَا مَحَلٌّ فِيهَا، فَاعْرِفْهَا حَقَّ العِرْفَانِ[٩٩]، فَإِنَّهَا جَدِيرَةٌ أَنْ تُكْتَبَ بِالتِّبْرِ لَا بِالحِبْرِ، [وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ المَرْجِعُ وَالمآبُ][١٠٠]، وَالحَمْدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَىٰ رَسُولِهِ. تَمَّ.

***

الملحق

* إعراب الجملة:

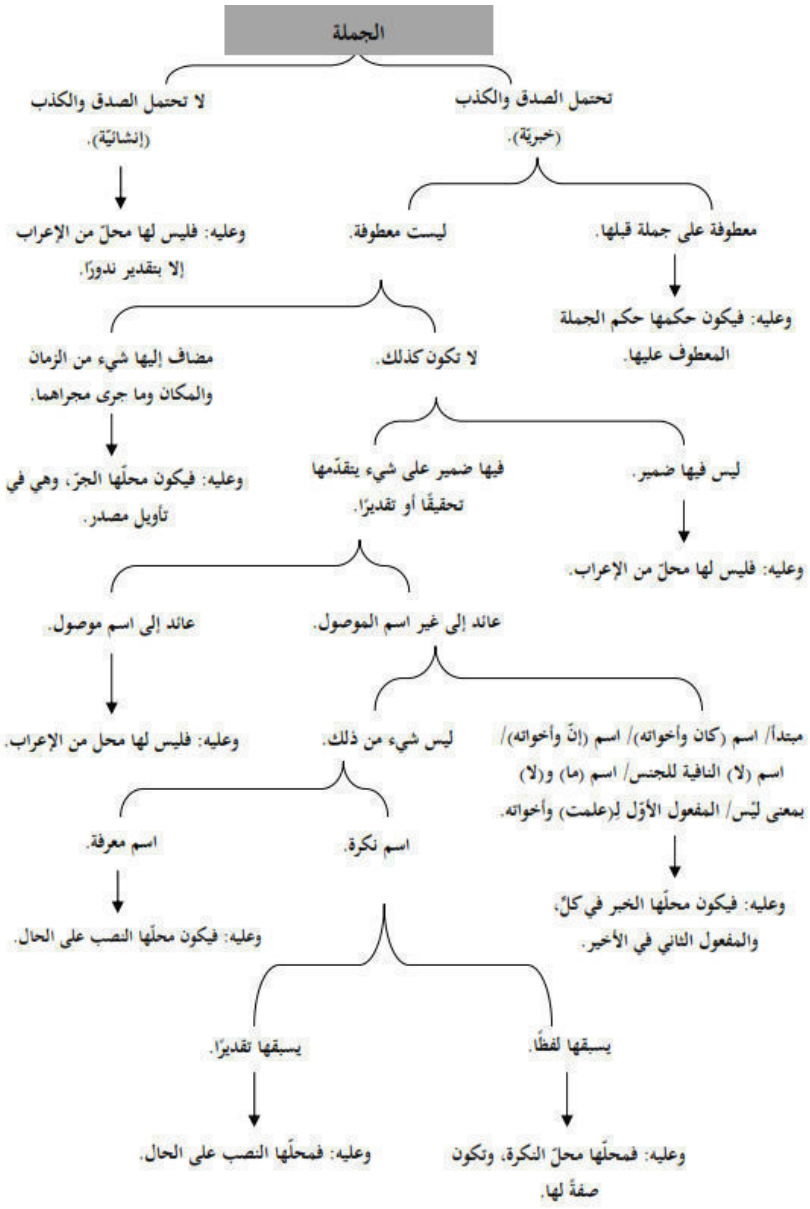

* إعراب شبه الجملة:

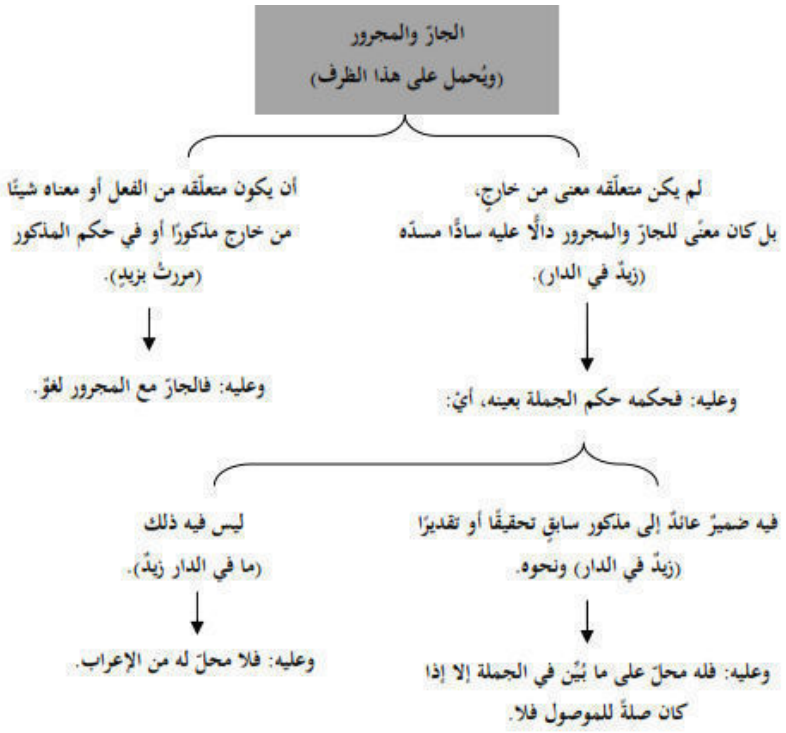

الهوامش والتعليقات

(١) انظر في ترجمته: بغية الوعاة (١/ ٢١٩)، ومفتاح السعادة (١/ ١٧٣، ١٧٩)، وكشف الظنون (٢/ ١٥٤٣، ١٥٤٥)، وهدية العارفين (٢/ ١٣٤)، وخزانة الأدب (٩/ ٢٥٤)، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٥/ ٢٦٩)، والأعلام (٧/ ٣١)، ومعجم المؤلفين (١١/ ١٨٠)، وفهرست المكتبة الأزهرية (٥/ ١٥١)، ومقدّمة كتاب (لباب الإعراب) للمؤلِّف، بتحقيق د. بهاء الدين عبد الوهاب.

(٢) في كشف الظنون (٢/ ١٥٤٥)، وهدية العارفين (٢/ ١٣٤): سيف الدين.

(٣) انظر: فهرست المكتبة الأزهرية (٥/ ١٥١)، ولعلّ المراد بُسْت مدينةٌ بين سجستان وهراة. راجع: معجم البلدان (١/ ٤١٤).

(٤) انظر: تاريخ بروكلمان (٥/ ٢٦٩)، ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه هذه النسبة.

(٥) في هدية العارفين (٢/ ١٣٤): المعروف بالفَضْل.

(٦) انظر: بغية الوعاة (١/ ٢١٩)، وشرح الفريد (ص٥٣١)، ومفتاح السعادة (١/ ١٧٣)، وكشف الظنون (٢/ ١٥٤٥)، وخزانة الأدب (٩/ ٢٥٤).

(٧) بغية الوعاة (١/ ٢١٩).

(٨) ذكر الزُّوزني في شرحه علىٰ اللباب أنه استفاد كثيرًا من الفاضل الإسفراييني، فلعلّه أحد تلامذته، والله أعلم. انظر: شرح اللباب (١/ ٢١)، وكشف الظنون (٢/ ١٥٤٤).

(٩) انظر: الأنساب (١/ ٢٣٥). وقد تحدّثت المصادر بإسهاب عن الخلاف في ضبط الاسم، وكيفيّة النطق به، وفي أصل التسمية، ونحو ذلك. راجع: معجم البلدان (١/ ١٧٧)، وتقويم البلدان لأبي الفدا (ص٤٤٨، ٤٤٩)، وصبح الأعشىٰ (٤/ ٣٩١)، وروضات الجنات (١/ ١٦٦).

(١٠) انظر: يتيمة الدهر (٤/ ٥٠٥).

(١١) انظر: الأنساب (١/ ٢٣٥)، ومعجم البلدان (١/ ١٧٧).

(١٢) انظر: فاتحة الإعراب (١/ ٨٣، ١٤٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٦، ٣٠٥)، وضوء المصباح (ل٢٢/ أ).

(١٣) انظر: مقدّمة لباب الإعراب (ص٢٧).

(١٤) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٥٤٣)، وهدية العارفين (٢/ ١٣٤)، وتاريخ بروكلمان (٥/ ٢٦٩)، والأعلام (٧/ ٣١)، ومعجم المؤلفين (١١/ ١٨٠)، وفهرست المكتبة الأزهرية (٥/ ١٥١).

(١٥) انظر: مفتاح السعادة (١/ ١٧٣، ١٧٩، ٢٧٠)، وكشف الظنون (٢/ ١٧٠٨)، وتاريخ بروكلمان (٥/ ٢٤٢، ٢٤٥).

(١٦) المصادر السابقة.

(١٧) انظر: هدية العارفين (٢/ ١٣٤).

(١٨) مقدمة لباب الإعراب (ص٤٥).

(١٩) انظر: مفتاح السعادة (١/ ١٧٣)، وكشف الظنون (٢/ ١٥٤٣)، وهدية العارفين (٢/ ١٣٤)، وتاريخ بروكلمان (٥/ ٢٦٩).

(٢٠) انظر: حواشي اللباب (ص٢٦٥).

(٢١) انظر: تاريخ بروكلمان (٥/ ٢٧٠).

(٢٢) انظر: فاتحة الإعراب (٢/ ٥٨١) وما بعدها.

(٢٣) انظر: مفتاح السعادة (١/ ١٧٣)، وكشف الظنون (٢/ ١٥٤٥).

(٢٤) انظر: الأعلام (٧/ ٣١)، وفهرست المكتبة الأزهرية (٥/ ١٥١).

(٢٥) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٣٤١)، والأعلام (٥/ ٣٢٦)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١٢٢).

(٢٦) انظر: فاتحة الإعراب (١/ ١٦، ٣٦).

(٢٧) انظر: تاريخ بروكلمان (٥/ ٢٧٠)، والأعلام (٧/ ٣١)، وفهرس دار الكتب المصرية (٢/ ١١٢).

(٢٨) المصادر السابقة.

(٢٩) في ط: (هذه ضابطة، وفائدة نافعة جامعة). قال الناسخ معلّقًا في حاشية ص: «أيْ هذه الكلمات والمباحث الآتية ضابطة وفائدة؛ لأنه إذا حصل الضبط والفائدة لكلّ واحد منها حصل من مجموعها بالأولىٰ».

(٣٠) في ص: (أمال).

(٣١) ما بين المعقوفتين زيادة من ط.

(٣٢) علّق الناسخ في حاشية ص: «بالذال المعجمة، وهو من يعلّم غيره».

(٣٣) قوله: (والدّين) ليس في ط.

(٣٤) في ص: (الإسفراني).

(٣٥) ما بين المعقوفتين زيادة من ش، وفي ط: (رحمة الله عليه).

(٣٦) انظر: الصاحبي (ص٢٨٩)، وشرح شذور الذهب (ص٣٢)، وهمع الهوامع (١/ ٣٤)، وعلم المعاني (٤٣-١٢٩).

(٣٧) في ص: (يقدّر)، وهو تحريف.

(٣٨) علّق الناسخ في حاشية ص: «كقوله تعالىٰ: {تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ} أيْ: مَقُولٍ فيها».

وانظر في المسألة: الكتاب (١/ ١٣٨)، وشرح المفصل (٣/ ٥٣)، وشرح التسهيل (١/ ٣٠٩)، واللباب للإسفراييني (ص٢٥١)، وفاتحة الإعراب (١/ ١٣٠)، وشرح الرضي (١/ ٢٣٧)، وارتشاف الضرب (٣/ ١١١٥)، والتذييل والتكميل (٤/ ٢٦)، ومنهج السالك (١/ ١٦٠)، وتمهيد القواعد (٢/ ٩٧٠)، والمقاصد الشافية (١/ ٦٢٥)، وشرح التصريح (١/ ١٦٠)، (٢/ ١١٢)، والهمع (٢/ ١٤)، وحاشية الصبان (١/ ١٩٥).

(٣٩) في ص: (معطوفة).

(٤٠) مثّل لذلك الناسخ في حاشية ص بقوله: «نحو (غير) و(مثل) في الإضافة إلىٰ صورة الجملة، نحو: قيامُك مثل ما قام زيدٌ، وكُلْ من غير ما يأكل زيدٌ».

(٤١) في ش و ط: (تقدّمها).

(٤٢) علّق الناسخ في حاشية ص بقوله: «إلا إذا كانت الجملة خبرًا عن ضمير الشأن فإنها مرفوعة المحلّ وإن لم يكن فيها ضميرٌ عائدٌ إلىٰ شيء، ويمكن أن يقال: اتّحادُ الخبر مع المبتدإ في ضمير الشأن ارتباطٌ معنويٌّ في حكم الضمير».

(٤٣) في ش: (فالعود عليه)، وفي ط: (فالموعود).

(٤٤) كذا في ط، وفي ص: (لا يتمّ إلا إذا بعد صلته)، وفي ش: (لا يتمّ بعد صلته). قال الناسخ في حاشية ص: «احترازٌ بهذا القيد عن مثل قولنا: الذي أتقن النحوَ قد صَنَّفَ فيه، مع أنّ للجملة محلًّا للإعراب التي هي: قد صَنَّفَ فيه».

(٤٥) نحو: زارني مَنْ أحببْتُه.

(٤٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٤٧) نحو: زيدٌ يحبُّ العلم، وكان زيدٌ يحبُّ العِلْم، وإنّ زيدًا يحبُّ العِلْم، ولا رجلَ يقولُ الصّدق، وما زيدٌ يذاكرُ دروسَه، ولا صديقٌ يقرأُ كتابًا، وعلمتُ زيدًا يحبُّ العِلْم. وأضاف الناسخ معلّقًا في حاشية ص: «والمفعول الثاني من باب (أعلمتُ) كالمفعول الأوّل من باب (علمتُ)»، نحو: أعلمتُ عمرًا زيدًا يحبُّ العِلْم.

(٤٨) كذا في النسخ جميعها، وعليه فَـ(كان) تامّة هنا.

(٤٩) في ص: (لا يخلو)، وهو تحريف.

(٥٠) العبارة في ص: (لأنها تكون إمّا خبر مبتدأ... والمفعول الثاني)، وفي ط: (... وللأشياءِ المذكورة، والمفعولِ الأوّل).

(٥١) ما بين المعقوفتين من ش، وساقطٌ من ص و ط.

(٥٢) في حاشية ص علّق الناسخ: «لا بدّ في هذه النكرة من السبق؛ لأنها معودٌ إليها».

(٥٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٥٤) ما بين المعقوفتين من ش، وساقطٌ من ص و ط.

(٥٥) قوله: (كان) ليس في ش.

(٥٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٥٧) علّق الناسخ في حاشية ص بقوله: «فيه بحثٌ؛ لأنه إذا كان في الجملة ضميرٌ راجع إلىٰ اسمٍ نكرة، وكانت الجملة متقدّمة عليها لفظًا، وكانت النكرة مجرورةً؛ لم يجز الانتصاب علىٰ الحال، لامتناع التقدّم علىٰ ذي الحال النكرة إذا كان مجرورًا علىٰ الأصحّ». وانظر في المسألة: اللباب للعكبري (١/ ٢٩١)، وشرح المفصّل (٢/ ٥٩)، وارتشاف الضرب (٣/ ١٥٧٩)، والمقاصد الشافية (٣/ ٤٥١)، وشرح التصريح (١/ ٣٧٨).

(٥٨) قال الناسخ في حاشية ص: «الحكم يعمّ تقديم المعرفة كالمثال المذكور، نحو: جاء يعدو غلامه بين يديه زيدٌ».

(٥٩) في ش و ط: (وهو).

(٦٠) في ش: (أنْ كان)، وفي ط: (أنْ كانتْ).

(٦١) ما بين المعقوفتين من ط، وساقطٌ من ص و ش.

(٦٢) ما بين المعقوفتين من ش، وساقطٌ من ص و ط.

(٦٣) في ص: (مذكور).

(٦٤) كذا في ش، وفي ص و ط: (الأكثر).

(٦٥) كذا في ش و ط، وفي ص: (المفعول).

(٦٦) قوله: (من الإعراب) ليس في ش و ط.

وانظر في المسألة: شرح المفصل (٧/ ٦٥)، وشرح الجمل لابن عصفور (١/ ٣٠٦)، وشرح الرضي (١/ ٣٣٤)، (٢/ ٢٠٢)، (٤/ ١٣٧)، وتمهيد القواعد (٤/ ١٧٢٣)، والمقاصد الشافية (٣/ ١٤٢)، والهمع (٤/ ١٥٦)، وشرح الفريد (ص٢٩٠)، وحاشية الصبّان (١/ ٢٠٠).

(٦٧) في ط: (اختياري).

(٦٨) في ط: (شخّصتُه).

(٦٩) انظر: اللباب للإسفراييني (ص٢٩٠، ٤٣٢)، وحواشي اللباب (ص٣٨٥)، ولبّ الألباب (ص٣٥)، وفاتحة الإعراب (١/ ٩٤)، وشرح الزُّوزني (١/ ٧٠١)، (٢/ ٥١٤)، والعباب في

شرح اللباب (ص٥٠)، وشرح الفريد (ص٢٩٠).

(٧٠) ما بين المعقوفتين من ش، وساقطٌ من ص و ط.

(٧١) في ط: (دالّ).

(٧٢) قوله: (به) ساقطٌ من ط.

(٧٣) للنحويين في متعلّق شبه الجملة ثلاثة أقوال: منهم من يقدّره اسم فاعل فيكون من قبيل الخبر المفرد، ويُنسب هذا القول لسيبويه والأخفش ورجّحه ابن مالك، ومنهم من يقدّره فعلًا فيكون من قبيل الخبر الجملة، كالفارسي والزمخشري وابن الحاجب، ومنهم من يجعله قسمًا برأسه، وهو قول ابن السراج. انظر في المسألة: الإنصاف (١/ ٢٤٥)، والتبيين (ص٢٤٩)، والمغني لابن فلاح (٢/ ٣١٧)، وارتشاف الضرب (٣/ ١١٢١)، والهمع (٢/ ٢١)، والأشباه والنظائر (٢/ ٢٢٦).

(٧٤) قوله: (فيقال) غامضة في ط.

(٧٥) كذا في ش، وفي ص: (الجارّ مع مجرور)، وفي ط: (الجارّ مع المجرور).

(٧٦) (المستقَرُّ) - بفتح القاف - موضع تقدير: استقرّ أو مستقِرٍّ، والمراد به أنْ يكون له محلّ من الإعراب، بخلاف (اللّغو) فإنّه ليس له محلّ من الإعراب. راجع: ضوء المصباح (ل١٧/ أ). نقلًا عن تعليق الناسخ في الحاشية.

(٧٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٧٨) في ش: (بزيد)، وهو تحريف.

(٧٩) في ش: (وما فيها).

(٨٠) في ط: (عمروا).

(٨١) سيعرض المؤلف لهذه المسألة بشيء من التفصيل بعد قليل.

(٨٢) في ش: (هنا).

(٨٣) كذا في ص، والذي في ش و ط: (تبيَّن).

(٨٤) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٨٥) في ص: (الفرس).

(٨٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٨٧) ما بين المعقوفتين من ش، وساقطٌ من ص و ط.

(٨٨) العبارة في ش و ط: (ثمّ إنّ الاسم الظاهر...).

(٨٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ش و ط.

(٩٠) العبارة في ص: (حرف نفي أو استفهام) تقديمًا وتأخيرًا، وفي ط: (حرف الاستفهام أو نفي)، وما أثبتُّه أولىٰ وفاقًا لترتيب ما سيجيء من الأمثلة.

(٩١) نصَّ المؤلّفُ هنا علىٰ اتفاق النحاة وإجماعهم في المسألة، وفي هذا نظر؛ إذْ في ذلك أربعة مذاهب: **الأوّل:** جواز الأمرين الابتدائية والفاعلية، والابتدائيّة أرجح، وهو مذهب البصريين. **الثاني:** جواز الأمرين، والفاعلية أرجح، وهو مذهب ابن مالك، واختاره ابن هشام. **الثالث:** وجوب الفاعلية، وهو مذهب الزمخشري، ونقله ابن هشام الخضراوي عن الأكثرين. **الرابع:** وجوب الابتدائية، وهو مذهب السهيلي. انظر: الإنصاف (١/ ٥٥)، ونتائج الفكر (ص٣٢٥)، والإيضاح في شرح المفصل (١/ ١٨٩)، وشرح التسهيل (١/ ٣١٣)، والمغني (٢/ ٥٥٦)، والهمع (٥/ ١٣١).

(٩٢) في ط: (الداره)، وهو تحريف.

(٩٣) في ص و ط بإسقاط الواو.

(٩٤) في ص: (أو في الدار)، ولا يستقيم الكلام.

(٩٥) ما بين المعقوفتين من ش، وساقطٌ من ص و ط.

(٩٦) انظر في المسألة: الإنصاف (١/ ٥١)، واللباب للعكبري (١/ ١٤٣)، والتبيين (ص٢٣٣)، وتوجيه اللمع (ص١١٧)، والمغني لابن فلاح (٢/ ٣٢٥) وما بعدها، وفاتحة الإعراب (١/ ٢٤٤)، وضوء المصباح (ل١٧/ أ)، وشرح الرضي (١/ ٢٤٧)، والمغني (٢/ ٤٤٣)، (٥٥٦)، وتمهيد القواعد (٢/ ١٠٠٨)، والهمع (٥/ ١٣١)، وشرح قواعد الإعراب (ص٧٥)، وإعراب الجمل وأشباه الجمل (ص٣٤٩).

(٩٧) في ط: (وافترضت).

(٩٨) في ط: (المجروراتها)، وهو تحريف.

(٩٩) في ص: (عرفان).

(١٠٠) ما بين المعقوفتين زيادة من ش. وبعده في ط: (تمّت. حرّره مستعملًا نسخة برلين، يوم السبت في سادس شهر ربيع الثاني... مرزا زكي... سنة ١٢٥٦هـ).

***

قائمة المصادر والمراجع

(١) الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح علىٰ التوضيح، بحاشية ياسين العليمي، د.ط، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

(٢) الإسفراييني، الفاضل محمد، حواشي اللباب، تحقيق: د. عبد العزيز صالح العُمَري، بحث منشور في مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، العدد الثالث عشر، جمادىٰ الآخرة، ١٤٣٥هـ، ص٢٣١-٥٥٧.

(٣) الإسفراييني، الفاضل محمد، الضوء في شرح المصباح، (مخطوط) نسخة باليكسير رقم (١١١٠)، ولديّ مصوّرة منه.

(٤) الإسفراييني، الفاضل محمد، فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة، تحقيق: د. محسن العميري، ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ.

(٥) الإسفراييني، الفاضل محمد، لب الألباب في علم الإعراب، تحقيق: أسماء عبد الله الغامدي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات، أبها، ١٤٢٣هـ.

(٦) الإسفراييني، الفاضل محمد، لباب الإعراب، تحقيق: د. بهاء الدين عبد الوهاب، ط١، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(٧) الإسفراييني، عصام الدين، شرح الفريد، تحقيق: نوري ياسين حسين، ط١، المكتبة الفيصليّة، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.

(٨) ابن الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت.

(٩) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلىٰ العربية الدكتور عبد الحليم النجار، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

(١٠) البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، ١٩٥١م. وأعادت طبعه بالأوفست: د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(١١) البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ.

(١٢) الثعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(١٣) ابن الحاجب، أبو عمر، الإيضاح في شرح المفصَّل، تحقيق: د. موسىٰ بناي العليلي، د.ط، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد، ١٩٧٦م.

(١٤) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(١٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.

(١٦) أبو حيّان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ط١، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ١٤١٨هـ.

(١٧) أبو حيّان، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ.

(١٨) أبو حيّان، محمد بن يوسف، منهج السالك في الكلام علىٰ ألفية ابن مالك، تحقيق: د.شريف النجار، ود.ياسين أبو الهيجاء، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٥م.

(١٩) ابن الخبّاز، أحمد بن الحسين، توجيه اللمع، تحقيق: د. فايز زكي دياب، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٨هـ.

(٢٠) الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، ط١، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤١١هـ.

(٢١) الرضي، محمد بن الحسن، شرح الرضي علىٰ الكافية لابن الحاجب، تحقيق: يوسف حسن عمر، د.ط، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٣٩٨هـ.

(٢٢) الزِّركلي، خير الدين، الأعلام، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩م.

(٢٣) الزُّوزني، شمس الدين محمد، شرح لباب الإعراب، تحقيق: محمد مصطفىٰ الخطيب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٤٠هـ.

(٢٤) السمعاني، أبو سعيد، الأنساب، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح الحلو وآخرين، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

(٢٥) السهيلي، أبو القاسم، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٢٦) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

(٢٧) السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

(٢٨) السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٢٩) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع لشرح جمع الجوامع، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، وعبدالعال سالم مكرم، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣٠) الشاطبي، أبو إسحاق، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: أ.د. عياد عيد الثبيتي وآخرين، ط١، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ.

(٣١) الصبّان، حاشية الصبّان علىٰ شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

(٣٢) طاش كبرىٰ زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣٣) عتيق، الدكتور عبد العزيز، علم المعاني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣٤) ابن عصفور، علي بن مؤمن، شرح جُمَل الزجَّاجي (الشرح الكبير)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٣٥) العكبري، أبو البقاء، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: د. عبدالرحمن العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٣٦) العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

(٣٧) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، د.ط، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

(٣٨) أبو الفداء، عماد الدين صاحب حماة، تقويم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت. عناية وتصحيح: رينود والبارون مالك ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

(٣٩) ابن فلاح، تقي الدين منصور، المغني في النحو، تحقيق: د. عبد الرزاق السعدي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.

(٤٠) فهرست الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية إلىٰ عام ١٣٦٨ه، مطبعة الأزهر، ١٩٤٩م.

(٤١) قباوة، الدكتور فخر الدين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ط٥، دار القلم العربي، سوريا، ١٤٠٩هـ.

(٤٢) القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشىٰ، د.ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ.

(٤٣) القوجوي، محمد بن مصطفىٰ، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: إسماعيل مروة، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٤٤) كحاله، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(٤٥) ابن مالك، جمال الدين محمد، شرح التسهيل، تحقيق: عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٤١٠هـ.

(٤٦) ناظر الجيش، محب الدين محمد بن يوسف، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرين، ط٢، دار السلام، القاهرة، ١٤٣٥هـ.

(٤٧) نقره كار، عبد الله الحسيني، العباب في شرح لباب الإعراب، تحقيق: محمد نصير الدين، رسالة دكتوراه (من المنصوبات إلىٰ آخر الكتاب)، قسم اللغة العربية في الكلية الإسلامية بجامعة بشاور، باكستان، ٢٠٠٠م.

(٤٨) ابن هشام، جمال الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت.

(٤٩) ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(٥٠) ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء، شرح المفصَّل، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

* * *

أوجه إعراب القرآن الضعيفة عند الباقولي في كتابه (كشف المشكلات) « جمعاً ودراسة »

إعداد

د. محمد صالح زكريا برناوي

أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة والنحو والصرف

كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى

msbarnawi@uqu.edu.sa

أوجه إعراب القرآن الضعيفة عند الباقولي في كتابه (كشف المشكلات) «جمعًا ودراسة»

د. محمد صالح زكريا برناوي

(قدم للنشر في ١٣/ ٠١/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٠/ ٠٧/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: بيَّنت كثيرٌ من كتب إعراب القرآن الأوجه الإعرابية المحتملة، وذكرت الحسن منها والقوي والضعيف، ومن تلك الكتب (كشف المشكلات)، للباقولي، وجاء هذا البحث لدراسة مصطلح الضعف، الذي أطلقه علىٰ بعض الأوجه الإعرابية دون غيرها، متبعًا المنهج الوصفي التحليلي؛ لمعرفة ما مقصوده من هذا المصطلح؟ إذ لا يحمل القرآن علىٰ وجه إعرابي ضعيف، فكانت من نتائجه: أنه أطلقه علىٰ كل وجه إعرابي «كان تخريجه علىٰ قاعدة نحويةٍ مختلفٍ فيها، أو ما لا يكون إلا في الضرورة الشعرية»، كما توصل البحث إلىٰ أنَّ أسباب الضعف قد تعود إلىٰ أمور صناعية لفظية، أو أمور معنوية.

الكلمات المفتاحية: إعراب، إعراب القرآن، الباقولي، كشف المشكلات.

***

The weak Arab expressions of Al-Baquli In his book (Detecting Problems) collection and study

Dr. Mohammad Saleh Z. Barnawi

(Received 12/09/2019; accepted 15/03/2020)

Abstract: Many of the books of the Qur'an's syntax have shown the possible syntactic aspects, and al-Hassan mentioned them, the strong and the weak, and among those books ("Uncovering the Problems"), for al-Baqwali. Who is this term? The Qur'an does not carry a weak Arab expression, and it was one of its results: that it called it on every Arab expression, "its graduation was on a different grammatical basis in it, or what is only in poetic necessity." The research also concluded that the causes of weakness may be due to industrial matters Verbal or moral matters.

key words: The syntax, the syntax of the Qur'an, al-Baqul, revealed problems.

❊ ❊ ❊

أولاً: المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، وبعد فإنَّ من وسائل فهم القرآن إعرابَه، وقد تعددت الأوجه الإعرابية، لبعض الآيات القرآنية، وذلك وفقا للصنعة النحوية، أو مراعاة للمعنىٰ، ومن هذه الأوجه: الصحيح، والضعيف، والقوي، وغير ذلك.

كما تعددت كتب إعراب القرآن – أيضًا – فمنها: المطول، ومنها: المختصر، مع اختلاف فيما بينها في المناهج أو الطرائق.

ومن تلك المصنفات (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات)، لنور الدين أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي، المتوفىٰ سنة (٥٤٣هـ) الذي بيَّن فيه الأوجه الإعرابية المختلفة للآيات القرآنية، والأصل في إعراب القرآن أن يحمل علىٰ وجه إعرابي صحيح أو قوي لا وجه شاذ أو ضعيف، يقول أبو حيان: «وهكذا تكون عادتُنا في إعراب القرآن، لا نسلكُ فيه إلا الحملَ علىٰ أحسنِ الوجوه، وأبعدِها من التكلُّف، وأسوغِها في لسان العرب... فكما أنَّ كلام الله من أفصحِ كلام، فكذلك ينبغي إعرابُه أن يُحملَ علىٰ أفصحِ الوجوه»[1]، وقد استعمل أبو الحسن الباقولي ألفاظًا تقويمية كثيرة، ومتنوعة للأوجه الإعرابية وغيرها، منها: ما يدل علىٰ القبول، مثل: (حسن)، أو (جيد)، أو (حسن جيد)، أو (حسن جدًا)، أو (حسن جميل)، أو (جائز)، أو (جائز حسن)، أو (أحسن)، أو (الأحسن)، أو (الجيد الفصيح) وغيرها، ومنها ما يدل علىٰ الرفض وعدم القبول، مثل: (ليس بحسن)، أو (لا يحسن)، أو (غير جائز)، أو (غير مرضٍ)، أو (فيه بُعد)، أو (خطأ)،

أو (غلط)، أو (فاسد)، أو (قبيح)، أو (قبيح خبيث) وغيرها، مما يدل على أن استعماله لتلك الألفاظ – مع أنها مختلفة المعاني – مقصود، فجاء هذا البحث لدراسة لفظة من تلك الألفاظ التقويمية التي استعملها، وهي لفظة (ضعيف) في كتابه (كشف المشكلات) الذي يعد من آخر ما أَلَّف، إذ قال – في خاتمته: «وهذا آخر ما خرج من (كشف المشكل)، وقد أمللته لك بعد تصنيف (الجواهر)، و(المجمل)، و(الشامل)، و(الاستدراك)...، و(البيان في شواهد القرآن)»[٢]، وقد اعتنىٰ به أيمَّا عناية، إذ قال – في فاتحته –: «أَلَّفتُه وهذَّبته وحبَّرته»[٣]، فيمثل كتاب (الكشف) مرحلة النضج عنده، وكان يحيل فيه كثيرًا، إلىٰ كتابه (جواهر القرآن، ونتائج الصنعة) الذي طبع باسمه الحقيقي، بتحقيق الدكتور/ محمد الدالي، كما طُبع – أيضًا – باسم (إعراب القرآن – المنسوب خطأ إلىٰ الزجاج –)، بتحقيق ودراسة/ إبراهيم الإبياري.

واقتصرت الدراسة علىٰ ما نص عليه بقوله: (ضعيف)، أو (أَسْتَضْعِفُ)[٤]، أو (علىٰ ضعف) من الأوجه الإعرابية؛ لتحرير مصطلح الضعف، الذي أطلقه علىٰ بعض الأوجه الإعرابية دون غيرها، ومعرفة ما وجه تضعيفه لها؟ وهل انفرد بذلك أو اتفق معه غيره؟ وهل يمكن تقوية ما ضعفه، أو لا؟.

وأما مصطلحاته التقويمية الأخرىٰ سواء التي تدل علىٰ القبول أو الرفض، فلعل باحثًا آخر يدرسها، ويقارن بينها، إذ لم يكن من هدف هذا البحث دراسةُ كلِّ ما رفضه الباقولي أو رده، وإلا لتغير عنوان البحث إلىٰ (أوجه إعراب القرآن المرفوضة، أو المردودة عند الباقولي في كتابه «كشف المشكلات»)، كما لم يكن من هدفه – أيضًا – دراسةُ ما ضعَّفه في كتاب (الجواهر).

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، علىٰ الطريقة الآتية:

أولًا: ذكر الآية التي فيها الوجه الإعرابي الضعيف.

ثانيًا: الإشارة إلىٰ القراءة القرآنية - إن وجدت -.

ثالثًا: بيان الوجه الإعرابي الضعيف من كتب إعراب القرآن.

رابعًا: وجه الضعف عند الباقولي، مع بيان من وافقه، أو خالفه.

خامسًا: آراء النحاة في وجه الضعف.

سادسًا: ذكر نظائر الآية في القرآن - إن وجدت -.

ويتكون البحث من الآتي:

أولًا: المقدمة.

ثانيًا: تمهيد.

ثالثًا: آيات الدراسة.

رابعًا: الخاتمة.

خامسًا: المصادر والمراجع.

***

ثانيًا: تمهيد

*** أولًا: دلالة لفظة (ضعيف) – في اللغة –.**

الضَعْف – بفتح الضاد أو بضمها مع سكون العين، أو بفتحهما– مصدرٌ من مصادر الفعل (ضعُف يضعُف)، يدل علىٰ خلاف القوة، أو ضد القوة[٥]، ويُلحظ في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (الروم: ٥٤) أن الضَعف في مقابلة القوة، كما أن القوي يقابل الضعيف.

وكلمة (ضعيف) صفة مشبهة من الضَعْف، وتجمع علىٰ (ضُعفاء)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ (البقرة: ٢٦٦)، أو علىٰ (ضِعاف)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا ﴾ (النساء: ٩)، كما تجمع – أيضًا – علىٰ (ضَعفَىٰ)، و(ضَعَفة)، و(ضَعَافىٰ)[٦]، هذا مدلول لفظة الضعف بالمنظور اللغوي، وفيما يأتي بيان مدلولها في المنظور النحوي.

*** ثانيًا: دلالة لفظة (ضعيف) في الاصطلاح.**

تعددت دلالات لفظة (ضعيف)، واختلفت – عند النحاة –؛ لذا قال أحد الباحثين: «الضعيف عند النحاة لم تنضبط حدوده، ولم يتحدد معالمه رغم ورودها في كلامهم كثيرا»[٧].

فمن دلالاته عندهم أنه في مقابل القوة[٨] أو الأقوىٰ[٩] وهذا يتوافق مع المعنىٰ اللغوي.

وقد يكون – عندهم – في مقابل الأكثر في اللغة[١٠]، أو في مقابل الحسن[١١]، أو الأحسن[١٢] ولعل قول الباقولي: «أن هذا غير ضعيف، وأنه حسن»[١٣] يفهم منه أن

الضعيف يقابل الحسن.

كما قد يطلق – عندهم – علىٰ ما خالف القياس[١٤]، أو علىٰ ما استعمل في الشعر خاصة[١٥] أو علىٰ غير الفصيح – في اللغة –، كما قال السيوطي: «الضعيفُ: ما انحطَّ عن دَرجة الفصيح»[١٦].

يُلحظ أن دلالات لفظة (ضعيف) – في المنظور النحوي – مختلفة، ومتعددة كما أنها تظهر بذكر مقابلها، فهي تارة في مقابل القوي أو الأقوىٰ، وتارة في مقابل الأكثر أو الحسن أو الفصيح، وتارة تطلق علىٰ ما خالف القياس أو ما كان في الضرورة الشعرية.

يقول أحد الباحثين: «وإذا التفتنا إلىٰ استعمال النحويين لهذا المصطلح (الضعيف) نراهم يطلقونه – في كثير من مسائلهم النحوية، وتخريجاتهم – علىٰ ما لم يطرد لقلته...»[١٧] فالضعيف عند النحاة – في نظر هذا الباحث – هو القليل غير المطرد.

وقد حاول باحث آخر تحديد دلالة اللفظة عند النحاة، فقال: «إنه – من خلال بحثي – أستطيع أن أقول: إن الضعيف عند النحاة هو وجه لم يرتضه النحوي؛ لعلة ما، ولم يبلغ عنده حدُّ الخطأ، فيُخطئه»[١٨]، فالضعيف عند النحاة وجه غير مرضي لما فيه من علة تجعله لا يرتقي إلىٰ درجة القوة أو الكثرة أو الحسن، ولكنه مع هذا لا ينحط إلىٰ درجة الخطأ أو الغلط، ولكن تبقىٰ – هنا – بعض الأسئلة التي تحتاج إلىٰ إجابة شافية، وهي:

أولًا: ما العلل التي تجعل الوجه ضعيفا غير مرضي؟

ثانيًا: هل تلك العلل محل اتفاق بين النحاة، أو لا؟

ثالثًا: هل تلك العلل علىٰ درجة واحدة، أو لا؟

***

ثالثًا: آيات الدراسة

*** أولًا: قوله تعالىٰ:** ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ **(البقرة: ٨٥).**

من أوجه إعراب هذه الآية أن اسم الإشارة (هؤلاء) يعرب منادىٰ، محذوف منه حرف النداء، علىٰ تقدير (يا هؤلاء)، نقل هذا الإعراب عن ابن قتيبة – المتوفىٰ سنة (٢٧٦هـ) –[١٩]، ولكنه غير مذكور في كتابه (تأويل مشكل القرآن)[٢٠] لعله في كتابه (إعراب القرآن)، وهو من الأوجه الإعرابية التي ذكرها المعربون للآية[٢١].

يذهب الباقولي إلىٰ أن هذا الوجه الإعرابي ضعيف؛ لأن حرف النداء لا يحذف من الاسم المبهم (هؤلاء)[٢٢]، فكأن ما ذهب إليه يتفق مع رأي النحاس الذي يرىٰ أن هذا الوجه الإعرابي خطأ؛ للعلة نفسها[٢٣]، واتفق مع الباقولي في تضعيف هذا الوجه كل من الأنباري[٢٤]، والعكبري[٢٥].

وحذف حرف النداء مع المبهم لا يجوز عند البصريين[٢٦] وما جاء من الشواهد يحمل علىٰ الضرورة الشعرية[٢٧]، وذهب الكوفيون إلىٰ جواز حذفه مستدلين علىٰ الجواز بالآية[٢٨].

يظهر أنه وإن جاز حذف حرف النداء مع المبهم – علىٰ مذهب الكوفيين – فقد حصل فصلٌ بين المبتدأ والخبر علىٰ هذا الوجه – وهو جائز –؛ لذا أرىٰ أن عدم الفصل بينهما – إن أمكن ذلك– أولىٰ، ثم إنَّ «حذف الحروف مما يأباه القياس؛ لأن الحروف إنما جِيء بها اختصارًا، ونائبةً عن الأفعال،...وحروف النداء نائبةٌ عن (أنادي)، فإذا أخذت تحذفها كان اختصار المختصر، وهو إجحاف...»[٢٩].

ومن نظائر آية الدراسة – في القرآن – ما يأتي:

- أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ (آل عمران: ٦٦).
- ثانيًا: قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ (آل عمران: ١١٩).
- ثالثًا: قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ (النساء: ١٠٩).

***

*** ثانيًا: قوله تعالىٰ:** ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ **(البقرة: ١٠٩).**

يذهب الفراء - في إعرابه للآية - إلىٰ أن الكلام انقطع عند قوله: (كفارًا)[٣٠]، وعليه يصح الوقف عليه، ويفهم من ذلك أن تعلق الجار والمجرور يكون بالمصدر (حسدًا)، لا بالفعل (ودَّ)، وكأنَّ العكبري يوافقه فيما ذهب إليه، إذ يقول: «(مِن) متعلقة بـ(حسدًا) ؛ أي: ابتداء الحسد من عندهم، ويجوز أن يتعلق بـ(ودّ)، أو بـ(يردونكم)»[٣١].

يرىٰ الباقولي أنَّ تعلق الجار والمجرور بالمصدر (حسدًا) ضعيف؛ لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه، فلا فائدة من التعلق، وإنما يتعلقان بالفعل (ودَّ)[٣٢].

وما ذهب إليه الباقولي يتفق مع ما ذكره الزجاج[٣٣] الذي رفض تعلقهما بالمصدر، وهو ما يرجحه الأنباري - أيضا -[٣٤] وعليه فلا يوقف علىٰ قوله: (كفارًا)، بل ولا علىٰ قوله: (حسدًا)؛ لأن الكلام لم ينتهِ؛ لتعلق الجار والمجرور بالفعل (ودّ).

يقول الطبري - في معنىٰ الآية -: «أخبر الله جل ثناؤه عنهم المؤمنين أنهم ودوا ذلك للمؤمنين من عند أنفسهم إعلاما منه لهم بأنهم لم يؤمروا بذلك في كتابهم»[٣٥]، ولم يذكر معنىٰ غيره، وهو معنًىٰ يتوافق مع الوجه الإعرابي الذي ذهب إليه الباقولي.

ومن جانبٍ آخر أرىٰ أن تعلق الجار بالفعل (ودَّ) أولىٰ؛ لأن الفعل أقوىٰ في

العمل من المصدر، وكما ذكر أبو حيان – أيضًا – أن تعلقه بالفعل تعلق بملفوظ، وأما تعلقه بالمصدر تعلق بمقدر، إذ التقدير (حسدا كائنًا من عند أنفسهم)[٣٦]، وتعلقه بالملفوظ أولىٰ من المقدَّر.

وتعلق الجار والمجرور بالمصدر (حسدًا) يصح من حيث الصناعة النحوية، ولكن الباقولي رفض تعلقهما به؛ للسبب الذي ذكره وهو سبب معنوي، وقد ذكر المعربون في تعلقهما ثلاثة أوجه، هي في الآتي:

– أولًا: يتعلقان بالفعل (ودَّ).

– ثانيًا: يتعلقان بالمصدر (حسدًا).

ذكر هذين الوجهين كلٌّ من مكي[٣٧]، والزمخشري[٣٨]، وابن عطية[٣٩]، والأنباري[٤٠]، والهمذاني[٤١]، وأبو حيان[٤٢].

– ثالثًا: يتعلقان بالفعل (يردونكم) – زاده العكبري –[٤٣].

وذكر الأوجه الثلاثة كلها السمين[٤٤].

يلحظ اختلاف المعربين في تحديد متعلق الجار والمجرور، هل الفعل (ودَّ)، أو المصدر (حسدًا).

* * *

*** ثالثًا: قوله تعالىٰ:** ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **(البقرة: ١١٧).**

قرئ قوله: (فيكونَ) – بالنصب –[٤٥] ووجه النصب فيه علىٰ أن الفعل المضارع وقع جوابًا، لفعل الأمر (كُنْ)[٤٦].

يذهب الباقولي إلىٰ أن وجه النصب – علىٰ هذه القراءة – ضعيف؛ لأن (كن) ليس بفعل أمر علىٰ الحقيقة؛ لأنه بمعنىٰ (يكوِّنه)، و(يخلقُه)، و(يوجدُه)، وإنما

ينصب الفعل المضارع إذا وقع جواب فعل الأمر[٤٧].

وسبقه في تضعيف هذا الوجه الإعرابي كلٌّ من السيرافي[٤٨]، والفارسي[٤٩]، واتفق معه كل من الأنباري[٥٠]، والعكبري[٥١].

القاعدة النحوية أنه إذا وقع فعل مضارع مقرون بالفاء جوابا لفعل أمر نصب بـ(أن) مضمرة[٥٢]، ووجه تضعيف نصبه - في قراءة ابن عامر - هو أن الأمر ليس علىٰ حقيقته، وإنما هو بمعنىٰ (يكوِّنه)، أو (يخلقه)، أو (يوجده)، فسبب التضعيف معنوي، ففعل الأمر (كن) - في نظر الباقولي - ليس بفعل أمر علىٰ الحقيقة، وإنمَّا هو بمعنىٰ الفعل المضارع (يكوِّنه)...الخ.

وسبب صرف الفعل عن حقيقته هو نفي القول عن الله، يقول الفارسي - الذي سبق الباقولي في التضعيف -: «لا يخلو قوله: (يقول) من أن يكون المراد به القول الذي هو كلام ونطق، أو يكون الذي يتسع فيه، فلا يراد به النطق ولا الكلام، ولا الظن ولا الرأي ولا الاعتقاد،... وأمَّا قوله: (كُنْ) فإنه وإن كان علىٰ لفظ الأمر فليس بأمر، ولكنَّ المراد به الخبر، كأنَّ التقدير (يكوِّن فيكون)، وقد قالوا: (أكرم بزيد)، فاللفظ لفظ الأمر، والمعنىٰ والمراد: الخبر... وإذا لم يكن قوله: (كن) أمرًا في المعنىٰ، وإن كان علىٰ لفظه؛ لم يجز أن تنصب الفعل بعد الفاء بأنه جوابه»[٥٣]، وقد صرح بنفي القول - في موطن آخر - فقال: «فأمَّا القول فليس يراد به اللفظ؛ لأن القول له غير جائز، كما أمْره كذلك، وقد جاء في كلامهم القول والمراد به غير اللفظ والكلام»[٥٤].

ونفي القول والكلام عن الله بصوت وحرف هو مذهب المعتزلة، والأشاعرة[٥٥] فبناء علىٰ نفي القول عن الله يمكن أن يجعل معنىٰ فعل الأمر (كن) (يكوِّنه)، والتقدير: (إذا قضىٰ أمرا فإنه يُكوِّنه فيكون)[٥٦]، إذًا نفي صفة القول عن الله هو الذي

أدىٰ إلىٰ صرف فعل الأمر (كن) عن حقيقته.

فإذًا منشأُ هذا التضعيف هو أمرٌ عقديٌّ[٥٧] يتعلق بصفات الله وأفعاله، وإذا كان الباقولي اكتفىٰ بتضعيف وجه النصب هذا؛ فإنَّ بعض العلماء لم يقبله، بل وعدَّه بعضهم غلطًا، ولحنًا[٥٨].

وإذا كان الفعل (كن) ليس بفعل أمر علىٰ الحقيقة، فما وجه نصب الفعل المضارع (فيكون)؟

يجاب بأنه نُصب؛ لوقوعه جوابًا للطلب اللفظي - حملًا علىٰ لفظ الأمر (كن) -، دون مراعاة للمعنىٰ؛ لأنه لا يترتب عليه[٥٩] لا شك أن هذا الوجه الإعرابي يكون ضعيفا؛ لأنه فيه مراعاةً لجانب اللفظ فقط، وتركًا لجانب المعنىٰ.

***

إذا كان مذهب المعتزلة والأشاعرة نفي صفة القول والكلام عن الله، نفيًا أدَّىٰ إلىٰ تضعيف الوجه الإعرابي، فإنَّ مذهب السلف من الأئمة إثبات الكلام لله - تعالىٰ - دون نفي[٦٠].

«قال الإمام أحمد ﷺ وغيره من الأئمة: (لم يزل الله متكلما إذا شاء. وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء)»[٦١]، بل إنَّ غيرَ واحد من الأئمة استدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢) علىٰ إثبات القول لله - تعالىٰ - فهذا «النص دلَّ علىٰ أنه لا يخلق شيئا حتىٰ يقول له: (كن) فيكون، فلو كان (كن) مخلوقًا لزم أن يخلقه بـ(كن) وكذلك هذا يجب أن يكون مخلوقًا بكلمة أخرىٰ»[٦٢].

فعلىٰ مذهب أئمة السلف الذين يثبتون القول لله - تعالىٰ - دون نفي تكون كلمة (كن) قولَ الله حقيقة، ويكون فعلَ أمرٍ علىٰ الحقيقة، ولا يمكن أن يُقدَّر بمعنىٰ

(يكوِّنه)، ولا يصح أن يقال: (يقول له: يكوِّنه فيكون)؛ لأنه لا تستقيم العبارة بذلك.

وقد ذكر الباقولي احتمالين - غير ممكنين في نظره -؛ لنفي كون الأمر على الحقيقة، فقال: «لا يخلو إمَّا أن يكون خطابا لموجود، والموجود لا يؤمر بـ(كن)، وإمَّا أن يكون لمعدوم، والمعدوم لا يخاطب المعدوم»[٦٣]، واتفق معه كل من الأنباري[٦٤]، والعكبري[٦٥].

يقال - ردًّا على هذا الإشكال -: بأنَّ الأمر موجه للموجود في علم الله - تعالى -[٦٦]، والموجود في علمه - تعالى - مثل الحاضر، وقد نقل الزجاج عن بعض أهل اللغة قولَه: «(يقول له) وإن لم يكن حاضرًا: (كن)، لأن ما هو معلوم عنده بمنزلة الحاضر»[٦٧] ويبين هذا بصورة أجلى السمرقندي، إذ يقول: «إن قيل: قوله: (كن) هذا الخطاب للموجود أو للمعدوم؟ فإن قال: (للمعدوم). قيل له: (كيف يصح الخطاب لشيء معدوم؟)، و(كيف يصح الإشارة إليه بقوله: (كن)؟ فإن قال: (الخطاب للموجود). قيل له: (كيف يأمر الشيء الكائن بالكون)، فالجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله تعالى قبل كونها، فكان الخطاب للموجود في علمه، وجواب آخر: أن معناه إذا قضى أمرا فإنما يقول له: (كن فيكون)، يعني إذا أراد أن يخلق خلقا يخلقه، والقول فيه على وجه المجاز»[٦٨].

يُلحظ أن الجواب الآخر هو ما قال به الباقولي وغيره إذ قدر معنى (كن) بـ(يخلقه)، وهذا على نفي القول عن الله مجازا، و«غير جائز إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان»[٦٩].

إذا تقرر أن الفعل (كن) فعل أمر على الحقيقة، فعليه يكون الفعل المضارع منصوبًا - في قراءة ابن عامر -؛ لوقوعه في جواب الأمر، كما يقال: (أكرمْ زيدًا

فيكرمَك)، أو (قمْ فأقومَ)[٧٠].

ولكن يرِدُ علىٰ هذا الإعراب إشكالٌ نحوي، وهو أنَّه يشترط في جواب الأمر أن يكون مخالفًا، لفعل الأمر، إمَّا في الفعل، مثل: (اذهب فأعطيَك)، ومعناه: (إن ذهبت أعطيتك) وإمَّا في الفاعل، مثل: (اذهبْ فيذهبَ زيد)، ومعناه: (إن ذهبت ذهب زيد) وإمّا فيهما معًا، مثل: (اذهب فتنفعَ)، ومعناه: (إن ذهبت انتفعت)، وما نصب الجواب إلا لأنه في معنىٰ الشرط، وأمَّا اتفاق الجواب مع فعل الأمر - كما في قراءة ابن عامر - لا يجوز؛ لأنه لا معنىٰ له ولا يفيد شيئًا، كأن يقال: (اذهبْ فتذهبَ)، ومعناه: (إن ذهبت ذهبت)، و(كنْ فيكونَ) معناه: (إن تكن تكن)، ويمتنع أن يكون الشيء شرطا لنفسه[٧١].

وللرد علىٰ هذا الإشكال يقال: إن فعل الجواب - وإن اتفق لفظه مع فعل الأمر، فإن معناه يختلف عنه إذ هو بمعنىٰ (يوجد) أو بمعنىٰ (يصير)، كما قيل - في تفسير الآية -: «يُبين بذلك تعالىٰ كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه إذا قدَّر أمرًا، وأراد كونه، فإنما يقول له: (كن). أي: (مرة واحدة)، (فيكون)، أي: (فيوجد) علىٰ وفق ما أراد»[٧٢]، وقيل - أيضًا - «أي: إذا أراد شيئا فإنما يأمر به، فـ(يصير) كما يشاء»[٧٣].

***

وعلىٰ أية حال فقراءة ابن عامر لا يمكن ردها، أو تضعيف وجه النصب فيها؛ لأنها من القراءات السبع المتواترة، فهي ثابتة ومعتبرة، قال أبو حيان - بعدما ذكرَ قولَ منْ لحَّن قراءة ابن عامر -: «وهذا قول خطأ، لأنَّ هذه القراءة في السبعة، فهي قراءة متواترة، ثم هي بعدُ قراءة ابن عامر، وهو رجل عربي، لم يكن لِيلحنَ. وقراءة الكسائي في بعض المواضع، وهو إمامُ الكوفيين في علم العربية، فالقول بأنَّها لحن،

من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائلَه إلىٰ الكفر، إذ هو طعن علىٰ ما عُلم نقلُه بالتواتر من كتاب الله تعالىٰ»[٧٤].

ومن نظائر آية الدراسة – في القرآن –، ما يأتي:

– أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٤٧).

– ثانيـًا: قوله تعالىٰ: ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٣٥).

– ثالثـًا: قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (غافر: ٦٨).

قرأ ابن عامر في هذه المواضع كلها بالنصب[٧٥]، فما قيل في آية الدراسة يقال فيها – أيضًا –.

***

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠)، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢) فقد قرأهما ابن عامر – أيضًا – بالنصب، ومعه الكسائي[٧٦].

وإن من أوجه النصب فيهما أن يكون الفعل المضارع معطوفًا علىٰ الفعل المنصوب (يقولَ)[٧٧].

***

*** رابعًا: قوله تعالىٰ:** ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾ **(البقرة: ٢٨٤).**

قُرئ قوله: (فيغفرَ) بالنصب[٧٨] ووجه النصب فيه علىٰ إضمار (أنْ) المصدرية الناصبة مقدرةً بعد الفاء، فتكون (أنْ) وما دخلت عليه بتأويل مصدر معطوف علىٰ مصدر متوهم – يفهم من السياق – تقديره: (إن يكن إبداءٌ أو إخفاءٌ منكم تكنْ

محاسبةٌ فغفرانٌ منَّا)[٧٩].

يذهب الباقولي إلىٰ أن وجه النصب هذا ضعيف، وليس بقوي؛ وعلل ذلك بأن الشرط قد استوفىٰ الجزاء[٨٠]، وممن ذهب إلىٰ تضعيف هذا الوجه النحاس، ولكن بصورة غير مباشرة إذ يرىٰ أن العطف علىٰ اللفظ أجود - وذلك علىٰ قراءة (فيغفرْ) بالجزم[٨١] - من العطف علىٰ المعنىٰ، كما هو في وجه النصب[٨٢] ويتفق الأنباري مع الباقولي في تضعيف هذا الوجه[٨٣].

نصب الفعل المضارع المقترن بالفاء أو بالواو، والواقع بعد جملة الشرط التي استوفت الشرط والجزاء ضعيف عند سيبويه، إذ يقول: «واعلم أنَّ النصب بالفاء والواو في قوله: (إن تأتني آتك وأُعطيك) ضعيف»[٨٤]، ووافقه ابن مالك[٨٥]، وابن هشام[٨٦].

ومن نظائر آية الدراسة - في القرآن - قوله تعالىٰ: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ (الشورىٰ: ٣٣ - ٣٥).

قُرئ الفعل (ويعلمَ) بالنصب[٨٧] مع أنه وقع بعد استيفاء الشرطِ جزاءَه، ولكن الباقولي يرىٰ أن الذي قوَّىٰ وجه النصب - في هذه القراءة - سبب آخر، وهو أن اللام التي قبل الميم مفتوحة[٨٨]، وذكر ذلك الأنباري وعزاه إلىٰ بعض النحويين دون أن يصرح باسم الباقولي[٨٩].

الذي يظهر أن حركة ما قبل الأخير لا تأثير لها في حركة الإعراب، إذ لو كانت مؤثرة؛ لأثرت في الفعل في حال الجزم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ ﴾ (التوبة: ١٦)، أو في حال الرفع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، أو في حال النصب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٣)؛

لذا أرىٰ ما قوَّىٰ به الباقولي ليس بوجيه، بل أذهب إلىٰ أن هذه الآية التي هي نظيرة لآية الدراسة مقوية لوجه النصب في آية الدراسة.

* * *

*** خامسًا: قوله تعالىٰ:** ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ **(الأنعام: ١٢).**

ذهب الأخفش إلىٰ أنَّ الاسم الموصول (الذين) - في الآية - بدلٌ من الكاف، في قوله: (ليجمعنَّكم) علىٰ تقدير: (ليجمعنَّ الذين خسروا أنفسهم)[٩٠] ونقل المعربون عنه هذا الوجه الإعرابي[٩١].

يرىٰ الباقولي أن إعراب الاسم الموصول (الذين) بدلاً من الضمير في قوله: (ليجمعنكم) ضعيفٌ؛ لأنه لا يجوز أن يقع الاسم الظاهر بدلا من ضمير المخاطب (الكاف)[٩٢].

نُقل عن المبرد أنه خطَّأَ هذا الوجه، وأنَّه لا يُجوِّزه[٩٣]، وهو وجه إعرابي غير مقدم عند كثير من المعربين، بل استبعده بعضهم، ورأىٰ أنَّ غيره أوجه منه[٩٤].

إبدال الاسم الظاهر من ضمير المخاطب، ممتنع عند سيبويه، فلا يجوز أن يقال: (مررت بك المسكين)[٩٥]، وهو رأي جمهور البصريين[٩٦] وبناء عليه رأىٰ الباقولي أن إعراب الأخفش ضعيف.

والذي يظهر أن الأخفش أعرب الموصولَ بدلا من الضمير - في الآية -؛ لأنه يرىٰ جواز إبدال الاسم الظاهر من ضمير المخاطب مطلقًا[٩٧]، واتفق معه في ذلك الكوفيون[٩٨].

* * *

❋ سادسًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾ (الأعراف: ٨).

من أوجه الإعراب لهذه الآية أن يعرب (الوزن) مبتدأ، و(يومئذ) خبره، و(الحق) صفة للمبتدأ[٩٩]، والتقدير علىٰ هذا الوجه الإعرابي يكون (الوزنُ الحقُّ يومئذ).

يرىٰ الباقولي أن هذا الوجه الإعرابي ضعيف، إذ يقول: «واستُضعِفَ إعمال المصدر فيه لام التعريف»[١٠٠]، وهذا يتماشىٰ مع رأي الفارسي الذي يرىٰ جواز إعماله، ولكن علىٰ قبح[١٠١].

وعلىٰ أية حال يقلُّ إعمال المصدر المعرف بـ(أل)[١٠٢]، ويضعف[١٠٣]، فإعماله «(قليل) في السماع، (ضعيف) في القياس؛ لبعده من مشابهة الفعل بدخول (أل) عليه»[١٠٤]، ولم يأت إعماله إلا في مواطنَ يُحتمل فيها الإعمال[١٠٥]، وقد منعَ إعمالَه الكوفيون والبغداديون، وبعض البصريين[١٠٦].

كما أنَّ في هذا الوجه الإعرابي الذي ضعفه الباقولي فصلا بين الصفة والموصوف بالخبر[١٠٧]، والفصل بين الموصوف وصفته بأجنبي ممتنع عند كثير من النحاة[١٠٨] بل عُدَّ الفصلُ بينهما من الضرورات الشعرية[١٠٩] كما نص علىٰ ذلك ابن عصفور، إذ قال: «واعلم أنه لا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي، ونعني بالأجنبي ما ليس بصفة، إلا أن يكون الفاصل جملة اعتراض، وجملة الاعتراض هي التي يكون فيها تأكيد الكلام وتبين لمعنىٰ من معانيه.... ولا يجوز فيما عدا ذلك إلا في ضرورة شعر»[١١٠].

ولئن جاز الفصل بالخبر عند بعضهم[١١١] فإنه يعدُّ قليلا[١١٢]، والقليل لا يُعوَّل عليه.

❋ ❋ ❋

❋ سابعًا: قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ **(هود: ٧١).**

قرئ قوله: (يعقوبَ) - بالفتح -[١١٣]، ومن أوجه إعراب هذه الآية - علىٰ قراءة الفتح - أن يعرب (يعقوبَ) اسمًا مجرورًا معطوفًا علىٰ (إسحاقَ) علىٰ تقدير: (بشَّرنَاهَا بإسحاقَ ويعقوبَ من وراءِ إسحاقَ)[١١٤].

يرىٰ الباقولي أن هذا الوجه الإعرابي ضعيف؛ للفصل بين الجار والمجرور[١١٥]، وأمَّا الزجاج فيرىٰ أن هذا الوجه الإعرابي خطأٌ[١١٦]، واستبعده وغلَّطه - أيضًا - ابن خالويه[١١٧].

وقد سبق الباقولي إلىٰ تضعيف هذا الوجه كلٌّ من الفارسي[١١٨]، ومكي[١١٩]، واتفق معه كل من الأنباري[١٢٠]، والعكبري[١٢١]، وأبو حيان[١٢٢].

هذا الوجه الإعرابي الذي ضعفه الباقولي يؤدي إلىٰ الفصل بين حرف العطف الذي ناب مناب حرف الجر والاسم المجرور، وهذا ممتنع عند سيبويه، بل قبيح خبيث، إذ يقول: «لو قال: (مررتُ بزيدٍ أوَّلَ مِنْ أمسِ وأمسِ عمرٍو) كان قبيحًا خبيثًا؛ لأنَّه فصل بين المجرور والحرف الذي يشركه وهو الواو في الجار، كما أنَّه لو فصل بين الجار والمجرور كان قبيحًا، فكذلك الحروف التي تدخله في الجار، لأنه صار كأنَّ بعده حرفَ جرٍّ، فكأنك قلت: (وبكذا)»[١٢٣].

وإنما استقبح سيبويهِ الفصلَ بين الجار والمجرور؛ لأنهما بمنزلة كلمة واحدة[١٢٤]، كما أنَّ هذا الوجه يؤدي -أيضًا- إلىٰ الفصل بين حرف العطف والمعطوف، وهو ممتنع عند الفارسي إلا في ضرورة الشعر[١٢٥]، ووافقه كلٌّ من ابن عصفور[١٢٦]، وأبي حيان[١٢٧]، والسيوطي[١٢٨].

❋ ❋ ❋

❋ ثامنًا: قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ **(الحديد: ١٠).**

قُرئ قوله: (وكلًّا) برفع الاسم، وحذف الهاء من الفعل (وعد)[١٢٩].

من الأوجه الإعرابية في رفع كلمة (كل) أن تكون مبتدأ، وخبرها ما بعدها من الجملة الفعلية، علىٰ تقدير: (وكلٌّ وعده الله)، أو (وكلٌّ وعدهم الله)[١٣٠].

يرىٰ الباقولي أن وجه الرفع هذا جائز، ولكن علىٰ ضعف؛ لأنه حُذف فيه الهاء[١٣١]، إذ قال: «...حذف الهاء الذي يجوز رفع الاسم فيه علىٰ ضعف...»[١٣٢]، وكأن مكيًّا يضعف هذا الوجه - أيضًا - إذ ذهب إلىٰ أنه وجه بعيد[١٣٣] كما أن الأنباري يرىٰ أن غيره أقوىٰ وأقيس[١٣٤].

إذا وقع خبر المبتدأ جملة - كما في الآية -، وكان الرابط ضميرا منصوبا بفعل، يضعف حذف الضمير[١٣٥]، ولا يحسن حذفه إلا في الشعر ضرورة - كما هو مذهب المحققين من البصريين -[١٣٦].

وأما الكوفيون فيجوز عندهم حذف الضمير - في غير الشعر -، ولكن بشرط أن يكون المبتدأ كلمة (كل) - كما في الآية -[١٣٧] ذُكر ذلك عن الفراء[١٣٨]، وعن الكسائي[١٣٩]، وذهب هشام الضرير - وهو من الكوفيين - إلىٰ جواز حذفه مطلقا، كما يقال: (زيدٌ ضربت)[١٤٠] ويتفق معه ابن أبي الربيع الأندلسي في جواز الحذف، ولكن بقلة، كما في آية الدراسة[١٤١]، وذكر ابن مالك أن الحذف مجمع عليه إذا كان الضمير مفعولا به، والمبتدأ كلمة (كل)[١٤٢]، والذي يظهر أن الحذف غير مجمع عليه؛ لما نقل عن البصريين منع الحذف إلا في ضرورة الشعر[١٤٣]، ولما ذكر - أيضًا - من خلاف بين الكوفيين.

كما أن هناك سببا آخر للضعف - عند الباقولي -، وهو أن الفعل (وعد) لم

يعمل فيما قبله النصب، مع انتفاء الموانع، التي تجعل الاسم منصوبًا، إذ قال: «فحذف الهاء، لم يسلط (وعد) علىٰ (كل) كما سُلط عليه في سور النساء: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ (النساء: ٩٥)»[١٤٤]، ولكن يمكن ردُّ هذا السبب بأن يقال: «إن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقوَ عملُه فيه قوته إذا تأخر»[١٤٥].

ويذهب الباقولي إلىٰ تقوية وجه الرفع هذا بأنه اجتمع مع حذف الهاء ضم الكاف من كلمة (كل)، فأتبع اللام ضم الكاف، والشيء يقوىٰ بسببين، ويضعف بسبب واحد؛ لذا حسن الرفع[١٤٦]، والنصب أحسن[١٤٧].

قد تؤثر حركة حرف في التي بعدها من باب الاتباع كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾. - بضم اللام إتباعا لضمة الدال -[١٤٨]، والذي أراه أنه لا تأثير - هنا -؛ للإتباع لأن ضمة اللام ضمة إعراب؛ لأجل الابتداء، وضمة الكاف ضمة بنية، «وحرمة الإعراب أقوىٰ من حرمة البناء»[١٤٩] ولو كان لضم الكاف أثر فيما بعده؛ لأثر في اللام - أيضًا - في وجه النصب.

ولعل من أسباب ضعف وجه الرفع - أيضًا - أن فيه حذفا، وتقديرا، وعدمهما، أولىٰ وقد حكم بعضهم بشذوذ قراءة الرفع؛ لامتناع حذف الضمير[١٥٠]، ولكنها تبقىٰ قراءة سبعية ثابتة لا يمكن ردها، إذ القراءة سنة متبعة.

ومن نظائر آية الدراسة قوله تعالىٰ: قوله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ (المائدة: ٥٠) - برفع كلمة (حكم) -[١٥١].

***

رابعاً: الخاتمة

الحمد لله علىٰ التمام وكفىٰ، والصلاة والسلام علىٰ النبي المصطفىٰ، وبعد: فقد خلصت نتائج البحث إلىٰ الآتي:

أولًا: استعمل الباقولي مصطلح الضعف في بعض الأوجه الإعرابية، علىٰ كل «ما كان تخريجه علىٰ قاعدة نحوية مختلف فيها، أو ما لا يكون إلا في الضرورة الشعرية».

ثانيًا: الوجه الإعرابي الضعيف هو وجه مرجوح غير مرفوض؛ لموافقته قواعد العربية بوجه ولو كان ضعيفا، وترك هذا الوجه الضعيف أولىٰ من اعتماده؛ لرجاحة غيره عليه.

ثالثًا: ما استعمل الباقولي مصطلح الضعف في وجه إعرابيٍّ إلا وذكر سبب الضعف لديه، وهي إمَّا أسباب صناعية وإمَّا أسباب معنوية.

رابعًا: من أسباب الضعف الصناعية – عند الباقولي –، ما يلي:

أ- نصب الفعل المضارع المقرون بالفاء بعد استيفاء الشرطِ جزاءَه.

ب- لا يبدل اسم ظاهر من مضمر.

ج- إعمال المصدر المعرف.

د- الفصل بين الجار والمجرور.

هـ- حذف عائد المبتدأ المنصوب بفعل.

خامسًا: من أسباب الضعف المعنوية – عند الباقولي –، ما يلي:

أ- في تحديد متعلق الجار والمجرور.

ب- فعل أمر بمعنىٰ فعل المضارع.

سادسًا: الأسباب الصناعية التي أدت إلىٰ ضعف الوجه الإعرابي أكثر من الأسباب المعنوية.

سابعًا: مال الباقولي إلىٰ المذهب البصري غالبًا، فما خالف رأيَ سيبويه أو البصريين يُعد ضعيفًا عنده.

ثامنًا: تأثر الباقولي - في تضعيفه للأوجه الإعرابية - بمن قبله مثل النَّحاس، والفارسيِّ، كما أنَّه أثَّر فيمنْ بعده مثل الأنباريِّ، والعكبريِّ، إذ وافقاه - فيما يراه - كثيرًا.

تاسعًا: أكثر من وافق الباقولي فيما ضعفه من أوجه إعرابية هو الأنباري.

عاشرًا: لم ينفرد الباقولي في تضعيف وجه إعرابي إلا في موطن واحد، في السادس من آيات الدراسة.

***

الهوامش والتعليقات

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٦١- ٦٢).

(٢) كشف المشكلات (٢/ ٤٣٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٦٥).

(٤) هكذا مضبوطة بـ(أَسْتَضْعِفُ) (١/ ٤٦٤) - في النسخة التي اعتمدها الباحث، وهي بتحقيق الدكتور. عبد القادر السعدي -، وهي مضبوطة بـ(استُضعف) (١/ ٤٥٠) في النسخة التي حققها الدكتور. محمد أحمد الدالي.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١/ ٣٠٥)، ولسان العرب، لابن منظور (٩/ ٢٠٣)، وتاج العروس، للزبيدي (١٢/ ٣٣٥).

(٦) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٩/ ٢٠٣).

(٧) ينظر: تضعيفات العكبري النحوية، لمنصور الغامدي (٢٥).

(٨) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٣١٨).

(٩) ينظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ١١٨-١٢٠)، (٣/ ١١٣).

(١٠) ينظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ٨٥-٨٦)، وشرح المفصل، لابن يعيش (٦/ ١٣٥).

(١١) ينظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ٢١)، (٢/ ١٤٤)، وشرح المفصل، لابن يعيش (٣/ ١٢٠).

(١٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٥١).

(١٣) كشف المشكلات (٢/ ٢٢٧).

(١٤) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ١٠٧)، (٣/ ٨١، ١٦٧).

(١٥) ينظر: الكتاب (٢/ ١٥٤)، والخصائص، لابن جني (٢/ ٣٦٦)، وشرح المفصل، لابن يعيش (١/ ١٣٧)، (٢/ ٢٦٣)، (٣/ ٢٦٤).

(١٦) المزهر، للسيوطي (١/ ١٧٥).

(١٧) ينظر: محاضرات في أصول النحو، للخوام (٧٧).

(١٨) ينظر: تضعيفات العكبري النحوية، لمنصور الغامدي (٢٥).

(١٩) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (٥٢).

(٢٠) ينظر: تأويل مشكل القرآن (٣٧١).

(٢١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢/ ٢٠٥)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ١٠٢)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٠٨)، والكتاب الفريد، للهمذاني (١/ ٣١٤)، والبيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري (١/ ١٠٣)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٨٦)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٤٦٧)، والدر المصون، للسمين (١/ ٤٧٦).

(٢٢) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٢٠٩).

(٢٣) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (٥٢).

(٢٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري (١/ ١٠٣).

(٢٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٨٦).

(٢٦) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٢٣٠)، والمقتضب، للمبرد (٤/ ٢٥٨- ٢٥٩)، وشرح الجمل، لابن عصفور (٢/ ٨٨)، وشرح ابن الناظم، لبدر الدين (٤٠٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٤٦٧)، وأوضح المسالك، لابن هشام (٤/ ١٥).

(٢٧) ينظر: المقتضب، للمبرد (٤/ ٢٥٩)، والهمع، للسيوطي (٣/ ٤٣)، وأوضح المسالك، لابن هشام (٤/ ١٥).

(٢٨) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش (٢/ ٤٥)، وشرح الرضي - القسم الأول - (١/ ٥٠٦).

(٢٩) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش (٢/ ٤٣).

(٣٠) ينظر: معاني القرآن، للفراء (١/ ٧٣).

(٣١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ١٠٥).

(٣٢) ينظر:كشف المشكلات (١/ ٢٢٤).

(٣٣) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (١/ ١٩٣)، وينظر: الكتاب الفريد، للهمذاني (١/ ٣٥٩).

(٣٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري (١/ ١١٨).

(٣٥) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢/ ٤٢١).

(٣٦) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٥٨-٥٥٩).

(٣٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ١٠٨).

(٣٨) ينظر: الكشاف، الزمخشري (١/ ١٧٦-١٧٧).

(٣٩) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١٢٤).

(٤٠) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري (١/ ١١٨).

(٤١) ينظر: الكتاب الفريد، للهمذاني (١/ ٣٥٩).

(٤٢) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٥٨-٥٥٩).

(٤٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ١٠٥).

(٤٤) ينظر: الدر المصون، للسمين (٢/ ٦٧-٨٦).

(٤٥) وهي قراءة ابن عامر من السبعة، ينظر: السبعة، لابن مجاهد (١٦٩)، والحجة، للفارسي (٢/ ١٥٩).

(٤٦) ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ١٠٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٨٦).

(٤٧) ينظر:كشف المشكلات (١/ ٢٢٨-٢٢٩).

(٤٨) ينظر: شرح الكتاب، للسيرافي (٣/ ٢٣٤).

(٤٩) ينظر: الحجة للقراء، للفارسي (٢/ ٢٠٧).

(٥٠) البيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري (١/ ١٢٠).

(٥١) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ١٠٩).

(٥٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٣/ ٣٤-٣٥)، والأصول، لابن السراج (٢/ ١٨٣)، واللمع، لابن جني (١٢٨)، والبديع، لابن الأثير (١/ ٥٩٥)، وشرح التسهيل، لابن مالك (٤/ ٢٨).

(٥٣) الحجة، للفارسي (٢/ ٢٠٣-٢٠٥).

(٥٤) الإغفال، للفارسي (٣٥١).

(٥٥) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٥٢٣-٥٢٦).

(٥٦) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٢٢٨).

(٥٧) ينظر: الأثر العقدي، للسيف (٣/ ١١٣٧).

(٥٨) ينظر: معاني القرآن، للفراء (١/ ٧٤)، والسبعة، لابن مجاهد (١٦٩)، والحجة للقراء، للفارسي (٢/ ٢٠٦)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٤١٨- ٤٢٠)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٢٨)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٨٩)، والدر المصون، للسمين (٢/ ٨٩).

(٥٩) ينظر: الحجة، للفارسي (٢/ ٢٠٦)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٤١٨- ٤٢٠)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٢٨)، وكشف المشكلات، للباقولي (١/ ٢٢٨-٢٢٩)، والبيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري (١/ ١٢٠)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ١٠٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٨٦)، والدر المصون، للسمين (٢/ ٨٩).

(٦٠) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية – في مواضع متفرقة – (٨/ ٢٣)، (١٢/ ٣٧-٣٨، ٥٢، ٣٠٤، ٣٦٩، ٥٦٧، ٥٩٤، ٥٩٨).

(٦١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٥٨٨).

(٦٢) ينظر: الصفدية، لابن تيمية (٢/ ١٢١).

(٦٣) كشف المشكلات (١/ ٢٢٨-٢٢٩).

(٦٤) ينظر:البيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري (١/ ١٢٠).

(٦٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ١٠٩).

(٦٦) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (١/ ١٤٢)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨/ ١٨٤).

(٦٧) معاني القرآن، للزجاج (١/ ١٩٩).

(٦٨) بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٨٨).

(٦٩) جامع البيان، للطبري (٢/ ٤٦٩).

(٧٠) ينظر:جامع البيان، للطبري (٢/ ٤٧٢)، وحجة القراءات، لابن زنجلة (١١١)، ومعالم التنزيل، للبغوي (١/ ١٤٢)، والكشف، للحيدرة (٣٤٦).

(٧١) ينظر:الحجة، للفارسي (٢/ ٢٠٥ -٢٠٦)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٤١٨-٤١٩)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٢٨)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ١٠٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٨٦)، والدر المصون، للسمين (٢/ ٨٩).

(٧٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٣٩٩).

(٧٣) ينظر: المصدر السابق (٥/ ٢٣٠).

(٧٤) البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٥٨٦).

(٧٥) ينظر: المبسوط، لابن مهران (١٣٥).

(٧٦) ينظر: السبعة، لابن مجاهد (٣٧٢-٣٧٣، ٥٤٤)، والمبسوط، لابن مهران (١٣٥).

(٧٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٤١٨- ٤٢٠)، والدر المصون، للسمين (٢/ ٨٨).

(٧٨) ذكر هذه القراءة كل من سيبويه، والمبرد بلا نسبة، ينظر: الكتاب، لسيبويه (٣/ ٩٠)، والمقتضب، للمبرد (٢/ ٢٢)، ونسبت إلىٰ ابن عباس، والأعرج، ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (١١٨)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ١٤٦)، وزاد ابن عطية عليهما أبا حيوة، ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٢٧٦).

(٧٩) ينظر: معاني القرآن، للأخفش (١/ ٦٧)، وإعراب القرآن، للنحاس (١١٨)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ١٤٦)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢٧٦)، والبيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري (١/ ١٨٦)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٢٣٣)، والكتاب الفريد، للهمذاني (١/ ٦١٠)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٢/ ٧٥٢)، والدر المصون، للسمين (٢/ ٦٨٧).

(٨٠) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٣١٣-٣١٤).

(٨١) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي، ينظر: السبعة، لابن مجاهد (١٩٥).

(٨٢) كشف المشكلات (١/ ٣١٣-٣١٤).

(٨٣) البيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري (١/ ١٨٦).

(٨٤) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٣/ ٩٢).

(٨٥) ينظر: شرح التسهيل، لابن مالك (٤/ ٤٥).

(٨٦) ينظر: شرح شذور الذهب، لابن هشام (٣٦٣).

(٨٧) وهي: قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، ينظر: السبعة، لابن مجاهد (٥٨١).

(٨٨) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٣١٤).

(٨٩) البيان في غريب إعراب القرآن، للأنباري (١/ ١٨٧).

(٩٠) ينظر: معاني القرآن، للأخفش (١/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٩١) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (٢/ ٢٣٢)، وإعراب القرآن، للنحاس (٢٥٨)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٤٧)، والبيان، للأنباري (١/ ٣١٥)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٤٨٣)، والكتاب الفريد، للهمذاني (٢/ ٥٥٤)، والبحر المحيط، لأبي حيان في (٤/ ٤٤٨).

(٩٢) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤٢٥).

(٩٣) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (٢٥٨)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٦٠٦)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٤/ ٤٤٨).

(٩٤) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (٢/ ٢٣٢)، و إعراب القرآن، للنحاس (٢٥٨)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٤٧)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٦٠٦)، والبيان، للأنباري (١/ ٣١٥)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٤٨٣)، والكتاب الفريد، للهمذاني (٢/ ٥٥٤).

(٩٥) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٢/ ٧٦).

(٩٦) ينظر: توضيح المقاصد، للمرادي (٢/ ١٠٤٦)، والدر المصون، للسمين (٢/ ١٧٩)، (٣/ ٥٤٠).

(٩٧) ينظر: شواهد التوضيح، لابن مالك (٢٦١)، وتوضيح المقاصد، للمرادي (٢/ ١٠٤٦)،

وشرح الجمل، لابن عصفور (١/ ٢٨٩-٢٩٠)، والدر المصون، للسمين (٢/ ١٧٩)، (٣/ ٥٣٩-٥٤٠)، (٤/ ٥٥١).

(٩٨) ينظر: توضيح المقاصد، للمرادي (٢/ ١٠٤٦)، والهمع، للسيوطي (٥/ ٢١٧-٢١٨).

(٩٩) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (٢٩٧)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٢٨٢)، والكشاف، للزمخشري (٢/ ٨٨)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٦٨٤)، والبيان، للأنباري (١/ ٣٥٣)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٥٥٧)، والكتاب الفريد، للهمذاني (٣/ ١٤)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٥/ ١٤)، والدر المصون، للسمين (٥/ ٢٥٥).

(١٠٠) كشف المشكلات (١/ ٤٦٤).

(١٠١) ينظر: الإيضاح العضدي، للفارسي (١٦٠).

(١٠٢) ينظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك (٢/ ١٠١٢)، وشرح الرضي للكافية - القسم الثاني - (١/ ٧١٦)، وشرح الأشمونى للألفية (٢/ ١٩٩)، وأوضح المسالك، لابن هشام (٣/ ١٨٣).

(١٠٣) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش (٦/ ٨٠، ٨٥)، وأوضح المسالك، لابن هشام (٣/ ١٨٣)، وشرح الشذور، للجوجري (٢/ ٦٧٨).

(١٠٤) ينظر: شرح التصريح، للأزهري (٢/ ٦٣).

(١٠٥) ينظر: شرح التسهيل، لابن مالك (٣/ ١١٦).

(١٠٦) ينظر: التذييل، لأبي حيان (١١/ ٨٢)، والارتشاف، له (٥/ ٢٢٦١)، والهمع، للسيوطي (٣/ ٥٩-٦٠).

(١٠٧) كشف المشكلات (١/ ٤٦٤).

(١٠٨) ينظر: المسائل البصريات، للفارسي (١/ ٧٠٠)، والخصائص، لابن جني (١/ ١٤٦-١٤٧)، والبديع، لابن الأثير (١/ ٣٢٦)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري (١/ ٤٤١)، وشرح المفصل، لابن يعيش (٢/ ٢٥٨)، وأمالي ابن الحاجب (١/ ٣٨٢-٣٨٣)، وشرح الجمل، لابن عصفور (١/ ٢٢١-٢٢٢)، (٢/ ٦٠٧)، وينظر - أيضا - المقرب، له (٢٢٨)،

وشرح الكافية الشافية، لابن مالك (٢/ ١١٤٨)، والمقاصد النحوية، للعيني (١/ ٣١٧)، وحاشية الصبان، (١/ ٣٩٧)، (٣/ ٤٠-٤١).

(١٠٩) ينظر: الخصائص، لابن جني (١/ ١٤٦-١٤٧)، وشرح الجمل، لابن عصفور (١/ ٢٢١-٢٢٢، ٦٠٧)، والمقرب، له (٢٢٨)، وضرائر الشعر، له (٢٠٤-٢٠٥)، وشرح ألفية ابن معط، للقواس (٢/ ١٣٩٠)، والتذييل، لأبي حيان (٨/ ٢١٨).

(١١٠) ينظر: شرح الجمل، لابن عصفور (١/ ٢٢١-٢٢٢).

(١١١) ينظر: الارتشاف، لأبي حيان (٤/ ١٩٣٥)، والبحر المحيط، له (٢/ ٦٠٩)، (٦/ ٤٠٧)، والدر المصون، للسمين (٧/ ٦٨).

(١١٢) ينظر: شرح أبيات المغني، للبغدادي (٢/ ١٠٥).

(١١٣) وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم. ينظر: السبعة، لابن مجاهد (٣٣٨).

(١١٤) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٦٢)، والحجة للقراء، للفارسي (٤/ ٣٦٤)، ومشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٣٦٩).

(١١٥) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٥٣٣).

(١١٦) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٦٢).

(١١٧) الحجة، لابن خالويه (١٨٩)، وإعراب القراءات، له (٢٨٨-٢٨٩).

(١١٨) الحجة للقراء، للفارسي (٤/ ٣٦٤).

(١١٩) مشكل إعراب القرآن، لمكي (١/ ٣٦٩).

(١٢٠) البيان، للأنباري (٢/ ٢٢).

(١٢١) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ٧٠٧).

(١٢٢) البحر المحيط، لأبي حيان (٦/ ١٨٣).

(١٢٣) ينظر: الكتاب، لسيبويه (٣/ ٥٠٢).

(١٢٤) ينظر: المصدر السابق (٢/ ١٦٤).

(١٢٥) ينظر: الإيضاح العضدي، للفارسي (١٤٤-١٤٨)، وينظر - أيضًا - تسهيل الفوائد،

لابن مالك (١٧٨)، وشرح التسهيل، له (٣/ ٣٨٤).

(١٢٦) ينظر: المقرب، لابن عصفور (١/ ٢٣٤)، وضرائر الشعر، لابن عصفور (٢٠٦)، وشرح الجمل، لابن عصفور (١/ ٢٤٦- ٢٤٧).

(١٢٧) ينظر:التذييل، لأبي حيان (١٣/ ٢١١-٢١٢)، والارتشاف، له (٤/ ٢٠٢٣).

(١٢٨) ينظر: الهمع، للسيوطي (٥/ ٢٧٧).

(١٢٩) وهي قراءة ابن عامر من السبعة، ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (٦٢٥)، والحجة للقراء، للفارسي (٦/ ٢٦٦).

(١٣٠) ينظر: الحجة، للفارسي (٦/ ٢٦٦)، وإعراب القرآن، للنحاس (١١٠٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٨٢١)، وكشف المشكلات، للباقولي (١/ ٥١٣)، (٢/ ٣٥٣)، والكتاب الفريد، للهمذاني (٢/ ٣٢٨-٣٢٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٤/ ٣٨)، (١٠/ ١٠٣)، والدر المصون، للسمين (١٠/ ٢٣٨).

(١٣١) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤٥٨، ٥١٣)، (٢/ ٣٥٣).

(١٣٢) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤٥٨).

(١٣٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن، لمكي (٢/ ٧١٧).

(١٣٤) ينظر: البيان، للأنباري (٢/ ٤٢٠).

(١٣٥) ينظر: أمالي ابن الحاجب (٢/ ٦٥٦).

(١٣٦) ينظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور (١٧٧-١٧٨).

(١٣٧) المصدر السابق.

(١٣٨) ينظر: التذييل، لأبي حيان (٤/ ٤٣)، والارتشاف، له (٣/ ١١١٩)، وتعليق الفرائد، للدماميني (٣/ ١٠٤)، والهمع، للسيوطي (١/ ١٦).

(١٣٩) ينظر: تعليق الفرائد للدماميني (٣/ ١٠٤).

(١٤٠) ينظر: التذييل، لأبي حيان (٤/ ٤٣)، والارتشاف، له (٣/ ١١١٩)، والهمع، للسيوطي (١/ ١٦).

(١٤١) ينظر: التذييل، لأبي حيان (٤/ ٤٣)، والارتشاف، له (٣/ ١١١٩)، وتعليق الفرائد، للدماميني (٣/ ١٠٤)، والهمع، للسيوطي (١/ ١٦).

(١٤٢) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (١/ ٣١٢).

(١٤٣) ينظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور (١٧٧)، تعليق الفرائد، للدماميني (٣/ ١٠٣- ١٠٤)، والتمهيد، لناظر الجيش (٢/ ٩٨٩).

(١٤٤) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٥١٣).

(١٤٥) ينظر: الحجة، للفارسي (٦/ ٢٦٦)، وإعراب القرآن، للنحاس (١١٠٥)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (١٨٢١)، وكشف المشكلات (١/ ٥١٣)، (٢/ ٣٥٣)، والكتاب الفريد، للهمذاني (٢/ ٣٢٨-٣٢٩)، والبحر المحيط، لأبي حيان (٤/ ٣٨)، (١٠/ ١٠٣)، والدر المصون، للسمين (١٠/ ٢٣٨).

(١٤٦) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤٥٨، ٥١٣).

(١٤٧) ينظر: كشف المشكلات (٢/ ٣٥٣).

(١٤٨) وهي قراءة أهل البادية، ينظر: معاني القرآن، للفراء (١/ ٣)، والمحتسب، لابن جني (١/ ٣٨)، ونسبت - أيضا - إلىٰ إبراهيم بن أبي عبلة، ينظر: إعراب ثلاثين سورة، لابن خالويه (١٨-١٩)، والإبانة، لمكي (١٣٦).

(١٤٩) المحتسب، لابن جني (١/ ٣٨).

(١٥٠) ينظر: التذييل، لأبي حيان (٤/ ٤٢)، وتعليق الفرائد، للدماميني (٣/ ١٠٤).

(١٥١) وهي قراءة يحيىٰ بن وثاب وإبراهيم والسلمي، وأبي رجاء، والأعرج ينظر: المحتسب، لابن جني (١/ ٢١٠)، والمحرر الوجيز، لابن عطية (٥٥١).

***

قائمة المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د.ت).

(٣) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم - جمعا ودراسة -، للدكتور محمد بن عبد الله بن حمد السيف، دار التدمرية- الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأثير الدين، أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام الأندلسي الغرناطي، (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٥) الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٦) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله، الحسين بن أحمد بن خالويه، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ -١٩٤١م).

(٧) إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي النَّحَّاس (المتوفى: ٣٣٨هـ)، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة بيروت - لبنان الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٨) إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، الهمذاني النحوي الشافعي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٩) الإغفال، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل (المتوفىٰ: ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم، المجمع الثقافي - أبو ظبي، الطبعة الأولىٰ ٢٠٠٣م.

(١٠) أمالي ابن الحاجب، لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفىٰ: ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(١١) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، ابن هشام (المتوفىٰ: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا بيروت، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

(١٢) الإيضاح العضدي، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل (المتوفىٰ: ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود (كلية الآداب - جامعة الرياض)، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(١٣) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (المتوفىٰ: ٣٧٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.

(١٤) البحر المحيط في التفسير، لأثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (المتوفىٰ: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

(١٥) البديع في علم العربية، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفىٰ: ٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

(١٦) البيان في غريب إعراب القرآن، لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري الأنباري (المتوفىٰ: ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، وراجعه: مصطفىٰ السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(١٧) تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.

(١٨) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٩) التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢٠) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأثير الدين، أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، الإمام الأندلسي الغرناطي، (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق – دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى.

(٢١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

(٢٢) تضعيفات العكبري النحوية في كتابه (التبيان في إعراب القرآن) – رسالة ماجستير – لمنصور أحمد مسفر الفواز الغامدي، كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى، ١٤٣٤هـ.

(٢٣) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني (المتوفى: ٨٢٧هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، الناشر: بدون، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٢٤) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢٥) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد، الحلبي ثم المصري، المعروف بـ(ناظر الجيش) (المتوفى: ٧٧٨هـ) دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(٢٦) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لبدر الدين أبي محمد حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

(٢٧) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٢٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢٩) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

(٣٠) الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ، ودار الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣١) حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد، ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

(٣٢) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبدالعزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣٣) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب - بيروت.

(٣٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

(٣٥) كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسىٰ بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

(٣٦) شرح ابن الناظم علىٰ ألفية ابن مالك، لبدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣٧) شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى ١٠٣٠هـ)، تحقيق: عبدالعزيز رباح - أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت.

(٣٨) شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك، لنور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسىٰ، الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٣٩) شرح ألفية ابن معطي، لعز الدين أبي الفضل عبد العزيز بن جمعه القواس الموصلي، (المتوفى:٧٢٣هـ) تحقيق: د. علي موسىٰ الشوملي، مكتبة الخريجي- الرياض، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤٠) شرح تسهيل الفوائد، اجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤١) شرح التصريح علىٰ التوضيح، لزين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، نشر فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

(٤٢) شرح جمل الزجاجي- الشرح الكبير-، لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح.

(٤٣) شرح الرضي لكافية لابن الحاجب لنجم الدين ورضي الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، (المتوفى: ٦٨٦هـ)، تحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، و د. يحيى بشير مصري، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

(٤٤) شرح الكافية الشافية، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤٥) شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (المتوفى: ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(٤٦) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

(٤٧) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لشمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ)، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.

(٤٨) شرح المفصل، لموفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد اللطيف بن محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -٢٠١٤م.

(٤٩) شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، (المتوفى: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. طَه مُحسِن، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٥٠) الصفدية، لتقي الدين أبي العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

(٥١) ضرائر الشِّعْر، لعلي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

(٥٢) الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٥٣) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني (المتوفى: ٦٤٣هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٥٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٥٥) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، في إعراب القرآن وعلل القراءات، لنور الدين أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي، الملقب بـ(جامع العلوم النحوي) المتوفى (٥٤٣هـ) دراسة وتحقيق: د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار عمار، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٥٦) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، صنعة جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي، (ت٥٤٣هـ)، حققه وعلق عليه، ووضع فهارسه، د. محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٥٧) كشف المشكل في النحو، لعلي بن سليمان الحيدرة اليمني، (المتوفىٰ:٥٥٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، دار عمار، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٥٨) لسان العرب، لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علىٰ ابن منظور الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقي (المتوفىٰ: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٥٩) اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، (المتوفىٰ: ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، ١٩٧٢م.

(٦٠) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفىٰ: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولىٰ.

(٦١) المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري، (المتوفىٰ: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية - دمشق، ١٩٨١م.

(٦٢) مجموع الفتاوىٰ، لتقي الدين أبي العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٦٣) محاضرات في أصول النحو العربي، وقضاياه، صنعة رياض بن حسن الخوام، أروقة للدراسات، والنشر-الأردن، الطبعة الأولىٰ:١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

(٦٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفىٰ: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٦٦) المسائل البصريات، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٦٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، وآخرين، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٦٨) مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٦٩) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٧٠) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.

(٧١) معاني القرآن للأخفش، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٧٢) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٧٣) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرىٰ»، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسىٰ العيني (المتوفىٰ ٨٥٥هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٧٤) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالىٰ الأزدي، المعروف بالمبرد (المتوفىٰ: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت.

(٧٥) المقرب، لعلي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفىٰ: ٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٧٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ)، تحقيق وشرح: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

***

السيرة الذاتية بين التشكيل الرمزي والتتابع الدلالي

«غازي القصيبي نموذجًا»

إعداد

د. انتصار عبد العزيز منير

أستاذ مساعد في قسم اللغة والنحو والصرف

كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى

emebrahem@uqu.edu.sa

السيرة الذاتية بين التشكيل الرمزي والتتابع الدلالي
«غازي القصيبي نموذجًا»

د. انتصار عبد العزيز منير

(قدم للنشر في ٠٥/ ٠٢/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٧/ ٠٥/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: لتجربة الدكتور غازي القصيبي أهمية كبيرة على مستوى تداول السير الذاتية تجريبا وإبداعا وتأثيرا في المجتمع بما تركته للمتلقي من قيمة علمية ومعرفية نتيجة تراكم الخبرات، فقد شارك أبناء وطنه في النهوض والتطوير بالمجتمع السعودية إداريا وعلميا، كما أن ثراء تجربته المهنية؛ تجعلنا نتطلع إلى دراسة حدود التداخل والتجانس بين الذات والموضوع وعلاقتهم بالتواصل مع المتلقين، وقد انقسمت سيرته الذاتية إلى قسمين: من حيث القالب الأدبي والمحتوى وأيضا العناوين التي انقسمت إلى عناوين معرفة تعبر عن ذاتية التجربة وفردية الخطاب؛ وإبراز خصوصية تجربة حياة صاحب السيرة، أو غير المعرفة التي تعبر عن مشاركة التجربة مع آخرين ممن ينطبق عليه المرحلة الزمنية، أو المهنة كمذكرات ضابط ومدرس وحياة في الإدارة، وقد شارك القصيبي في القائمتين بأعمال مختلفة في الفترة الزمنية والقالب والمحتوى حيث كتب أولًا «سيرة شعرية»، ثم مقالًا بعنوان «تجربتي مع الشعر والدبلوماسية ومهن أخرى»، كما كتب سيرته الذاتية: «حياة في الإدارة»، فكانت هذه التجربة أجدر بالدراسة في محاولة منا لمعرفة خصائص الخطاب التركيبية وعلاقته بالمستوى الدلالي من خلال الوحدة الموضوعية ودورها بالتتابع الدلالي من خلال الربط بين الخبر الواقعي والبسيط والمركب، مما يدعم استراتيجيات الخبر التداولية، ووظائفه الانتقائية والتواصلية والإخبارية والإقناعية.

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية، التتابع الدلالي، البناء التركيبي، البناء الدلالي، الربط الموضوعي، الوظائف التداولية.

***

Autobiography between Symbolic Formation and Semantic Sequence «Ghazi Al-Qusaibi as a Model»

Dr. Intisar Abdul Aziz Munir

(Received 04/10/2019; accepted 22/01/2020)

Abstract: Dr. Ghazi Al-Qusaibi experience is of great importance at the level of handling of autobiographies in terms of creativity and impact upon the society with the scientific and cognitive value left to the recipient as a result of accumulating experiences. He shared his countrymen the advancement and development of Saudi society, administratively and scientifically. The richness of his professional experience makes us look forward to studying the limits of overlapping and homogeneity between the subject and the object and their relationship to communicate with the recipients. His autobiography was divided into two parts: in terms of the literary form and the content as well as titles that were divided into titles of knowledge that express the subjectivity of the experience and the individuality of the speech; and highlighting the privacy of the biographer's life experience, or non-knowledge one that expresses sharing the experience with others whom the time period applies to him, or Profession as officer notes, teacher and his life in management

Al-Qusaibi participated in the two lists with various works in the time period, form, and content. He first wrote a «poetic biography» and then an article entitled «My experience with poetry, diplomacy and other professions», and wrote his autobiography: «A Life in Management». This experiment was more worthy of study in an attempt to know the characteristics of the syntax discourse and its relationship to the semantic level through the objective unit and its role in the semantic sequence by linking the real, simple and complex news, which supports the news's pragmatic strategies, and its selective, communicative, news and persuasive functions.

Keywords: Autobiography, Semantic Sequence, Syntax, Semantics, Objective linking, Pragmatic Functions.

❊ ❊ ❊

المقدمة

تُمثل الخاصية الإبلاغية في الخطاب الأدبي أحد أهم خصائصه التواصلية لما تقدمه للمتلقي من معلومات في صورة وثيقة مسجلة تحفظ تجربة المبدع التي مر بها من النسيان؛ ولذلك كانت تحتفي القبيلة العربية قديما بمولد شاعر جديد من أبنائها؛ كي يحفظ تاريخ أيامها وأنسابها ويفخر بها أمام القبائل ويصد عنها كل مُعتد أثيم، وبذلك يمثل الشاعر الآلة الإعلامية التي تتحدث باسم القبيلة كأنه وزارة إعلام بمفهومها الحالي، وقد صُنِّف ما يقوله الشاعر في هذا السياق ضِمن شعر المناسبات.

ويكمن الفارق الجوهري بين الخطاب في صورته السردية والشعرية في مضمون التجربة الإبداعية من حيث كونها خطابا **ذاتيًا أو جماعيًا**، حدث للمبدع وأراد إيصاله للمتلقي، بغض النظر عن واقعيته أو خياله، واللغة المستخدمة في كتابة الخطاب، والخصائص الأسلوبية له وحدود القالب الأدبي الذي يفرضها عليه.

وإذا خصصنا الحديث عن صناعة الخطاب السردي نجد طبيعة مميزة له من حيث مشاركة مجتمع الحكاية في صنع الأحداث، وإنتاج الدلالات؛ فَتُمكن المبدع من التخفي بين شخوصها والإفصاح عن ذاته المتحدثة؛ بعكس الشعر الذي يمثل إلىٰ حد كبير حدثا ذاتي التجربة فردي الخطاب يصنعه الشاعر وتظهر فيه ذاته المتجسدة أمام المتلقي؛ إلا أننا نجد السيرة الذاتية أقرب أنواع السرد إلىٰ الشعر من حيث ذاتية التجربة وفردية الخطاب.

وتأتي السيرة الذاتية في صورة: خطاب نثري ذاتي ينتظم في فضاء زمكاني، ويقوم به شخص واقعي؛ ليعبر عن وجوده الخاص في الحياة، ويحمل بين طياته الغاية

الأولىٰ في الحديث عن النفس (الأنا)، وتجاربه وخبراته في الحياة، فيجعل سيرته محل نظر ومناقشة بين معارضيه ومحبيه لعرض أفكاره وتوضيح فلسفته في الحياة.

والتعريف السابق يؤكد علىٰ أهمية الحضور الفردي الذاتي لصاحب السيرة وظهور الأنا في مقابل نحن – الموضوعية – منذ العتبة الأولىٰ لخطاب السيرة الذاتية (العنوان)، ويتضح ذلك أكثر إذا طبقنا حدود التعريف علىٰ مجموعة ليست بالقليلة لعناوين السير الذاتية السعودية التالية[1]:

- **«من ذكرياتي» سعيد محمد بوقري.**
- **«مذكرات وذكريات من حياتي» عبد الكريم الجهيمان.**
- **«كنت ضابطا: أربعون عاما في حياة ضابط» صالح محمد الغفيلي.**
- **«مشواري مع الكلمة» حسن عبد الحي قزاز.**
- **«أشخاص في حياتي» حسن محمد كتبي.**
- **«ذكريات عبد الله بلخير» عبد الله بلخير.**
- **«من ذكرياتي عن التعليم عن بلادنا» عبد الله حمد الحقيل.**
- **«عودتي إلىٰ الحياة» طاهر مخشري.**
- **«أيامي» أحمد السباعي.**
- **«حكاية الفتىٰ مفتاح» عبد الفتاح أبو مدين.**
- «حياتي مع الجوع والحب والحرب» لعزيز ضياء.
- **«أطفال الجسر... أنا وجيلي» عبد الله بن حمد القرعاوي.**
- **«تجربتي مع الشعر والدبلوماسية ومهن أخرىٰ» غازي القصيبي.**

تشترك العناوين السابقة في صفة التعريف بإضافة تاء الفاعل أو ياء الملكية أو

بذكر اسم صاحب السيرة في العنوان، وذلك لإبراز خصوصية تجربة حياة صاحب السيرة الذاتية وتوضيح أنها حياة هذا الشخص دون غيره، ولكننا نكتشف صيغة أخرىٰ للعناوين تخلو من أدوات التعريف وظهور الأنا الفاعلة مثل:

- **«حياة في الإدارة»، و«سيرة شعرية» غازي القصيبي.**
- **«رحلة الثلاثون عاما» زاهر بن عوض الألمعي.**
- **«ذكريات العهود الثلاثة» محمد حسين زيدان.**
- **«ذكريات طفل وديع» عبد العزيز الربيع.**
- **«ذكريات مدرس» عبد الرحمن صباغ.**
- **«بين السجن والمنفىٰ» أحمد عبد الغفور عطار.**
- **«ذكريات» أحمد علي.**
- **«رحلة العمر» محمد عبد الحميد مراد.**

تعطي هذه العناوين دلالة مختلفة عن العناوين المُعرَّفة في المجموعة الأولىٰ التي تضمنت في عنوانها اسم صاحب السيرة أو تاء الفاعل أو ياء الملكية؛ من حيث الموضوعية، وعموم التجربة وإمكانية مشاركتها مع آخرين ممن ينطبق عليه المرحلة الزمنية أو المهنة التي عمل بها صاحب السيرة **كمذكرات ضابط ومدرس وحياة في الإدارة.**

كما نجد من خلال القائمتين السابقتين تكرار اسم **غازي القصيبي** مرتين لأعمال مختلفة في الفترة الزمنية والقالب الأدبي والمحتوىٰ حيث كتب أولًا «سيرة شعرية» عام ١٤٤٠هـ، ثم مقالا نُشر في «مجلة الفيصل عدد ١٦٩ رجب ١٤١١هـ، فبراير ١٩٩٢م» في صفحتين بعنوان: «**تجربتي مع الشعر والدبلوماسية ومهن أخرىٰ**»، وكتب

ثالثا كتابا بعنوان: «**حياة في الإدارة**»[٢].

ولا يمكننا الفصل بين العملين في إطار استكشاف بنية الخطاب، وخصائصه التداولية؛ وذلك لتداخل العملين بين الذاتي والموضوعي، مهما حاول الكاتب أن يعكس ذاته في الكتابة، أو ينفيها فالذات نفسها انعكاس للآخرين المتواجدين داخل سياق الحدث أو الزمن الطبيعي للتجربة.

*** لماذا سيرة غازي القصيبي أجدر بالدراسة؟**[٣]

غازي بن عبد الرحمن القصيبي (١٣٥٩هـ-١٤٣١هـ) ولد في مدينة الأحساء، وبها تلقي **تعليمه** الأولي، وأكمل تعليمه الثانوي في البحرين، والجامعي في مصر، ثم أكمل دراساته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية وحصل علىٰ درجة الماجستير والدكتوراه. **عمل** محاضرًا بجامعة الرياض (الملك سعود حاليًا)، ثم انتقل مديرًا لسكك الحديد في الدمام، ثم وزيرًا للصناعة والكهرباء، فوزيرًا للصحة، ثم سفيرًا للملكة في البحرين، ثم عمل سفيرًا للملكة في بريطانيا. **موهبته الأدبية**: شاعر وأديب، ويمتاز بغزارة إنتاجه الأدبي، ومن أعماله: «قطرات من ظمأ» شعر، «عن هذا وذاك»، «خواطر في التنمية»، كان من رواد التجديد وأدخله ذلك في صراعات مع كثيرون ومنها: كتابه «حياة في الإدارة»، وهو أشهر كتبه علىٰ الإطلاق حيث وثق سيرته الوظيفية في صورة سردية حكائية، مما جعل منتقديه يردون عليه بمقالات وكتب عديدة أدخلت المجتمع في حراك ثقافي إيجابي لتقييم تجربة القصيبي.

*** الدراسات السابقة:**

حظيت السير الذاتية بعدد من الدراسات اللغوية والنقدية، منها:

١ - السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة: يمنىٰ العيد[٤] وقد تناولت مفهوم

الرؤية المعيارية لكتابة السيرة، والتجنيس والميثاق وسيرة ثلاثية حنا مينا، واستعادة السيرة في زمن الكتابة الروائية.

٢- السيرة الذاتية المتشظية قراءة في حاطب ليل ضجر لعبد العزيز التويجري: صالح بن معيض الغامدي[٥] وقد تناول التخييل الذاتي والتشظي في السيرة الذاتية السعودية، ودور المكان والزمان في تشكيل السيرة.

٣- الصدق في السيرة الذاتية عند الأدباء في سورية: فاطمة محبك[٦] وقد تناولت مفهوم الصدق في سرد السيرة الذاتية عندما تذكر المرأة ومفهوم العيب الاجتماعي.

كما تناولت بعض الدراسات البحثية والندوات الثقافية سيرة القصيبي علىٰ النحو التالي:

٤- التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث: «حياة في الإدارة» لغازي القصيبي نموذجا: منصور بن عبد الرحمن المهوس [٧] وهذه الدراسة غير متعلقة بفكرة البحث أو نتائجه المستخلصة، حيث تناولت عتبات العنوان، والنص الموازي للسيرة، والتكوين البنيوي الثقافي، والأسلوبي مثل: تكرار النفي، وتكرار ألفاظ معينة، ودوافع القص (الرغبة - الاتصال والانفصال - الصراع).

٥- عقدت جامعة الملك سعود: كرسي الأدب السعودي - جامعة اليمامة: كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية ندوة بعنوان: «**غازي القصيبي - الشخصية والإنجازات**»، الرياض، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، وقد خصصت لسيرته الذاتية ثلاث دراسات وهي غيرة متعلقة بفكرة البحث ونتائجه المستخلصة، وجاءت عناوينها كالتالي: ١- «**أيقونات السيرة تحولات وإشكالات كتابة السيرة الذاتية عند غازي القصيبي**»، محمد الراشدي. ٢- «**سيرة الدكتور غازي القصيبي من خلال**

منجزه الكتابي»، هند الشيباني. ٣- «**تمثيلات السرد السير ذاتي في خطاب غازي القصيبي الروائي: مقاربة تأويلية ثقافية**»، ضياء عبد الله خميس الكعبي.

❋ خطاب السيرة وسيرة الخطاب:

يقص غازي القصيبي سيرته الذاتية في إطار حكائي، مستخدما اللغة الشعرية في إطار شعوري مشحونا بالدلالات والطاقات الهائلة الناتجة من تنوع تجاربه المهنية؛ لتصبح من أغنىٰ السير الذاتية علىٰ المستوىٰ الإنساني في دلالاتها، وإمكانية مشاركتها للناس وليس متخصصي الإدارة فحسب؛ حيث تختلف السير الذاتية باختلاف متلقوها من حيث الفردية الذاتية أو الجماعية المشتركة، فيما تكمن براعة الكاتب في تحويل كل ما هو ذاتي إلىٰ جماعي نتيجة عملية التداول للتجربة وإمكانية تكرار أحداثها بعد تغيير شخصية المتكلم.

قد تحقق كتابة السيرة الذاتية توازنا نفسيا من خلال عرض ذكريات صاحبها علىٰ ذاته أولًا ثم للمتلقين ثانيًا؛ فيقف أمامهم موقف الخطيب وكأنه يملك الحقيقة الكاملة، فيسرد أحداثها بدقة متحريا الصدق، كما تمثل الغاية العظمىٰ لها حينما تمنح المتلقين إمكانية مشاركتهم فيها من خلال إعادة إنتاجها أو الاعتراض علىٰ بعض أجزائها.

عرف «هاريس Z.Harris» الخطاب بأنه: «ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل، تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبصورة تجعلنا نظل في مجال لساني محض»[٨]. يحتوي خطاب السيرة الذاتية علىٰ رسالة تحمل مضمونا من مرسله إلىٰ مستقبله، تُعبر عن خبرة صاحب السيرة أو وجهة نظره في الحياة، ويُكتب باستخدام سلسلة من الشفرات اللغوية المشتركة التي تلبي الاتصال بين طرفيه، كما تتنوع مظاهر الخطاب السير ذاتي

من حيث الصيغة الإبلاغية والحجاجية والتداولية في قالب حكائي قوامه اللغة التي تمكنه من النفاذ إلىٰ مستويات الخطاب دون العثور علىٰ حواجز أسلوبية تركيبية، حيث يعتمد الكاتب علىٰ البناء المضموني المتسلسل الذي يعينه علىٰ بناء فقرات وجمل وكلمات الخطاب.

❋ تراث السيرة الذاتية العربية:

تتشابك لفظتي «**السيرة**»، و«**الترجمة**» في حدود الدلالة من حيث السرد التاريخي لحياة شخص ما، وقد وردت لفظة «**السيرة**» في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ (طه:٢١) للدلالة علىٰ النشأة، أما في مجال تتبعها حياة فرد ما فقد استعملها محمد بن إسحق (٨٥ - ١٥١هـ) للحديث عن حياة رسول الله ﷺ، كما جاءنا مخطوط «سيرة ابن طولون» لابن الداية (٣٤٠هـ-٩٥١م)، وتضح الحدود الفاصلة بين دلالة المفردتين باختصاص لفظة «ترجمة» للحديث عن حياة شخص ما بطريقة موجزة ومختصرة، وتختص لفظة «سيرة» بذكر تاريخ الشخص بتفصيل وإسهاب.

❋ اصطلاح السيرة:

يعرفها محمد صابر عبيد بأنها: «نمط سردي حكائي ينتظم في فضاء زمكاني محدد، يتولىٰ فيه الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي أو معرفي، فيها من العمق من يستحق أن يروىٰ، ليقدم تجربة يمكن أن تثري القارئ، أو تخصب معرفته بالحياة، من خلال الاطلاع عليها، والإفادة منها»[٩].

يمكن لخطاب السيرة الذاتية أن يتداخل مع أنواع أخرىٰ من الأنواع الأدبية بوصفه خطابًا مفتوحًا يشترك في صفة السرد الحكائي في إطار زمكاني لصنع حدث ما، ويتضح ذلك من خلال توقف راوي السيرة ليحكي عن موقف ما قد يقصر هذا

الحكي فيصبح قصة قصيرة أو يطول إلىٰ حد الرواية القصيرة أو ما يعرف بـ.Novela

«والسيرة بهذا الوضع الاصطلاحي يتكفل الراوي بسرد أحداث حياته، ويجري التركيز علىٰ المجال الذي تتميز فيه شخصيته الحيوية، كأن يكون المجال الفني، أو الاجتماعي، أو السياسي، أو العسكري...الخ، كلما كان ذلك ضروريًا وممكنًا، ويسعي في ذلك إلىٰ انتقاء حلقات معينة ومركزة من سيرة هذه الحياة، وحشدها بأسلوبية خاصة، تضمن له صناعة نص سردي متكامل ذي مضمون مُقنع، ومثير، ويحاول الراوي الإفادة من كل التقنيات السردية؛ لتطوير بنية السيرة الذاتية، علىٰ ألا تَخِل بالطابع السير ذاتي العام، حتىٰ لا يخرج النص إلىٰ فن سردي آخر»[١٠].

❋ احتمالات السيرة الذاتية:

تتجدد متعة القراءة لفن السيرة الذاتية علىٰ طول خط زمن التلقي فهي «تُجري حياة فرد عظيم من الناس جريان الماء الرقراق علىٰ أرض من الحصباء، ولكن عظمته في مكانةٍ من التاريخ تجعل لسيرته الذاتية قيمة وذيوعا، سواء أكانت تلك العظمة في دنيا الأعمال، أم الأفكار، ولابد لها من تجسيد الماضي بخيره وشره، لا علىٰ شكل ذكريات متقطعة، ولا علىٰ شكل صورة خارجية شاهدها الكاتب في الناس والأشياء، بل علىٰ أساس من التطور الذاتي في داخل النفس وخارجها؛ ومن ثم تجئ السيرة الذاتية صورة للاندفاع المتحمس، والتراجع أمام عقبات الحياة، وقد تكون تفسيرا للحياة نفسها، وقد يميل فيها الكاتب إلىٰ الحركة الداخلية لحياته – تقلبات نفسية ومزاجية –، متغافلا عن الاهتزازات الخارجية فيها إهمالا جزئيا، وقد تكون مجرد تذكر اعتراضي موجه إلىٰ قارئ متعاطف مع الكاتب، وقد تمتزج هذه العناصر علىٰ صور متفاوتة»[١١]،يمكن للشكل التالي توضيح ذلك:

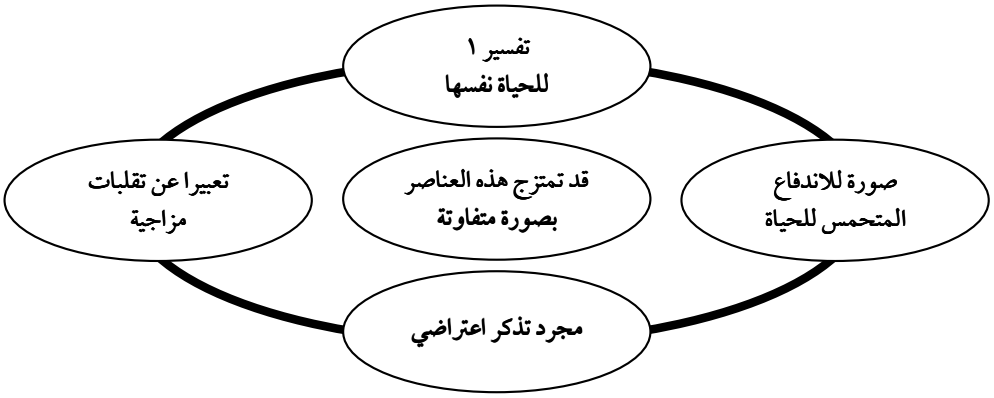

وتنقسم السيرة الذاتية حسب كيانها العام وغاياتها إلىٰ أصناف أربعة بتعبير إحسان عباس[١٢]، فنجد كل صنف قائما بحد ذاته، ويمثله أحد كتب التراث الخاصة بالسيرة، كما يمكن أن تحتوي سيرة ذاتية واحدة علىٰ مشاهد وفقرات متنوعة من تلك الأقسام:

❖ «**سيرة إخبارية محضة:** وتضم الحكايات الشخصية المتمثلة في التجارب الذاتية أو المشاهدات أو المواقف المعاصرة للشخصية مثل: حكايات الجاحظ.

❖ **سيرة تفسيرية تعليلية تبريرية:** وتكتب كنوع من التوثيق للتاريخ يقف فيه صاحب السيرة موقف التبرير لما حدث له من زاوية ذاتية مثل: سيرة ابن خلدون، وهذا النوع من السير لا يعد كونه نوعًا من الحكي والثرثرة، بل إن هدفه توضيح حقائق تاريخية وسياسية واجتماعية تمثل شهادة صاحب السيرة علىٰ العصر[*].

❖ **سيرة روحية تصور الصراع الداخلي:** ويصور هذا الجزء الأزمة الداخلية للكاتب ومعاناته الروحية وما يؤرقه علىٰ المستوىٰ النفسي مثل: كتاب المنقذ من الضلال للإمام الغزالي.

❖ **سيرة المغامرات والتجارب:** لا تخلو سيرة ذاتية من هذا الجزء حيث يتحدث

الكاتب فيه عن حياته المليئة بالمشاهدات والتجارب بأسلوب بسيط وبلغة سهلة ولا تبرز فيه قوة الصراع الفكري مثل كتاب الاعتبار: لأسامة بن منقذ».

❋ أبعاد سيرة القصيبي:

يقدم خطاب السيرة الذاتية -كما في حياة في الإدارة- وثيقة شخصية بإقرار صاحبها بتجاربه الذاتية بدقة شديدة تختلف عن أقرب الناس إليه، وذلك للبعد النفسي للحدث، والدوافع التي حركته تجاه الفعل، وتختلف هذه المادة عن المذكرات واليوميات التي يكتبها الشخص بنفسه، والرسائل المتبادلة بين الشخص وغيره، أو القرارات التي يصدرها علىٰ اختلافها سياسيًا واقتصاديًا وإداريًا حسب طبيعة مهنة صاحب السيرة، لانشغال النوع الثاني برصد الأحداث التي عايشها الكاتب، وجنوحه نحو موضوعية التاريخ وآنية الكتابة، وأيضا يمكننا أن ننظر إلىٰ مكتبة صاحب السيرة بوصفها المادة التي شكلت فكر الكاتب وكونت شخصيته علىٰ أنها جزء من حياته ثقافيا وفكريا.

تتشكل مادة سيرة القصيبي من **بعدين، الأول:** معلوماتي يتمثل في حياة الكاتب الشخصية التي تقبل التوثيق التاريخي وهي تختلف من راوٍ لآخر طبقا لمعايشة الذات للأحداث، وهو ما يعطي فن السيرة أهميتها عن ذواتها بالقيمة التي تضيفها وتميزها، فقد تصدر الكاتب مقدمة السيرة باستدعاء رحلته إلىٰ لندن صيف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٨م، وحديثه مع والده: «**جاء سيدي الوالد ﷺ إلىٰ العاصمة البريطانية للراحة والاستجمام وإجراء بعض الفحوص الطبية... طلبت منه أن نشترك في كتابة مذكراته - وقد عاصر أحداثا كثيرة تستحق أن تسجل- إلا أنه رفض**»[١٣]، كما يشرح أسلوبه في الحياة وخلاصة تجاربه حيث يقول: «**يمكن تلخيص أسلوبي في التدريس علىٰ النحو التالي:**

لا يمكن للمادة أن تكون مفيدة ما لم تكن مشوقة، ولا يمكن أن تكون مشوقة ما لم تكن مبسطة، ولا يمكن أن تكون مفيدة ومشوّقة ومبسطة ما لم يبذل المعلم أضعاف الجهد الذي يبذله الطالب»[١٤]، **والبعد الثاني:** هو الصيغة الأدبية التي تشكلت منها من خلال واقعية الكتابة، ولا ننكر علىٰ الكاتب اللغة الخيالية التي تستدعي الحدث التاريخي، بالإضافة إلىٰ التشويق الذي ينتج من هذه النماذج.

❋ البناء المقطعي ومستوىٰ الربط التركيبي:

يهتم علم اللغة النصي بدراسة بنية النص التركيبية مثل: التماسك النصي من خلال التقابل بين العبارات والكلمات، ورصد العلاقات بين الجمل بوصفها العناصر المكونة للخطاب من خلال الربط الداخلي الذي يحكمه مبدأ التماسك التركيبي والدلالي والانسجام [١٥]، وهذا ما يجعلنا نبحث عن تحقيق ذلك في مستويات نص حياة في الإدارة، حيث تتضافر سيرة حياة غازي القصيبي لتشكل بنًاء رأسيًا يتكون من وحدات موضوعية تسهم في البناء التركيبي لخطاب السيرة والتي بدورها تنقسم إلىٰ فقرات نصية تحكمها الروابط المنطقية التي تجعلها مترابطة ومتناسقة وأيضا قابلة للتجزئة إلىٰ جمل كبرىٰ وصغرىٰ كما في الشكل التالي:

البناء التركيبي لنص خطاب «حياة في الإدارة»

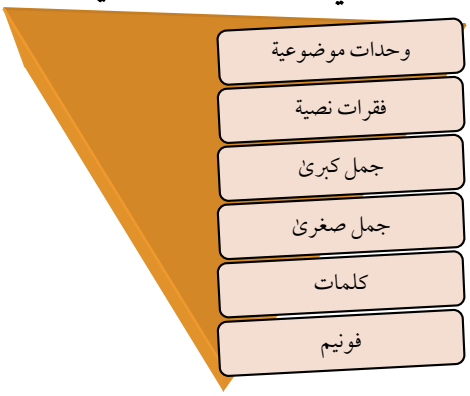

يمثل النموذج السابق المخطط البياني لإجراءات البناء المقطعي في المستوى التركيبي لنحو النص المكون من أصغر وحدة دلالية «الفونيم» حتى يصل لنص خطاب السيرة الذاتية.

❋ البنية الدلالية الكبرى ومستوى الربط الموضوعي:

يسهم البناء المقطعي للسيرة في تشكيل الصورة الكلية لدلالة الخطاب بوصفها مجموعة من الوحدات الموضوعية المتجانسة في سلم تركيبي مكون من أنماط متعددة ليس بصورة متساوية في السياق أو بترتيب محدد، ولكن يغلب عنصر ما للنص ويحدد النمط المميز له في المستوى التداولي بناء على وظيفة النص التي أرادها الكاتب ولكي نتمكن من معرفة هذه الصفة الدلالية علينا أن ننتقل من الصفة التشريحية للبناء التركيبي للنص إلى مستوى البنية الدلالية التي تمثل الخطابي وفق استراتيجية التعرف على البنية الكلية لمضمون النص.

وكما أن لكل خطاب بناء تركيبي مكون من جمل وكلمات تربطها روابط العطف والتتابع المنطقي، أيضا له بناء دلالي تربط أجزاؤه موضوعات وصلات دلالية؛ تُطلع القارئ على المحتوى المراد إيصاله له، والذي تحكمه سمات التخفي والاختزال، ومنظما موضوعيا بصورة متتالية، بداية من عنوان النص حتى آخر كلمة فيه، وهذا التتابع الموضوعي يؤدي دلالة متتالية من حيث المظهر العام للخطاب أو التتابع الزمني للأحداث، أو المنطقي؛ ولولا هذا التتابع الدلالي لضاع انسجام الخطاب حسب رأي «فان دايك» حيث يقول: «إعادة بناء مفهوم لموضوع جزء من الخطاب، كقضية مستنتجة من ضم مجموعة قضايا معبر عنها في متوالية... فإن الموضوع يجب أن يستنتج من متوالية ككل»[١٦]، ويمكننا أن نوضح مكونات الجملة

الدلالية في اللغات الطبيعية حيث تتكون من صنفين: «دلالة قضوية (مضمونية) تتعلق بمجموع دلالات مكونات الجملة مرتبطة بعضها ببعض بحسب ما تؤديه العلاقات القائمة بينها، ودلالة إنجازية متمثلة أساسا في الفعل المواكب لإنجاز الجملة، ويكون إما إخبارا، وإما سؤالا، أو وعدا»[١٧].

❋ من أمثلة الدلالة المضمونية:

عمد الكاتب إلىٰ الحديث عن وسائل الإدارة الصحيحة بطريقة متفرقة في أرجاء النص، مقدما عليها تبريرات منطقية وشواهد قصصية تؤكد رأيه وتوضح خلاصة خبرته الإدارية في مشواره المهني، والمتتبع للبناء المضموني لفكرة الإدارة يكتشف التسلسل التالي:

- «تقتضي النظرة العلمية أن نعطي المؤسسة – بأبعد معانيها – دورها الكامل كما تقتضي ألا نقلل من دور الفرد الذي يقف علىٰ رأس هذه المؤسسة»[١٨].
- الإصلاح الإداري الفعال يستطيع أن يقضي علىٰ التسيب والتعقيد وكثير من الفساد ولكنه في غياب التجهيزات الأساسية الضرورية لا يستطيع تقديم خدمات عامة تذكر[١٩].
- علىٰ صانع القرار ألا يتخذ أي قرار إلا إذا اكتملت أمامه المعلومات[٢٠].
- الإداري الهجومي لا ينتظر القرارات ولكن يستبقها، والإداري الدفاعي يحاول أن يبتعد عن اتخاذها. الإداري الهجومي لا ينتظر حتىٰ تتضخم المشاكل، أما الدفاعي فلا يتعامل مع أي مشكلة إلا بعد أن تتخذ حجما يستحيل معه تجاهلها، الإداري الهجومي لا يدير المؤسسة من مكتبه ويحرص علىٰ أن يكون في الموقع أكبر وقت ممكن، أما الدفاعي فلا يغادر

مكتبه إلا في المحن والأزمات... إلخ[٢١].

- علىٰ القائد الإداري ألا يتردد في اتخاذ القرارات الضرورية، حتىٰ لو كانت مؤلمة[٢٢].
- الرغبة بدون سلطة لا تغني ولا تسمن، واجتماع الرغبة والسلطة لا يكفي لصنع قائد إداري فعال[٢٣].
- المهارة المطلوبة لتنفيذ القرار الصحيح تشمل ضمن ما تشمل، القدرة علىٰ إنشاء لوبي فعال واستخدامه، القدرة علىٰ التحفيز، القدرة علىٰ شرح القرار، والقدرة علىٰ إزالة كل عقبة تقف في الطريق، وتتطلب الكثير الكثير من الصبر والدأب[٢٤].
- لا يمكن أن يكون القائد الإداري فعالا إذا ظلت منجزاته طي الكتمان[٢٥].
- علىٰ الإداري أن يفصل بقدر الإمكان، بين حياته العامة وحياته الخاصة[٢٦].
- الإداري الناجح هو الذي يستطيع تنظيم الأمور علىٰ نحو لا تعود معه للعمل حاجة إلىٰ وجوده[٢٧].
- المال عنصر أساسي في الإدارة ولكنه ليس العنصر الأوحد، وقد لا يكون العنصر الأهم[٢٨].

انتشرت هذه الجمل في خطاب السيرة، بمثابة الروابط المضمونية في صورة حكم تمثل خلاصة تجربة القصيبي، فما أن يتحدث الكاتب عن مرحلة من حياته إلا ويتخللها هذه الروابط للدلالة علىٰ أهمية الإدارة من خلال تلك التجارب العملية، كما تميزت بتراكيب بنائية تتصف بوحدة الموضوع الإقناعي، وأيضا من حيث كونها ذات أبعاد حجاجية أو حوارية أو سردية، كما اختلفت في قوتها الإنجازية والتأثيرية

لتلفظ خطاب السيرة.

- **الدلالة الإنجازية:** اشتملت الشواهد السابقة على وحدات إنجازية وهي التي تتعلق بالشحنة التداولية للأفعال؛ إخبارا أو استفهاما، أو أمرا أو وعدا أو نهيا... إلخ، والتي تنقسم بدورها إلى:

- «**قوة إنجازية حرفية:** ويستدل عليها بطريقة مباشرة بمجرد القراءة الأولى للنص مثل: التنغيم والاستفهام أو النفي، مثل: «**على صانع القرار ألا يتخذ أي قرار إلا إذا اكتملت أمامه المعلومات**».

- **قوة إنجازية لازمة:** وهي القوة الإنجازية التي تتولد من الأولى بمقتضيات مقامية حسب السياق»[٢٩] وتؤدي إلى استدلالات تتفاوت من حيث السطحية والتعقيد، وهي ما تعطي للنص أبعادا دلالية سطحية وعميقة.

❋ الأفعال اللغوية المباشر وغير المباشرة في خطاب السيرة الذاتية:

من خلال دراسة هذه الأفعال تتضح العلاقة بين الدلالة السطحية للخطاب والمعني المستنتج منه، وهو ما يميز المعنى الحرفي عن الضمني في ضوء المرجع على حد تعبير «بيرس»[٣٠]، وبعد الأسلوب الضمني من الأساليب القديمة في استخدامات اللغة قدم المجاز البلاغي والخطابة اليونانية، ويمثل المعنى الضمني أحد وسائل التعبير المرتبط بخطاب رجال السياسة، لأنه يتيح لهم الإفادة من جدوى الكلام في عباءة الصمت، مما يحقق الاتساق العام للخطاب الذي تقوم عليه الأفعال الخطابية الصريحة في تسلسلها الضمني بما يسعى المتلقي لمعرفته ولا يريد الكاتب التصريح به.

- **الأفعال اللغوية المباشرة**: تخضع هذه الأفعال إلى القوة الإنجازية الحرفية، ويكمن الفارق بينهما من حيث كونها تقدم دلالة تطابق مراد المتكلم، وتؤدي المعنى

حرفيا كما أراده المتكلم طبقا لقواعد تركيب الجملة التي تسهم في إيصال المعنىٰ للمتلقي بدون تحريف، وهي بذلك الدلالة المباشرة أو ما يعرف بالمستوىٰ السطحي للدلالة ومن أمثلة ذلك الأفعال الموجودة في العبارة التالية: «**اختيار المساعدين الأكفاء نصف المشكلة، والنصف الآخر هو القدرة علىٰ التعامل معهم، الرئيس الذي يريد مساعدا قوي الشخصية عليه أن يتحمل متاعب العمل مع هذه الشخصية القوية**»[٣١] يقدم هذا المثال القدرة علىٰ التعبير المباشر متجردا من احتمالات الدلالة حيث يقدم الكاتب شرطا مخيرا بذلك المتلقي أن من أراد مساعدا كفء عليه بتحمل طبيعة تلك الشخصية، وهذه الدلالة التي قدمتها العبارة جاءت الجمل التالية مفسرة لها حتىٰ أزالت أية احتمالية للبس حيث أتبعها الكاتب بقوله: «**الشخص الذكي النزيه معتدا بنفسه وقدراته، وألا يتردد قبل إبداء رأيه الصريح في أي موضوع (بخلاف المساعدين الفاسدين الإمّعات)**»[٣٢].

- **الأفعال اللغوية غير المباشرة:** وتضم الأفعال التي تخالف مراد المتكلم لاحتمالها التأويل علىٰ أكثر من موضع أو حاجتها لقرينة لغوية توضحها ومن أمثلة ذلك: «**الإصلاح الإداري الفعال يستطيع أن يقضي علىٰ التسيب والتعقيد وكثير من الفساد ولكنه في غياب التجهيزات الأساسية الضرورية لا يستطيع تقديم خدمات عامة تذكر**»[٣٣]، بالتأكيد لم يذكر الكاتب تلك التجهيزات لأنها تختلف من مؤسسة لأخرىٰ حسب طبيعة العمل، ويسعىٰ الكاتب إلىٰ استخدام المعاني الضمنية للخطاب في حالات كثيرة مخيرًا أحيانًا وأخرىٰ مجبرًا، وذلك لطبيعة الموضوع الي يناقشه ودرجة تقبل المتلقي له، أو لأسباب مهنية تحول بين الإفصاح عن أسرار عمله كما حدث مع القصيبي وعمله في مناصب قيادية وزارية أو السلك الدبلوماسي.

كما يلجأ الكاتب لاستخدام هذا الأسلوب مراعاة لطبيعة المجتمع المحافظ الذي يتلقىٰ الخطاب، فيعمد إلىٰ التضمين والبعد عن التهكم والسخرية، أو الانتقاد الصريح لعادات المجتمع أو النظام الحاكم، حيث تختلف المحظورات اللغوية من مجتمع لآخر، مهما بلغت درجة تحرر المجتمعات وانفتاحها إلا أن هناك موضوعات ينبغي عدم التلفظ بها مراعاة لحدود اللباقة واحتراما للذوق العام.

وفي نص السيرة الذاتية خاصية تميزه عن النصوص الأخرىٰ تجعل الكاتب مجبرا علىٰ استخدام أسلوب التضمين بطريقة أكثر حرصًا من الأنواع الأدبية الأخرىٰ؛ لأنه نص معلوماتي في المقام الأول يقوم الكاتب بذكر تجاربه وخبراته وذلك يجعله في حرج إذا تعارض ذلك مع خصوصيته وإعطاء معلومات تهدد حياته، أو لأن الكاتب سيلام علىٰ ذكرها كأن يمدح نفسه أو يثني علىٰ قراراته التي اتخذها أثناء تقلده أحد المناصب، أو يذكر تذمره من بعض القرارات التي فرضت عليه، مما يجعله يستخدم أسلوب التلميح للتعبير عن كل ما هو متعلق بالأخلاق أو السياسة أو الدين أو الخصوصية التي تهدد حياته.

❋ انسجام الخطاب:

لعل استكشاف هذه البنية الموضوعية، هو ما يساعدنا علىٰ معرفة لماذا حققت سيرة القصيبي كل هذه الشهرة والذيوع في المجتمع العربي؟ فيما يخص البنية المضمونية لخطاب «حياة في الإدارة»؛ بالتأكيد هناك عوامل نفسية أثرت في ذلك مثل: اعتماد الكاتب علىٰ الصدق في سرد تجربته وظهور ذلك في روح النص فشارك مزاج المتلقي العربي، كما اتضح أيضا أثر انسجام النص في بنيته الداخلية باعتباره تقنية الربط الكلي للنص دلاليا، وتعتمد عملية الانسجام علىٰ مجموعة من الخصائص منها:

▪ **السياق ودوره في توضيح المعنىٰ:** ويتحدد من خلال القرائن النصية التي تربط الوحدات الموضوعية بعناصر العملية التواصلية للخطاب.

يقول الكاتب: «**حسنًا! تطوّرت علاقتي بالزملاء العاملين معي مباشرة وعمقت ورسخت، ولكنها ظلّت علاقة عمل. أعتقد أن علىٰ الإداريّ أن يفصل بقدر الإمكان بين حياته العامة وحياته الخاصة. كل إنسان يحتاج إلىٰ «شلة» إلا أن الأمور تضطرب عندما تتداخل علاقات الشلة بعلاقات العمل: لا شيء يقتل الكفاءة الإدارية مثل تحول أصحاب «الشلة» إلىٰ زملاء العمل. عدد من الزملاء الذين عملوا معي عبر السنين لم يدخلوا منزلي ولم أدخل منازلهم. كائنة ما كانت عيوبي الإدارية فإني أعتقد أن أحداً لا يستطيع أن يزعم أني اخترت أي إنسان للعمل معي لأني أستلطفه شخصيًا أو لأنه ينتمي إلىٰ «الشلة»**»[٣٤].

استخدام لفظة «الشلة» بطريقة مكثفة في الفقرة السابقة وضحت دلالتها للمتلقي – من خلال السياق – الذي يجهل معناها، كما بينت جريمة تعيين أهل الثقة لمجرد كونهم من الشلة وإبعاد أهل الكفاءة، وهذه الطريقة معروفة في الأنظمة العربية، وقد عدها القصيبي من أكبر عيوب الإدارة بقوله: «**كائنة ما كانت عيوبي الإدارية فإني أعتقد أن أحداً لا يستطيع أن يزعم أني اخترت أي إنسان للعمل معي لأني أستلطفه شخصيًا أو لأنه ينتمي إلىٰ الشلة**» ومن فوائد السياق أيضا أنه:

❖ بين المعنىٰ وحدده عند ترجيح أحد الدلالات المختلفة.

❖ وضح مرجع الضمير الذي يعود عليه الكلام في قوله: «**الذين عملوا معي عبر السنين**» ليضرب بنفسه القدوة الحسنة.

❖ أعان علىٰ فهم المعنىٰ حينما استخدم الكاتب تقنية الحذف والاختزال في

قوله: «**كائنة ما كانت عيوبي الإدارية**».

❖ فَرَّق بين زمن الحدث، وزمن الكتابة، وزمن التلقي؛ وقد أعطىٰ ذلك بعدا أوسع لتطبيق هذه النصيحة الإدارية.

▪ **التتابع الزمني لسرد الخطاب:** لا يخلو خطاب سيرة ذاتية من سرد وقائع وأحداث والتي بدورها تمثل قيمة معرفية للخطاب؛ هذه الأحداث تقع في نطاق زمكاني محدد، وما يقوم به صاحب السيرة هو سرد هذه الأحداث بصورة تتابعي مضمونا وموضعا، حتىٰ تقدم للمتلقي صورة واضحة عن حياة الكاتب، ليس شرطا أن يقوم الكاتب بتدوين تلك الأحداث في صورة يوميات مسلسلة – وهو أحد أشكال السيرة الذاتية – ولكن ما يهمنا هو توظيف الكاتب تقنية الزمن، لخدمة ترابط الأحداث المذكورة في خطاب السيرة؛ لبيان أهميتها في انسجام النص وفق الطاقة التأويلية اعتمادا علىٰ مقومات سياق الأحداث.

استثمر الكاتب عنصر الزمن بشكل متقن، حيث بدأ خطاب «حياة في الإدارة» بالحديث عن حواره مع والده حيث اقترح عليه كتابة مذكراته، وذكر تاريخ هذا الحوار في صيف ١٩٦٨م – ١٣٨٦هـ، وقد أبدىٰ والده اعتراضه علىٰ ذلك، معتبرا إياها أسرارا أؤتمن عليها، وأن المذكرات الشخصية إذا خلت من تلك الأسرار ليس هناك مبرر لكتابتها. هذا الحوار قد بَنىٰ عليه الكاتب دوافع كتابته لسيرته الذاتية حيث قال: «**كانت وجهة نظر أبي تستحق الاحترام إلا أنها ككل وجهات النظر تقبل المناقشة... عندما بدأت أدنو من التين، وبدأت أخشىٰ أن تضعف الذاكرة وتبهت الألوان، رأيت أن الوقت قد حان للكتابة**»[٣٥] بعد أن وجد حلا لوجهة نظر والده في كتابة المذكرات الشخصية وخاصة أن والده من أصحاب المناصب الهامة في الدولة

التي تتطلب عدم إفشاء أسراها طيلة حياته، كان حل القصيبي متمثلا في «**من ناحية السر ككل شيء في هذه الحياة، عمر محدد بنهايته يموت السر، من ناحية أخرىٰ كاتب المذكرات قد يتعرض لأحداث يعرفها الناس جميعا ولكنه يعالجها من زاوية جديدة، برؤية من الداخل يمكن أن تشكل إضافة جديدة**»[٣٦] لعل هذه الطريقة التي اتبعها الكاتب في معالجة الأحداث متمثلة في معالجة الخبر من خلال: **تقنية أولىٰ وهي: انتقاء الأحداث** التي يمكن ذكرها في سيرته الذاتية ولا تمثل ضررا علىٰ المملكة أو إحراجها لها مع دول أخرىٰ حيث قال: «**لا أدعي أني قلت هنا الحقيقة كاملة، ولكني أرجو أن كل ما قلته، هنا، حقيقة**»[٣٧]. هذا الانتقاء بدأه الكاتب من أول جملة حيث تحدث عن علاقة الإنسان بالإدارة منذ الطفولة، حينما يبدأ حياته رسميا بورقة إدارية وهي شهادة الميلاد، ولا يستطيع أن ينهيها إلا بشهادة الوفاة حتىٰ وإن كان الإنسان لا يشعر بوجود هذه الورقة في الحالتين[٣٨].

التقنية الثانية في الخطاب هي: **الاختزال** حيث يقوم الكاتب باختصار فترة ما من حياته لا يود الحديث عنها، ربما لعدم امتلاكه معلومات عنها، أو لتجاهله المتعمد لما وقع فيها من أحداث، لانتقائه ما يود الإفصاح عنه ثم ينتقل لمرحلة تالية، حيث يقول الكاتب: «**تكاد السنوات الخمس الأولىٰ من حياتي تكون مطموسة في ضباب النسيان. لا أذكر شيئا ذا بال عن تلك الفترة**»[٣٩]، فقد اختصر خمسة أعوام من عمره في جملة واحدة، من خلال هذه التقنية استطاع الكاتب التنقل بين أحداث السيرة مختزلا فترات عمرية ووظيفية كثيرة من خلال وضع علامة النقطة (.) في نهاية الفقرة التي تمثل مرحلة عمرية ما وبداية فقرة جديدة، حيث قال: «**وفي المدرسة الابتدائية التقيت لأول مرة، بتجربة السلطة وبذلك الشعور اللذيذ الذي ينتاب صاحب السلطة**»[٤٠]، ثم

انتقل للحديث عن المرحلة الثانوية حيث لم يكن هناك مدارس إعدادية كان الطالب ينتقل مباشرة من الابتدائية إلىٰ الثانوية فقال: «**في المدرسة الثانوية لم يكن في البحرين سوىٰ مدرسة ثانوية واحدة، تغيرت الأمور، لم يعد هناك ضرب بالخيزرانة**»[٤١].

❋ استراتيجية الخبر في خطاب السيرة الذاتية:

لا يقدم خطاب السيرة الذاتية نص معلوماتي فحسب مقتبس من عالم خارجي ناتج من تجربة فرد ما وعلاقته بالمجتمع؛ بل هو إعادة اكتشاف الواقع الاجتماعي في سياق زمكاني من منظور مشاركة أبناء الجيل الواحد للظروف الاجتماعية لصاحب السيرة، فهو وثيقة اجتماعية تاريخية تحفظ ذاتية تجربة الكاتب وعلاقة مجتمعه به.

كما لا تنفصل البنية النصية للخطاب عن الوجهة المتداولة له، فتشارك ظروف إنتاج الخطاب في آليات قراءته وفهمه، ولكن ما يدفعنا للبحث الآن هو كيفية انتقال جملة ما في النص إلىٰ الخطاب المتداول بين المتلقين، بما تضمنه من معلوماتية تقدم خبرا جديدا يحمل دلالة مكثفة؛ هذا الانتقال لا يرجع إلىٰ مجرد التتابع الكمي للألفاظ فقط، بل إلىٰ استراتيجيات تخاطبية مكونة من بنيات تركيبية لها أنماط تجعلها متفاعلة مع جمهور المتلقين.

- **تصنيف الخبر:** قدم الكاتب في سيرته الذاتية «حياة في الإدارة» معلوماتٍ وأخبارًا وصفها بالحقيقية في مقدمة السيرة حينما قال: «**لا أدعي أني قلت هنا الحقيقة كاملة، ولكني أرجو أن كل ما قلته هنا، حقيقة**»[٤٢]، حيث برهنت علىٰ صدق سرده، فشكلت البؤرة المركزية في خطاب السيرة من مصدرها الأول وهو تقديم معلومات عن تجربة تطوير النظم الإدارية، وتناولت آراء الكاتب وغيره ممن شاركه التجربة ولازمه الرحلة، وانقسمت هذه الأخبار السردية في بنيتها إلىٰ أنواع بسيطة ومركبة

وواقعية وخيالية، في صورة متداخلة مع المتن الحكائي للسيرة، فكانت بمثابة اللبنة الأساسية التي كونت خطاب السيرة الذاتية، كما شكلت العنصر الأهم في تداول الخطاب بين المتلقين، وانقسمت هذه البينة إلىٰ عدت أنواع منها:

- **بنية الخبر البسيط:** يمثل الخبر السردي وحدة بنائية في خطاب السيرة الذاتية، وتقوم عليه الأحداث في واقع صاحب السيرة في زمان وفضاء محدد للحكاية، ويكون الخبر مبنيًا علىٰ وقائع حقيقية حدثت للكاتب، ويمكنه أيضا تخيل أحداث افتراضية مغايرة لما حدث واقعيا؛ لمقابلة خبرين أو حدثين؛ للتدليل علىٰ صحة ما قام به، كما لا ننكر حاجة السرد التاريخي لشيء من الخيال لاستدعاء الأحداث. ووصفنا له بالبسيط أي: الموجز في بنية الخبر التركيبية والمضمونية، وقد ورد الخبر قديما في التراث السردي العربي علىٰ ذكر السند المتداخل بين شخوص الخطاب، «فالأخبار هي العلم بالشيء وكيفية توصيله إلىٰ السامع، وللخبر معان متعددة، منها الوقائع والقول المروي»[٤٣]، يقول الكاتب: «**لماذا لم أقرر الاشتغال بالتجارة وهي عمل أسرتي عبْر عِدّة أجيال؟ الجواب، ببساطة، هو أنني خُلقت بلا مواهب تجارية. وكنت علىٰ إلمام تام بهذه الحقيقة**»[٤٤].

يوضح هذا النموذج الصورة التي يقع عليها الخبر في بنيته البسيطة تركيبيًا ونحويًا التي تتداخل مع المتن الحكائي للسيرة، ومن خلال هذه النماذج الحكائية البسيطة تبنىٰ السيرة الذاتية، خاصة علىٰ عنصر الاستفهام الذي يحمل بنية الخبر.

يقول الكاتب: «**تَركَت تلك الفترة في حياتي إداريًا آثارًا وبصمات لا تمحي في الجامعة كان هناك حدا أدنىٰ من الروتين كان التسجيل في بداية كل فصل دراسي يتم بسهولة ويسر، كان بإمكان الطالب أن ينسحب من أي مادة بعد التسجيل فيها وإلىٰ ما**

قبيل الامتحان النهائي كان من الممكن للطالب أن يطلب إعفاءه من حضور هذا الامتحان على أن يبقي وضعه معلقًا حتى يعيد أخذ المادة»[٤٥] هذا الخبر يقدم معلومة إدارية حيث انتقل السرد من الحديث عن الخبر إلى سرد الإجراء المتبع لتسجيل الطالب مقررا يدرسها، ونجد أن الفعل الحكائي قدم الخبر في صورة نتيجة للحدث (الآثار التي ترتبت عليه إداريا أثناء دراسته في الجامعة) في مسار متتالي النمو بداية من افتتاحية الخبر بالفعل **(تركت)** الذي يمثل الحافز لاستكمال تلقي الخبر من وضعية غامضة ثم تتحول إلى وضعية مألوفة، وهو ما يؤدي إلى استقرار الخبر في النهاية، حيث نرى في هذا الخبر بنيته البسيطة التي تنمو بعيدًا عن الحشو، ويحمل حدثًا مفردًا على مستوى الفعل؛ ليقدم خطابًا حول موقف محدد غير متشابك مع مواقف أخرى.

- **بنية الخبر المركب:** يتكون الخبر المركب من تراكم الأحداث والشخوص، ويتم ذلك من خلال البنية الإطنابية للخبر، وتعدد الأخبار البسيطة؛ فتتسع المساحة السردية وقد عرف «عبد الفتاح كليطو» الحكاية المركبة بقوله: «مجموعة من الأحداث التي تتوق إلى نهاية، أي أنها موجهة إلى غاية هذه الأفعال السردية تنتظم في إطار سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية في كل سلسة، يشدّ أفعالها رباط زمني ومنطقي»[٤٦].

يمكن تطبيق تقنية تفكيك الخبر المركب بعد قراءة هذا الخبر الموجود في الهامش(*)؛ ثم استخلاص الأخبار والمعلومات المتشابكة التي ذكرها الكاتب في أثناء حديثه عن فترة دراسته للماجستير، ومن ثَمَ تفكيكه إلى عدة أخبار بسيطة منها:

- النظام الجامعي الأمريكي لا يخلو من عقبات وتعنت روتيني مقصود.
- تعد موافقة الأستاذ المشرف على الرسالة بعد متابعتها فصلًا فصلًا بمثابة منح

الطالب الدرجة العلمية دون امتحان أو مناقشة علنية.

- المراسلات الكتابية لا تنهي الخلاف؛ لأنها تعد وثيقة مسجلة بآراء الأشخاص، فلا يمكن لأطرافها إلا تطبيق اللوائح؛ بعكس لقاء واحد قد ينهي عشرات الخلافات.
- لم تكن الاتصالات التليفونية منتشرة في الولايات المتحدة فترة دراسة القصيبي في مرحلة الماجستير.
- المدة المحددة لكتابة رسالة الماجستير فصلا دراسيا واحدا، وبسبب تعنت أحد الأساتذة المناقشين احتاج القصيبي إلىٰ ستة أشهر أخرىٰ لحل الخلاف.
- لم تفلح محالات إقناع الأستاذ المناقش، وانتهىٰ الخلاف بكتابة بعض الأوراق عن المنظمات الدولية وهو تخصص الأستاذ الذي أراد إقحامه في البحث.
- إصرار الأستاذ علىٰ إقحام ما يعرفه في فصول الرسالة دون النظر إلىٰ جدوىٰ ذلك يعد خصيصة بشرية.
- السلطة المطلقة التي يمارسها الأستاذ علىٰ الطالب عند كتابة الرسالة، تجعله يستخدمها بتعنت وتحكم مطلق، قد ينهي مصير الطالب أكاديميا علىٰ عكس تجرد وعدالة الأستاذ المفترضة.
- أحد الأساتذة المناقشين كان يصفي حسابات مع الأستاذ المشرف – رئيس القسم – ولم يكن سوىٰ بحث الطالب المسكين سوىٰ مخالب القط الشهير.

هكذا تحول خبر حصول القصيبي علىٰ درجة الماجستير إلىٰ بنية مركبة احتاجت إلىٰ قرابة أربع صفحات حتىٰ يذكرها، كما نوه علىٰ حاجة الخبر إلىٰ شرح

أكبر ولكن أرجأه إلىٰ حين الحديث عن مرحلة الدكتوراه.

هذا الخبر المركب جاء من خلال تقنية الانغلاق والانفتاح علىٰ مستوىٰ الأحداث كما اشتمل علىٰ عدة أحداث سواء متداخلة أو متسلسلة ضمن إطار منطقي، لكل منها وجود مستقل عن الآخر ومن ثم دمجها في خبر واحد، ومن خلال تفكيك هذه الأخبار المركبة إلىٰ سلسلة من الأخبار البسيطة تشكلت بنية السيرة في بناء متماسك، معتمدة علىٰ استغلال راوي الحكاية للممكنات الإخبارية لعدة أخبار تتفق في البداية وتختلف في النهاية، كما نجد إطناب السرد يوضح مراحل تسلسل البنية الحكاية، التي تقوم علىٰ مراحل ثلاث هي: الاحتمال والتحقيق والنتيجة علىٰ النحو التالي[٤٧]:

- «**الاحتمال:** وهو احتمالية فتح سيرورة الخبر أو عدم فتحها (احتمال موافقة الأستاذ المناقش علىٰ الرسالة دون إضافة فصل عن دور المنظمات الدولية؛ لعدم جدواه في موضوع البحث).
- **التحقيق:** يرتبط بالوظيفة الأولىٰ للاحتمال بحيث يتحقق فيها التحقيق والاحتمال (تعدد مراسلات الطالب لأستاذه المشرف يحثه علىٰ القيام بدور وإقناع الأستاذ المناقش ولكنه اكتفىٰ بعدم مقدرته علىٰ إجبار المناقش علىٰ قبول الأمر).
- **النتيجة:** وهي نهاية السيرورة الحكائية للوصول إلىٰ المقصود (كتابة عدة صفحات عن المنظمات الدولية) مع مراعاة خصوصية بنية الخبر في النص العربي الذي يقوم علىٰ وظائف أربع هي: الإثارة – الخرق – الكشف – الخلاص».

يختلف بناء الخبر المركب عن البسيط في طريقة نمو الحدث إذ يعتمد في الخبر البسيط علىٰ الخبر المفرد، كما يختلف في تعدد الشخصيات، وبالتالي تشابك

الأصوات المشكلة لبنية الحدث، ويمكن للشكل التالي[٤٨] أن يميز الاختلاف بين الخبر البسيط والمركب في عناصر الحكاية:

	الخبر/ المكونات	الخبر	الحكاية
١	**الشكل**	شكل بسيط.	شكل مركب.
٢	**الزمن**	وحدة الزمن.	تعدد الأزمنة.
٣	**الحدث**	وحدة الحدث وبساطته، التركيز على الحدث المركزي.	تنوع الأحداث وتشعبها نسبيا التركيز على الجزئيات.
٤	**الفضاء**	وحدة الفضاء أو غيابه، غياب وصف الفضاء وتسميته.	حضور الفضاء وتنوعه دون التركيز على وصف ملامحه.
٥	**الشخصية**	ندرة الشخصيات وقلتها.	تعدد الشخصيات نسبيا وتنوعها.
٦	**الصيغة السردية**	وحدة الخطاب السردي وهيمنة الخطاب المسرود.	تنوع الخطابات والصيغ السردية بين المسرود والمعروض.

- **أنماط الخبر:** أسهمت بنية خطاب السيرة الذاتية التركيبية (البسيطة والمركبة) في تكوين مضمون الخبر (الواقعية والتخيلية)، وعلاقة الخطاب بمتلقيه ومدى فاعليتها التداولية، لتؤدي وظائف الخطاب المتعددة من تبليغية وإقناعية حجاجية، وذلك من خلال تنقل القصيبي من خلال سرد سيرته الذاتية بمختلف أنواع ووظائف الأساليب الحكائية.

- **الخبر الواقعي:** تتشكل مادة الخبر الواقعي في خطاب السيرة من أحداث واقعية حدثت للكاتب في معظمها بوصفها خطابًا تاريخيًا عن حياة فرد ما، إلا أنه في بعض الأحيان يلجأ إلى الخطاب الخيالي، ليبني عليه حجج منطقية تدلل على رأيه،

فالأخبار الواقعية تروىٰ في غياب سارد تخيلي، فيتولىٰ كاتب السيرة مهمة الراوي الذي وقعت له الأحداث بالفعل، كما يؤكد ذلك تطابق السارد بضمير المتكلم وهو الشخصية الرئيسية، مع صاحب السيرة الذاتية، فيؤدي إلىٰ الإحساس بذاتية الحدث وواقعيته، ومن ثم ينتفي التستر خلف الضمائر الغائبة، واحتمالات الدلالة، مثلما ذكر الكاتب عن مرحلة حصوله علىٰ الماجستير، حيث ذكر طريقة تواصله مع أستاذه المشرف عن طريق المراسلات لعدم انتشار المكالمات التليفونية في هذه الفترة الزمنية، كما ذكر طريقة تعامل أستاذيه المناقشين وإن دلت علىٰ تناقض بينهما.

- **الخبر التخيلي:** وهو ما يحدث خارج تجربة الكاتب وخرج علىٰ المألوف في خطاب السيرة، ويمكن أن يتحقق في الواقع في وجود أسباب منطقية تبرر حدوثه، ويأتي هذا الخبر في هيئة استعارية وتشبيهية وكنائية، لتخرق خط الألفة لخطاب السيرة، ويتجاوز حدود التجربة ويفوقها، كما ورد في الخبر السابق المذكور في بنية الخبر المركب (مرحلة دراسة الماجستير) حيث استدعىٰ الكاتب حكاية «**مخالب القط**» الشهيرة ليدلل علىٰ الفخ الذي وقع فيه بين أستاذه المشرف وأستاذه المناقش وتصفية الحسابات بينهما عن طريقه.

- **وظائف الخبر التداولية:** مَثل كتاب «حياة في الإدارة» خطابًا حيًا يتمتع بسيرورة الدلالة، فلم يتوقف تأويله عند موت صاحبه ﷺ وذلك حسب شيئين مهمين هما: منزلة صاحب السيرة بين مجتمعه، وأهمية تجربته الذاتية، وفنية تركيب الخطاب الذي تناول هذه السيرة بصورة تجعلنا نعيد إنتاجه بطريقة مغايرة دلاليا عن ظروف إنشائه والسياق الاجتماعي الذي نشر فيه، ويرجع ذلك إلىٰ الوقائع التاريخية التي تناولتها، وما تحمله من وثيقة للتاريخ، وبوصفنا علىٰ درجة وعي مغاير لتلك

الأحداث بعد مرور سنوات جعلت جملة من الحقائق تتكشف للعيان، وبذلك تنتفي حالة التطابق التام بين دلالة السيرة زمن إنتاجها ودلالتها زمن التلقي.

كما تشكل الخطاب الإعلامي في سيرة «حياة في الإدارة» من خلال نسق تفاعلي مركب من العلامات اللغوية الناتجة من التركيب الداخلي لنص السيرة، وغير اللغوية المستمدة من الظهور الإعلامي للكاتب في الوسائط الإعلامية المختلفة، وشارك في ذلك الخطاب الإشهاري الذي شنه منتقدو القصيبي سياسيًا وإداريًا، حينها أسهمت الدعاية المضادة للكتاب وما سبقه من مؤلفات في الشحن الأيديولوجي لتلقي السيرة بترقب وشغف، حتىٰ طبعت السيرة عدة مرات لتغطي المساحة الواسعة لتطلع القراء، كل ذلك ساهم في تحويل السيرة إلىٰ نسق ثقافي تفاعلي متشابك من حيث اختلاف نوعية اهتمام القراء بخطاب السيرة، ومحاولة تصنيفها حسب مهام الكاتب المهنية؛ إداريًا وسياسيًا واقتصاديًا وشخصيًا لحياة القصيبي الخاصة، حيث قامت هيئة تحرير «**مجلة المبتعث**» الصادرة من الملحقية الثقافية السعودية في واشنطن بإصدار عدد خاص عن القصيبي يحمل رقم: (١٩١، رجب/ شعبان ١٤٣١هـ، يونية/ يوليو ٢٠١٠م) بعنوان: «**غازي القصيبي ومعاركه الفكرية**»، واستهلتها بكلمة رئيس الملحقية الثقافية السعودية بالولايات المتحدة الأمريكية، محمد عبد الله العيسىٰ، بعنوان «لك يا غازي»، ثم جاءت مقالات العدد بعناوين: «**غازي القصيبي ومعاركه الفكرية في الأدب، غازي القصيبي الظاهرة، لمحات إنسانية وأوائل خاصة بهذا الإنسان الأديب المبدع والإداري الفذ**» لولا القيمة المجتمعية الكبيرة لخطاب غازي القصيبي لما شارك هؤلاء الكتاب في هذا العدد تكريمًا واعترافًا بمسيرة القصيبي، وتفاعلاً مع خطابه الأدبي والإبداعي، الذي وصفه محمد عبد الله العيسىٰ: بإهداء العدد «**لقمة من**

القمم الأدبية الشامخة ولرائد من روادها الكبار الذين أثروا الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا وقدموا لها الكثير مما يضيف إلىٰ تراثها الأدبي والفكري ومما يفتح الآفاق أمام لغة الوعي والتنوير لكي تقوم بدورها في تنمية وتطوير الشخصية السعودية والإنسان السعودي والعربي بشكل عام. هذا الرجل المتعدد المواهب والمسؤول صاحب المسؤوليات الجسام التي يتحملها راضيا عن قناعة واهبا نفسه لها حبا لوطنه الذي وصفه بالمجد وإخلاصا للمهمة التي كلف بها من قبل أولي الأمر وتلبية لمطالب أبنائه ومواطنيه وتحقيق أمنياتهم في التطور والرخاء»[٤٩].

أ- الوظيفة الإبلاغية لخطاب القصيبي:

أسهمت أبعاد السيرة التداولية في التواصل بين الكاتب والمتلقي، علىٰ مستوىٰ التأثير والمقام، فالمتلقي لا يقل أهمية عن الكاتب في انفتاح الخطاب ومشاركة فعالياته، دون إغفال لدور الكاتب في «إنشاء الخطاب وانفتاحه، غير أن السامع هو من يُنشأ له هذا الخطاب ويوجه إليه كما أنه يشارك مشاركة فعالة في إنتاجه ولو لم تكن مباشرة، ولذلك فإن المتكلم حين يراعي مقام الخطاب وأحوال السامع وأشكال إلقاء الخبر إليه وأنماط الطلب التي ينشئها وما إلىٰ ذلك من ظروف الحديث المتنوعة، فهو إنما يستحضر السامع في كل عملية إبلاغية»[٥٠] والمتأمل للقول السابق يجد عناصر التداولية من تخاطب وتأثير، وإبلاغ وإقناع، للرسالة التي يحملها الخطاب.

يحمل كل نص مكتوب في بنيته المضمونية وظيفة الإخبار والتبليغ، بعد انحصار الشفاهية؛ فقديمًا تولىٰ الرواة مهمة حفظ الأخبار والأنساب حيث كانوا يتناقلون الأخبار والأشعار والأساطير، وكانت عملية النقل تتم عن طريق العنعنة والإسناد، وقد اختص علماء أفذاذ بفحص وتنقيح تلك المواد المسرودة وبيان صحيحها من

زيفها، فيما عرف بعد ذلك بعلم الجرح والتعديل؛ لمعرفة درجة الرجال الثقات وأخذ أحاديث رسول الله ﷺ عنهم، ولكن في العصر الحديث تولىٰ الأشخاص كتابة سيرهم الذاتية بأنفسهم، من خلال:

- **الخاصية الانتقائية:**

قام الكاتب بانتقاء مواقف محددة يمكن سردها، وأخرىٰ يمكن إغفالها، وهذه الخاصية مغايرة عن المرحلة الأولىٰ لشفاهية السيرة الذاتية قديمًا كانت تتم عَبْر الرواة، ومثال ذلك حينما تحدث الكاتب عن تعيينه معيدًا في كلية التجارة بعد حصوله علىٰ الماجستير: «**في كلية التجارة التقيت بعميدها الأستاذ حسين محمد السيد استقبلني بترحاب شديد وأبدىٰ أسفه لأنه لا يستطيع تكليفي بتدريس أي مادة؛ لأن السنة الدراسية قد بدأت قبل وصولي بفترة طويلة، وقلت له إنني أتفهم الوضع. ثم أبدىٰ أسفه مرة أخرىٰ لأن المكان صغير والمكاتب مكتظة ويصعب تدبير مكتب لي في الوقت الحاضر (لم يكن يتكلم عن غرفة كان يتحدث عن طاولة!) قلت له إني أقدر الظروف وسوف أداوم في المكتبة وأقضي وقتي في القراءة. أذكر هذا كله للعظة والعبرة أود أن يعرف القراء الذين لم يسمعوا بي إلا مسئولًا كبيرًا أني بدأت حياتي العملية بدون مكتب وبدون طاولة؛ إن عجبي لا ينتهي من أولئك الموظفين الذين يصرون علىٰ مكتب فخم في يومهم الأول، وأولئك الموظفين يقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا رأوا أن المكتب لا يتناسب وما يتصورونه لأنفسهم من مكانة. إنني أفخر بالفترة الطويلة التي قضيتها بلا طاولة وأفخر أكثر بأنني لم أضيع دقيقة واحدة من الدوام: كنت في المكتبة من الثامنة صباحًا إلىٰ الثانية ظهرًا من كل يوم... بعد شهور جاءت الطاولة وجاءت معها مهمة محددة: لصق صور الطلاب علىٰ استمارات الامتحان أي والله! بدأت حياتي**

العملية بلصق الصور، قمت بالعمل عن طيبة خاطر، يومًا بعد يومًا حتىٰ رقيت وكلفت بمراقبة الطلبة أثناء الامتحانات»[٥١] بالتأكيد اختار الكاتب هذه الواقعة ليقدم لنا التطبيق العملي علىٰ قبول الإنسان الفرص الصغيرة ومن ثم التدرج في السلم، فلم يكن كمن يكلمنا من برج عالٍ ويقدم نصائح عما يجب ولا يجب.

- **الخاصية الاعترافية:**

المتأمل في خطاب سيرة حياة في الإدارة يجد ذات الكاتب حاضرة من خلال استخدام ضمائر المتكلم في مقابل ضمائر المخاطب لتصوير ملحمة الأنا مع الآخر، لتخطي الصعاب وقهر العقبات، ولا يمكننا حصر خطاب الاعتراف في السيرة الذاتية موضع الدراسة بل يتعدىٰ الأمر إلىٰ أبعد من ذلك ليشمل المذكرات أو اليوميات، لأنها تقنية سردية في الأساس قبل أن تكون قالب أدبي يحمل خبرًا تريد الذات الاعتراف به أمام الآخر، أشهرها الخطاب الشعري، وهي المقاصد المعلنة والخفية الكامنة وراء التشكيل التركيبي لبنية الخطاب التي تحدثت عنها في بداية البحث عن ذاتية التجربة وفردية الخطاب.

ب- الوظيفية الإعلامية:

تتحقق هذه الوظيفة كلما اتحد المتحدث والخطاب في اسم العلم أو الضمير المتكلم في مقابل للمتلقي، من خلال ذكر اسم صاحب السيرة الذاتية علىٰ الغلاف أو في الصفحة الأولىٰ، أو ذكر اسم صاحب السيرة بعد الانتهاء من مقدمة السيرة الذاتية، ويفيد ذلك في توظيف الخطاب ليؤدي صورة الإقرار بصحة ما يقدمه من معلومات علىٰ مسؤولية صاحب السيرة، وكأنه ذيل بعبارة **(أقر أنا الموقع أدناه)** وأضاف توقيعه الشخصي، ويفيد ذلك في التأكيد التام علىٰ وجود صاحب السيرة، وأنه شخصية

إعلامية حقيقية الوجود، ولا ينبغي علينا أن نغفل دور الإعلام كعنصر من عناصر تشكيل وعي المجتمع، وتأكيد هويته الوطنية، وخاصة أنه نابع من شخصية سياسية قضت عمرها في مناصب إدارية في المملكة، ومثلت بلدها كسفير له بالخارج، وتقر بوعيها التام بأهمية التصريحات التي تخرج عنها لوسائل الإعلام التي تعيد قراءتها، وتأويلها؛ لتخرج بأكبر كم من المعلومات.

ولم يكن الخطاب الإعلامي بمعزل عن تطوير صوره وأدواته، التي تتنوع لتشمل وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، والمسموعة، فقد أصبح العالم قرية صغيرة حولت العولمة وجود الإنسان إلىٰ كائن تواصلي إعلامي تقني، مرهون تواجده بالإبانة عن نفسه والتواصل مع ذويه، علىٰ حد وصف نبيل علي[٥٢] «ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافة والتكنولوجيا، وثقافة الوسائط المتعددة، وكما لقب «أرسطو» بالمعلم الأول حاز «ولت ديزني» لقب المعلم الأعظم بعد أن باتت الثقافة إعلامها وترفيهها تصنيعًا لا تنظيرًا» والخطاب الإعلامي في سيرة القصيبي يتشكل من رصيد لغوي إخباري حاول الكاتب نشره في إطار اجتماعي ثقافي، استمد قدرته التداولية من قدرة الكاتب التأثيرية لما يحظىٰ به من رؤية مستقبلية ومرتكزات ثقافية وإدارية استمدها الكاتب من رصيد خبراته المتنوع.

ج- الوظيفة الإقناعية الحجاجية:

تقوم الوظيفة التواصلية للخطاب بين المرسل والمتلقي، علىٰ إقامة عملية التخاطب بين طرفي العملية التواصلية، ويؤدي ذلك إلىٰ إيصال مضمون الرسالة وإقامة الحجاج لملفوظ الخطاب الناتج من المعلومات التي حملها بين طياته التركيبية (فونيمات ومورفيمات)؛ فتوجه الخطاب نحو إقناع المتلقي وحمله إلىٰ

توجه حجاجي(*)، وتحتاج الوظيفة الإقناعية الحجاجية إلىٰ مثلث تركيبي مكون من القول (ق)، والحجة (ج)، والنتيجة (ن)، كما في الشكل التالي:

ويتضح من الشكل السابق أن كل قول هو في الأساس موجه لمتلقي ما ويحمل حجة إقناعية يريد تبليغها للمتلقي، ومقتنعا بها، وعلىٰ استعداد لإقامة الحجة والدليل، للوصول إلىٰ النتيجة الخطابية، دون التباس تعدد المعنىٰ ولذلك يستخدم الكاتب ألفاظا صريحة الدلالة، حتىٰ يتمكن المتلقي من استيعاب الرسالة المراد إيصالها.

يقول الكاتب بعد قضائه فصل الصيف في مكتبات بيروت يحضر لتدريسه في الجامعة مادة الإدارة العامة: «**انتهىٰ الصيف وعدت إلىٰ الرياض وبدلاً من أن أبدأ التدريس وجدت أن عليَّ أن أسافر إلىٰ اليمن خلال ثلاثة أيام إلىٰ اليمن؟! ماذا حدث ولماذا أنا؟! حدث أن الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر رحمهما الله، وقعا اتفاقية في جدة لإنهاء الحرب الأهلية في اليمن، ونصت الاتفاقية علىٰ إنشاء لجنة سلام تشرف علىٰ تطبيق بنودها، وتتكون من جانب سعودي وجانب مصري ويتولىٰ رئاسة كل جانب مسئول كبير وقع الاختيار في المملكة علىٰ الأستاذ عبدالله السديري وكان وقتها وكيل وزارة الداخلية لشئون البلديات ليرأس الجانب السعودي، وبحث الأستاذ عبدالله عن مساعد إداري وعن مستشار قانوني ينضمان إليه في اللجنة التي كانت مكونة في مجملها من العسكريين ولم يطل البحث اقترح الصديق عمران محمد العمران، وكان وقتها يعمل في وزارة الزراعة والمياه ليكون المساعد الإداري واقترح أن أكون أنا**

المستشار القانوني. وافق الأستاذ عبد الله ورفعت الترشيحات إلىٰ الملك فيصل ﷺ وجاء الأمر بالموافقة لم أكن أعلم شيئًا عن هذا كله حتىٰ عدت إلىٰ الرياض. كان أول ما فعلته هو أني ذهبت إلىٰ الدكتور عبد العزيز الخويطر لأبلغه أني لا أريد أن أذهب إلىٰ اليمن. أطرق الدكتور عبد العزيز وقال: «صدر أمر الملك ولا نستطيع تغييره» قلت: «وماذا أعمل إذن؟»... مع عمران كان لقاء عاصف عاتب. قلت له: «كيف تسمح لنفسك بإرسالي في مهمة كهذه دون أن تستشيرني؟ متىٰ أصبحت وصيًا علي؟» قال بهدوء: «أنا أعرف بمصلحتك منك» قلت: «ماذا تقصد؟» قال: «هذه فرصة نادرة قد لا تتكرر أبدًا» قلت ثائراً: «العمل في بلاد تمزقها الحروب والقلاقل وفي ظروف تعرض حياة المرء للخطر فرصة نادرة؟» قال: «لا تنظر إلىٰ الموضوع من هذه الزاوية» قلت: «كيف تريد أن أنظر إليه؟» قال: «أنت مدرس مساعد موظف صغير مغمور لا يعرفه أحد. بسبب هذه المهمة سوف تتعرف علىٰ كبار المسئولين وسوف تفتح أمامك آفاق أكبر. هناك احتمالات مثيرة ومن يدري فقد تكتب رسالة الدكتوراه عن اليمن ولا تنس الانتداب!» حسنًا كل ما تنبأ به عمران، وهو يحاول إقناعي حدث، المهمة ماذا عن الانتداب؟ في نهاية المهمة وجدت مبلغ خمسة وعشرين ألف ريال في انتظاري كان المبلغ بمقاييس ما قبل الطفرة هائلاً»[٥٣].

تتكون الوظيفة الإقناعية في العملية التخاطبية في النص السابق من حيث اهتمام الكاتب بذكر الحجج والبراهين التي أقنعته علىٰ قبول سفره لليمن وأقنعت المتلقي الذي يتطلع إلىٰ ترقي سلمه الوظيفي، وذلك باستدعائه السياق الملائم للحدث ففند حججه لصديقه بأن اليمن منطقة حرب وصراع وهي الصيغة الضعيفة التي دحضها صديقه بأن اللجنة دورها مراقبة تنفيذ بنود الاتفاق، وعدد له المكاسب التي سيحصل

عليها في نهاية رحلته، وبالفعل يذكر الكاتب في هامش الخبر أنه التقىٰ بكبار المسؤولين ومنهم الأمير سلمان بن عبد العزيز - خادم الحرمين الشريفين حاليا جلالة الملك - الذي تنبأ للكاتب بأنه سيصبح وزيرا ذات يوم[٥٤].

د- الوظيفة التواصلية الاجتماعية:

تبرز أهمية كتاب «حياة في الإدارة» حينما قدم إلىٰ متلقين فبين قيمته عبر تلقيه وتداوله، ووضح أثره النفسي والمادي ليس عن طريق تتابع تركيب الخطاب فحسب؛ إنما عبر بيان أثره علىٰ الجمهور؛ من خلال العلاقة بين زمن الكتابة وزمن التلقي والمناسبة الاجتماعية التي يستدعىٰ الخطاب علىٰ إثرها، وهذا ما قدم له «هاليداي» و«رقية حسن» في كتابهما «الاتساق في الإنجليزية» حول النص وعلاقته بالانسجام، فيما يعتبران النص وحدة دلالية أي أنه ليس وحدة شكل تركيبي، بل وحدة معنىٰ تؤدي دلالة، وعليه فالنص لا يتعلق بتركيب الجمل وعلاقتها بالتماسك النصي، بل «نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسطة بالقول: إنه اللغة الوظيفية، ونعني بالوظيفية اللغة التي تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات، والنص أساسًا وحدة دلالية»[٥٥]، «فالنص يتمثل في علامات محددة، تختلف عن الأبنية القائمة خارج النص، مما يعني أنه يحقق وظيفة ثقافية محددة، وينقل دلالتها الكاملة من خلال:

- «**المشروعية الاجتماعية:** النص بوصفه تجليا لفعل اجتماعي مسؤول يثبت مشروعيته من خلال شروط اجتماعية مميزة.

- **الوظيفة التواصلية:** النص بوصفه وحدة ينظم فيها تواصل لغوي، وهنا يسأل عن دلالية النص، وعن ارتباطه بالموقف، وعن مقصدهم، وهذا يعني بالنظر إلىٰ المضمون تعالج جواني ثلاثة علىٰ الأقل وهم:

- **الدلالية:** النص بوصفه شكلا لانعكاس الوقائع والعلاقات بين الوقائع
- **الارتباط بالموقف:** النص بوصفه صورة ناقلة لسمات مميزة لموقف تواصلي.
- **المقصدية:** النص بوصفه شكلا لتحقيق مقاصد الإبلاغ والتأثير»[٥٦].

إن قلم القصيبي قد حرك خلفه جيشا من المفكرين والأدباء والسياسيين، ليشتبكوا مع فكره إما إعجابًا أو نقدًاوفي تلك الحالتين فائدة للمجتمع العربي، وتحريكًا لمياهه الراكدة، بالطبع من حق المتلقي أن ينجذب إلي أي منهما، أو يختار لنفسه طريقا ثالثا، وما يهمنا هنا أن نؤكد علىٰ مدىٰ إتقان خطاب القصيبي التعبير عن ذاته ومن ثم مشاركة المتلقيين له الخبرات التي اكتسبوها من خلال الحراك الفكري معه وهي من أهم وظائف النص التواصلية والتأثيرية، وليس أدل علىٰ ذلك أنه توفي ﷺ قبل قرابة عقد من الزمان، وما زال إلىٰ الآن تتحرك الأقلام ويسكب الحبر في محاولة لمجاراة فكر القصيبي المهني والسياسي والأدبي، ويمكننا الاستدلال أكثر إذا أدركنا أن الجمهور لا يتفاعل إلا مع نصوص لها خصائص معينة تدفعه إلىٰ محاولة استنطاقها، كما أن اختيار وزارة التربية والتعليم السعودية هذا الكتاب ليدرس للمرحلة الثانوية، وهي مرحلة بلا شك يتشكل فيها شخصية الطالب، أدعىٰ إلىٰ إمعان النظر مرات ومرات فيه.

***

الخاتمة

جاءت سيرة القصيبي الذاتية «حياة في الإدارة» في قالب نثري منتظم في فضاء زمكاني عَبّر عن وجوده الخاص، كما حملت السيرة بين طياتها الغاية الأولىٰ في الحديث عن النفس، واشتملت علىٰ بعدين، الأول: معلوماتي تمثل في حديث الكاتب عن حياته الشخصية التي تقبل التوثيق التاريخي وهي تختلف من راوٍ لآخر طبقا لمعايشة الذات للأحداث، والبعد الثاني: هو الصيغة الأدبية التي تشكلت منها السيرة وحملت بين طياتها أبعادًا إبلاغية وإقناعية وحجاجية، ويمكن تلخيص أبرز النتائج في الآتي:

– استخدم الكاتب اللغة الشعرية في إطار شعوري مشحونا بالدلالات والطاقات الهائلة الناتجة من تنوع تجاربه المهنية؛ وإمكانية مشاركتها للناس وليس متخصصي الإدارة فحسب؛ حيث تختلف السير الذاتية باختلاف متلقوها من حيث الفردية الذاتية أو الجماعية المشتركة، وقد برع القصيبي في تحويل كل ما هو ذاتي إلىٰ جماعي نتيجة عملية التداول وإمكانية تكرار أحداثها.

– يمكن لخطاب السيرة الذاتية أن يتداخل مع أنواع أخرىٰ من الأنواع الأدبية بوصفه خطابًا مفتوحًا يشترك في صفة السرد الحكائي في إطار زمكاني لصنع حدث ما، من خلال توقف راوي السيرة ليحكي عن موقف ما قد يقصر هذا الحكي فيصبح قصة قصيرة أو يطول إلىٰ حد الرواية القصيرة أو ما يعرف بـ.Novela

– تنوعت غايات سيرة القصيبي حسب بنائها الموضوعي إلىٰ أصناف متداخله، فنجدها في بعض مشاهد السرد تحمل الصفة الإخبارية المحضة، أو الصفة الحجاجية

التعليلية، أو الصفة الروحية التي تمثل الصراع الداخلي النفسي لصاحب السيرة، أو صفة المغامرات التي تبرز دور الكاتب في صنع واقع مغاير يحمل بصماته الشخصية ويحقق ذاته.

– قدم خطاب حياة في الإدارة وثيقة شخصية بإقرار صاحبها بتجاربه الذاتية وأبعادها النفسي، والدوافع التي حركته، من خلال اتحاد راوي الأحداث مع صاحب السيرة في ضمير المتكلم فوظف الخطاب نحو صفة الإقرار بصحة ما يقدمه من أحداث وكأنه ذيل بعبارة «أقر أنا الموقع أدناه».

– تتضافر سيرة القصيبي لتشكل بنًاء رأسيًا يتكون من وحدات موضوعية تسهم في البناء التركيبي والتي بدورها تنقسم إلىٰ فقرات نصية تحكمها الروابط المنطقية التي تجعلها مترابطة ومتناسقة وأيضا قابلة للتجزئة إلىٰ جمل كبرىٰ وصغرىٰ؛ من خلال حديث الكاتب عن الإدارة بطريقة متفرقة في أرجاء السيرة، مقدمًا عليها تبريرات منطقية وشواهد قصصية لتأكيد رأيه، وتوضح خلاصة خبرته المهنية؛ فكانت هذه المقاطع السردية بمثابة الرباط الموضوعي للخطاب.

– راعىٰ الكاتب أهمية السياق في بيان مضامين الخطاب حيث اعتمد علىٰ الكفاءة اللغوية لاستخدام تقنية التتابع اللفظي؛ ومن ثم مهد الطريق أمام تسلسل الأفكار والمعلومات التي حملها الخطاب، وبذلك استفاد من دور السياق في بيان المعنىٰ وترجيح أي الدلات أنسب، مما أعانه علىٰ اختزال وحذف الموضوعات غير الضرورية أو التي لا يود الإفصاح عنها.

– استثمر الكاتب عنصر الزمن بصورة متقنة، حيث بدأ خطاب «حياة في الإدارة» بالحديث عن حواره مع والده حيث اقترح عليه كتابة مذكراته، وذكر تاريخ هذا

الحوار في صيف ١٩٦٨م-١٣٨٦هـ، فلا تخلو سيرة ذاتية من سرد أحداث واقعية تمثل القيمة المعرفية للخطاب، والتي بدورها تحتاج إلىٰ زمن تقع فيه، ثم يكتبها المؤلف معتمدا علىٰ تتابعها الزمني والمنطقي، ومن ثم يقرأها المتلقي وفق طاقتها التأويلية.

- يمكننا تلمس سرد الصدق في سيرة القصيبي من خلال حسن استخدام التتابع الكمي للألفاظ، والتتابع الزمني لسرد الأحداث، واستدعاء الأشخاص الذين يشكلون البؤرة المركزية، والانتقاء المنطقي للموضوعات واختزالها مراعاة للسياق العام؛ ومن ثم انسجام خطاب السيرة الذي أعان الكاتب علىٰ تشكيل بنية الخبر التي تضمنت الجانب المعلوماتي بدلالته المكثفة؛ وبذلك برهنت علىٰ صدق السرد.

- تنوعت الأخبار الواردة في خطاب السيرة إلىٰ بسيطة ومركبة في بنيتها التركيبية والمضمونية، بداية من مسارها متتالي النمو الذي يمثل الحافز لاستكمال تلقي الخبر من وضعية غامضة إلىٰ مألوفة، بعيدًا عن الحشو والتشابك مع أخبار أخرىٰ.

- أسهمت بنية خطاب السيرة الذاتية التركيبية (البسيطة والمركبة) في تكوين مضمون الخبر (الواقعية والتخيلية)، وعلاقة الخطاب بمتلقيه ومدىٰ فاعليتها التداولية، لتؤدي وظائف الخطاب المتعددة.

- تنوعت وظائف خطاب القصيبي التداولية حيث مثل خطابًا حيًا يتمتع بسيرورة الدلالة، فلم يتوقف تأويله عند موت صاحبه ﷺ وذلك حسب شيئين مهمين هما: مكانة صاحب السيرة بين مجتمعه، وأهمية تجربته الذاتية، وفنية تركيب الخطاب.

- أسهمت الوظيفة الإبلاغية لخطاب حياة في الإدارة في التواصل بين الكاتب

والمتلقي، علىٰ مستوىٰ التأثير والمقام، في بنيته المضمونية التي تقدم خاصية الإخبار والتبليغ.

– قامت الوظيفة الإقناعية الحجاجية للخطاب بين المرسل والمتلقي، علىٰ إقامة عملية التخاطب بين طرفي العملية التواصلية، التي تؤدي إلىٰ إيصال مضمون الرسالة وإقامة الحجاج لإقناع المتلقي وحمله إلىٰ توجه حجاجي يريد الكاتب إيصاله.

– تبرز أهمية سيرة القصيبي التواصلية حينما قدمت إلىٰ متلقين تداولوها، وتفاعلوا معها إما إعجابا أو نقدا، فأوضحت الأثر النفسي للخطاب، وبينت وظيفته التواصلية، من خلال المشروعية الاجتماعية للخطاب التي حركت المتفاعلين مع النص، مما أفادت الحراك الثقافي للمجتمع العربي ككل، في محاولة منه لفهم تجربة الكاتب والإفادة منها أدبيا ومهنيا وسياسيا.

***

الهوامش والتعليقات

(١) السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ببليوجرافيا، عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري.

(٢) حياة في الإدارة، غازي القصيبي.

(٣) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، (غازي بن عبد الرحمن القصيبي).

(٤) السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة: يمنىٰ العيد، مجلة فصول، مج١٥، ع٤.

(٥) السيرة الذاتية المتشظية قراءة في حاطب ليل ضجر لعبد العزيز التويجري: صالح بن معيض الغامدي مجلة الدراسات العربية، ع١٨، مج١.

(٦) الصدق في السيرة الذاتية عند الأدباء في سورية: فاطمة محبك، ع٩.

(٧) التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث: «حياة في الإدارة» لغازي القصيبي نموذجا: منصور بن عبد الرحمن المهوس، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، مج١٧، ج٦٥-٦٦.

(٨) تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ط٣، (ص١٧).

(٩) السيرة الذاتية الشعرية، محمد صابر عبيد، (ص١٣٥).

(١٠) تمظهرات التشكيل السير ذاتي (قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية)، محمد صابر عبيد، (ص١٣٥).

(١١) فن السيرة، إحسان عباس، (ص٩٨).

(١٢) نفسه، (ص١١٤-١٢٧).

(*) هناك معايير ثلاثة تحكم هذا النوع من السير وهي: «١- صدق واضع السيرة في إيراد الحقائق والوقائع كما حدثت، ٢- مدىٰ تأثير التحيزات الشخصية والنفسية لواضع السيرة علىٰ انتقاء بعض الوقائع وإخفاء بعضها، ٣- تأويل واضع السيرة لهذه الوقائع في حال ثبوتها ومطابقتها للحقيقة». انظر: السيرة الذاتية ومعايير الثقة «التاريخ الذي أحمله علىٰ ظهري نموذجاً»، علي فهمي: مجلة الفكر والفن المعاصر، ع ١٦٢، مايو ١٩٩٦م، (ص١٦٢-١٦٣).

(١٣) حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (ص٧).

(١٤) نفسه، (ص٥٢).

(١٥) انظر: اللغة والإبداع الأدبي، (ص٣٣)، علم لغة النص نحو آفاق جديدة، سعيد حسن بحيري، (ص١٤٠).

(١٦) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبدالقادر قنيني، (ص١٩٠).

(١٧) الجملة المركبة في اللغة العربية، أحمد المتوكل، (ص١٦).

(١٨) حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (ص١٩).

(١٩) نفسه، (ص٢٨).

(٢٠) نفسه، (ص٤٨).

(٢١) نفسه، (ص٩٧).

(٢٢) نفسه، (ص١٢٠).

(٢٣) نفسه، (ص١٢٣).

(٢٤) نفسه، (ص١٣٠).

(٢٥) نفسه، (ص١٤١).

(٢٦) نفسه، (ص١٤٧).

(٢٧) نفسه، (ص٢٢٧).

(٢٨) نفسه، (ص٢٥٠).

(٢٩) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، (ص١٠٥-١٠٦).

(٣٠) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، (ص٤٨).

(٣١) حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (ص١٤٧).

(٣٢) نفسه، (ص١٤٧).

(٣٣) نفسه، (ص٢٨).

(٣٤) نفسه، (ص١٤٧).

(٣٥) نفسه، (ص٧).

(٣٦) نفسه، (ص٧)،

(٣٧) نفسه، (ص٧).

(٣٨) نفسه، (ص١١).

(٣٩) نفسه، (ص١٢).

(٤٠) نفسه، (ص١٧).

(٤١) نفسه، (ص١٩).

(٤٢) نفسه، (ص٧).

(٤٣) السرد العربي القديم، الأنواع، الوظائف، إبراهيم الصحراوي، (ص٣٣).

(٤٤) حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (ص٢٥).

(٤٥) نفسه، (ص٢٦).

(٤٦) الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، عبد الفتاح كليطو، ط٣، (ص٣٩).

(*) «لا أود للقارئ أن يكوّن انطباعًا أن النظام الجامعي الأمريكي يخلو تمامًا من المنغصات الإدارية؛ كنت شخصيًا ضحية «مطب» جامعي إداري كلّفني، دون ذنب منّي، الكثير من الجهد والوقت. جرت العادة في رسائل الماجستير أن يكتفي الطالب بإشراف أستاذ متخصص في موضوع البحث كما جرت العادة بعد انتهاء الرسالة أن تُعرض على لجنة من ثلاثة أساتذة يرأسها الأستاذ المشرف، وبعبارة أخرى لا توجد في رسائل الماجستير مناقشة أو امتحان في واقع الأمر، بصرف النظر عن شكليات التوقيع، يلعب الأستاذ المشرف الدور الحاسم، ويتابع البحث خطوة خطوة، وعندما يتم إعداد الرسالة على النحو الذي ارتضاه تصبح موافقة العضوين الآخرين روتينية خالصة. بدأت كتابة البحث وكنت أناقش ما أكتب فصلًا فصلًا، مع الأستاذ المشرف وأحصل على موافقته. عندما كنت في منتصف البحث سافر المشرف ليعمل أستاذًا زائرًا في كلية الحرب في واشنطن قال لي قبل سفره إن عليَّ حين

انتهي من إعداد البحث أن أقدّمه للعضويْن الآخرين في اللجنة، وأن أرسله إليه بعد الحصول علىٰ موافقة هذين العضوين. أدّىٰ سفر الأستاذ المفاجئ إلىٰ قلب الأمور رأسا علىٰ عقب. بدلًا من أن أذهب إلىٰ العضوين وأخبرهما أن الأستاذ المشرف وافق علىٰ البحث (وأن عليهما «البصم» علىٰ الموافقة) كان عليَّ الآن أن أذهب إليهما طالبًا الموافقة قبل أن يرىٰ المشرف البحث بأكمله. لم أكن أعرف أيا من الأستاذين. كان أحدهما متخصصًا في أمريكا اللاتينية والآخر في المنظمات الدولية. لم ألق أي صعوبة مع الأستاذ الأول الذي قرأ البحث بأكمله، ولم يكتف بالموافقة بل أبدىٰ إعجابه بما قرأ. جاءت الطامة الكبرىٰ مع العضو الثاني رجل المنظمات الدولية. لم يقرأ صاحبنا من البحث سوىٰ ربعه الأول وملأ كل صفحة بملاحظات من كل نوع أخطر ما في الأمر أنه أصرّ علىٰ إضافة فصل كامل جديد يتناول المنظمات الدولية – تركيز المرء علىٰ ما يفهم دون ما لا يفهم وعلىٰ ما يعرف دون ما يجهل خصيصة بشرية توشك أن تكون غريزة متأصلة – لم أكن أرىٰ أن البحث بطبيعته يحتاج إلىٰ فصل كهذا، أو يتحمل فصل كهذا. كتبت إلىٰ الأستاذ المشرف، لم تكن الاتصالات الهاتفية البعيدة متيسّرة حتّىٰ في الولايات المتحدة كما هي اليوم، أخبره بما تم، جاء الرد يقول بدبلوماسية تليق بأستاذ يدرّس الدبلوماسية، إنه مقتنع بوجهة نظري ولكنه يرىٰ أن من الضروري أن آخذ ملاحظات عضو اللجنة في الاعتبار «بقدر الإمكان» كنت قد أنهيت كتابة البحث في فصل دراسي واحد، المدة المعتادة في رسائل الماجستير ولو أن الأمور سارت في الطريق المعتاد؛ لأنهيت دراستي بنهاية ذلك الفصل، إلا أن الأمور تعقدت مع الملاحظات قدمت نسخة معدلة أخذت فيها ببعض الملاحظات دون بعضها إلا أن عضو اللجنة أصر علىٰ رأيه بإضافة فصل جديد عن المنظمات الدولية عاودت الكتابة إلىٰ الأستاذ المشرف الذي رد يقول إنه يتفهم موقفي ولكنه لا يستطيع إرغام زميله علىٰ الموافقة بعد عدة لقاءات مع العضو تم الوصول إلىٰ حل وسط: أضفت بضع صفحات جديدة عن المنظمات الدولية حصلت علىٰ الشهادة بعد موعدها بستة شهور تقريبًا هذه السلطة المطلقة التي يمارسها الأستاذ علىٰ الطالب عند كتابة البحث حقيقة من حقائق الحياة

الجامعية في كل مكان وإذا كانت الغالبية العظمىٰ من الأستاذة تمارس هذه السلطة بما ينبغي أن يتصف به الأستاذ الجامعي من تجرد وعدالة فإن البعض كصاحبنا هذا يمارسها بطريقة لا تخو من تعنت - أعتقد أن عضو اللجنة كان في واقع الأمر، يصفي بعض الحسابات مع الأستاذ المشرف، الذي كان رئيسا للقسم، ولم يكن بحثي المسكين سوىٰ مخلب القط الشهير - لقد رأيت بعيني عدة مآس ناشئة عن تحكم الأستاذ المطلق في مصير الطالب وسوف أعود إلىٰ هذا الموضوع عند حديثي عن الدكتوراه». حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (ص٢٩-٣٠-٣١-٣٢).

(٤٧) الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، سعيد جبار، (ص١٥٤-١٥٥-١٥٦).

(٤٨) نفسه، (ص١٣٢).

(٤٩) لك يا غازي، مجلة المبتعث، محمد عبد الله العيسىٰ: ع١٩١، (ص٦).

(٥٠) في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، (ص١٧٥).

(٥١) حياة في الإدارة، غازي القصيبي، (ص٤٠-٤٢).

(٥٢) الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، نبيل علي، عالم المعرفة، ع٢٦٥، (ص٣٥٠).

(*) تولىٰ الكاتب مناصب إدارية قيادية جعلته يتخذ قرارات بالتأكيد أضرت بعض المنتفعين من تأخير النهوض بالمؤسسات السعودية، بما لهم من مصالح خاصة ولا يفكرون في المصلحة العامة للملكة، وعبر الكاتب عن ذلك بقوله: «القضية في النهاية ليست خاصة، ففي اللحظة التي يترك فيها المسؤول موقعه لن يهاجمه أحد، هذا فيما يتعلق بموقعه كوزير وإداري مسؤول أما بالنسبة لدوره كمفكر وأديب فقد امتدت هذه الخصومة بعد صدور ديوان «معركة بلا راية» حيث اعتبره المحافظون شكلا من أشكال الفساد والتغريب فأدىٰ إلىٰ تسابق وفودهم لإعلان استنكارهم لهذا الديوان وذهبوا إلىٰ الملك فيصل ﷺ للتعبير عن غضبهم ورفضهم للديوان منتقدين إياه بأنه ديوان سيئ لا يحث علىٰ الفضائل وطالبوا

بفصل كاتبه من الجامعة. ولقد أدىٰ ذلك إلىٰ تشكيل لجنة وزارية لمراجعة الديوان ولما قاموا بذلك لم يجدوا فيه شيئا يذكر حتىٰ أن عضوا منهم رأىٰ تكريم الشاعر بدلا من توجيه اللوم له ويحكي غازي القصيبي عن هذه الفترة فيقول: لم أكن أعرف الأمير عبد الله قبل هذه الأزمة، فسمعت من أحد المقربين إليه أنه اتخذ خلال الأزمة موقفًا نبيلاً وحث الملك علىٰ عدم الاستجابة لمطالب الغاضبين المتشنجة، ولما سمعت بهذا الموقف بعد انتهاء الأزمة ذهبت إليه لأسلم عليه وأشكره، واستمرت معارك التيار المحافظ ضد غازي القصيبي الشاعر والأديب والمسؤول الكبير متهمين إياه بالعلمانية وبتطاوله علىٰ عدد من علماء الإسلام وأصدر مجموعة منهم كتابا تحت عنوان «العلمانية في العراء.. القصيبي شاعر الأمس وواعظ اليوم» تناولوا فيه مجموعة موجهة من الرسائل من بينها الرسالة التي حملت عنوان الكتاب وهي بقلم الدكتور وليد الطويرقي وتقديم عبد الله الجبرين وأخرىٰ بعنوان «ويكون الدين كله لله» بقلم الدكتور محمد القحطاني والثالثة بعنوان «مغالطات القصيبي لسعد مبارك آل زعير». يخرج القصيبي من معركة حتىٰ يدخل معركة أخرىٰ وينفي غازي القصيبي أن يكون هو البادئ بهذه المعارك فيقول بأنه بطبعه مسالم منذ طفولته وأنه لا يتذكر في حياته أنه قد دخل معركة مع أحد ويعلل هذه المعارك والمواجهات التي لا يريدها لاختلاف المواقف وبكونه مسؤولا فيقول: «عندما تكون مسؤولاً ويتطلب عملك منك اتخاذ قرارات معينة تجد نفسك شئت أو لم تشأ في خط النار وفي فوهة المدفع»... ويفسر القصيبي أسباب الخلاف فيقول أن هذه المشاكل ظهرت عام ١٩٧١م عندما كلف بإدارة ووضع منهج لبرنامج لمدة سنتين يدرّس فيه الأنظمة لخريجي الشريعة في معهد الإدارة العامة وكانت الدولة قد فكرت في وضع هذا البرنامج نظرا لأن جميع المستشارين القانونيين كانوا من غير السعوديين فتصوّر الكثيرون أنه يقوم بتدريس القانون الوضعي ثم ظهر بعد ذلك ديوان: معركة بلا راية» فتم تفسيره في ضوء الصورة النمطية السابقة والنظرة العامة حول إنتاج الأدب الحديث والخلط بين الحداثة بمعناها الغربي والحداثة بمعنىٰ التجديد.. ثم تحولت هذه المشكلة من مشكلة فردية إلىٰ مشكلة عامة بين المثقفين بشكل

عام، وأصدر غازي القصيبي كتابا بعنوان: «حتىٰ لا تكون فتنة» يواجه به الخطاب الديني الذي كان سائدا في ذلك الوقت من صفوة المجتمع وشيوخه الأفاضل بخطاب ثقافي لا يقل ثقلا في مجتمع يتأهل لتحولات فكرية وثقافية هامة ويستعد لإعادة صياغة خطابه الحضاري الذي يصدره للعالم دون المساس بثوابته الدينية وتقاليده العامة الرأي الذي لا يفسد للود قضية. ويؤكد القصيبي أن كتابه حياة في الإدارة الذي استهل به المحافظون الهجوم عليه لم يطلعوا علىٰ ما فيه، راسل القصيبي الشيخ العودة بأبيات من شعره بعد عشرين عاما من تلك المعارك الفكرية التي نشبت بينهما فيقول في مطلعها: «الركبَ بعد الفجر هل آبُوا الرَّكبُ عاد وما في الرَّكبِ أصحابُ *** تفرَّقوا في دروب الأرض وانْتَثَرُوا *** كأنَّه لم يَكُنْ عَهْدٌ وأحبابُ»؛ فيرد عليه العودة بأبيات من عنده يقول في مطلعها: «ضِيَاءُ عَيْنَيْكَ عبر الحرف ينسابُ *** تَئِنُّ من حُزْنه المكظوم أهدابُ *** الكَرْمُ أنت؛ فهل في الكأس من عَلل *** يُسْقَىٰ به في هَزِيعِ الليل غُيَّابُ»، هكذا أغمد كلاهما سيفه ليبارزان كلاهما الآخر بأبيات شعرية بالغة الرقة تعبر عن ذلك الوئام والتواصل الرفيع المستوىٰ بين الشخصين الجليلين». انظر: غازي القصيبي ومعاركه الفكرية في الأدب والحياة، محمد معاطي، مجلة المبتعث، ع:١٩١، (ص٨-١١).

(٥٣) حياة في الإدارة، غازي القصيبي (ص٤٣-٤٤-٤٥).

(٥٤) نفسه، (ص٤٥).

(٥٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية علىٰ السور المكية صبحي الفقي، ط٢، (ص٣١).

(٥٦) إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة سعيد حسن بحيري، (ص١١-١٢).

***

قائمة المصادر والمراجع

*** أولًا: المصادر:**

(١) القصيبي، غازي، **حياة في الإدارة**، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣م، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٥م.

(٢) القصيبي، غازي، **تجربتي مع الشعر والدبلوماسية ومهن أخرىٰ**، مجلة الفيصل، ع ١٦٩ رجب ١٤١١هـ، فبراير ١٩٩٢م.

*** ثانيا: المراجع:**

(٣) الأحمر، فيصل، **معجم السيميائيات**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١٠م.

(٤) بحيري، سعيد حسن، **إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٥) بوجادي، خليفة، **في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٩م.

(٦) جبار، سعيد **الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م.

(٧) دايك، فان، **النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٨) الصحراوي، إبراهيم، **السرد العربي القديم، الأنواع، الوظائف، البنيات**، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م.

(٩) عباس، إحسان، **فن السيرة**، دار صادر بيروت – دار الشروق عَمان، ١٩٩٦م.

(١٠) عبيد، محمد صابر، **السيرة الذاتية الشعرية**، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٨م.

(١١) عبيد، محمد صابر، **تمظهرات التشكيل السير ذاتي (قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية)**، منشورات اتحاد الُكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

(١٢) علي، نبيل، **الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي**، سلسلة عالم المعرفة ع ٢٦٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١م.

(١٣) الفقي، صبحي، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية علىٰ السور المكية**، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(١٤) كليطو، عبد الفتاح، **الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي**، دار توبقال للنشر، ط٣، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

(١٥) المتوكل، أحمد، **الجملة المركبة في اللغة العربية**، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨م.

(١٦) المتوكل، أحمد، **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

(١٧) يقطين، سعيد، **تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)**، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط٣، بيروت – الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

*** ثالثًا: الصحف والمجلات:**

(١٨) الحيدري، عبد الله بن عبد الرحمن، **السيرة الذاتية في الأدب السعودي**: ببليوجرافيا، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج٢، ع١، الرياض، المحرم – جمادي الآخر ١٤١٧هـ، يونيو – ديسمبر ١٩٩٦م.

(١٩) الراشدي، محمد، **أيقونات السيرة تحولات وإشكالات كتابة السيرة الذاتية عند غازي القصيبي**، جامعة الملك سعود: كرسي الأدب السعودي، جامعة اليمامة: كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية، ندوة بعنوان: «غازي القصيبي – الشخصية والإنجازات»، الرياض، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

(٢٠) الشماع، إيمان محمد عبد الفتاح، **السيرة الذاتية في الأدب المصري المعاصر**، حولية كلية اللغة العربية، ع٣٧، الزقازيق، ٢٠١٧م.

(٢١) الشيباني، هند، **سيرة الدكتور غازي القصيبي من خلال منجزه الكتابي**، جامعة الملك سعود: كرسي الأدب السعودي، جامعة اليمامة: كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية، ندوة بعنوان: «غازي القصيبي – الشخصية والإنجازات»، الرياض، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

(٢٢) العيد، يمنىٰ، **السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة**، مجلة فصول، مج١٥، ع٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٢٣) الغامدي، صالح بن معيض، **السيرة الذاتية المتشظية قراءة في حاطب ليل ضجر لعبد العزيز التويجري**، مجلة الدراسات العربية، ع١٨، مج١، كلية دار العلوم جامعة المنيا، ٢٠٠٨م.

(٢٤) فهمي، علي، **السيرة الذاتية ومعايير الثقة «التاريخ الذي أحمله علىٰ ظهري نموذجًا»**، مجلة الفكر والفن المعاصر، ع ١٦٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مايو ١٩٩٦م.

(٢٥) الكعبي، ضياء عبد الله خميس، **تمثيلات السرد السير ذاتي في خطاب غازي القصيبي الروائي: مقاربة تأويلية ثقافية**، جامعة الملك سعود: كرسي الأدب السعودي، جامعة اليمامة: كرسي غازي القصيبي للدراسات التنموية والثقافية، ندوة بعنوان: «غازي القصيبي – الشخصية والإنجازات»، الرياض، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

(٢٦) محبك، فاطمة، **الصدق في السيرة الذاتية عند الأدباء في سورية**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، ع٩، دمشق، ٢٠٠٩م.

(٢٧) معاطي، محمد **غازي القصيبي ومعاركه الفكرية في الأدب والحياة**، مجلة المبتعث، الملحقية الثقافية السعودية، ع: ١٩١، واشنطن، رجب / شعبان ١٤٣١هـ، يونية يوليو ٢٠١٠م.

(٢٨) المهوس، منصور بن عبد الرحمن، **التكوين الجمالي للسيرة الذاتية في الأدب السعودي الحديث: «حياة في الإدارة» لغازي القصيبي نموذجا**، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بجدة، مج١٧، ج٦٥-٦٦، جدة، جمادي الأولىٰ ١٤٢٩هـ، مايو ٢٠٠٨م.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

(٢٩) http://www.darahservices.org/services/saudiliterature/athu.php?no=700-

***

النسق القيمي في بنية الخطاب الروائي
لدى المرأة السعودية

إعداد

د. منى بنت صالح الرشادة

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة عبد الرحمن بن فيصل

malrashada@iau.edu.sa

النسق القيمي في بنية الخطاب الروائي لدى المرأة السعودية

د. منىٰ بنت صالح الرشادة

(قدم للنشر في ١٠/ ٠١/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٧/ ٠٥/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: يدرس البحث النسق القيمي في رواية المرأة السعودية، للكشف عن تموقع القيم وكيفية تشكلها عبر النسق السردي، فالمنظومة القيمية تحدد السياق الثقافي العام المولد للنص، كما تحدد الاتجاهات الفكرية المتصارعة في الرواية، والنص الروائي يرتبط بالحياة الاجتماعية ارتباطًا وثيقًا، يتيح لها تصوير الواقع الكائن والممكن ضمن التحولات التاريخية للمجتمع، فتستحضر قيم المجتمع وعاداته وتقاليده التي تشكل بمجموعها الأبنية الفكرية، والأبعاد المفهومية التي يتشكل عبرها السلوك الإنساني، وتقدمها للقارئ برسالة أدبية تعتمد التشكيل السردي الفني.

فالأنساق الفكرية والمضامين الاجتماعية السائدة في مجتمع ما تدخل في نسيج البنيات النصية الناقلة للخطاب، فتخلق ما سُمي بمجتمع النص.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يسلط الضوء علىٰ موضوع يرتبط ببلدنا (المملكة العربية السعودية) – حفظها الله – ويكشف العلاقة بين المجتمع السعودي، والتشكيل السردي الفني في أدب المرأة السعودية من حيث التأثير المتبادل، مما أكسبه طابعا مميزا.

الكلمات المفتاحية: بنية، خطاب الروائي، قيم، المرأة السعودية، نسق.

***

The value system in the structure of the narrative discourse of Saudi women

Dr. Muna Saleh Alrashadah

(Received 09/09/2019; accepted 22/01/2020)

Abstract: This research focuses on the study and analysis of (the value system in the structure of the narrative discourse of Saudi women) by extrapolating those values from their aspects rooted in the narrative discourse; to reveal the positioning of values, and how they are formed through the narrative format, the value system determines the general cultural context generated by the text, as Identifies conflicting intellectual trends in the novel.

The research also focuses on the value system through relying on a number of novels of Saudi female writers, selecting models from them, according to the value contents as appeared in her novels, and analyzing the applied models indicating each value. These values were represented in two directions ;special individualized values, and general popular values.

key words: Structure, speech of the novelist, values, Saudi women, format.

❊ ❊ ❊

المقدمة

تنطوي الرواية السعودية علىٰ كثير من المواقف التي تنهض علىٰ تجربة ذاتية تعبر عن أنساق قيمية جمعية في نصوص الرواية، وتعبر عن موقف ما إزاء قيمة تمس المرأة بوصفها أما وزوجة وابنة وأختا من منطلق أن القيمة أساس تماسك المجتمع السعودي؛ ترسيخا لتلك القيم، لتكون ردة فعل غير مباشر علىٰ القيم الغربية الوافدة، وهذا بمجمله يدخل ضمن ثقافة سائدة ونتاج مجتمعات متعاقبة.

لقد عبرت الرواية السعودية النسائية عن قيم المجتمع وثقافته، وموقف المرأة منه، وتبنت خطابا ثقافيا قيميا لمقاومة الخطابات الوافدة، والقيم الرقمية الافتراضية التي غدت سلطتها سلطة المجتمع والأسرة، وغدت قادرة علىٰ فرض قيم جديدة يكاد يزيح التراتب القيمي المجتمعي. وهذا ما جعل بعض الروائيات السعوديات يتبنين خطابا سلوكيا يصون القيم المميزة للمجتمع.

وتكمن أهمية هذا الموضوع:

- في أنها المحاولة الأولىٰ - في حدود علمنا - التي تدرس (التسريد القيمي في الخطاب الروائي لدىٰ المرأة السعودية) لم أعثر علىٰ دراسة علمية تتناول الموضوع ذاته.

- كما تتركز أهميته في أنه يسلط الضوء علىٰ موضوع يرتبط ببلدنا (المملكة العربية السعودية) - حفظها الله - ويكشف العلاقة بين المجتمع السعودي، والتشكيل السردي الفني من حيث التأثير المتبادل، مما أكسبه طابعا مميزا.

وقد جاء اختيار موضوع الدراسة تأكيدا لرغبة عارمة في النفس لدراسة الفن

الروائي لدىٰ المرأة السعودية بصفة عامة، والتعامل مع معطياته الأدبية والنقدية، والوقوف علىٰ مسيرة القيم المطروحة في رواية المرأة بصفة خاصة، والنظر في كيفية دخول القيمة إلىٰ المعنىٰ بوصفها المادة الأولية قبل التسريد، ثم النظر في كيفية تمثل الأبنية اللغوية لمنظومة القيم المتمثلة في رواية المرأة.

وقد يسر الله – تعالىٰ – لي هذا البحث بدء من تخطيطه، وانتهاء بمقدمته؛ فجعلت الدراسة فيه ثلاث محاور، وتمهيدا، بالإضافة إلىٰ مقدمة، وخاتمة، وفهارس:

التمهيد: وتناولت الحديث فيه عن:

– مفهوم النسق القيمي لغةً واصطلاحًا.

– النسق القيمي في الفكر الإسلامي.

وجاء **المحور الأول**، بعنوان دائرة ضيقة (**القيم الفردية الخاصة**) للشخصية، وفيه عرضت لتسع من أبرز القيم في الشخصية الروائية السعودية، وحرصت في عرض هذه القيم أن تكون مصحوبة بكشف مفهومها، وأن تسند إلىٰ نماذجها في رواية المرأة لكل قيمة:

الأولىٰ: الوفاء، والإخلاص وأبرزت أثناءها الوفاء العاطفي، والاجتماعي، أما الإخلاص ففيه أبرزت الحديث عن صورة الإخلاص في العمل.

الثانية: الطموح والأمل: وتناولت فيه الطموح الاجتماعي، والتعليمي، والعملي.

الثالثة: التضحية والإيثار وخلالها أبرزت أشكال التضحية، سواء الوطنية، أو الدينية، أو الاجتماعية. والإيثار أظهرت فيه إيثار المصلحة العامة علىٰ الخاصة.

الرابعة : التعاون، ومن خلالها تحدثت عن التعاون الإنساني، والتعاون العملي.

الخامسة: الحياء والعفاف، تحدثت فيها عن حياء المرأة السعودية، وحياء المبتعث السعودي، وعفافه عن حياة الانفتاح في غربته.

السادسة: الشرف والأمانة، وأظهرت فيها حماية شرف العرض، والوظيفة كذلك، والمحافظة علىٰ الأمانة، وتحملها في تربية الأبناء خاصة في البلاد الأجنبية.

السابعة: الصبر والرضا بالقضاء والقدر، وفيه تناولت الصبر والتجلد أمام المصاعب، والمآسي والأحزان، والصبر علىٰ الظلم، والتسليم بالقضاء والقدر.

وجاء **المحور الثاني**، بعنوان: دائرة واسعة (**القيم الجماعية العامة**) للشخصية، وفيه عرضت لنقاط أربع:

الأولىٰ: الانسجام مع قيم المجتمع وعاداته، وفيها عرضت لرسم الروائيات رؤيتهن لقيم المجتمع عاداته وتقاليده من خلال شخصياتهن الروائية، فجعلتها منسجمة مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، متجاوبة معه، مستسلمة لأعرافه، منقادة له في أشكال من الممارسات الاجتماعية، سواء أكان في الاحتفاء بالمناسبات السعيدة، أو في حسن الاستقبال، أو في الملبس والمسكن، أو المأكل.

الثانية: التفاعل مع الموروث العربي، وفيها أبرزت اعتزاز الروائيات السعوديات بالموروث العربي المؤطر بالقيم الإسلامية.

الثالثة: التأثر بالقيم الإسلامية، وفيها وضحت تأثر الشخصيات الروائية بمبادئ الدين الإسلامي، وتعاليمه، وتفاعلهن معه، ويبلغ التفاعل مع قيم الشريعة ذروته في المواقف التي تتعرض فيها قيم الإسلام للاستهزاء والمضايقات من قبل أعداء الإسلام، وأشد ما تتعرض له قيم الإسلام الاعتداء علىٰ الرسول الكريم.

الرابعة: الإحساس بالذات العربية والإسلامية، وفيها عرضت موقف الشخصية من معاناة الشعوب الأخرىٰ، وتفاعلها مع مختلف الأحداث التي تجري علىٰ ساحتها، وأملها في تحقيق فجر النصر للأمة الإسلامية والعربية.

وجاء **المحور الثالث**، بعنوان (**الأبنية الفنية للقيم المتمثلة في النص**):

وفيه درست الأسلوب السردي، واختلاف أشكاله، وطرقه - ما بين الذاتي والموضوعي - باختلاف القيم المطروحة.

ثم درست الإيقاع التعبيري الروائي، الذي يعمل علىٰ إيصال العواطف والأحداث للمتلقي من خلال اعتماده علىٰ اللغة. معتمدة في ذلك كله علىٰ نماذج من الشخصيات الروائية السعودية.

وفي الخاتمة: أوجزت النتائج. ثم **فهرس المصادر والمراجع**.

وقد اقتضت طبيعة البحث الخروج من أحادية المنهج إلىٰ التعددية المنهجية؛ فاعتمدت المنهج الاجتماعي أساسًا، عند عرض التطور الاجتماعي لمسيرة القيم المطروحة في رواية المرأة السعودية، وجمعت بين الوصف والتحليل في الجانبين النظري والتطبيقي، وذلك عند تحليل النصوص الروائية إلىٰ مضامينها القيميّة، دون إغفال للمنهج الفكري عند التحليل، ومناقشة ذلك وفق النظرة الإسلامية والاجتماعية، وأفدت من المنهج التاريخي في تعقب الدلالات التاريخية لمضامين الروايات.

وذلك من خلال الاستناد إلىٰ النصوص الروائية مباشرة، والقراءة الفاحصة لها، وانتقاء نماذج قيمية منها، بوصفها النموذج المثال لتسريد القيمة في خطاب المرأة السعودية الروائي، وتحليلها وتفسيرها دون الإفتاء في تفضيل نوع روائي علىٰ آخر.

***

التمهيد

❋ مفهوم النسق القيمي:

جاء في تهذيب اللغة للأزهري، معنىٰ لفظة **(النَّسَقُ)** بقوله: «النسق من كل شيء ما كان علىٰ طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف فيقال نَسَّقْتُه نَسْقًا، ويقال انتسقت هذه الأشياء بعضها إلىٰ بعض أي تنسقت»[1]. واتفق معه صاحب (لسان العرب) وقال: «النَّسَقُ من كل شيء: ما كان علىٰ طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نّسَّقْتُه تَنْسِيقًا... وقال ابن سيده :نَسَقَ الشيء يّنْسُقُهُ نَسْقًا، ونسقه نظمه علىٰ السواء...، والاسم النَّسَقُ، وقد انْتَسَقت هذه الأشياء بعضها إلىٰ بعض أي تَنَسَّقَتْ... ويسمي النحويون حروف العطف حروف النَّسَق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرىٰ مجرىٰ واحدا...ويقال: نَاسَقَ بين الأمرين أي تابع بينهما والتَّسِيقُ: التنظيم. والنَّسْق: ما جاء من الكلام علىٰ نظام واحد، والكلام إذا كان مسجعا، قيل: له نَسَق...»[2].

فكلمة النسق في المعاجم القديمة تدل علىٰ التنظيم، والتركيب، والترابط، والتماسك، والتسلسل، والمجموع، وتتابع الأفكار، وتنتظم العناصر والأجزاء في نسيج نصي موحد موضوعيا وعضويا، فالنسق إذن عبارة عن نظام بنيوي عضوي كلي وجامع..

وتدل كلمة النسق، في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة، علىٰ مجموعة من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، أو علىٰ مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها وفق مجموعة من المبادئ، والقواعد، والمعايير.

ويتحدد النسق أيضا بواسطة مكوناته وعناصره وبنياته التي يتضمنها؛ ومن خلال مختلف التفاعلات التي تقيمها العناصر فيما بينها، وعبر الحدود التي تفصل بين العنصر الذي ينتمي إلىٰ النسق الداخلي، أو الذي ينتمي إلىٰ محيطه الخارجي؛ مع تبيان آليات التفاعل التي تتحكم في النسق في ارتباطه الوثيق بمحيطه السياقي المجتمعي والثقافي.

أما مفهوم **(القيمة)** فقد جاء في تهذيب اللغة للأزهري: «حتىٰ اسْتقمتم علىٰ القِيم؛ قالوا: القيم: الاسْتِقَامَة. دينا قيما: مسْتَقِيمًا»[٣].

وورد في لسان العرب (القِيامُ): نقيض الجلوس قامَ يَقُومُ قَوْمًا وقِيامًا وقَوْمة وقَامةً، والقَوْمةُ: المرة الواحدة، قُمْ لي بمعنىٰ قف لي.. والاسْتِقامةُ: الاعْتدالُ، يقال: اسْتَقامَ له الأمر. وقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (فصلت:٦)، أي: في التوجه إليه دون الآلهة، وقَام الشيء واسْتَقام: اعتدل واستوىٰ. وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ (الأحقاف:١٣).

وفي الصحاح «القيمةُ: واحدة القيم، وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء، يقال: قوَّمتُ السلعة، وأهل مكة يقولون: استقمتُ السلعةَ؛ وهما بمعنًىٰ»[٤] وجاء معنىٰ القيمة عند الرازي بأنها: «مفرد قيم، وقوَّم الشيء تقويما، فهو قويم أي مستقيم وقيمة الشيء قدره»[٥].

إذن لفظة القيمة تأتي بمعان متعددة في اللغة: كالتقويم أو التعديل، والاستقامة والاستواء والثبات، والقيام بالشيء والاعتدال، والمدح والثناء، والوقوف، والتمييز بين المتضادات.

وفي الاصطلاح الاجتماعي: اختلف العلماء والباحثون في تحديد تعريف دقيق للقيمة، إلا أنهم اتفقوا حول أنها تعبر عما يعتقده الفرد وما يؤمنون به، مماله شأن،

وقيمة، وهي توجه سلوكهم وتحدده.

فمنهم من عرف القيمة بأنها: «كل ما يتمسك به فرد، أو فئة اجتماعية»[٦].

ومنهم من عرفها بأنها: «اعتقاد مكتسب - طويل الأمد نسبيا - بأن نمطا معينا من السلوك، أو غاية ما، محبب ذاتيا أو اجتماعيا؛ بالمقارنة مع سلوك مخالف، أو غاية مخالفة»[٧].

والقيمة عند العوا: تدل علىٰ كل ما هو قيم، وماله شأو، وجدارة في التصور وفي الفعل لدىٰ أفراد وجماعات، يعرفها بقوله: «إن مفهوم القيمة نشاط ذهني يتصور أمرا ذا شأن ويسميه قيمة، وهذا التصور الفكري متصل أشد الاتصال بالفعل، وما الفعل الواعي إلا استبصار واختيار، ونحن ما أن نتخذ قرارا بتفضيل إمكان علىٰ إمكان حتىٰ يتم صنع الفكر، أي صنع اختيار القيمة وتحديدها»[٨].

ومما لا شك فيه أن القيمة في الحياة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص والمواقف، ومرد ذلك الاختلاف نابع من الذات ومتأثرا بها، مرتبط بتحقيق الحاجات، وإرضاء الراغبات، فقيمة الشيء تنبع من تعلق النفس بها.

وتختلف القيمة أيضا باختلاف الجماعات لارتباطها بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي تسيطر علىٰ الأفراد الذين ينتمون لمجتمع معين مختلف عن غيره من المجتمعات.

وقد قرَّ في الذهن أن القيمة ترتبط في جانبها الإيجابي بالفضائل الخلقية، وفي جانبها السلبي بالنقائص والرذائل.

أما النسق القيمي:

فهو عند عبد اللطيف خليفة: «عبارة عن البناء أو التنظيم الشامل لقيم الفرد،

وتحتل كل قيمة في هذا النسق عنصرا من عناصره، وتتفاعل هذه العناصر معا لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد»[٩].

وجاء تعريف حامد زهران للنسق القيمي بأنه: «الترتيب الهرمي الذي تتخذه القيم ضمن إطار خاص يرسم لها تدرجيا من القيم الأقل أهمية إلىٰ القيم ذات الأهمية العظمىٰ والذي يعمل موجها أو قائدا لسلوك الفرد أو الجماعة»[١٠].

ويعرف محمد إبراهيم كاظم النسق القيمي علىٰ أنه: «عبارة عن مجموعة من قيم الفرد أو المجتمع مرتبة وفق أولوياتها، وهو إطار علىٰ صفة سلم تندرج مكوناته تبعا أهميتها»[١١].

وفي ضوء التعاريف السابقة نخلص إلىٰ أن النسق القيمي: عبارة عن ترتيب هرمي للعادات والقيم والمثل والمعتقدات والمعايير الخاصة، منظمة وفقا لأهميتها بالنسبة للأفراد أو الجماعات، وهي التي توجه السلوك وتحدده في مجالات الحياة المختلفة حسب أولوياتها، ففي بعض الحالات تكون القيم هدفا، وفي أحيانا أخرىٰ تكون وسيلة، فهي متفاوتة ومرد ذلك التباين والتفاوت؛ مدىٰ أهميتها وترتيبها ضمن السلم القيمي.

*** النسق القيمي في الفكر الإسلامي:**

سعىٰ المفكرون إلىٰ البحث عن أسرار وجود الإنسان في الحياة، فلاحظ المفكر (تايلور) أن العلاقة بين السلوك الاجتماعي والدين علاقة وثيقة الصلة، فعندما يركز الدين علىٰ (قيم) ثابتة كالخير والشر، والحلال والحرام، والثواب والعقاب؛ فإنه يلامس حياة المجتمع، ويرىٰ (دور كايم) أن الدين له أثر قوي في تنظيم المعتقدات والأشياء المقدسة التي يمارسها المؤمنون، كما أن الدين عماد استمرار المجتمع

وديمومته، فهو يساعد الفرد والجماعة علىٰ تحقيق الشعور بالأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، والانتماء للقيم الراسخة للدين، وتنظيم المشاعر والعواطف[١٢].

وعرف بعض علماء الفكر الإسلامي القيم بأنها: «حُكم يصدُره الإنسان علىٰ شيءٍ ما، مُهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، مُحددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه مِن السلوك»[١٣].

وعرفها آخر بأنها: «مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان، كما صورها الإسلام»[١٤].

إذن يعتمد الفكر الإسلامي في بناء منظومته القيمية، ورعايتها وتتبعها الدائم والمستمر علىٰ الدين القويم، وشريعته المطهرة، وهذه القيم هي الميزان الذي توزن به الأعمال البشرية، وتحدد تفكيرهم وسلوكهم، وتميزهم عن غيرهم من المجتمعات الحيوانية التي لا يحكمها قيم، ولا يضبطها نظام. وللقيم في ضوء الإسلام مبادئ تدفع بالفرد لفعل ما هو مرغوب فيه شرعا، والبعد عمّا هو خلاف ذلك، من سلوك وتصرفات تجاه نفسه ومجتمعه، وهي قيم تتلاءم مع الواقع، نافعة للفرد والمجتمع دنيا وآخرة، متوازنة خالدة تحدد مختلف الاتجاهات الإيجابية والسلبية[١٥].

***

المحور الأول
دائرة ضيقة (قيم فردية خاصة)

ويشمل: **(الوفاء والإخلاص، الطموح والأمل، التضحية والإيثار، التعاون، الحياء والعفاف، الشرف والأمانة، الصبر والرضا بالقضاء والقدر).**

❋ الوفاء والإخلاص:

الوفاء أساس في بناء العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين البشر، وقد كان ﷺ سيد الأوفياء، وحث علىٰ التمسك به. ولا غرو في ذلك فالوفاء شعبة من شعب الإيمان(١٦).

وانطلاقًا من الأهمية القصوىٰ لقيمة الوفاء في بناء العلاقات الإنسانية بين الأفراد تظهر هذه القيمة الفردية الأخلاقية في رواية المرأة السعودية ناصعة الوضوح، جلية المعاني في الأحداث الروائية، حاضرة في الأفعال السلوكية لكثير من الشخصيات، ويتعدد أنواع الوفاء وطرقة من شخصية لأخرىٰ، وأجمل صور الوفاء وأبرزها في رواية المرأة السعودية الوفاء بين الزوجين، من ذلك رواية (آدم يا سيدي) لـ(أمل شطا) إذ يتجلىٰ النسق القيمي للوفاء الذي ترسخ في ذهن الراوية من خلال تلك العلاقة التبادلية بين الزوجين، شخصية البطلة (عائشة) وشخصية زوجها (حمزة)، وتستمر هذه القيمة؛ لتمتد حتىٰ بعد وفاة حمزة.

تكشف عائشة عن قيمة الوفاء، وعن استمرار علاقة المودة والرحمة، وعن عمق حبها لزوجها الذي كان يعولها ويساندها، ويساعدها علىٰ الإحساس ببهجة الحياة، ويستمر تعلقها به وإخلاصها له بعد مماته؛ لتؤكد صدق المحبة، وعدم نسيانها

للفضل، والعرفان والوفاء للعشرة: «يا إلهي.. لا يمكن للمرأة أن تحب رجلا كما تحب زوجها... إنه آدم الذي خلقها الله من ضلعه، فأسكنه إليها وأسكنها إليه... إن هذا الحب الدافق، وهذا الشعور الرائع لا يتولد داخل قلب المرأة إلا لزوجها، إنها آية الله وإعجازه في خلقة، وحقيقة... ما أروعها من آية... إن آيات الله في خلقه كثيرة... نعم يا حمزة، إن في سكينتي إليك آية من آيات الله، ما أروعها من آية!!!... لقد وضع الله الرحمة في قلبك وأودعها في قلبي، وزرع الحب في قلبك وغرسه في قلبي، وجعل بيننا رأفة ومودة...»[١٧].

وتظهر عائشة وفاءها دائما لزوجها، فتعيش باقي حياتها مرتبطة بالذكريات الجميلة التي قضتها مع زوجها الراحل (آدم) قبل وفاته منذ سنوات. إذ تركت وفاته فراغًا عاطفيًا في نفسها، وضياعا في حياتها، تحن وتشتاق إليه اشتياق المحب المتلهف للقيا الحبيب «كل عام مضىٰ علىٰ يوم اقتحامك أسوار حياتي، سنوات وسنوات، ولكني ما زلت أذكر ذلك اليوم وكأنه الآن، كأنه الحاضر، كأنه اللحظة!.. نعم يا حمزة... عندما فقدتك أحسست أني فقدت البصر، وغدوت كفيفة، أتلمس الطريق تائهة وحيدة وسط طرقات الحياة الوعرة المتشابكة، ولم أفطن لشدة تعلقي بك إلا بعد أن فقدتك، وفقدت دفء حنانك. وأظل في كل لحظة أحلم وأنتظر عودتك، أشتاق إلىٰ حنانك وعنفوانك ورقتك، وتمر الأيام والشهور، وتمر السنون، فلا أزداد إلا إعجابا بك وشوقا إليك»[١٨].

وهكذا نجد أن شعار تلك العلاقة الزوجية بين (عائشة) و(حمزة) وعنوان حياتهما الوفاء، وترجمة ذلك استمرار الحب الذي نشأ بينهما حتىٰ بعد مماته، ورفضها الاقتران بأي رجل بعد وفاة شريك حياتها - كرفضها الزواج من إسماعيل أخ

حمزة عندما تقدم لخطبتها – إذ تعيش ملتزمة بقيم الوفاء، والعشرة التي جمعتهما أعوام طويلة في حياته: «اسمعي يا عائشة، حرمة أخي لا تهان من بعده، أنا أريدك زوجة علىٰ سنة الله ورسوله... فنهضت واقفة وقلت في إصرار، وأنا أتأهب للانصراف: هؤلاء أولاد أخيك من حقك رؤيتهم متىٰ شئت، أما أنا فزوجة أخيك إسماعيل، زوجة حمزة، ولن أكون لغيره ما حييت»[١٩].

فعائشة تحجم عن الزواج بعد وفاة زوجها، وتكرس حياتها لبيتها وأولادها، وترتبط بالذكريات التي كانت تجمعها به، وتحرص علىٰ الاحتفاظ بكل ممتلكاته، متخيلة وجوده معها، يتجلىٰ ذلك واضحا في خطاب أمها لها: «فقالت بحنان لا يخلو من حزم، وهي تضع نظارتها الطبية جانبا: ... إنك... تحرصين علىٰ إبقاء نار الذكرىٰ مشتعلة في قلبك، تحتفظين بكل حاجيات حمزة صغيرها وكبيها علىٰ حالها، وعلىٰ وضعها كما كانت في حياته، وكأنك تريدين إحياءه من جديد»[٢٠].

وحينما ننعم النظر في لغة السرد الروائي في رواية (آدم يا سيدي) نجد أنها لغة توصيلية تلقائية تقريرية مباشرة، برزت من خلالها قيمة الوفاء، بألفاظ واضحة مكشوفة علىٰ سبيل المثال: أثناء حكاية عائشة عن مكانة زوجها، وعن حبها وتعلقها به «يا إلهي.. لا يمكن للمرأة أن تحب رجلا كما تحب زوجها...» وحديثها لزوجها الغائب الحاضر «نعم يا حمزة، إن في سكينتي إليك آية من آيات الله، ما أروعها من آية...».

والرواية بشكلها الفني تميل إلىٰ حد بعيد إلىٰ تفضيل لغة التواصل التلقائي، فوظيفة الكلمات والعبارات النهوض بدور الناقل للتجارب والأفكار، والانفعالات، والقيم إلىٰ ذهن القارئ، ودور الكاشف عمّا في ذهن الشخصية من أقوال أو معلومات

من خلال المنظور الذي توجد عليه هذه الأشياء في الرواية[٢١].

وتستمر سلسلة الوفاء العاطفي في رواية (آدم يا سيدي)، ويتجلىٰ بلغة ذاتية تنكشف من خلالها شخصية سعاد (أم المهند) وحبها لزوجها، وتعبيرها عن ذلك الحب، واهتمامها البالغ به، ورعايته في مرضه، وملازمتها له، فتتجلىٰ قيمة الوفاء في حفظ العهود، وصيانة المودة التي عاشت بين الشخصيتين فترة من الزمن: «وفي أمسية كئيبة سمعته ينادي سعاد بصوت ضعيف، فقامت إليه ملهوفة ترشفه قليلا من الماء، وأمسكت بكفه وراحت تمسح علىٰ خده في حنان بالغ، فوضع يده علىٰ كفها، وراح يتطلع إليها بعض الوقت، ثم قال متضرعا بصوت خفيض: سامحيني يا سعاد، سامحيني يا أم المهند، لقد عذبتك طويلا أيتها الحبيبة دون ذنب جنيتيه. فرفعت كفه تقبله وقالت باكية: هل أسامحك علىٰ محبتك، أم علىٰ حنانك وعطفك، وحسن عشرتك؟! سامحني أنت أبا المهند، فما كنت لك بالزوجة الرضية»[٢٢]. صدمة سعاد من مرض زوجها، ومن الخطر الذي يداهم صحته؛ عزز الوفاء للعشرة التي بينهما فقد كانت ترافقه لتخدمه، وتقوم علىٰ راحته، وتدعمه نفسيا في كل وقت وحين، ولم يتوقف الأمر بالحبيبة إلىٰ هنا، ليصل بها الأمر إلىٰ الشعور بالحزن لتقصيرها في خدمته، ويصل به الأمر إلىٰ الشفقة عليها ورحمتها تقديرا لها، وإخلاصا لا متناهيا تجاه شريك حياته. فالزوجة الوفية لم تقابل مرض زوجها بالغدر والجحود ونكران الجميل، ونقض العهود، والتذمر من خدمته، والتقصير بحق العشرة، وتدمير العلاقة الزوجية بينهما، بل كانت حريصة علىٰ الوفاء، والبذل والعطاء، والحفاظ علىٰ استمرار العلاقة الزوجية بينهما. والزوج الوفي يثمن عطاء الحبيبة، ويشفق عليها، ويرحمها. وهكذا تسير أحداث الرواية في نسق قيمي إيجابي كاشفة ما ترسخ في ذهن

الراوية عن قداسة العلاقات الزوجية الوفية، وخوفها من انقلاب القيمة بالغدر وتبدل العلاقات بين الزوجين.

وتجنح (حنان المنقور) في رواية (الحلم الضائع) إلىٰ استخدام استعداداتها الرومانسية الخيالية في طرح قيمة الوفاء العاطفي، والحب بين الزوجين (جيمس، ولورا) وفق لغة ذاتية إيحائية الدلالة متكئة علىٰ ألفاظ بكائية حارقة مشحونة بعاطفة الحزن والألم والأسىٰ لفقد الحبيب، والرواية تتميز بدقة التعبير، وتكثيف اللغة، وشاعرية الأسلوب «إنه لم يبك منذ زمن!! لكنه يبكي الآن وبحرقة، وزوجته هي بكائه!! لورا حب قلبه وروحه...أغمض عينيه سامحا لدمعاته المتجمدة بأن تنساب علىٰ خده كالثلج الذائب، منذ لحظات فقط كان يحلم بها، بلقائها؛ ليعتذر أمامها بأنها حبه الوحيد الذي ما عرف ولن يعرف مثله، كان يريد أن يقبل يديها وجبينها شاكرا وممتنا لها وللأبد «فاطمة» زوجته...»[٢٣]. ألبست حنان المنقور رؤيتها الخاصة، ونظرتها الفكرية العلاقة العاطفية بين شخصيات روايتها، فتجلت قيمة الوفاء بين الزوج وزوجته، وهنا ناقشت الرواية القيمة المطروحة قيمة الوفاء من منظور ذاتي للكاتبة.

ويطالعنا وفاء الأزواج في رواية (سيقانا ملتوية) في شخصية مساعد، من خلال إخلاصه ووفائه لزوجته، وعدم الموافقة علىٰ الزواج من غيرها، مع تحريض الأصدقاء له بالزواج من صغيرة تجدد شبابه وتنشطه: «كثير من أصدقائه حرضوه علىٰ الزواج من أخرىٰ، يجدد بها شبابه، لم يكن بحاجة لامرأة تنشط فحولته، أو تؤكد له علىٰ طول الخط انتماءه لعالم الفحولة، كان ينظر لزوجته علىٰ أنها عملة نادرة بين النساء»[٢٤].

ويظهر الوفاء ذاته كذلك في رواية (العاشرة مساء) لـ(مها الجريس) في وفاء الزوجين (الخالة وزوجها) لبعضهما البعض، وارتباطهما الشديد مع حرمانهما من فلذات الأكباد الأبناء: «تحب الزوجة الأطفال كثيرا، لكنها بحكمة الله وإرادته حرمت منهم. لم يكن أحد يعلم سبب ذلك.. لكن أحدهما علىٰ التأكيد يحمل قلبا وفيا إلىٰ أبعد الحدود، ثلاثون عاما من الوفاء؟ إنهما جديران بالاحترام!»[٢٥]. عاش الاثنان حياتهما جنبا إلىٰ جنب، وبقيا يستظلان بخيمة الحب والإخلاص، والوفاء والاحترام لبعضهما بعضا، فكلاهما يحرص علىٰ الآخر، وبقيا معا طوال العمر، لم يفرقهما سوىٰ الموت، ومع أن الزوجة لم تنجب أطفالا، فلم يشغلهما ذلك كثيرا.

كما تظهر قيمة الوفاء واضحة المعالم بين الأصدقاء في رواية (آدم يا سيدي) في شخصية السيد (عبد الكريم) والتي تشعرنا بالوفاء النابع لصديقه في كل تصرفاته فهو وفيٌّ لصديقه والد سالم في حياته، وبعد وفاته، وقد تجلىٰ الوفاء مع الأصدقاء من خلال إنقاذ أولاد صديقه من الديون التي أثقلت كاهل والدهم، ومساعدتهم والوقوف بجانبهم في محنتهم وشدتهم، والاهتمام بهم، وعدم جرهم إلىٰ هاوية الضياع، واستغلال الفرص لصالحه: «إن السيد عبد الكريم رجل لا مثيل له، فبعد وفاة أبي واكتشافنا لقرض البنك المتأخر السداد، والديون المتراكمة والسرقات الكبيرة في المستودع، تطوع في شهامة لشراء المكتبة إنقاذا للوضع، اشتراها دون أن ينتهز الموقف، ودون أن يستغل حاجتنا فيبخس ثمنها»[٢٦]؛ فالصديق (عبد الكريم) لم يترقب الفرص، ويستغل موقف حاجة أسرة صديقة الماسة، وظروفهم الصعبة بعد وفاة عائلهم، ولم يعمل علىٰ تدبير المكائد والفخاخ لإزاحة البساط من تحت أقدام أسرته، وإخراجهم من مكتبة والدهم بثمن بخس، وفاء لصديقه.

وتحدثنا الرواية عن عرض (عبد الكريم) لـ(سالم) العمل معه كمساعد له وبأجر سخي: «وكان يعلم أنه لا عائل لنا بعد أبي فعرض علىٰ أمي أن يأخذني للعمل معه كمساعد له بأجر سخي، بحجة أنني علىٰ دراية بالعمل لطول ملازمتي لأبي... وكنت علىٰ يقين... أنه ما استخدمني إلا ليقيني وأمي شر الفاقة، ويصون ماء وجهينا عن السؤال، وفاء منه لأبي»[٢٧]. وقد ظهرت قيمة الوفاء مع الأصدقاء من خلال إكرام (عبد الكريم) لذكرىٰ صديقه، ومساعدة أسرته علىٰ العيش بكرامة، ونصحهم وإرشادهم إلىٰ ما فيه الخير والصلاح، وحمايتهم من الحاجة وذل سؤال الآخرين، ومراعاة مشاعرهم، وعدم إيذائهم بالأقوال والأعمال، فعندما عرض العمل علىٰ (سالم) ليعول أسرته، أخبره بحاجته الماسة لخبرته، وإتقانه للعمل؛ حفاظا علىٰ مشاعره.

ويُعَدُّ الإخلاص أهم أعمال القلوب المندرجة في تعريف الإيمان، وأعظمها قدراً وشأنًا، ويتجلىٰ الإخلاص في رواية المرأة السعودية في صورة الإخلاص في العمل، بروح الحب والشعور بالمسؤولية، والاحتساب كما في رواية (أنت حبيبي لن نفترق معا إلىٰ الأبد) حيث تقوم رؤيا بعملها بإتقان، وتبذل كامل جهدها لتبدع في وظيفتها، وإن كلفها ذلك البقاء في عملها فترة طويلة من الزمن، فهذا الإخلاص في العمل، وذاك الجهد المبذول يمنحها شعوراً بالرضا عن النفس، والمتعة بالإنجاز: «أنهيت غذائي بسرعة واستأذنت وعدت إلىٰ مكتبي وانخرطت في دوامة العمل، وكان فعلا لدي عمل كثير يوحي بأنني سوف أتأخر في مكتبي لأن اليوم أول الأسبوع، ولم يخطئ ظني وبقيت في مكتبي حتىٰ العاشرة مساء ولم أنته.... وعدت إلىٰ البيت وأنا في غاية الإرهاق»[٢٨].

ويظهر الإخلاص في شخصية (سالم) في رواية (آدم.... يا سيدي) وتفانيه

العجيب في عمله مع سيد (عبد الكريم) ذلك الشخص الذي عاونه علىٰ مصاعب الحياة بعد وفاة والده، وفاء للصداقة التي بينهما: «ودفعني إحساسي الدائم بأني مدين له للتفاني في خدمته، ورعاية مصالحه وتجارته إلىٰ حد الاستغراق في العمل، وساعدني الله ونجحت، وزاد الكسب، واتسعت المكتبة... وكافأني الرجل بسخاء وأجزل لي العطاء، وأتمنني علىٰ ماله»[٢٩].

❋ الطموح والأمل:

حثنا ديننا الإسلامي علىٰ هذه القيمة التي علىٰ كل مسلم أن يحرص عليها، ويتسم بها، يقول الله تعالىٰ في محكم كتابه: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَفِسُونَ ﴾ (المطففين:٢٦)، فالطموح: يعني الصمود أمام التحديات، وتذليل العقبات، ومجاهدة النفس للوصول إلىٰ الغايات[٣٠].

وتظهر تلك القيمة / قيمة الطموح في شخوص رواية المرأة السعودية، ففي رواية (سم أفعىٰ) لـ(ريم البقمي) يتجلىٰ الطموح المترسخ في ذهن الكاتب بوضوح في شخصية (خالد) الذي أهدر عمره دون عمل فترة طويلة من الزمن، إذ كان طائشا مدللا، لكنه يثبت جدارته في عمله (وظيفته العسكرية) المرموقة، وقد دفع به طموحه الكبير، وإصراره اللامحدود، وحلمه المنشود؛ لتحقيق النجاح إلىٰ تحدي المصاعب، والسير في درب الطموح الدراسي، فهو يتطلع إلىٰ الارتقاء بذهنه، وتوسيع ثقافته، والنهوض بفكره من خلال إكمال دراسته، ونيل الشهادة الجامعية ذلك المفتاح السحري، وبوابة كل شيء جميل في الحياة «سأسعىٰ إلىٰ الأفضل، أبحث الآن عن جامعة تقبل بي لأكمل دراستي مساءً، أو بالانتساب فقد أدركت مؤخرا أن الشهادة الجامعية هي المفتاح السحري، وبوابة كل شيء جميل... ليس

هناك شعور أجمل من الإحساس بطعم النجاح.حتىٰ وإن فشلنا مئات المرات وخذلنا، وشعرنا بالإحباط يجب أن لا نقف، فطالما أنت علىٰ قيد الحياة فلديك متسع من الوقت...»[٣١]. أمل (خالد) بتحقيق الحلم حفزه علىٰ الصمود، وعدم الاستسلام للفشل، وأبعد عنه الإحباط والكسل، وبعث فيه الفرح والطمأنينة والطموح؛ للدخول في سباق الحياة، وتحقيق الفوز بالنجاح، والوصول إلىٰ المستوىٰ الذي يطمح إليه.

ومن خلال هذا البناء القيمي المحكم الموجه لأبطال الرواية وأحداثها تأتي هذه الشخصية، شخصية (خالد) مثالا واضحا علىٰ الطموح الدراسي، فهو لا يقبل بالواقع، ويتطلع إلىٰ ما يمكن أن يصل إليه، دون أن يترك الظروف التي مرَّ بها تؤثر علىٰ مسيرة حياته.

وعلىٰ درب الطموح المتكامل تسير شخصية (هدىٰ) في رواية (عيون علىٰ السماء) لـ(قماشة العليان) فالحياة الزوجية البائسة التي عاشتها (هدىٰ) – تلك الفتاة الكويتية التي تزوجت مرتين – دفعت بها إلىٰ مضمار الطموح الدراسي؛ لتحقيق حلم النجاح، يتجلىٰ ذلك واضحا في حوار هدىٰ مع زوجها (عبد الله) بشجاعة، وإصرارها أمامه علىٰ تحقيق طموحها اللامحدود؛ للوصول إلىٰ طريق النجاح في الدراسة: «آه كلية آه.. لا بأس...دراستك بالكلية نرجئها إلىٰ وقتها.. صرخت أي وقت تقصد.. إنني لن أتنازل أبدا عن دراستي بالكلية.. أتفهم ولو كان الثمن الطلاق»[٣٢]. الطموح والإصرار والعزيمة إلىٰ تحقيق النجاح والفوز بشهادة الجامعة ظل الحلم المنشود الذي لازم (هدىٰ) فمع صعوبة وقسوة الحياة التي مرَّت بها، إلا أنها تمتلك حافزا كبيرا من الأمل والطموح من أجل بلوغ هدفها، وتحقيق مرادها مع تخطيها لكل

العقبات والمشاكل التي عصفت بحياتها، دون أن تجعلها تؤثر عليها في مسيرة دراستها: «انخرطت هدىٰ في دراستها الجامعية.. وبدأت تنكب علىٰ دروسها من جديد، وكأنها لم تغب عنها لحظة واحدة...»[٣٣]. فهدىٰ في تلك الرواية مرت بمحطات من التعب إلا أنها تملك إرادة قوية تخطت من خلالها تلك المحطات؛ لتصل إلىٰ حديقة النجاح.

وعلىٰ الطريق نفسه تسير شخصية (مساعد) في (رواية سيقان ملتوية) لـ(زينب حفني) فمساعد شخصية طامحة لتحقيق النجاح الدراسي، وإكمال دراسته الجامعية، ومواصلة دراسته العليا في بريطانيا «جاء مساعد إلىٰ بريطانيا ضمن الطلبة الذين تم ابتعاثهم لتكملة دراستهم في الخارج، كان حينها في الثامنة عشرة، درس الاقتصاد في جامعة كمبريدج» وشخصيته الطموحة صيرته شخصا لا يرضىٰ بمستواه الراهن بل يعمل دائما إلىٰ النهوض بمستواه، وإكمال دراساته العليا «فلم يكتف بالشهادة الجامعية بل حرص علىٰ تتويجها بالماجستير والدكتوراه»[٣٤].

تنقلنا الرواية إلىٰ مضمار التعليم في جامعة كمبريدج ببريطانيا حيث تتحرك من خلالها شخصية مساعد الطموحة، وجديته الحقيقية في التحصيل الدراسي، والرغبة في الحصول علىٰ الشهادة العليا الماجستير وتتويجها بالدكتوراه.

*** التضحية والإيثار:**

تلجأ الروائية السعودية إلىٰ تقديم قيمة التضحية والإيثار من خلال رسم تجاوب الشخصيات مع الآخرين، وتعاملهم مع غيرهم بحب صادق، ونفعهم نفعا حقيقيا، ومحاولة تقديم الخير لهم، ودفع الضرر عنهم، يؤطر هذه القيمة السياقات الإسلامية، كما في رواية (العاشرة مساء) لـ(مها الجريس) تفاعل الكاتبة مع الواقع والتضحية من

أجل الوطن فرض عليها منحا لغويا ذاتيا في سرد روايتها، شكلت من خلالها بناء الرواية، فشخصية البطل (فارس) صيرته بطلا يجاهد نفسه في التغلب علىٰ هواه، ومجاهدة اليهود للانتصار عليهم، وقد ظل ذاك الحلم، حلم (الانتصار) هاجسا يلح علىٰ نفسية (فارس) وتفكيره، وسيطر علىٰ عقله ودفع به إلىٰ الاضطراب والصراع النفسي بين رغبته في طلب العلم، ورغبته للانتصار للوطن الجريح، وقد سردت الكاتبة أحداث الرواية بلغة ذاتية حزينة تعكس عمق تفاعلها مع الواقع، وتحرك مشاعر القارئ وتوجعه، وتنقله إلىٰ محيط (فارس) وما يتجرعه شعبه من مرارة الظلم، وتجعله يعاصرها من خلال تفهم نفسية (فارس) «في كل يوم كانت كراهيتي لهذا المكان تزداد... الناس في بلادي يتعرضون للموت في اليوم عدة مرات... كنت أتابع الأخبار والأحداث، فلا أرىٰ إلا القتل والظلم والطغيان... إنهم اعتقلوا الكثير من الناس، منهم أصحاب لي وجيران، لم يكن سلاحهم الوحيد سوىٰ الحجارة قد بدأت تراودني أفكار غريبة! لم أعد أرغب في إكمال دراستي، أتمنىٰ العودة إلىٰ بلادي؛ لأنتقم من القتلة بأي طريقة كانت»[٣٥].

يضحي (فارس) بمستقبله الدراسي الجامعي، ويقرر مصير حياته من أجل حرية بلاده، والذود عن مقدّراته: «في العاشرة مساء كنت قد تسللت إلىٰ ثكنة عسكرية لضباط من اليهود،... كانت الثكنة سرية وممومة بعدد من الحواجز والمدرعات، وكأنها نقطة تفتيش،... أنا لست إرهابيا، لست حقودا، لست أنشد سوىٰ العدالة! لقد آن الأوان لأقتص من هؤلاء القتلة المجرمين، ليس بيني وبين الموت إلا ثوان معدودة!»[٣٦]. تنتهي حياة (فارس) كما أراد لها في سياق التضحية العظيمة من أجل غاية نبيلة لازمته، وهي الدفاع عن الوطن، وإقصاء العدو اليهودي. وهنا تكاملت

القيمة، فقد أحالت التضحية الاختيارية الواقع الذي يثير الفرح والسرور إلىٰ مأساة مؤلمة للنفس مع الرضا والقبول بنتيجتها الإصلاحية.

وتتجلىٰ قيمة التضحية واضحة في بنية الخطاب في رواية (أعطني حقي في الذوبان) لـ(مريم حمد)، والتي تصور فيها قصة (فارس - وفراس) إذ يضحي (فارس) بحب أديم لأخيه (فِراس) توأمه الذي شاركه دفء الأم جنينا، ويشاركه في كل تفاصيل حياته، حروف اسمه، ملابسه، أصدقائه، دراسته: «عاشق قد أخفىٰ الحب سنوات؛ لأنه كان يدرك أن لا مكان له في رواية ديم وفِراس.. توأمه...كان بمثابة الروح أما ديم كانت قالب تلك الروح، فكان لابد من التضحية من أجلهما، هكذا توأمان اتفقا في كل شيء حتىٰ في ذائقة الهوىٰ»[٣٧]. يحسم فارس رحلة الشقاء والحزن، والألم والعذاب الذي عاشه، بالتخلي عن حبه، والتضحية الاختيارية المؤلمة بعلاقته بأديم، والانكفاء عن هذه المشاعر، رغبة منه في الإبقاء علىٰ التماسك الأسري.

وتضحي (رؤيا) في رواية (أنت حبيبي لن نفترق معا إلىٰ الأبد) لـ(صفية عنبر) براحة جسدها بعد عمل منهك طوال اليوم من أجل صاحبتها (سلوىٰ) التي ترقد طريحة الفراش لوعكة صحية ألمت بها فأعاقتها عن القيام بعملها، مما دفع بها إلىٰ تقديم إجازة مرضية لمدة أسبوع: «ما إن وصلت الدار حتىٰ اتصل بي رئيسي في العمل، وقال: يا رؤيا زميلتك سلوىٰ في إجازة مرضية هذا الأسبوع، قومي بعملها... وبعد يوم شاق مجهد في العمل لأنني قمت بعمل زميلتي بالإضافة إلىٰ عملي ذهبت لزيارتها... وطلبت من سلوىٰ أن تأخذ إجازة أسبوع آخر وسوف أقوم أنا بعملها إذا كنت فعلا زميلاتها»[٣٨].

في هذه الرواية تقدم الكاتبة وصفا سرديا، ومثالا لقيمة التضحية النسوية

المغروسة بنفسها، وفيها تظهر تعاون شخصية (رؤيا) العملي مع صاحبتها (سلوى)، والتعاون قوة معنوية تقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع[٣٩].

وتعكس رواية (الحلم الضائع) لـ(حنان المنقور) قيمة الإيثار الجميل، وتكاملها من خلال تصوير العلاقة المتبادلة بين الأم وابنها (محمد) بطل الرواية، وبدا الأسلوب الذاتي واضحا في تصوير أسمى عاطفة، وأنقى مشاعر بين الأم وابنها، علاقة حب ذات طابع رومانسي خاص، يتحمل الابن ألما فاق جسده الطفولي، ومشهدا مروعا يصعب رؤيته على من في عمره؛ لكيلا يزعج أمه، ولترتاح في قيلولتها. والأم الحنون تؤثر ابنها على راحتها فتنهض في هلع من قيلولتها على صوت ابنها، وتكتم شهقتها أمام مشهد الدماء المروع؛ لتهدأ من روع طفلها: «لم يكن باستطاعته التحمل أكثر!! كان يحاول كتم أنفاسه مقاوما ذلك الألم الرهيب كيلا يزعج أمه التي كانت تقيل كعادتها بعد كل غداء... لكن الألم فاق كل صموده الطفولي، ليصرخ بأعلى صوته: ماما.. ماما.. دقائق! وإذا بيدين حانيتين تمتدان إليه: محمد، ألم أقل لك ألا...! بترت الأم عبارتها بشهقة مكتومة، إذ راعها مشهد الدم الذي كان ينزف بغزارة من إحدى أصابع يد محمد اليسرى»[٤٠].

ورواية (أنت حبيبي لن نفترق معا للأبد) كذلك نموذجا لقيمة الإيثار، ويأتي الإيثار في هذه الرواية بثوب الشفقة والعطف والحب إذ تؤثر (رؤيا)، وشخصيات الأسرة (الأب، والأم) الوقوف مع خالة رؤيا - رأفة بها، وشفقة عليها - على تحقيق سعادة (رؤيا ورائد)، وتأجيل حفل الزواج الذي تم تسلم بطاقات دعوته ولم يتبق غير التوزيع، وذلك عندما وصلهم خبر مرض زوج خالة رؤيا حيث أصيب بنوبة قلبية شديدة، وعلى أثرها نقل إلى المستشفى، إذ تسافر الأم بصحبة الأب ليكونا بجانب

الخالة في تلك الظروف الحالكة التي تمر بها: «وفي اليوم الثاني تسلمنا الكروت، ولم يبق غير التوزيع وبينما الجميع منشغل في استعراض قائمة الأسماء والكتابة علىٰ الظروف إذ برنين الهاتف يعلو، وكانت تهاتف خالتي التي تسكن جدة، كانت تتكلم بدموعها وقالت: إن زوجها قد أصيب بنوبة قلبية شديدة وعلىٰ أثرها نقل إلىٰ المستشفىٰ، تجمدت الكروت والأسماء في أيدي الحضور، ولم يستطع أحد أن يقول شيئا إلا أبي أخذ يتحدث إلىٰ أمي ويهدئ من روعها وهو يقول لها: إن شاء الله سوف نحجز لك الآن لتكوني قريبة من شقيقتك، أرجوك لا تجزعي يا عزيزتي أزمة وتمر بإذن الله»[٤١].

والإيثار المتبدي في شخصية (رؤيا) وشخصية (الأم والأب) أتىٰ إيثارا إجباريًا اقتضتها ظروف مرض زوج خالة رؤيا، إذا بدت الخالة مسكينة ومثيرة للشفقة والعطف، فكان الباعث المسؤولية الأسرية، فأتىٰ الإيثار: «ليترجم الشعور بحب الآخرين، وإرادة الخير لهم، وتأمين مصالحهم، وتفضيلهم أحيانا كثيرة علىٰ النفس»[٤٢].

❋ الحياء والعفاف:

تظهر هاتان القيمتان بوضوح في رواية (العاشرة مساء) لـ(مها الجريس) إذ كان الحياء مزية واضحة في خلق المرأة السعودية المسلمة، يتضح ذلك في شخصية (وداد) الفتاة العفيفة التي يزين الحياء خلقها وجمالها، نجده في إسباغ حجابها، وحفظها لشرفها، وعدم السماح لرجل أجنبي أن يلامس كفها، وتجهمها من تصرف (فارس) الذي أمسك بيدها دون تعمد «إنها وداد بحجابها السابغ، وجمالها الطاهر، وحيائها الكريم... وداد أريد أن أقول لك شيئا. وقفت والحياء باد علىٰ وجهها... أرادت أن

تنصرف وأنا مازلت ساهيا في أمرها، لا أدري كيف امتدت يدي إليها فجأة، فأمسكتها من يدها وأنا أقول: لحظة، انتظري قليلا. التفتت إلي وداد، وقد تغير وجهها، سحبت يدها بقوة، ولأول مرة أراها متجهمة، ثم قالت: تبدو جريئا علىٰ غير عادتك! هل أفسدتك أمريكا؟

أرجوك يكفي. ذهبت وداد مسرعة وبقيت مشدوها في مكاني»[٤٣].

والحياء والعفاف قيمة ملازمة لشخصية (فارس) في الرواية نفسها، يتجلىٰ ذلك بوضوح في معيشته في أمريكا، وعفافه عن حياة الانفتاح فيها، من ذلك موقفه مع (سيلين) زميلته بالجامعة، حينما اقتربت منه وجلست بجانبه، حاول الابتعاد عنها، وترك القاعة وخرج رافضا، الجلوس بجانبها والخلوة بها: «بينما كنت أجمع أوراقي، أقبلت سيلين عليَّ وقالت:... الملف الذي معي لا يفتح، ولا أدري ما المشكلة؟ أحسست أني في ورطة، لم أكن أرغب أن نكون وحدنا، أحرجتني بطلبها... وضعت (الذاكرة) في الحاسوب، وجلست علىٰ مقعدي، فتقدمت الفتاة وجلست بجانبي، حاولت الابتعاد قليلا، لكن الكرسي كان مثبتا علىٰ الأرض. نقرت علىٰ الملف فانفتح... سحبت نفسي، وخرجت من القاعة، وتركتها واقفة في مكانها»[٤٤].

*** الأمانة والشرف:**

الأمانة: هي تحمل الأفراد المسؤولية المناطة إليهم، وهي شاملة لكل الالتزامات الاجتماعية، والأخلاقية، والشخصية.، فالإنسان مؤتمن علىٰ نفسه، وعلىٰ مجتمعه، وعلىٰ دينه[٤٥].

أما الشرف: فهو أصل لكل فضيلة، ومرتكز لكل قيمة، والشريف لا يرضىٰ بالنقائص والعيوب، وقد يكون الشرف خاص ببعض الجوانب الإنسانية كالعرض[٤٦]

ونجد المحافظة علىٰ الأمانة، وحماية شرف العرض واضحا في شخصية (مساعد) في رواية (سيقان ملتوية) الذي يعيش في بريطانيا، والذي يتألم لتأخر ابنته عن العودة إلىٰ المنزل، وينهال عليها ضربا، معلنا رفضه التام لتلك التصرفات التي تخالف الدين والأخلاق، والسلوك، والعادات العربية العفيفة: «كانت أول سابقة في عمره، يرفع فيها يده علىٰ ابنته، لم يدر بنفسه إلا وهو يصفعها صفعة قوية علىٰ وجهها بعد عودتها إلي البيت ظهيرة اليوم التالي، لم يذق هو ووالدتها النوم طوال الليل السابقة...»[٤٧]. وما فتئ (مساعد) يبحث عن الأمانة ليلا ونهارا، ابنته التي أثقلت كاهله، وهدت كيانه، وألبسته ثوب الحزن والهم بعد أن تركت المنزل، وباتت خارجه: «منذ اللحظة التي علمت فيها باختفائها، وأنا لم أكل من البحث عنها. لم أبلغ إلا بعد أن استنفدت كل محاولاتي. اتصلت بجميع الأرقام المدونة في دليل هاتفها. لم أترك أحدا لم أسأله عنها»[٤٨].

لم يقبل بياتها خارج المنزل، تمنىٰ موتها حفاظا علىٰ سمعتها، وعلىٰ شرف العائلة، وخشية العار الذي سيلحقهم جميعا، نتيجة لتصرفها: «كفي عن الندب يا امرأة.. هل كنت تريدين مني، غض الطرف عن بياتها خارج البيت!! ليتهم يأتونني بخبر موتها لأرتاح»[٤٩].

وتنساب أحداث الرواية لتأكيد تيار تحمل الأمانة، والمحافظة علىٰ الشرف والعفة، يطالعنا ذلك في عدم انقياد(مساعد) خلف شهواته، وارتكاب انحلالات أخلاقية مع توافرها في تلك البيئة الجديدة، فهو يتماسك أمام إغراءات الرذيلة «في مرحلة نضجه، لم يكن من الذين اعتادوا الانقياد خلف شهواتهم، حامدا الله أنه لم يتعرض للوثة منتصف العمر التي تصيب أغلب الرجال»[٥٠].

إن مساعد يعلن بقوة عن نفسه شريفا عفيفا يقاوم إغراءات الفتيات في تلك البلاد، كما أنه يصد أصحابه الذين يحاولون إيقاعه في الرذيلة صدا عنيفا: «في مرات كثيرة يحيطه أصدقاؤه بسؤال له مغزىٰ خبيث، إن كانت له صديقة أوروبية مثل الكثير من رجال الأعمال، الذين يتنقلون بين مدن العالم من أجل إنجاز صفقاتهم بصحبة عشيقاتهم!! كانوا يتعجبون من تعليقاته الحازمة، رفضه إقامة علاقة في الحرام مع أي امرأة مهما كانت إغراءات أنوثتها»[٥١] الكاتبة هنا في سبيل تحقيق فكرتها، ومن خلال الأحداث الروائية تغلق الأبواب أمام الشر والرذيلة، وتفتحها أمام الخير والشرف والمحافظة.

وتظهر قيمة الأمانة في رواية (آدم يا سيدي) من خلال عرض التجارب الحياتية لشخصية (عائشة) ومدىٰ تحملها لمسؤولية تربية الأبناء، وتقدم الروائية الأحداث بأسلوب تقريري مباشر: «فتربية الأبناء ليست بالأمر السهل أو الهين، إنها مسؤولية كبيرة صعبة، أمانة وضعها الله في أعناقنا، نسأل عنها يوم القيامة، ونسأل عنها أمام الناس، وأمام أبنائنا وأنفسنا، مسؤولية خطرة... مسؤولية ضخمة»[٥٢] كما نتلمس قيمة الأمانة في شخصية (عائشة) أيضا، وتحملها مسؤولية حماية الطفل الرضيع الذي وجدته علىٰ سطح السيارة، فقد حافظت عليه، ووفرة له العناية الصحية والجسمية والغذائية. إلحاح عاطفي علىٰ البطلة (عائشة) وضغط نفسي للالتزام بمسؤولية الأمانة، دفع بدفة الأحداث إلىٰ التدفق والانسياب؛ لكشف المحنة التي تمر بها الشخصية، وتوصيلها للقارئ بأسلوب تقريري جاف مكتوب بماء الذكريات للشخصية المطروحة، فاللغة تفتقر إلىٰ التلوين الأسلوبي والإيحاء التعبيري.

وتظهر قيمة الأمانة، والمحافظة عليها، وعدم الغش والابتعاد عن السرقة في

رواية (الحلم الضائع) لـ(حنان المنقور) تحركها قيم إسلامية راسخة، وإيمان قوي برب العباد، مثال ذلك الحوار الذي أدارته الروائية حنان بين شخصية (فريد) والشاب المسلم الأمين: «يا سيدي.. إني هنا أطلب لقمة عيشي، وإني لأرجو مالا حلالا، وأيضا لو احتفظت بتلك الجنيهات فذلك غش وسرقة، ولن يبارك الله لي في مكسب حرام. أدهشتني أمانته، فسألته: يا فتىٰ من رباك علىٰ الأمانة؛ فإنه لشخص عظيم؟!.. فرفع الشاب رأسه للسماء وقد دمعت عيناه: إنه ليس بشخص يا سيدي؛ بل هو ربي الذي رباني»[٥٣].

❋ الصبر والرضا بالقضاء والقدر:

نجد الصبر والتجلد والصمود أمام المصاعب قيم ماثلة في سرد حكاية (عائشة) في رواية (آدم يا سيدي) بدءا من صبرها علىٰ فراق زوجها (حمزة) وحرمانها من حبه وعطفه وحنانه، من ثم تحملها قسوة الحياة وصعوبتها، وتحملها مسؤولية تربية الأولاد، وتوفير الحياة الكريمة لهم من بعده: «عندما افتقدتك أحسست أني فقدت البصر، وغدوت كفيفة، أتلمس الطريق تائهة وحيدة وسط طرقات الحياة الوعرة المتشابكة»[٥٤]، وتؤكد الراوية مثول هذه القيمة علىٰ لسان الشخصية، وهي تخاطب الغائب مستحضرة وجوده: «يا حمزة.. إن الله امتحن إيماني بفقدانك، وامتحن صبري بفراقك، وامتحن قلبي بحرماني منك، وسأصبر.. نعم سأصبر.. سأصبر طاعة لله، وطمعا في رضائه وجنته، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين لنستسلم لقضائه وقدره، ونصبر علىٰ البلاء والمحن...»[٥٥].

وتتضح قيمة الصبر كذلك في شخصية سعاد في رواية (آدم يا سيدي) في تحملها مرض زوجها (أبو المهند) والذي بدأت معانته منذ مرور شهر واحد فقط من

زواجهما، وتستمر سلسلة تحمل مصاعب مرضه حتىٰ وفاته: «أيام الزفاف الأولىٰ كانت أروع وأسعد أيام حياتي، عشت في حلم جميل، ولكن لأيام قليلة، فبعد مرور شهر واحد فقط فوجئت به يسقط بين ذراعي وراح يلهث بشدة يستجدي الهواء.. ومضت الحياة... لنا فيها مع المرض والأطباء والمصحات قصصا وحكايات طويلة، ولم تكد تمضي بضع سنوات إلا وأصبح في حاجة ماسة لإجراء جراحة حيوية في القلب لاستبدال أحد الصمامات التالفة... ولم يكن أمامنا إلا بيع العمارة التي كان يملكها في مكة، وعارض بشدة وامتنع في بادئ الأمر، ولكني أصريت علىٰ رأيي وتمسكت بموقفي، وأقنعته بأننا أقصد أنا وأطفاله لسنا في حاجة إلىٰ المال بقدر حاجتنا إلىٰ وجوده معنا يضيء حياتنا. واضطرت بعد ذلك إلىٰ العمل في روضة الأطفال، لأتمكن من توفير متطلبات البيت والمعيشة»(٥٦).

ونجد الصبر واضحا في شخصية (أمل) في رواية (درة الأحساء) لـ(بهية بوسبيت) صبرها علىٰ تأخر حملها، وعلىٰ كلام الناس من حولها، وقد واجهت ذلك بالتوجه إلىٰ الله، والاستعانة به علىٰ همها، ورفع أكف الدعاء، والتوكل عليه بتفريج كربتها، فيسر الله لها الحمل، فسعدت به، وانتظرت الضيف الجديد بلهفة وتشوق مع زوجها «قدوم الضيف الجديد الذي طالما وقفا في محطة الانتظار لاستقباله بكل حفاوة وتكريم»(٥٧).

ويتجلىٰ الصبر بوضوح كذلك في سرد الروائية حكاية (أحلام) في (أنثىٰ العنكبوت) بطريقة فنية من خلال رسم حركتها، وأفعالها. تلك الشابة الجميلة التي تنتمي إلىٰ عائلة معروفة، ولدت في مستشفىٰ الأمراض النفسية، في إحدىٰ النوبات النفسية التي كانت تعترض أمها، وتتولىٰ شقيقتها بدرية – التي تحبها وتتعلق بها كثيرا –

تربيتها. تعرضت أحلام لمواقف مريرة، ونكبات ومصاعب كثيرة في حياتها، بسبب والدها الذي دمر أمها، وأودع أختها (ندىٰ) في المصحة النفسية حتىٰ انتحرت، وزواج (بدرية) شقيقتها من رجل عربيد، وزف شقيقتها (سعاد) بعد منعها من مواصلة دراستها إلىٰ رجل كبير في السن رغما عنها، وأجبر أخاها (صالح) علىٰ الزواج من ابنة عمه، وتخلىٰ عن أخيها (خالد) وقت حاجته للمال لعلاج ابنه المريض، وهجر أخاها (حمد) وتركه وحده يصارع مآسي الحياة، مع حاجته الماسة إليه. واجهت أحلام الأحزان والعذابات، وأيام البؤس والتعاسة بتجلد وصبر دفع بها إلىٰ الانطواء والاستقلال، والتقوقع علىٰ نفسها، لمناجاة ربها، تقول: «رباه... تصفعني الحياة الصفعة تلو الصفعة حتىٰ لم أعد أقوىٰ علىٰ تحمل المزيد؟؟؟. إخوتي ومعاناتهم التي أحملها، هموم تضاف إلىٰ هموم، وعناء يثقل كاهلي، أتألم لألمهم، حتىٰ إنني أكاد أنسىٰ حياتي مستقبلي، وشبابي الذي تسرب من بين أصابعي كدفقات الماء...»[٥٨].

كما يتجلىٰ الصبر في الرواية نفسها من خلال شخصية (سعد) والتي ظهرت من خلال حديث (وضحىٰ): «أعطتني وضحا كتابا عن الصبر، والإيمان بالله.. كتيب صغير لا يزيد عدد صفحاته علىٰ العشرين صفحة.. شكرتها، ودموعي لا تزال عالقة بأهدابي... ابتسمت هامسة: هل تعرفين من هو مؤلفة.؟ ضحكت بفخر، وهي تقول: إنه أخي سعد....»[٥٩] من خلال حديث (وضحىٰ) عن أخيها (سعد) تظهر لنا ملامح شخصية (سعد) بصورته المثقفة الواعية، وبدت ملامحه كذلك تتكشف من خلال كتبه، فهو رجل مهتم بشؤون الناس، يتحدث في تلك الكتب عن قيمة الصبر، والإيمان بالقضاء والقدر.

وقيمة التسليم بالقضاء والقدر قيمة طاغية علىٰ شخصيات رواية (العاشرة

مساء)، كما في شخصية (طاهر) الشاب الجزائري الذي يعيش في أمريكا، والذي يهون من قوة الصاعقة على نفسية (فارس) لفقد صديقة، وشقيق روحه (حسام) ليسلم بقضاء الله وقدره «هون عليك يا «فارس» أنت تعلم منزلة الشهيد عند الله «حسام» كان سيموت على كل حال؛ برصاص طائش، أو بغدر العدو، أو حتى على فراشه، ولكنه نال شرف الشهادة، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون»[٦٠].

***

المحور الثاني
دائرة واسعة (قيم جماعية عامة)

ويشمل: **(الانسجام مع عادات المجتمع وتقاليده، التأثر بالقيم الإسلامية، التفاعل مع الموروث العربي، الإحساس بالذات العربية والإسلامية).**

❋ الانسجام مع عادات المجتمع وتقاليده:

لا تظهر حركة المجتمع إلا في قيمه، وما العادات والتقاليد إلا صورة واضحة لتلك القيم الاجتماعية.

والعادات، تعني «السلوك المتكرر الذي يظهر بصورة تلقائية نتيجة لتداول الناس لها، وتعودهم علىٰ ممارستها، ومنها ما قد يعبر عن أوضاع قديمة، ومنها ما يأخذ شكلا دوريا، أو يتكرر في أوقات معينة»[٦١]. أما التقاليد فهي عبارة عن «طائفة من قواعد السلوك الخاص بطبقة معينة، أو طائفة، أو بيئة محلية محددة النطاق، وهي تنشأ عن الرضا، والاتفاق الجمعي علىٰ إجراءات معينة وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأُ فيه، ولذلك فإنها تستمد قوتها من قوة الطبقة، أو الهيئة التي اصطلحت عليها»[٦٢].

وعند استقراء الرواية لدىٰ المرأة السعودية نجد أن الكاتبات رسمن رؤيتهن لقيم المجتمع، عاداته وتقاليده من خلال شخصياتهم الروائية – وقلما «تخلو رواية واحدة من رصد لها، إلا بعض الروايات التي تقوم علىٰ منحىٰ تجريبي كرواية (أربعة/ صفر) لرجاء محمد عالم. وهذا الفعل الروائي فعل طبعي؛ لأن المقصد الأول من الرواية هو رصد حركة المجتمع»[٦٣] – فعند إمعان النظر في رواية (سُم

أفعىٰ) لـ(ريم البقمي) نجد أن الكاتبة صورت انسجام الشخصيات الكامل مع عادات المجتمع وتقاليده المتبعة، سواء في المأكل أو الملبس، أو المسكن، أو مظاهر المعيشة المختلفة، من ذلك الاجتماع العائلي بعد صلاة المغرب لارتشاف فنجال (القهوة العربية)، ومن أصول تلك القهوة العربية والتي يجب مراعاتها وفقا للعادات والتقاليد المجتمعية، انتظار أفراد العائلة حتىٰ قدوم الجميع فلا يصح أ ن تحتسىٰ القهوة في غياب اجتماع العائلة «في مجلس الدار...تحمل أفنان القهوة متجهة صوب مجلس العائلة، وهي تنادي بصوت مرتفع: ماما، أماني، سلطان القهوة» تنادي أفراد العائلة مرة أخرىٰ «ماما.. أماني.. سلطان.. القهوة»[٦٤] من هنا تتعجب الوالدة وتستنكر علىٰ أفنان احتسائها فنجالين من القهوة قبل قدوم أفراد العائلة «ما شاء الله عليك أتحتسين القهوة قبل قدومنا؟!»[٦٥] هنا جعلت الروائية الشخصيات لا تستطيع الانعتاق من قيم المجتمع وعاداته.

ومن القيم الاجتماعية التي ركزت عليها الكاتبة كذلك، عادات المجتمع في الاحتفاء بالمناسبات السعيدة كما احتفت عائلة (عم إبراهيم) بترقية ابنها خالد في وظيفته العسكرية، وقد دعت العائلة لوليمة عشاء «هذا أخي إبراهيم يبلغكم تحاياه، ويدعوكم لوليمة عشاء عائلي، احتفاء بترقية ابنه خالد في وظيفته العسكرية» وعلىٰ الجميع تلبية الدعوة، فالتخلف عنها يعد عيبا كبيرا في عرف المجتمع «أليس من العيب تغيب بعضنا خاصة وأننا لم نرهم منذ أسابيع»[٦٦] وتفيض الرواية بحديث عن بعض العادات والتقاليد التي توارثوها في حسن استقبال الضيف، والتي حرصت الكاتبة علىٰ تصويرها في الرواية وجعلت الشخصيات، شخصية (أم خالد، وبناتها) تعمل علىٰ تحقيقها عند استقبال الضيوف، وهو تعطير المكان برائحة العود، وإعداد

القهوة العربية – رمز الكرم وحسن الضيافة – بنكهة الهيل على نار هادئة؛ لتضفي رائحتها على المكان، فتختلط مع رائحة بخور العود، فتكسبه خصوصية فوق خصوصيتها، وهذه الروائح الممزوجة – تضفي على المكان أريحية – جزء من تاريخ وحضارة المجتمع السعودي، والتي مازالت ربات البيوت يحرصن على تقديمها، فهي عنوان الضيافة، وتعبر عن مدى التقدير والاحترام، والفرحة بزيارة الضيف.

ومن عادات المجتمع السعودي في الملبس التي عملت الكاتبة على تصويرها من خلال شخصيات الرواية، ملابس شخصية (أم خالد) والتي استقبلت بها الضيوف ملابس ساترة بأكمام طويلة كلاسيكية الشكل، فضفاضة، ولا تكتمل الأناقة إلا بقطع من المجوهرات الثمينة التي تزيين الأعناق «الأم بفستانها الكلاسيكي السماوي ذي الأكمام الطويلة... يزين جيدها قطع من الألماس التي تزداد توهجا بمعانقة عنقها»[٦٧]، يغطي ذاك الفستان الأنيق عباءة وحجاب ساتر، وهو ما تلبسه المرأة لتغطية رأسها ووجهها وسائر جسدها كلما أرادت الخروج من المنزل: «تدلف أمجاد إلى المجلس وقبل أن تخلع عباءتها تلفت الطاولة انتباهها»[٦٨].

وإذا نظرنا إلى رواية (الشياطين تسكن الأعشاب) لـ(مهرة العصيمي) نجد أن الرواية تطفح بالاستسلام لعادات المجتمع وتقاليده، سواء أكان في أدوار الشخصيات، أو في الملبس أو المسكن أو المأكل، أوفي وسائل التنقل: فمن ناحية السكن تجعل البيوت طينية صغيرة متجاورة تعكس التقارب الوجداني بين أهل القرية النجدية، وكذلك خيام متلاصقة تلتف حول خيمة شيخ القبيلة إعلانا عن استسلامهم لسلطته، وإذعانا لكلمته، أما الملبس فثياب جميلة لبساطتها فسفورية اللون مزركشة الشكل مزينة بالدوائر الحمراء، والثوب الأسود، والعباءة، والخمار، وغير ذلك مما

يدل علىٰ المحافظة علىٰ تقاليد المجتمع وعاداته.

وأما الأكل فهو شعبي يتم إعداده وطبخه في البيوت أو الخيام، وتقوم به نساء القبيلة، ومن أصناف المأكولات (العصيدة) و(القرص) وقد كانت الأسر تحترم تقاليد المجتمع في الاجتماع العائلي حول وجبة الطعام، وانتظار كبير الأسرة وعدم البدء بالأكل قبل أن يحضر، كما تقوم المرأة بذبح الخراف في الولائم والأعراس.

ومن ناحية الشخصيات، فقد صورت الكاتبة الشخصية المحورية (عائشة) شخصية منسجمة مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، متجاوبة معه، مستسلمة لأعرافه، منقادة له في أشكال من الممارسات الاجتماعية، سواء في مجتمع البادية الذي انتقلت إليه بعد وفاة والدها ومعيشتها مع (نورة) تلك المرأة التي عاشت أغلب حياتها علىٰ مظنة أنها أمها، ومن ثم تفاجئ القارئ بأنها زوجة أبيها، وفي هذا إذعان لتقاليد المجتمع وعادته في احترام زوجة الأب ومعاملتها معاملة الأم، وهنا يتجلىٰ تبعيتها لتقاليد المجتمع وانقيادها له.

ومن أشكال الانسجام مع تقاليد المجتمع وعاداته الاجتماعية، والاستسلام لها، رضوخها وقبول انتقالها إلىٰ المجتمع الريفي القبلي بعد زواجها من (عيسىٰ) ذلك الرجل المسن البالغ من العمر السبعين عاما، دون أن تبدي أي اعتراض، أو تصادم مع الوضع الحاصل، بل تجعلها الكاتبة زيادة علىٰ ذلك تحترم بيته في غيابه بعد سفره للتجارة خارج البلاد ثلاث سنوات، مع عدم اتفاقها مع ذلك الرجل، وعدم رضاها التام عنه.

وحين نركز الضوء علىٰ شخصية (سعد) نجد (مهرة العصيمي) تجعله شخصية متجاوبة مع قيم المجتمع، خاضعا لعاداته وتقاليده، إذ تجعله عفيفا شريفا، يحب

(عائشة) حبا عذريا صادقا، مع حفاظه علىٰ أعراض بنات القبيلة، وعدم التصادم مع سلطة العادات والتقاليد[٦٩].

وفي رواية (قطرات من الدموع) تقدم (سميرة خاشقجي) شخصية (رقية) - بأسلوب مباشر تقريري - محافظة علىٰ التقاليد القبلية، والعادات والقيم المجتمعة: «كانت رقية أم ذكرىٰ نشيطة للغاية، لا تتوانىٰ عن أداء واجباتها كزوجة، وأم.. مثل أي أمرأة بدوية، فهي تنظم خيمتها، وتعد الطعام لزوجها، وتصنع الخبز.. وتحلب اللبن.. وتصنع معه الجبن، والزبدة، وتغزل الصوف، وتصنع منه المشالح، والسجاد، وتقوم برتق ما فتق من الخيام.. كل هذا النشاط وهي محجبة تلبس الزي النجدي.. الجلباب الطويل. وتضع علىٰ رأسها الشيلة.. وعلىٰ وجهها الثام.. بحيث لا يظهر منه سوىٰ العينين فقط...»[٧٠].سيطرت قيمة التأثر بالعادات والتقاليد علىٰ أحداث الرواية، مما دفع بالروائية إلىٰ اللغة التوصيلية التقريرية المباشرة، والتي تعيق لغة الرواية فنيا.

ومن هذا النوع في الاتكاء علىٰ اللغة التقريرية لغة الوعظ المباشر رواية (درة من الأحساء) لـ(بهية بوسبيت) فقد سيطرت قيمة التأثر بالعادات والتقاليد المجتمعية علىٰ طرحها المضموني، إذ انساقت الكاتبة إلىٰ أساليب تناسب الطرح القيمي في الرواية، فاستحالت الرواية إلىٰ لغة الطرح الوعظي، خاصة أن الحوار كان بين المعلمة (أمل) بطلة الرواية وتلميذاتها، تلك المعلمة كانت حريصة علىٰ تعليم التلميذات القيم والمثل. ومنذ أول يوم لها في هذا العمل تشيد جسرا من الود والحب بينها وبين تلميذاتها...، تقول: «أريدكن - يا عزيزاتي - أن تعتبرنني أختكن الكبرىٰ، وكل واحدة منكن لها الحق في أن تسألني المساعدة إذا احتاجت لأي شيء في أحد

الدروس أو غيرها، وأية تلميذة منكن تكون متضايقة، أو متألمة من شيء تخبرني بذلك؛ ونحن في المدرسة أسرة واحدة... وكلمة أبلة مستوردة؛ بمعنىٰ أنها جاءتنا عن طريق التقليد، ونحن جميعا من الواجب علينا أن نتعلم من لغتنا العربية، ونترك التقليد»[٧١].

يتجلىٰ الأسلوب التعليمي الوعظي من خلال منع (أمل) تلميذاتها من أن ينادينها بكلمة (أبلة) تلك الكلمة الدخيلة، والتي تستعمل للمدرسة من باب الاحترام والتقدير، افتقد هذا الأسلوب الوعظي الفن الذي يطلق العنان لملكات التأمل والتخييل، وهنا ظلت الرواية ساكنة فنيا لا تؤثر ولا تتأثر، ولم تسهم الحوارات في نموها.

❋ التأثر بالقيم الإسلامية:

تأثر المجتمع السعودي بدعوة محمد بن عبد الله ﷺ النبي العربي وخاتم النبيين، الذي بشر العرب والناس أجمعين بدين جديد، ودعا إلىٰ القول بالله الواحد الأحد، وتطبيق الشريعة التي لا تضبط الأمور الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، والأدب ليس بمعزل عن المجتمع وعن هذه التأثيرات، فقد أظهرت الروائيات السعوديات تأثرهن بقيم الشريعة الإسلامية من خلال شخصياتهن الروائية، من ذلك رواية (سم أفعىٰ) لـ(ريم البقمي) إذ نجد شخصيات الرواية تستشعر عظمة الله، وفضل الذكر، كشخيصة (الوالد) الذي اعتاد علىٰ التهليل والتكبير في كل مرة يدخل المنزل، فبعد انتهاء صلاته وقدومه من المسجد ينطق بنبرة صوتية هادئة وادعة، تبعث الراحة في المنزل وتبث الأمان، وتنثر الطمأنينة في القلوب: «لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، استغفر الله، استغفر الله وأتوب عليه»[٧٢]، ومثله (الوالدة) كانت تحرص علىٰ الهدي

النبوي النوراني في قراءة الأذكار بعد صلاتها «كنا نصلي المغرب، ونقرأ الأذكار» كما جعلتها محافظة علىٰ قيام آخر الليل، وترك النوم والاضطجاع، قائمة بين يدي خالقها، عاكفة علىٰ مناجاة بارئها، تدعوه وتتضرع إليه، وهي ساجدة بخشوع وخضوع: «أبواب الغرفة مغلقة عدا غرفة والدتها التي يبعث من أسفل بابها ضوء خافت يضيء الممر تقترب منا، ومن زاوية بابها والدتها ساجدة تدعو الله بكل خضوع وخشوع»[٧٣].

ومن القيم الإسلامية التي ظهرت واضحة في رواية (سم أفعي) والتي حرصت الشخصيات علىٰ التمسك بها، إفشاء السلام (تحية الإسلام) التحية التي يلقيها الملائكة علىٰ المؤمنين يوم القيامة، والتي فيها الدعاء بالسلامة من الآفات في كل ما يتعلق بأمور الحياة، والرد عليها بأفضل منها، يظهر ذلك واضحا في أثناء الحديث الهاتفي الذي دار بين الوالد (والد أماني)، والعم (إبراهيم): «أهلا حياكم الله. وعليكم السلام ورحمة الله».

وجعلت الشخصيات ملازمة لذكر الله، والإكثار من ذكر الله حصن من الشيطان، حتىٰ لا يدخل عليها من باب الغفلة، فالإنسان يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله، «ما شاء الله، بإذن الله. في أمان الله»[٧٤].

ويظهر الانتماء الحقيقي للقيم الإسلامية العامة في رواية (غواصوا الأحقاف) لـ(أمل الفاران) من خلال انعكاسه في مرآة حياة الأفراد تجاه هذه القيم، فنجد رجال الأحياء يلتزمون جميعا بتحية الإسلام، وبالبسملة، ولا يستطيعون أن ينعتقوا من إطار هذه القيم الإسلامية المتمثل في هدي النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ونجدهم يتمثلون ذلك بأدق تفاصيله، في البدء بالتحية، وإتمامها وعدم التقصير في السلام، والبشاشة، وطلاقة الوجه، والابتسامة للآخر متأثرين بأخلاق النبوة، قال رسول الله

ﷺ: (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة...).

وتطل القيم الإسلامية من خلال المعاهدة علىٰ الحفاظ علىٰ العهود، وعدم الخيانة، يتجلىٰ ذلك من خلال سرد الروائية للأحداث الفنية: «السلام يدور في حلقات كلما انتهت أعيدت، سلام سيجردون تفاصيله بعد العودة لمجالسهم، مع القهوة سيحصون من أطال السلام ومن قصر؟ من اسودّ وجهه حين رأىٰ آخر؟ ومن ارتاحت يده في كف مصافحة رغم ثارات حييهما؟ كيف قيلت كل تحية؟ وكيف تم الرد عليها؟ من بدأ بالسلام؟ وكيف تلقىٰ وجه الآخر سلامه؟ أي أسماء الأهل مر؟ ومن استثنىٰ؟... قبل أن توأد آخر التحايا نطق أسنهم: نقول باسم الله بعد المعاهدة انصرفوا وقد علقوا في فروع الشجرة شطر قسمهم الأهم «علينا عهد الله وأمانه والخاين يخونه الله» وثقوا معاهدة تأجيل الغضب...»[٧٥].

وفي رواية (درة الأحساء) لـ(بهية بوسبيت) تظهر هذه القيمة العامة قيمة التأثر بالقيم الإسلامية، في خطوطها العريضة، وتفاصيلها الدقيقة في شخصية (أمل) المتعلمة والمعلمة في مدرسة من مدارس الأحساء، سواء في دعوتها للمحافظة علىٰ التعاليم الإسلامية في الزواج، أو نبذ التدخين، أو الاهتمام بالتعليم، وكذلك حديثها عن مساوئ السفر للخارج، وغيرها من القيم الإسلامية التي تتجلىٰ بوضوح في سياق الحركة الروائية[٧٦].

وفي رواية (حكاية عفاف.. والدكتور صالح) لـ(بهية بوسبيت) تعرض شخصية (صالح) طبيب متعلم مثقف قارئ نهم، ذات قيم مثلىٰ، لديه مكتبة عارمة يأخذ من اسمه الصلاح والهداية، محسن لغيره، عطوف رحيم مما جعل (عفاف) تعجب به، وتحبه بعد علاجه لها من مأساتها المرضية، وانتشالها من مشاكلها الأسرية، وتنتهي

تلك العلاقة الإيجابية بالزواج المبارك: «- كلامك جميل يا عفاف.. وتفكيرك أجمل، إنك تعرفين كيف تجهلينني أحبك، وهذا ما يعجبني فيك - وأنت أيضا يا صالح.. إنك تفعل كل ما يسعدني ويقربني منك»(٧٧).

وتظهر شخصية (مساعد) المحور الأساس في رواية (سيقان ملتوية) لـ(زينب حفني) متأثرة بقيم الإسلام، فقد عاش في بريطانيا، ولم تغير من شخصيته المحافظة التي تربىٰ عليها بالرياض، ولم يستطع الانعتاق من الموروث الإسلامي مع أنه في مدينة بريطانيا «في سنوات شبابه الأولىٰ، حين توجس من الانزلاق في مجرىٰ المحرمات، ارتبط بزميلة له في الجامعة، قال لها بأنه سيتزوجها بالطريقة التي كان يتبعها أسلافه، بشهادة اثنين من أصدقائه»(٧٨). وفي هذا إكبار لقيم الإسلام التي تحكم مجتمعه (السعودي).

ومثله شخصيات الطلاب المبتعثين إلىٰ أمريكا لإكمال دراستهم الجامعية في رواية (العاشرة مساء) لـ(مها الجريس) في محافظتهم علىٰ الصلاة في أمريكا إذ لم تشغلهم الحياة هناك عن عبادة خالقهم، والالتزام بأداء الصلاة في وقتها. «مشينا إلىٰ ممر ضيق في آخر غرفة كتب عليها (مسجد) دخلنا، فإذا جماعة من الطلاب قد انتظموا صفوفا للصلاة أديت معهم صلاة الظهر...، رحبوا بي كانوا من ألوان وأعراق مختلفة لم يجمعهم سوىٰ الإسلام»(٧٩).

ولم تكتف الروائية (مها الجريس) بجعل الشخصيات محافظة علىٰ الصلاة المكتوبة، إنما كذلك تجلىٰ التأثر بقيم الإسلام في التزام المبتعثين بالسنن المستحبة، والمؤكدة من الصلاة التي تقرب العبد من ربه، وتكسبه الأجر والثواب، كما في التزام بطل الرواية (فارس) بصلاة الشفع والوتر قبل النوم وعدم تركها حتىٰ في سفره اقتداء

بالرسول الكريم «قمت؛ لأتوضأ وأصلي ركعتين قبل النوم»[٨٠] وتجلىٰ الالتزام في لجوئهم إلىٰ خالقهم في وحدتهم، والتوجه إليه في ضيقهم، والسجود بين يديه، والدعاء إليه ومناجاته وبث الأحزان والهموم إليه: «أحسست بضيق يثقل صدري، وشيء ما استيقظ في قلبي. قمت وتوضأت، صليت ركعات بكيت فيها كثيرا، وما إن سلمت حتىٰ شعرت براحة عجيبة، وكأن دموعي قد غسلت قلبي وطهرت فؤادي، دعوت الله أن يحفظني بحفظه؛ فأنا ضعيف وحدي»[٨١].

إضافة إلىٰ حرصهن علىٰ عدم الخلوة بالفتيات الأجنبيات، محافظة علىٰ قيم الإسلام وتعاليمه الذي حرم خلو الرجل بامرأة ليست ذات رحم محرم: «وبينما كنت أجمع أوراقي، أقبلت سيلين علي وقالت: عفوا، هل آخذ قليلا من وقتك؟ - تفضلي - الملف الذي معي لم يفتح، ولا أدري ما المشكلة؟ أحسست أني في ورطة، لم أكن أرغب أن نكون وحدنا»[٨٢].

ويظهر التأثر بالقيم الإسلامية بعمق في شخصية (عائشة) الأخصائية الاجتماعية في مدرسة ثانوية للبنات في رواية (آدم يا سيدي) سواء في شخصها ومحافظتها، أو في تربية أبنائها، وحرصها علىٰ تشجيعهم، وإقناعهم بحفظ القرآن الكريم، كما فعلت مع رانية الابنة الصغيرة ومع إخوتها: «رانية.. أتحبين أبيك؟... احفظي القرآن كله جيدا، وعندها يضع الله فوق رأس أبيك تاجا من النور يوم القيامة»[٨٣].

كما يظهر التأثر بالقيم الإسلامية في انتقاد(عائشة) لسلوك الفتاة (سلاف) صديقة ابنتها، التي ادعت حبها لبنها عدنان بهدف الزاوج منها: «عندما جاءت الفتاة إلىٰ بيتنا أدركت منذ اللحظة الأولىٰ أنها فتاة لا خلاق لها... دخلت البيت ورائحة عطرها تسبقها أمتارا، وخمارها لا يكاد يغطي ثلثي رأسها، وعباءتها تكشف أكثر مما تستر،

واشمأزت نفسي لحالها وزينتها الصاخبة وساقيها العاريتان»[٨٤].

فنفس عائشة في رواية (آدم يا سيدي) لم تقبل بسلاف، ولم ترض عن وجودها في منزلها، وليس هذا فحسب بل اشمئزت نفسها من هيئتها، من لبسها، من عباءتها، من عطرها، وهذا يؤكد عمق تمسكها بمبادئ الدين الإسلامي.

وكما يتجلىٰ التأثر بالقيم الإسلامية بوضوح في تفاعل (عائشة) بطلة الرواية مع من حولها، ووعظهم والأخذ بيدهم، وتذكيرهم بالله لاستمداد العون منه، والرضا بقضائه، كما فعلت مع سعاد أخت زوجها بعد وفاة أبو مهند حين قالت: «لقد كان زوجي وكان حبيبي، ولا أدري كيف يمكن أن أعيد صياغة أيامي بدونه... قلت وأنا أربت علىٰ كتفها لتنتبه: الحمد لله يا أختاه الحمد لله الذي جعلنا مسلمين... الحمد لله الذي جعلنا مسلمين وأعطانا الأمل في رحمته، ولقاء أحبته في جنته، فرفعت عينيها إليّ في امتنان، وتنهدت في ارتياح، وقالت بصوت ملؤه الرضا: ... نعم... الحمد لله... الحمد لله الذ جعلنا مسلمين»[٨٥].

كذلك يتجلىٰ التأثر بقيم الإسلام في شخصية (آدم) حينما لجأت إليه منيرة زوجة أخيه إسماعيل تشتكي من سلاطة لسانه قال له واعظا، مذكرا له بالاقتداء بالدين الإسلامي، وبهدي الرسول ﷺ في إكرام المرأة والترفع عن شتمها أو إهانتها: «ليس من شيمة الرجل المسلم أن يشتم زوجته أو يهين كرامتها يا إسماعيل، أما سمعت قول رسول الله ﷺ ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم... فليس من سنة رسول الله ﷺ، ولا من خلقه أن يسب الرجل زوجته أو يشتمها أو يهينها»[٨٦].

ويبلغ التفاعل مع قيم الشريعة الإسلامية ذروته في المواقف التي تتعرض فيها قيم الإسلام للاستهزاء والمضايقات من قبل أعداء الإسلام، كما في رواية

(حكايات)، وهذه الرواية «تنبض بالحياة، وتداعب المشاعر، وتختزل طيفا كثيرا من واقعية حياتنا»، فـــ(عبد الكريم) - شخصية واقعية مبتعثة يعيش في غرناطة في بلاد الإسبان لدراسة الطب؛ احتراما وتقديرا لرغبة والده الذي يحلم أن يكون ولده طبيبا - يشتاط غيظا من مضايقة الإسبان لزوجته، واستهزائهم من حجابها، وتحقيرهم للمسلمات في تلك البلاد: «فهو لا ينسىٰ المشادة التي تسبب بها حجاب زوجته قبل ليلتين. إنه لا يستطيع أن يحتمل مضايقات الناس لزوجته وحجابها، وتحقيرهم الدائم لكل مسلمة يرونها، ويجد أنه من الطبيعي جدا أن ينصِّب المرء نفسه مدافعا عن الإسلام والمسلمين»[٨٧]، وفي هذا إكبار، واعتزاز بقيم الشريعة الإسلامية التي تحكم الإنسان في كل مكان في حله وترحاله.

وأشد ما تتعرض له قيم الإسلام، الاعتداء علىٰ الرسول الكريم، والإساءة إليه من قبل أعداء الإسلام، كالرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد ﷺ في صحيفة يولاندس بوستن الدنماركية، تلك الرسوم جرحت مشاعر شخصيات رواية (حكايات) وقابلت تلك الصور بموجة عارمة من المظاهرة الاحتجاجية انطلقت من ساحة الهايد بارك بلندن: «اتفقت مع مجموعة من الأصدقاء والصديقات علىٰ الانضمام إلىٰ المسيرة التي كانت تضم عشرة آلاف شخص. كانت المظاهرة ستنطلق من ساحة الهايد بارك، احتجاجا علىٰ الرسوم المسيئة للرسول محمد التي قامت بنشرها صحيفة دنماركية»[٨٨].

*** التفاعل مع الموروث العربي:**

تظهر الروائيات السعوديات اعتزازهن بالموروث العربي المؤطر بالقيم الإسلامية من خلال شخصياتهم الروائية، كما في رواية (غوّاصو الأحقاف) لـ(أمل

فاران) فقد غاصت الروائية في بطن صحراء الجزيرة العربية (وادي العقيق) بأحيائها الثلاثة المنتمية إلىٰ آل هذال، وآل فواز وآل بنيان - فصورت حكايا الحرب المشتعلة، والغارات المتبادلة، والنزعات القبلية بين أبناء العم الهذليين والبنيانيين، مع حفاظهم علىٰ الموروث العربي بإبرامهم للعهود تحت شجرة السمر (مريفة): «مرارة حلوق الهذاليين صبغت أحاديثهم، ينظرون جهة الجبل ويتعجبون: بيننا وبينهم عهد مريفة ألا يعدو أحدنا علىٰ الآخر حتىٰ يعود مسافرونا ومسافروهم من البحرين! طمعوا فينا فخانوا العهد عز الله إنه ظلم»[٨٩].

وقد مزجت الروائية بين اللغة الفصحىٰ واللهجة العامية وهي تتحدث عن حكايا مجتمع القبيلة الصحراوي، وعاداته، وأعرفه، وتقاليده، لتقريب الواقع، وإيصال الصورة بشكل أقرب للمتلقي: «تحت الشجرة ثنىٰ كل رجل ساقا، ونصب أخرىٰ وسلاحه رابض قربه... قبل أن توأد آخر التحايا نطق أسنهم: نقول بسم الله. بعد المعاهدة انصرفوا وعلقوا في فروع الشجرة شطر قسمهم الأهم «علينا عهد الله وأمانه والخاين يخونه الله» وثقوا معاهدة تأجيل الغضب... الأرض التي ينتمون إليها أقدم مما يتخرصونه عن عمرها، لكن سيرتها التي تعنيهم تبدأ ببيت غرسه جدهم الأكبر في جبين الأحقاف، أنبت مانع بن هادي واحتهم (غرس نخلة وخط بعقبه مسكنه الطيني)»[٩٠].

وتحكي (الفاران) في هذه الرواية عما يدور في مجالس الرجال من عادات القبائل، دلال القهوة العربية رمز للأصالة والكرم التي تدق وتطحن، وتحمس وتقدم إكراما لضيف: «شيخ آل فواز يدق نجره بنغمة مختلة... دارت القهوة دورتين في حضرة المندوب، ودورة بعده... فيحان يقرب دلة القهوة جهة اللهب، وينشد: «تلقىٰ مجالسهم مداهيل خطار ودلال صفر تعجب اللي نظرها»[٩١]. دق النجر، والطرق عليه

من قبل شيخ آل فواز ليس عشوائيا بل لإصدار أصواتا بنغمات مميزة جذبا للضيوف، والدعوة لها عامة، وما يستتبع ذلك من طقوس الضيافة.

هنا بدت قيمة التفاعل مع الموروث العربي والحفاظ عليه، والاعتزاز به في الرواية موجهة لأسلوبها إلىٰ المنحىٰ التقريري المباشر، عبر عن احتفاء الكاتبة بمجتمع القبيلة، لكن أسلوبها لا يتسم بالإيحاء اللفظي، إنما سرد حكائي لا ينقطع حتىٰ ينتهي.

وتبرز الكاتبة انتماء كل فرد من أفراد القبيلة إلىٰ جماعته، والمعاهدة في الحفاظ علىٰ الأمانة وعدم الخيانة، وتحمل مسؤولية الدفاع عما ينتمي إليه، وعدم التهاون في حقوق الجماعة، وإن تصادم ذلك مع رغباته، ومصالح عائلته.

وتظهر رواية (الشياطين تسكن الأعشاش) لـ(مهرة العصيمي) التفاعل مع المورث الاجتماعي، وتوظيفه توظيفا فنيا؛ لتدفع بالقارئ إلىٰ معايشة الوضع الاجتماعي، إذ اعتمدت علىٰ تراث نجد الشعبي في القرية والبادية سواء في الأكل واللبس أو السكن والتنقل، أو التعامل بين الأفراد والجماعات، والاستسلام لسلطة الأعرف والتقاليد.

وتوضح رواية (سيقان ملتوية) لـ(زينب حفني) في حركة روائية تفاعل الشخصيتين (سارة وزياد) مع موروثاتهما ولغتهما العربية، وتكشف عن تأثرهما بها، ويأتي هذا كله في حوار أساسه اعتزاز كل بلغة بلده، سارة فتاة سعودية، وزياد رجل فلسطيني عراقي الأصل «تروق لي لهجته الفلسطينية. عندما نكون لوحدنا لا يخاطبني إلا بها، سألته مرة، كيف تمكنت من إتقان مخارج حروفها؟! كثير من الناس يولدون في الغرب، يفقدون لسانهم العربي!!. أنت كذلك ولدت في بريطانيا، مع هذا تتحدثين بلهجة سعودية متقنة، مثل الذي أسمعها في قنواتكم التليفزيونية»[٩٢].

وتدور أحداث رواية (العاشرة مساء) لـ(مها الجريس) حول قيمة التفاعل مع الموروث العربي والإسلامي، وتعبر عن ذلك من خلال شخصية (فارس) وصراعه بين ثقافة عربية إسلامية وتربية محافظة، وثقافة غربية مضادة حيث الانفتاح في أمريكا، ذاك الشاب التقي الورع، الملتزم بدينه، يرفض التخلي عن هويته، ويتمسك بجنسيته العربية، ومع أنه قادم من بلاده (فلسطين) بلاد الجحيم والتعذيب، إلا أنه لم يتمكن من الاندماج والتكيف مع الحياة في بلاد الغرب؛ لاعتزازه بتراثه العربي، وقيمه الإسلامية: «أنا غريب هنا يا سيلين غريب! بلادي وأسرتي وذكرياتي هناك، لم تفارقني لحظة من الزمن، ربما لا تصدقين إذا قلت لك: إنني قادم من الجحيم! نعم الجحيم بعينه! لكني آمل أن أعود إليه برغم كل ما لديكم هنا من الرفاهية والسعادة، أشعر أني أزداد سوءا يوما بعد يوم»... عذرا فارس أنت لم تحاول الاندماج ولا التكيف مع الحياة، تبدو منغلقا علىٰ نفسك لأبعد الحدود، في حين عاش غيرك من الشباب سنين طويلة هنا، عاش الحياة بطعمها الحقيقي الرائع، أحسست أن كلماتها نزلت عليّ كالصاعقة... ماذا تريد مني هذه الفتاة؟! أتريد أن أنسىٰ هويتي وأنسلخ من جلدي! أحسست أن الدم يثور في عروقي؛ فلا شيء أقسىٰ من أن ينازعني أحد في هويتي. قلت بصوت منفعل: أنا لا أريد الجنسية، ولا الاستقرار هنا! نعم لا أريد! لقد جئت لهدف واحد فقط، وهو العلم، ولن أتخلىٰ عن هويتي، أتفهمين»[٩٣].

*** الإحساس بالذات العربية والإسلامية:**

يتجلىٰ الإحساس بالذات العربية المسلمة في رواية «الحلم الضائع» لـ(حنان المنقور) تلك الفتاة المسلمة، التي استطاعت أن تحكي بخيالها لتصور شخصية محمد الشاب المسلم – الذي حمل هم الدعوة إلىٰ الله، وعمل الخير وبذل العطاء –

عبر رحلة طويلة مفعمة بالمتاعب والعقبات في سبيل تحقيق حلمه الكبير الذي أصبح يؤرقه ليلا ونهار، يقض عليه مضجعه، حلم أوجع قلبه، وأحزن فؤاده، وأبكىٰ عينه حسرة وألما، إنه حلم يحدوه أمل في تحقيق فجر النصر للأمة الإسلامية: «لقد ضاق حلمي بي ذرعا لقد سبق وحدثتك عنه.. لكنه أصبح اليوم كشلال متدفق لا أستطيع مواجهته: إنه يجرفني لقاع الألم علىٰ حالنا...لقد غدا غصة تؤرقني، متىٰ سيأتي ذلك الفجر؟؟ الذي سيعلن معه إشراقة حلمي... إنها «أمتي»... ونصرها بكل ما أستطيع هو «الحلم» الذي لازال يؤرقني! كم تمنيت جيشا من الأبناء كل واحد منهم «أمة» في رجل، لعل الله يحيي بهم أمتي»[٩٤]. إنه حلم عظيم حرصت الكاتبة علىٰ أن تدير أحداث الرواية من بدايتها حتىٰ نهايتها حوله.

ورواية (العاشرة مساء) لـ(مها الجريس) رواية واقعية تأريخية تصور واقع الأسر الفلسطينية المعذبة المهانة من قبل اليهود: «إنه الجحيم بعينه؛ في كل يوم قتل، واعتقال، وتدمير، ونسف، بيوت، ورصاص، وقهر، وحرمان من أقل حقوق الإنسان... كل هذا يجري بدعم أمريكي»[٩٥].

كما أنها تحكي قصة (فارس) بطل الرواية، شاب من إحدىٰ تلك الأسر المظلومة انتقل إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية؛ لغرض إكمال الدراسة تحقيقا لأمنية والده في أن يحمل سلاح العلم، إلا أن وقع بين صراعين رغبته في طلب العلم والانتصار للوطن، وبين تربيته المحافظة والانفتاح في أمريكا. يجاهد نفسه في التغلب علىٰ هواه ومجاهدة اليهود الأشرار للانتصار عليهم، وتنتهي الرواية في عودة البطل إلىٰ بلاده ليدفع بنفسه فداء للأبرياء من بلاده «حتىٰ القبور لم يبق لها كرامة في ظل الاحتلال! لم أكره الحياة؛ لأني حرمت من نعيمها.. ولو شئت لكنت المدلل في

أحضانها.. لم أكرهها بحق! لكني اخترت خيرا منها»[٩٦].

وشخصية (زياد) في (سيقان ملتوية) ترسم معاناة الشعب الفلسطيني من خلال تجسيم تمثال لوالدته ترسل من خلال ملامحها رسالة تظلم للعالم العربي والإسلامي في تخاذلهم عن القضية الفلسطينية، شارك بتمثال والدته البرونزي في المعرض، سماه وجه من فلسطين «نال جائزة عليه، حاز علىٰ إعجاب النقاد، كتبوا بأن سحر هذا التمثال يكمن في مهارة صانعه علىٰ تجسيد معاناة صاحبته، وفي مقدرته الفائقة علىٰ حفر آلامها وجراحها، التي تنطق صارخة من عينيها الغائرتين، وأخاديد وجنتيها، وجبينها المزدحم بالخطوط المتعرجة».

وكذلك رسمه لصورة رجل فلسطيني من أبطال المقاومة، بزيه وبندقيته الفلسطينية: «لفت انتباهي صورة لرجل بزيه الفلسطيني وبيده بندقية، وتحتها كتبت أبيات قليلة لمحمود درويش «يا صديقي! لن يصب النيل في الفولغا، ولا الكونغو، ولا الأردن، في نهر الفرات! كل نهر، وله نبع.. ومجرىٰ.. وحياة! يا صديقي أرضنا ليست بعاقر.. كل أرض، ولها ميلادها.. كل فجر وله موعد ثائر!». قال لي وأنا أتامل الصورة «إنها صورة جدي في حرب ١٩٤٨م. حكىٰ لي أبي الكثير عنه. كان بطلا، تطوع في جيش الوطنيين غير النظامي الذي تكون دفاعا عن فلسطين. قاتل ببسالة حتىٰ استشهد» هل تعتبره مثلك الأعلىٰ؟»[٩٧]. تلك التماثيل والصور تجسد بوضوح تأثر شخصيات الرواية وتفاعلهم مع المآسي والنكبات العربية والإسلامية.

وتلجأ رواية (عيون علىٰ السماء) لـ(قماشة العليان) إلىٰ التأريخ لحرب الخليج الثانية حرب تحرير الكويت الشقيقة من الغزو العراقي الغاشم، تصور فيها تفاعل الشخصيات مع الأحداث، ويتجلىٰ ذلك في شخصية (سالم) الذي ترك الرياض،

وعاد إلىٰ الكويت خلسة؛ للدفاع عن شعبه، وبلاده الحبيبة من براثن الأعداء: «عند العصر.. كانت المفاجأة.. وجدوا ورقة صغيرة مكتوبة بخط سالم تحمل العبارات التالية: «أمي لا.. تخافي علي.. لقد حققت لك رغبتك.. عندما تجدون هذه الورقة أكون قد غادرتكم إلىٰ الجبهة لأتطوع للدفاع عن بلادي»[٩٨].

وتتفاعل شخصيات الرواية نفسيا وعاطفيا مع تلك الأحداث التي تجري في ساحات الكويت وجميع مرافقها من سلب ونهب واسعة النطاق من قبل القوات العراقية، ومقاومة ونضال من قبل جنود الكويت وأبطاله: «في تلك الليلة اجتمعت بنات عمها وبنات عمتها.. وسائر بنات الأسرة الكبيرة في حجرتها ليسلينها في وحدتها.. ولكن.. الجرح مازال يدمي القلوب والأسىٰ يغمر الصدور بالحزن.. فتحولت أحاديثهن كلها إلىٰ غزو الكويت وما يحدث هناك من مقاومة ونضال للجنود المعتدين.. واستبد بهن الحماس فصرخت إحداهن: تبا للعراقيين.. إنهم أنذال.. فقاطعتها رفيقتها: إنهم جميعا يستحقون القتل.. لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم.. فصرخت أخرىٰ وبصرها متجه نحو السماء: يا رب ا سخط عليهم.. يا رب تجعلهم كلهم معاقين حتىٰ لا يؤذون شعبنا المسكين...»[٩٩]، «أبطال المقاومة داخل الكويت في حالة نضال مستمر ضد القوىٰ المعتدية.. وأنهم سينتصرون بإذن الله...»[١٠٠].

تأتي رواية (عيون علىٰ السماء) بلغة ذاتية إيحائية تعبر عن وجهة نظر الكاتبة الخاصة تجاه المجتمع، والتفاعل مع أحداثه السياسية: «النهب والسلب... والحرائق في كل مكان.. والكويت.. الكويت الحبيبة.. إنها تغتصب.. بكت هدىٰ بمرارة والسيارة تنهب الطريق في الطرق البرية المؤدية إلىٰ السعودية...»[١٠١].

فعندما نقرأ التعبيرات اللغوية المستخدمة على سبيل المثال (والكويت الحبيبة.. تغتصب)، (الجرح مازال يدمي القلوب والأسى يغمر الصدور) نفهم الحالة العاطفية التي تريد إيصالها الراوية، ولكن أذهاننا تستوعب منظورا جديد للغة، فوظيفة اللغة هنا لم تقتصر على التوصيل فحسب، إنما هي لغة مجازية تبث إيحاءات دالة للمعنى تفوق المعنى الحرفي الإشاري. فصورة الاحتلال الغاشم للكويت تنطبع في أذهاننا حتى تكون غايتنا الأساسية من قراءة تلك الحقائق الحصول على معلومات تتعلق بالكويت المغتصبة إنها تشكل نوعا من الإيحاء الدال، والمجاز اللاشعوري الذي يسهم في تشكيل إحساسنا بمأساة الكويت.

وتأتي فقرة «وكأن الكويت قد مستها يد الخير.. فانتفضت ونفضت عنها غبارها.. وارتدت أزهى ثيابها وأجملها.. لتسر بها أعين أبنائها»[١٠٢] تثير كذلك مثل هذه الإيحاءات دلالات وتداعيات للقارئ فاختيار جملة (ارتدت أزهى ثيابها وأجملها) التي تأتي بعد (وكأن الكويت قد مستها يد الخير...) تتضمن قيمة لغوية تفوق التوصيل المباشر؛ لتفجر دلالات مجازية تجسد صورة الكويت بعد تحريرها من العدو العراقي الغاشم.

بعد عرض القيم الخاصة والعامة في رواية المرأة السعودية، نخلص إلى أن التتبع الحصري لتلك القيم في الشخوص الروائية السعودية، من الصعوبة بمكان؛ لتعدد تلك القيم، وتنوعها، وكثرتها في السلوك الإنساني، وهي طاغية على الأسلوب الروائي الحكائي.

***

المحور الثالث
(الأبنية الفنية للقيم المتمثلة في النص)

*** الأسلوب السردي:**

للوصول إلىٰ المعنىٰ المقصود من النص السردي، وإدراك كنهه، يحتاج القارئ إلىٰ بناء نصي، ولغة إبداعية مخالفة لغة تدفع بالكاتب إلىٰ بناء نصي فني يتألف من تراكيب، وأساليب وتصوير بطرق مختلفة تتنوع بين محاكاة الشيء في حقيقته العينية، أو بطريقة السخرية، أو نقض الشيء أو ضده، أو الاقتصار علىٰ جزء منه، لغة تدفع بالمبدع إلىٰ إيجاد حقل خصب للتأويل، لغة تدفع بالمتلقي إلىٰ التأويل النصي والتخييل الأدبي، عن طريق فك الصور، والتأليف بينهما علىٰ هيئة جديدة لم يدركها الحس من قبل، لغة تتعدد قراءاتها وتختلف باختلاف القراء، والمبدعين[١٠٣]. ومتعة القراءة تكمن فيما ورائها من الإيحاءات والإشارات وأنماط التصوير، وغيرها، والمقومات الفنية هي التي تستثير شغف القارئ، ووسيلة ذلك البناء الفني هو السرد الذي تتعدد أنماطه ومظاهره بتعدد رؤىٰ الراوي، ووجهات نظره المختلفة، التي تقدم للمتلقي عالما فنيا[١٠٤].

وقد اختلفت الروائيات السعوديات في طريقة سردهن لحكايتهن الروائية، باختلاف القيم المطروحة في الرواية، والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالخطاب الروائي وفق نسق بنيوي متكامل، فمنهن من استعانت بضمير المتكلم (أنا) عند تقديمها للقيم في الرواية، والرؤية هنا تسمىٰ رؤية داخلية، والراوية بالراوي المشارك، في حين تستعين أخرىٰ بضمير الغائب (هو)، وتسمىٰ الراوية هنا بالراوي العليم والرؤية

خارجية. واصطلح على تسمية الأسلوب السردي الذي يعتمد على تلك الرؤية الخارجية بالسرد الموضوعي، أما الأسلوب الأول والذي يعتمد على الرؤية الداخلية سمي السرد الذاتي[١٠٥]، ومنهن من مزجت بين الرؤيتين الداخلية والخارجية، فنتجت عنها رؤية متعددة نتيجة لتنوع الرؤى.

ومن نماذج الرؤية الداخلية رواية (طوق الحمام) لـ(رجاء عالم) إذ تؤدي شخصية الراوية دورا أساسيا في تسليط الضوء على العناصر الفنية في الرواية، فهي تنتخب الوقائع الدالة على الحياة المكية، وتضفي عليها رؤيتها الخاصة؛ لتعبر عن حبها وشغفها بكل ما يحيط بالمكان / مكة، من خلال استحضار تلك الوقائع الماضية، والذكريات التي ترسخت في ذهنها، وتصوير المكان تصويرا دقيقا، منذ الاستهلال الذي تفتتح به الرواية، وتسير به عبر آلة الزمن لتجوب الوجود الإنساني، والذي هو وجودها الشخصي أيضا: «لبيت جدي عبد اللطيف، البيت الذي يحمل علامة إكس حمراء، تعني أنه مُعد للإزالة، قبل أن يتحول قريبا إلى مواقف لإيواء هذه الكائنات العجيبة رباعية العجلات، والتي يبدو أنها سترث مكة كما جاء في الحديث عن أمارات قيام الساعة: «يُلقى الذهب في الطرقات»... وها هي الجبال تنقض وتتلاشى وتبتلع العمارة العريقة، ومعها بيت جدي القائم على قمة ما كان يعرف بشرفات الحرم باسطنبول مكة. كل ذلك الماضي الساذج غاب الآن، ولم يعد له وجود سوى في هذا الكتاب»[١٠٦].

يقوم الوصف هنا بكشف رؤية ذاتية للشخصية/ رجاء عالم من خلال بناء ملامح المكان/ مكة العريقة في الماضي زمن جدها، وهذه الرؤية السردية الذاتية تنطوي على قدرة خلاقة من العلم والمعرفة والثقافة لدى الراوية مكنتها من بناء

عناصر الخطاب الروائي بناء فنيا، تتعدد ملامح الرؤية فيه، وتتكاثر دلالاته وإيحاءاته «وتتضافر من أجل تحليق سبكة غنية للمستوىٰ الدلالي للخطاب»[١٠٧].

إذن تستحضر الروائية/ رجاء عالم في هذه الرواية قيم الماضي الذي ترسخت في ذهنها عبر الأحداث والشخصيات، وتسير بها في نسق منذ بدء الرواية؛ لتثبت تمسكها بهذا الماضي العريق، ورغبتها في ثباته، وتحذيرها من اندثار معالم مكة القديمة، خائفة من تصدع جدار قيم الماضي العريق بتلاشي البيوت القديمة ومنها بيت جدها المطل علىٰ شرفات الحرم، وهي ترىٰ الجبال تتلاشىٰ وتبتلعها الآلات والعمارات.

وهنا تشير الكاتبة إلىٰ مخاطر التحولات الطارئة علىٰ المكان المقدس الذي يشكل قيمة ثابتة، لذلك كان أي تعديل يجري عليه ينذر بتغير يهدد الثقافة المبنية علىٰ نسق قيمي يستند إلىٰ إرث ديني وتاريخي، فخوف الكاتبة نابع من الشعور بمحاولة العبث بالهوية وتبديد ملامحها، لذلك كان تركيزها علىٰ المقارنة بين لحظتي الإدراك الجمالي: الماضي والحاضر، ومما يؤكد شغفها بمكة العريقة وخوفها من اندثار معالمها عبر الأجيال، تسطيرها هذه الرواية والتي هي سجل تاريخي، وإحياء لمعالم مكة، واستمرار وجودها عبر الأزمان، وثباتها عبر الأجيال.

ومن نماذج الرؤية الداخلية للراوي المشارك رواية (آدم يا سيدي) للكاتبة (أمل شطا) علىٰ سبيل المثال هذا المقطع وفيه تتيح للقارئ فرصة تعدد القراءة لتعدد الإيحاءات والدلالة: «كنت ترعاني بمحبتك، وتدرأ عني المخاوف، وتحميني وتحتويني... تحت جناحيك، ولا أدري كيف كنت أضيق أحيانا بكل هذا الحب وهذا الاحتواء. يوم رحيلك صرخ شيء في أعماقي... لقد مات زوجك يا عائشة..

مات أبو عدنان. ولم أفهم لحظتها.. لم أستوعب الموقف، طلبت من الجميع أن يغادروا الغرفة ويتركوني معك، وكانت خلوتنا الأخيرة.. أنا وأنت، وذكرىٰ أيام تحتضر... ثلاثة أيام «يا حمزة وأنا أجلس علىٰ ذات المقعد، أرتق نفسي الممزقة، أتفصد حزنا، وأتوارىٰ بضعفي خلف ستار من صبر مصطنع»[١٠٨].

إن وصف القيمة هنا، قيمة الحب والوفاء في رواية (آدم يا سيدي) يسير في نسق مؤطر برؤية داخلية ذاتية ينتظمها شعور ترسخ بالنفس تجاه الماضي الذي تفجر من إطار الحاضر القائم (موت آدم) والذي يظل فارضا حضوره منذ بدء الرواية ويستمر حتىٰ نهايتها، معلنا شعور الرضا عن تلك الحياة الزوجية، والتمسك بكل جزئياتها، والحزن والأسىٰ لفقدها، فالشخصية الأساس عائشة لا تستطيع أن تحد من سطوة الحاضر المحزن وضغطه المؤلم علىٰ نفسها، ولكنها تعمل جاهدة لاستحضار وقائع حياتها الماضية مع شريكها الحبيب الفقيد من خلال رؤيتها الخاصة؛ لتثبت تقديرها لزوجها وامتنانها له، وتحصينه من مؤثرات قد تنغص عليها.

وعبرت الكاتبة هنا عن القيمة بسلوك الزوجة وأفعالها، بمعنىٰ أن القيمة هي مقياس السلوك، وهي التي تحدد نوع السلوك الصادر عنها، فنحن لا نستطيع تحديد معاني القيمة دون العودة إلىٰ سلوك الزوجة التي رحل شريكها، وأسهبت الكاتبة في توضيحها.

نلحظ أن الكتابة القيمية قد عنيت بالجانب العاطفي المتصل بالحب المشروع في إطار الزواج، لغرس قيم تتحدىٰ ما يمكن أن يعصف بها أو ما يمكن أن يفسدها، وكأن الكاتبة كانت تعي أن ثمة تحولات تلوح بالأفق، لذلك كان تركيزها علىٰ قيمة الوفاء لتعكس أزمة المجتمع في حال فقدها.

أما الرؤية الخارجية فمن نماذجه رواية (سم أفعىٰ) للكاتبة (ريم البقمي) إذا تقوم الراوية بتقديم مادة الرواية (التأثر بالقيم الإسلامية) من واقع تكون الحدث، وشخصية تواجه مصيرا قاتما، عبر أبعاد مكانية، وأطر زمانية محددة، من هذه الرواية نقتطع النص الاستهلالي الذي يمهد للرواية، فهو يكشف عن آلية العمل فيها: «ظلام دامس يخيم علىٰ زوايا غرفتها الصغيرة، وليل حالك طويل بطول الليالي الشتوية الباردة. الصمت سيد المكان، لا يخترقه سوىٰ صوت أنفاسها! تغط في سبات عميق.. صحراء قاحلة، ممتدة بامتداد الأرض، تكاد تلتصق نهايتها بالسماء، مخيفة بحجم المكان، تلملم الشمس آخر ما بقي من خيوط أشعتها الذهبية، وتعلن الرحيل، يحل الظلام... تسير بمفردها بين كثبان رمال متحركة، تتعثر خطاها، لا تعلم إلىٰ أين المسير... جسم منهك وظمأ يدمي حلقها...كل همها الحصول علىٰ الماء لتروي ظمأها، يقطع تركيزها صوت غريب قادم من بعيد يبدو كأنه فحيح أفعىٰ، تستدير للخلف واندهاشه تتلبسها، ترىٰ أفعىٰ كبيرة تزحف نحوها، تتسع عيناها من الخوف، يرتعش جسدها، تتسمر قدماها... تستيقظ بفزع وهلع وأنفاس متسارعة، وقلب يكاد يغادر مكانه... يا إلهي، ما هذا؟! أحمد الله أنه كان مجرد حلم ولم يكن واقعا تضع يديها علىٰ قلبها تهدئ من روعه، وتتلو المعوذات لتهدأ أنفاسها! تستجمع قواها تخرج من غرفتها، تتجول في أنحاء المنزل... هدوء يلف المكان لا ضوضاء، أبواب الغرف مغلقة عدا غرفة والدتها التي ينبعث من أسفل بابها ضوء خافت يضيء الممر تقترب منها، ومن زاوية بابها ترىٰ والدتها ساجدة تدعو الله بكل خضوع وخشوع»[١٠٩].

يلاحظ هنا أن الرؤية الخارجية ترتبط براوٍ عليم لا علاقة له بالشخصيات ولا بالزمان والمكان، وإنما تقوم بوصف الحدث، وتحديد الزمن بدقة وقت المساء

الحالك الظلمة، ووصف الملامح العامة للمكان غرفة صغيرة يخيم عليها الصمت والظلام، وبعد استكمال الراوية وصفها للمكان والزمان تتجه لتقديم الشخصيات وكشف خصوصياتها الذاتية، ويلاحظ أنها تنحو المنحىٰ نفسه في الوصف، فتخلع عليها ما ترسخ في ذهنها وتؤمن به من قيم الإسلام، منها توجه العبد إلىٰ ربه في خوفه وهلعه، وتجسد تلك القيمة في توجيه الشخصية/ أماني لحمد الله علىٰ أنه مجرد حلم، وتهدأ من روعها بقراءة المعوذات، ويستمر النسق ذاتها لتكتمل القيمة بتوجيه الشخصية/ الأم لقيام الليل تدعو الله بكل خضوع وخشوع. ثم تختم روايتها بآيات قرآنية تثبت استمرار تمسكها بقيم الإسلام، وحرصها علىٰ ترسيخها في بناء الرواية، إيمان ويقينا بقدرة الله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:١٠٢).

تشدد الكاتبة علىٰ أثر الدين في تدعيم القيم الإيجابية لدىٰ الأفراد والبعد عن العادات السلبية، لأن الدين منبع القيم كلها.

وفي رواية (سيقان ملتوية) للكاتبة (زينب حفني) نهضت الرؤية الخارجية بمهمة تقديم المكان والزمان، والحدث بطريقة وصفية تهدف إلىٰ تقرير حالة قائمة في ذهن الكاتبة وخوفها من انقلاب هذه القيم الإسلامية في بلاد الغرب، فعملت علىٰ وصف الشخصيات الأساس في الرواية، وكشف ملامحها الفكرية، واستبطان مشاعرها، ومنها شخصية مساعد وهو يبحث عن ابنته، وهو في حالة شرود فكري، تقوده حالة من الرفض والانزعاج من اختفاء ابنته: خرج رجل... يقود سيارته «الجاكور» الفارهة، تاركا خلفه شارع سيت جونس وود مخترقا بسيارته المحلات والمقاهي الواقعة علىٰ جانبي الطريق، مارا بالطريق المحاذي للمركز الإسلامي، كان مساعد يقود سيارته بعينين منهكتين، أحاطت بهما هالتان من السواد، مصحوبتان بجيوب

منتفخة تحت الجفنين السفليين... وقد بدت على محياه تعابير من القلق والتوتر، لم تستطع أناقته الواضحة للعيان، التستر على نفسيته المحطمة. صبيحة اليوم تشير إلى الأسبوع الأول من شهر يناير ٢٠٠٧م لحسن حظه لم يكن يوم جمعة، حيث يغص هذا الطريق عادة بالمصلين القادمين للصلاة في المسجد التابع للمركز... سار مساعد باتجاه مركز الشرطة.. أخرج صورة لفتاة في بداية عقدها الثاني «أريد تحرير بلاغ عن اختفاء ابنتي»[١١٠].

وهكذا نجد أن الرؤية الخارجية للراوية تقوم بمهمة بناء أجزاء الرواية (الحدث، المكان، الزمان، الشخصيات)، وتقديمها للمتلقي بطريقة وصفية استقصائية في نسق بنائي تكاملي تكشف موقفها الرافض لمظاهر الحداثة والحرية في بلاد الغرب، وتمسكها بمبادئ الإسلام - وسعيها لتوجيه الأحداث والشخصيات للعمل به في الرواية- بعد صراع وتنازع قيمي بين قيمها الإسلامية وبين قيم المجتمع الغربي، جراء اتصال المسلم بغيره في مجتمع غير إسلامي يتمسك بقيمه.

وقد تتضافر الرؤيتان الخارجية والداخلية لسرد أحداث الرواية، وتقديم الشخصيات؛ لتشكيل (الرؤية الثنائية) فالنص الروائي مهما كان أحادي الرؤية، إلا أنه لابد وأن تتسلسل إليه رؤى أخرى من خلال الحوارات المتبادلة بين الشخصيات المختلفة في فكرها ورؤاها، أو من خلال رؤية الراوي التي يسردها في الرواية، والتي قد تتعارض مع بعض الشخصيات، نتلمس تلك الرؤى الثنائية في رواية (افتقدتك يوم أحببتك) لـ(صفية عنبر) حيث يختلط التعبير بضمير المتكلم (أنا) على لسان الشخصية الرئيسة الراوية (عبير) بضمير الغائب على لسان الروائية، تلك الرواية تناقش قيمة الوفاء والتضحية والصبر على التقلبات المزاجية من الزوج الحبيب (سامي) في نسق تكاملي،

وقد لجأت كاتبة الرواية إلىٰ سرد الأحداث، وتحديد زمانه ومكانه، وتقديم الأفعال الأساسية للشخصيات، اعتمادا علىٰ رؤية الراوية العليم الخارجية الوصفية التي تقف علىٰ ملامح شخصية (سامي)، وتصف المظاهر الموجودة أمامها للمشهد السردي، وتمتزج الرؤية الداخلية مع الخارجية في مهمة بناء الأحداث، وتقديم الشخصيات في صورة متماسكة من التداخل والتشابك[١١١] ويتضح ذلك في البداية الافتتاحية للرواية: «كان في العقد الخامس من عمره.. وكان الشيب يدب في مفرقه.. فلقد منحه الشيب وقارا جميلا.. أو جمالا وقورا. لم يكن جماله من ذاك النوع سريع الأفول. بل كان جمالا يتعذر علىٰ السنين أن تنال منه، وحتىٰ لو استطاعت.. فإن آثاره كافية لأن تعلن لك أنه ساحر جذاب... ولكن عندما دعاني إلىٰ مكتبه المجاور، والذي يتحتم علىٰ أن أكمل بقية أوراق معاملتي معه فيه كما أفهمني فيما بعد.. تأكدت من إحساسي، كان يحسن الاسترسال والتواصل...رجل كامل الرجولة، مرهف الحس، فياض المشاعر، يستطيع أن يفهمني كإنسانة قبل أن يشتهيني كأنثىٰ، وفي نهاية الزيارة انحنىٰ برأسه بأدب جم نحوي، وقال هامسا: أرجو أن نراك مرة أخرىٰ. وجدتني ابتسم ضاحكا وأنا أقول، أرجو ذلك.. قال: لا أوعديني. قلت: دعها للظروف.. قال مبتسما: ولكنني سأخلد في ذاكرتك حتىٰ لو حاولتي نسياني، وتقصيتي عن مكاني وسوف يبقىٰ كل منا كامنا في نفس الآخر حتىٰ آخر العمر... قال بتنهيدة طويلة: عبير، وحشتيني أنا بحبك بكل حرف في حديثك الذي قلتيه لي وفي كل وفاء. قلت: إذن لماذا يا سامي تتصل وبعدها تتركني أسبوع أعيش في جحيم معاناة الانتظار؟»[١١٢].

تتشابك رؤيتا الشخصيتين شخصية (عبير) الراوية وشخصية (سامي) في مهمة بناء الأحداث، وتحديد الأطر المكانية والزمانية لهذه الرواية التي تتمسك بقيمة

(الوفاء والتضحية) في نسق تكاملي منذ بدء العلاقة بين عبير وسامي وتستمر هذه القيم حية؛ تؤكد مشاعر الحب الخالد بينهما حتىٰ آخر العمر.

❋ الإيقاع التعبيري:

تتضافر القيم المطروحة في رواية المرأة السعودية مع وسائل فنية تقنية أخرىٰ لتحسين التعبير السردي، وإضفاء بعض الجوانب الجمالية عليه، ومن تلك الأساليب الإيقاع التعبيري. الذي يعد عنصراً مهماً من عناصر التعبير الروائي، هو الصوت الداخلي لبناء الرواية، وهو الذي يعمل علىٰ تشكيل علاقات إيقاعية ترابطية تضبط حركة الرواية في الأحداث وسلوك الشخصيات، والأمكنة والأزمنة في حركتها وبنائها ومدلولاتها؛ ليحقق رسم خطوطها الإيقاعية المنظمة فيما بينها، والتي تشكل فيما بعد البناء الروائي ومعماره وهندسته، إذ تلتقي حركة العالم الخارجي وتتداخل مع حركة العالم الداخلي؛ لتشكل بذلك إيقاعاً معينا يرصد الوضع الإنساني في الماضي والحاضر والمستقبل. ويعمل الإيقاع التعبيري علىٰ إيصال العواطف والأحداث للمتلقي من خلال اعتماده علىٰ اللغة، والذي يتحقق في تجاور المفردات والتراكيب، وعبر التكرار الحرفي أو النحوي، وهذا بدوره يسهم إسهاما فاعلا في إيجاد إيقاع روائي أثناء التعبير عن المعنىٰ المطروح بأي طريقة من الطرق سواء ضمير المتكلم (أنا) أو الغائب(هو) أو المخاطب(أنت)[١١٣].

ففي رواية (شموخ الروح) للكاتبة (مريم الفوزان) تدور الرواية في فلك التمسك (بالقيم الإسلامية، والأعراف والتقاليد الاجتماعية) ونلحظ أن الكاتبة في مستهل الرواية تعتمد في السرد الروائي علىٰ بناء قيمي محكم مغروس في نفس الكاتبة، توجه من خلاله أحداث الرواية عبر أفعال الشخصيات وصفاتها – كما في شخصية

(إحسان) - بطرائق متعددة في التعبير تؤكد تمسكه بهذه القيم، والذي هو انعكاس لترسخها في ذهن الكاتبة: «ذو خلق رفيع شامخ؟؟ اعتزازه بنفسه يدل على حسن أدبه.. معاملته مع زوجته الجميلة هي الدليل على احترامه لأهله والناس أجمعين.. هوايته القراءة، والكتابة، والسباحة»[١١٤].

وقد بدأت الروائية الرواية بالسرد الموضوعي من خلال استعمال وصف الشخصية الأولى (إحسان) الرجل الملتزم في بيته مع أسرته، والمحافظ على صلاته ومعاملته للآخرين، بما يتوافق مع الآداب والقيم الإسلامية.

كما عمدت الروائية إلى وصف انتقال الشخصية من مكان إلى مكان آخر من الذهاب إلى المسجد وركوب السيارة إلى العودة من المسجد، إلى ركوب السيارة، والذهاب لرحلة للبحر، يتجلى ذلك في النموذج الآتي: «في عطلة نهاية الأسبوع تهيأ إحسان للذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة. طلب من زوجته (أم رياض) أن تتجهز هي وأولادها لكي يذهبوا بعد الصلاة إلى رحلتهم المعتادة.. رحلة على شاطئ البحر.. كانت السباحة هوايته المفضلة.. رجع إحسان من أداء الصلاة إل البيت فوجد الجميع جاهزين في انتظاره..أحضر السيارة إلى باب المنزل.. ووضع كل ما يخص الرحلة فيها.. توجه إحسان بالسيارة إلى شاطهم المعتاد.. بدأ إحسان يجهز نفسه لنزول البحر كعادته...»[١١٥].

هكذا نجد أن الراوية تستمر في السرد الموضوعي باستعمال فعل مضارع (تهيأ) مسندا إلى الشخصية (إحسان)؛ لتؤكد التزامه الإسلامي، واستمرار هذا الالتزام، وانعكاسه على سلوكه وأخلاقه، ثم تواصل الكاتبة السرد الموضوعي بمستوى الغائب بأفعال ماضية (طلب، كانت، رجع، وجد...)، ثم انتقلت إلى مستوى آخر

للسرد مستوىٰ الحاضر (أحضر، توجه، يجهز...).

ويتحول السرد الموضوعي إلىٰ السرد الذاتي بمستوىٰ المتكلم للتعبير عما يدور في نفس (زوجته) أم رياض (أخافني) بإضافة الاسم إلىٰ ياء المتكلم، ثم ينطلق الحوار الداخلي إلىٰ الخارجي، ويسير الحوار بين الشخصيات جنبا إلىٰ جنب مع السرد ليكون جزءا منه، يعمق مفهوم القيم الإسلامية وأهمية الالتزام به في سلوك الشخصيات، وقد اعتمدت الكاتبة علىٰ التلميح والإيحاء بعيدا عن التقرير والمباشرة، يتضح ذلك في قولها: «ثم استأذن من زوجته للذهاب، فحاولت أن تثنيه عن رأيه وتمنعه من السباحة.. ولكنه رفض.. فسألته: لماذا هذ العجلة يا رجل؟... أجل السباحة إلىٰ بعد العصر... ولكنه صمم علىٰ الذهاب... وحاولت معه مرة أخرىٰ أن تثنيه عن رأيه.. ولكن بدون فائدة.. لا تحاولي.. ساعة كاملة ثم أعود يا عزيزتي... تمسكت به.. وبدأت تتوسل إليه لعله يسمع كلاها، ويغير رأيه.. لم يسمع لكلامها وصمم علىٰ رأيه.. وطلب منها أن تتعوذ من الشيطان (قل لن يصيبنا إلا ما كتبه الله لنا) فحاولت معه كثيرا.. ولكن دون جدوىٰ.. أرجوك، إن تصرفك هذا أخافني أنا وبناتك... لقد انشغل قلبي عليه أخاف من غدر البحر..»[١١٦].

وبعد معاينة الحوار الذي دار بين إحسان وزوجته، تبدو لفظ (أرجوك) و(تريث)، و(أخافني) الذي توحي بعدم ارتياح (أم رياض) لذهاب زوجها للسباحة بالبحر، وخوفه من فقده في عالم البحر الغدار. فضلا عن إيحاء التركيب الاسمي (غدر البحر) الذي يؤكد خوفها من البحر الذي يلتهم الإنسان علىٰ حين غفله.

وتكمل الراوية السرد الموضوعي: «ومضت اللحظات وكانت أثقل من الجبال علىٰ أم رياض، فلم تستطع التحمل أكثر من ذلك.. فذهبت إلىٰ عائلة كانت بجوارهم

وأخبرتم أن زوجها ذهب منذ وقت طويل، ولم يعد.. فقال رجل العائلة: سأذهب وأتصرف...»[١١٧]، وينتهي الموقف الأخير بوفاة (إحسان) وتقبل الجميع هذا الواقع المؤلم، وحرصهم علىٰ عدم تبليغ أم رياض بهذا الخبر المفاجئ مع إيمانهم بقضاء الله وقدرة خوفا عليها من الفاجعة، خاصة وهي مريضة القلب: «وعند الغروب عاد الرجل وعلىٰ وجهه علامات الحزن. فتلقته زوجته وسألته عن أبي رياض.. فأخبرها أنه غرق في منطقة عميقة.. ووجدوا جثته تطفو علىٰ سطح البحر، وأمرها بأن تكتم الخبر عن أم رياض... بقي عادل صامتا.. تملكته الحيرة للحظات.. كيف يخبر أخته بأمر زوجها وما حدث له.. وهو يعرف أن أخته مريضة بالقلب.. ولا تتحمل الفاجعة في زوجها.. قال في نفسه: أخبر أبي، وهو يتصرف ذهب إلىٰ أبيه في غرفته وكانت والدته عنده: أبي، إن أم رياض عندنا.. وأخبره بما حصل لزوجها.. فتأثر جدا: إنا لله وإنا إليه راجعون»، «ثم قال الوالد: يجب أن نذهب إلىٰ أهل أبي رياض، ونخبرهم، ونقوم باللازم.. وعندما ننتهي نخبر أختك بقضاء الله وقدره..»[١١٨].

سرد موضوعي تتخلله حوارات عدة بين رجل العائلة وزوجته، وبين الرجل وأم رياض، وبين الرجل وعادل، وبين عادل ووالده، توجه تلك الحوارات الشخصية الثانية أم رياض، وتعبر عن الحدث للوصول إلىٰ الإيحاء الشمولي للحوار في إصرار الجميع في عدم تبليغ الخبر لأم رياض تحقيقا للمصلحة الفردية والجماعية كذلك، من خلال اللغة الفردية التي تعتمد علىٰ الإيحاء. وإلىٰ هذا الحد ينتهي الجزء الأول من الرواية لينتقل إلىٰ الجزء الثاني منها، والذي يدور حول سرد أحداث نقل الحقيقة المرة للشخصية الثانية أم رياض، وقد اتكأت الراوية علىٰ لغة الحوار الإيحائي عن طريق الألفاظ والتراكيب، والحوار الذي يدور بين شخصية أم رياض، وشخصية

والدها، وبين شخصية الوالد وشخصية الطبيب، وينتهي هذا الجزء بموت أم رياض بعد نطقها بالشهادة: «- ابنتي تمالكي أعصابك.. فأولادك بحاجة إليك.. ولم يبق لهم بعد أبيهم إلا الله، ثم أنت. - هل توفي زوجي؟! وحست بموجة من الأحزان لطمت قلبها. وتذكرت الشاطئ الحزين.. والبحر الغادر الذي ودعت عنده أغلىٰ إنسان عليها. وفي لحظة فقدت أم رياض وعيها.. بقيت أم رياض في المستشفىٰ تعاني من الألم.. الساعة الثامنة عشرة.. منتصف الليل الهاتف يرن.. إذا بطبيب أم رياض يتصل بالوالد.. يخبره بأن أم رياض تريد رؤيته عاجلا... التقىٰ أبو عادل بالطبيب قال له الطبيب: إن أم رياض تطلب منك السماح.. ولقد كتبت هذه الورقة.. وبها كل ما توصيك به.. ولقد كنت بجانبها.. والحمد لله رب العالمين نطقت الشهادة»[١١٩].

إيقاع الحدث يدل علىٰ ما حملته الشخصية من تقيد بقيم إسلامية مغروسة في النفس، فالروائية تحاول ما استطاعت أن تأتي بإيقاع الحدث في أفعال الشخصية (أم رياض) حبها لزوجها المحافظ علىٰ قيم الإسلام، ووفائها له، ويأتي إيقاع الحدث في شخصية (آمال) وهي تحافظ علىٰ إخوتها، وتضحي بسعادتها من أجلهم فلم تقبل الزوج إلا بعد أن اطمأنت علىٰ إخوتها.

***

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة:

١- تمكنت الروائية السعودية من تصوير الجانب القيمي الفردي الخاص في المجتمع السعودي، (الوفاء والإخلاص، الطموح، والأمل التضحية والإيثار، الحياء والعفاف، الشرف والأمانة، الصبر والرضا بالقضاء والقدر).

٢- استطاعت كذلك الروائيات السعوديات تصوير القيم الجماعية العامة في المجتمع السعودي والتي تتمثل في (الانسجام مع عادات المجتمع وتقاليده، التأثر بالقيم الإسلامية، التفاعل مع الموروث العربي، الإحساس بالذات العربية والإسلامية).

٣- تلمست الروائية السعودية حاجات المجتمع السعودي، وأدركت المتغيرات القيمية، والسلوكية لدىٰ شرائح المجتمع.

٤- تباينت الروائيات السعوديات في طرحهن لتلك القيم؛ وفقا لتباين أفكارهن، ومعارفهن، وثقافتهم، وتوجهاتهن، وقدراتهن الفنية الروائية.

٥- كانت للقيم المتناولة في الرواية النسائية السعودية (الخاصة والعامة) أثر ملموس في اختيار الأنماط البنائية الروائية فقد تنوع الأسلوب بين السرد الذاتي والموضوعي، والإيقاع التعبيري.

***

الهوامش والتعليقات

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون (٢/ ٣٥٨).

(٢) لسان العرب، دار صادر، ابن منظور (١٤/ ١٢٧).

(٣) تهذيب اللغة، محمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون (٩/ ٣٥٨).

(٤) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (٥/ ٣٦٦).

(٥) مفاتيح الغيبي، محمد بن عمر الرازي، (٢٣٢).

(٦) القيم ومناهج التأريخ الإسلامي، دراسة تربوية، د. علي أحمد الجمل، (١٧).

(٧) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، (٢١٧).

(٨) العمدة في فلسفة القيم، عادل العوا، (٤٤).

(٩) ارتقاء القيم دراسة نفسية، عبداللطيف خليفة، (١٩٩).

(١٠) حامد زهران، إجلال سرىٰ، القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب، (٧٤).

(١١) محمد إبراهيم كاظم، تطورات في قيم الطلبة، دراسة تتبعية لقيم الطلاب في خمس سنوات، (١٩-٢٠).

(١٢) ينظر: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، صالح محمد علي أبو جادو، (٢٤٣).

(١٣) حامد زهران، علم النفس لاجتماعي، (ص١٣٢).

(١٤) علي خليل مصطفىٰ أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، (٣٤-٣٥).

(١٥) ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، مانع محمد المانع، (١٦-١٧)، مقال النسق القيمي ورعايته في السلام، محمد غاني.

(١٦) الفضيلة والفضائل في الإسلام، أحمد عبد الرحيم السائح، (٤٨-٥٢).

(١٧) آدم يا سيدي، أمل شطا، (٢٥-٦٦).

(١٨) المصدر نفسه، (٢٨).

(١٩) نفسه، (٢٦).

(٢٠) نفسه، (٥٧).

(٢١) المصدر نفسه، (ص٨١).

(٢٢) نفسه، (٣٨).

(٢٣) الحلم الضائع، حنان المنقور، (٥٦).

(٢٤) سيقان ملتوية، زينب حفني، (٢١).

(٢٥) العاشرة مساء، مها الجريس، (٤٥).

(٢٦) آدم يا سيدي، أمل شطا، (٦٧).

(٢٧) المصدر نفسه، ص نفسها.

(٢٨) المصدر نفسه، (٥٠).

(٢٩) آدم... يا سيدي، أمل شطا، (٦٨).

(٣٠) دراسة لمستوى الطموح وعلاقته ببعض المتغيرات في ضوء الثقافة السائدة لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، توفيق محمد توفيق، (٢٤-٢٥-٣٢).

(٣١) سم أفعى، ريم البقمي، (ص ص٣٠-٣٣).

(٣٢) عيون على السماء، قماشة العليان (ص ص ٣٤-٣٥).

(٣٣) المصدر نفسه، (٦٨).

(٣٤) سيقان ملتوية، زينب حفني، (١٨).

(٣٥) العاشرة مساء، مها الجريس، (١٣٤).

(٣٦) المصدر نفسه، (٢٢٣).

(٣٧) أعطني حقي في الذوبان، مريم حمد، (٢١).

(٣٨) أنت حبيبي لن نفترق معا إلى الأبد، صفية عنبر، (١٢).

(٣٩) ينظر: الفضيلة والفضائل في الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السائح، (١١٥).

(٤٠) الحلم الضائع، حنان المنصور، (١٥٥).

(٤١) أنت حبيبي لن نفترق معا إلىٰ الأبد، صفية عنبر، (١٤٨).

(٤٢) ينظر: القيم الخلقية في الرواية السعودية، دراسة تحليلية عبد الملك عبد العزيز حسن آل الشيخ، (٢٥٤).

(٤٣) العاشرة مساء، مها الجريس (ص ص ٦١-١١١).

(٤٤) المصدر نفسه، ص نفسها.

(٤٥) ينظر: علم الاجتماع الأخلاقي، د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، (١١١-١١٤).

(٤٦) ينظر، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني، (٣٤٤).

(٤٧) سيقان ملتوية، زينب حفني، (١٦).

(٤٨) المصدر نفسه، (١٣).

(٤٩) نفسه، (٢٥).

(٥٠) نفسه، (٢٣).

(٥١) نفسه، (٢٤).

(٥٢) آدم يا سيدي، أمل شطا، (٧٨).

(٥٣) الحلم الضائع، حنان المنقور، (١٣٤).

(٥٤) المصدر نفسه، (٢٨).

(٥٥) نفسه، (٢٣٥).

(٥٦) آدم يا سيدي، أمل شطا، (١٤١).

(٥٧) درة الأحساء، بهية بوسبيت، (٣٥).

(٥٨) أنثىٰ العنكبوت، قماشة العليان، (١٣١).

(٥٩) المصدر نفسه، (٣٨).

(٦٠) الشياطين تسكن الأعشاش، لمهرة العصيمي، (٨٣).

(٦١) الإسلام والضبط الاجتماعي، سلوىٰ علىٰ سليم، (٤١).

(٦٢) المرجع نفسه، (٤٩).

(٦٣) القيم الخلقية في الرواية السعودية دراسة تحليلية، عبد الملك عبد العزيز بن حسن آل الشيخ، (١٢٤).

(٦٤) سم أفعىٰ، ريم البقمي، (١٦).

(٦٥) المصدر نفسه، (١٧).

(٦٦) نفسه، (٢٥).

(٦٧) نفسه، (٢٦).

(٦٨) نفسه، (٣٥).

(٦٩) الشياطين تسكن الأعشاش، مهرة العصيمي، (ص ص٥-٢١١).

(٧٠) قطرات من الدموع، سميرة خاشقجي، (٢٠).

(٧١) المصدر نفسه، (٢٠).

(٧٢) سم أفعىٰ، ريم البقمي، (١٦).

(٧٣) المصدر نفسه، (٦).

(٧٤) نفسه، (٢٤).

(٧٥) غواصو الأحقاف، أمل الفاران، (١٠).

(٧٦) درة الأحساء، بهية بوسبيت، (٣٧).

(٧٧) حكاية عفاف، والدكتور صالح، لبهية بوسبيت، (٢٠١).

(٧٨) سيقان ملتوية، زينب حفني، (٢٣).

(٧٩) العاشرة مساء، مها الجريس، (٢٢).

(٨٠) المصدر نفسه، (١٦).

(٨١) نفسه، (٦١).

(٨٢) نفسه، (٤١).

(٨٣) آدم يا سيدي، آمل شطا، (٨٠).

(٨٤) المصدر نفسه، (٨٣).

(٨٥) نفسه، (١٤٢).

(٨٦) نفسه، (١١٦).

(٨٧) حكايات، نوال السباعي، (١١).

(٨٨) سيقان ملتوية، زينب حفني، (٩٤).

(٨٩) غواصو الأحقاف، أمل الفاران، (١٤).

(٩٠) المصدر نفسه، (١٠).

(٩١) نفسه، (٢١).

(٩٢) سيقان ملتوية، زينب حفني، (٥٥).

(٩٣) العاشرة مساء، مها الجريس، (٧٥).

(٩٤) الحلم الضائع، حنان المنقور، (٢٤٧).

(٩٥) العاشرة مساء، مها الجريس، (٥٤).

(٩٦) المصدر نفسه، (٢٢٥).

(٩٧) سيقان ملتوية، زينب حفني، (٥٩).

(٩٨) عيون علىٰ السماء، قماشة العليان، (٥٤).

(٩٩) المصدر نفسه، (٤٥).

(١٠٠) نفسه، (٤٦).

(١٠١) عيون علىٰ السماء، قماشة العليان، (٤٣).

(١٠٢) نفسه، (٥٩).

(١٠٣) ينظر: المتخيل المختلف دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة، محمد معتصم، (٣٢).

(١٠٤) ينظر: المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤىٰ والدلالة، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، (١١٦).

(١٠٥) ينظر: المرجع نفسه، (١١٩).

(١٠٦) طوق الحمام، رجاء عالم، (٥).

(١٠٧) المتخيل السردي، عبد الله إبراهيم، (١٣٤).

(١٠٨) آدم يا سيدي، أمل شطا، (١٤).

(١٠٩) سم أفعىٰ، ريم البقمي، (٦).

(١١٠) سيقان ملتوية، زينب حفني، (٧).

(١١١) ينظر: المتخيل السردي، عبد الله إبراهيم، (١٣٥).

(١١٢) افتقدتك يوم أحببتك، صفية عبد الحميد عنبر (ص ص٨-٦٣).

(١١٣) ينظر: في الإيقاع الروائي نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية، أحمد الزعبي، (٨-٩).

(١١٤) شموخ الروح، مريم الفوزان، (٥).

(١١٥) المصدر نفسه، (٦).

(١١٦) نفسه، (٨).

(١١٧) نفسه، (٩).

(١١٨) شموخ الروح، مريم الفوزان، (١٢).

(١١٩) شموخ الروح، مريم الفوزان، (١٨).

***

قائمة المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) أحمد الزعبي، في الإيقاع الروائي نحو منهج جديد في دراسة البنية الروائية، ط١، دار الأمل، عمان، الأردن، ١٤٠٧هـ.

(٣) أحمد عبد الرحيم السائح، الفضيلة والفضائل في الإسلام، ط١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٤١٧هـ.

(٤) إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

(٥) أمل الفاران، غواصو الأحقاف، ط١، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠١٦م.

(٦) أمل محمد شطا، غدا أنسى، ط١، تهامة، جدة، ١٩٨٠م.

(٧) بهية عبد الرحمن بوسبيت:

- حكاية عفاف، والدكتور صالح، ط١، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

- درة من الأحساء، ط١، مطابع مؤسسة الجزيرة للصحافة، الرياض، ١٤٠٧هـ.

(٨) توفيق محمد توفيق، دراسة لمستوى الطموح وعلاقته ببعض المتغيرات في ضوء الثقافة السائدة لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة.

(٩) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط٢، دار العلم للملايين، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م.

(١٠) حامد عبد السلام زهران:

- إجلال سرى: القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب، بحث ميداني في البيئتين المصرية والسعودية، ط١، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، ١٩٨٥م.

- علم النفس الاجتماعي، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.

(١١) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، علم الاجتماع الأخلاقي، ط١، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢م.

(١٢) حنان المنقور، الحلم الضائع، ط١، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٣٤هـ.

(١٣) خالد الرفاعي، الرواية النسائية السعودية من عام ١٩٥٨م إلىٰ عام ٢٠٠٨م قراءة في التاريخ، والموضوع، والقضية، والفن، ط، الناي الأدبي بالرياض، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(١٤) رجاء عالم:

- أربعة/ صفر، ط١، النادي الأدبي، جدة، ١٤٠٧هـ.

- خاتم، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١م.

- طوق الحمام، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠١٢م.

(١٥) روجر. ب. هيكل، ترجمة: د. صلاح رزق، قراءة الرواية، مدخل إلىٰ تقنيات السرد، ط٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، المركز المصري العربي، مصر، ١٩٩٩م.

(١٦) ريم البقمي، سم أفعىٰ، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

(١٧) زينب حفني:

- سيقان ملتوية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.

- ملامح، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦م.

(١٨) سلوىٰ علي السليم، الإسلام والضبط الاجتماعي، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

(١٩) سميرة بنت الجزيرة، ودعت آمالي، (د.ط) منشورات زهير بعلبكي، بيروت، ١٩٧٩م.

(٢٠) سميرة خاشقجي، قطرات من الدموع، ط١، السعودية، ١٩٧٣م.

(٢١) صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ.

(٢٢) صفية عبد الحميد عنبر، افتقدتك يوم أحببتك، (د.ط)، مطابع الأهرام بكورنيش لنيل، (د.ت).

(٢٣) صفية عنبر:
- أنت حبيبي، لن نفترق معا إلىٰ الأبد، ط١، دار الراوي، الدمام، ١٤٢٠هـ.
- باسمة بين الدموع، ط١، مطابع الخلف الحديثة، الدمام، ٢٠٠١م.

(٢٤) عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦م، ٤٤.

(٢٥) عبد اللطيف خليفة، ارتقاء القيم دراسة نفسية، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٩٢م.

(٢٦) عبد الملك عبد العزيز بن حسن آل الشيخ، القيم الخلقية في الرواية السعودية دراسة تحليلية، ط١، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢٧) عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤىٰ والدلالة، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.

(٢٨) علي أحمد الجمل، القيم ومناهج التأريخ الإسلامي، دراسة تربوية، د. عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٦هـ.

(٢٩) علي خليل مصطفىٰ أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية «دراسة في القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها»، ط١، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، (د.ت).

(٣٠) قماشة العليان:
- أنثىٰ العنكبوت، ط٨، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- عيون علىٰ السماء، ط٤، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٢٣هـ.

(٣١) مانع بن محمد المانع، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ط١، دار الفضيلة، الرياض السعودية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣٢) محمد إبراهيم كاظم، تطور في قيم الطلبة، دراسة تتبعية لقيم الطلاب في خمس سنوات، ط١، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.

(٣٣) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون، تهذيب اللغة، دار الجيل، ومراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د. ن.

(٣٤) محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، (د.ن)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

(٣٥) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.

(٣٦) محمد عاطف غيث، مقدمة في علم الاجتماع، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٣٧) محمد العدناني، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٨٦م.

(٣٨) محمد غازي، مقال النسق القيمي ورعايته في الإسلام، دين، ١٩ يونيو، ٢٠١٤م.

(٣٩) محمد معتصم، المتخيل المختلف دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة، ط١، دار الأمان الرباط، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

(٤٠) مريم الفوزان، شموخ الروح، مريم الفوزان، دار المساء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٤١) مريم حمد، أعطني حقي في الذوبان، ط١، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

(٤٢) مها الجريس، العاشرة مساء، دار الألوكة للنشر، المملكة العربية السعودية - الرياض، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

(٤٣) مهرة العصيمي، الشياطين تسكن الأعشاش، ط١، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠٠٠ م.

(٤٤) نوال السباعي، حكايات، ط٥، دار الوراق - النيرين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

(٤٥) نورة الغامدي، وجهة البوصلة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.

***

استراتيجيّات تهديد الوَجه وصِيانته في خبر الأصمعي مع ولَدِ حاتم وامرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة في ضوء نظرية التأدّب

إعداد

د. الجوهرة بنت بخيت آل جهجاه

أستاذ مشارِك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

aaaljehjah@hotmail.com

استراتيجيّات تهديد الوَجه وصِيانته في خبر الأصمعي مع ولَدِ حاتم وامرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة في ضوء نظرية التأدّب

د. الجوهرة بنت بخيت آل جهجاه

(قدم للنشر في ٠٣/ ٠٣/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ١٦/ ٠٧/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: يحلل هذا البحث نَصَّ الخبر المختار للدراسة التداولية في ضوء مبدأ الوجه الذي وضع نموذجَه (براون) و(لِيفنسون) عام ١٩٧٨م؛ في سياق المبادئ التنظيرية للتأدّب؛ وذلك من زاويتين تُعنَيان بالمتكلم والاستراتيجيات التي اتّخذها في انتقاء الوجوه الجالِبة والدافِعة التي استهدفها بتهديداته، ومن بعدها الاستراتيجيات التي نوّع تهديداته المتوالية عليها، ثم انتقل البحث إلىٰ تحليل استراتيجيات المخاطَب التي يبنيها لِصَدّ تلك التهديدات أو تَلطِيفها وتخفيف إضرارها بوجهِ المتكلّم. وقد برزت مجاراة المخاطَبَين للمتكلم في استراتيجياته من خلال تهديده بما يُماثِلها أو التخفيف من حِدّتها في محاولاتهما صيانة وجهَيهما؛ مما جعل الموقف التفاعلي التخاطبي مناورةَ صِراع؛ خسِر المتكلم فيها أمام المخاطَب الصريح في دفاعِه عن جانبَي وجهِه، وإعادة الهجوم إلىٰ جانبَي وجهِ المتكلّم؛ في حين بادل المخاطَبَة التي تتابعتْ لديها استراتيجيات التأدّب الجالِب من خلال أفعال الاعتذار غير المباشرة – بادلَها باستراتيجيات تلطيف التهديدات وإصلاح مخاطِرها؛ ليُنجِز سعيه إلىٰ جعلها ضحية لمقصد السخرية الذي مرّره من خلال استراتيجية التأدب الدافِع (الثَّناء).

الكلمات المفتاحية: نظريّة التأدّب، الوَجه الدّافِع، الوَجه الجالِب، أفعال تهديد الوَجه، أفعال صيانة الوَجه.

***

Strategies of face-threatening and preserving in the Averral (*Khabar*) of *Al-Asma'ei* with the Son of *Ḥātim* and a Woman of *Ibn Harmah's* Daughters in the light of the Politeness Theory

Dr. AL-Jawharah Bent Bakheet A'al Jehjah

(Received 31/10/2019; accepted 11/03/2020)

Abstract: This research analyzes the selected text for the pragmatic study in the light of the concept of Face, which its model developed by Brown and Levinson in 1978 in the context of the theoretical principles of politeness. It is taken from two angles; one is concerned with the speaker and the strategies he has chosen to select the positive and negative faces targeted by his threats and then the strategies that he has diversified his successive threats on. The research then moves on to analyze the strategies of the addressee that he creates in order to repel or mitigate those threats or their damage to the speaker's face. Keeping the addressees in line with the speaker has emerged in his strategies by threatening him with some similar strategies or mitigating it in their attempts to preserve their faces, which made the interactive speech maneuver a conflict maneuver in which the speaker lost it to the outspoken man in his defense of the two aspects of his face and returned the attack on both aspects of the speaker's face, while addressing the female, who has successive positive politeness strategies through, he exchanged her with strategies to mitigate threats and remedy the risks to accomplish his quest to make her a victim for irony, he had passed through the strategy of negative politeness (praising).

Key Words: Politeness theory, Negative face, Positive face, Face-Threatening acts, Face-preserving/saving acts.

❊ ❊ ❊

مقدمة

تتضمّن كُتب الأدب العربي القديم الإخبارية سرديّاتٍ قصيرةً؛ بعضها يتّصل بشخصياتٍ معروفةٍ ومحدّدةٍ تاريخيًّا، وبعضها تغيبُ علامات تحديدها والإشارة إليها بما يُعيّنها؛ اكتِفاءً بالحدَث السرديّ وتجلّياته. ومع تعدّد زوايا الرؤية النقدية، وآليات قراءة الأدب عبر النظريات والمناهج النقدية الأدبية الغربية الحديثة؛ صار القارئ قادرًا على كشف أعماق جديدة في جماليات النصوص الأدبية التواصلية بعمومها، والإخبارية بخصوصها؛ وهذا ما قاد إلىٰ هذا البحث الذي وجد في نَصّ خبَر الأصمعي (ت٢١٦هـ) مع رجلٍ من ولَد حاتم طيء وامرأةٍ من ولَد ابن هَرْمَة (ت١٧٦هـ) في (ذيل الأمالي والنوادر) لأبي علي القالي (٢٨٠هـ/ ٢٨٨هـ-٣٥٦هـ) موقفًا تفاعليًّا تخاطبيًّا ذا شِقّين، بَرز فيه المتكلِّم (الأصمعي) وهو يُمارِس سُلطةً مُعيّنةً تتوالَد عبر المقام المحادَثي وممارساته المقصودة المنظّمة لأفعال أَوْجَهِيّة (Modal Verbs) تفاعل معها المخاطَبان المُستَهدفان من خلال ممارساتٍ منظّمةٍ كذلك، تُظْهِر نوعًا من أفعال الصدّ، والمقاومة، والصيانة؛ ضدّ أفعال الهجوم، والتهديد، والاستفزاز التي يُصدّرها المتكلّم باتجاه وَجْهَيْ المخاطَبَين؛ لتَقييد حرّيتهما، والاستحواذ علىٰ شيءٍ من مُمتَلكاتِهما من خلال إحراجهما، أو تخويفهما، أو إيقاعهما ضحيّتَين للسخرية المبطّنة!

وبما أنّ الخبر ذو سنَدٍ موثّقٍ، وروايته لدىٰ أبي علي القالي هي أقرب روايةٍ من تاريخ الخبر، وهي ذات بنيةٍ سرديّةٍ محادثيّةٍ منظّمةٍ مُتساوِقة، ولم أجد - في حدود بحثي - دراسةً سابقةً تناولته بالتحليل النقدي التداولي أو غيره؛ فقد اعتمدتُه مادةً

للدراسة في هذا البحث وَفق مبدأ الوجه (Face Principle) الذي وضع نموذجَه (بِينيلُوب براون) (Penelope Brown) (١٩٤٤م-الآن) و(ستيفن كورتيس لِيفنسون) (Stephen Curtis Levinson) (١٩٤٧م-الآن) في سياق نظرية التأدب (Politeness Theory) التداولية في نشرة كتابهما (التأدّب: بعض الكليّات في استعمال اللغة) (Politeness: Some Universal in Language Usage) الذي صدرت طبعتُه الأولىٰ عام ١٩٧٨م، وسيأتي في التمهيد تفصيل ما يتصل بالمفاهيم الإجرائية لهذا المبدأ الذي وجدتُه يُعين في مراقبة الصراعات التفاعلية التخاطبية في السياق المُنشَأ من قِبَل المتكلّم، واستِكناه مُتضمَّناته التلميحية والاستلزامية إلىٰ جانب مراقبة تصريحاته بأفعال حركية وأفعال تلفّظية إنجازية، تشدّ القارئ في تتبّع مساراتها، ومحاولة فهم اتجاهاتها، ومقاصدها، ومراوغاتها في تجنّب التهديدات، أو تَصعيدها، أو تخفيفها؛ لغاياتٍ وآمادٍ مختلفة. ولعلّ متعة القراءة التحليلية تزداد لكَون الشخصيات المشترِكة في التفاعل التخاطبي مما يعرف القارئ عنها بعض المعلومات والخصائص؛ مما يزيد تحدّي مراقبة استراتيجياتها في الهجوم، والمراوغة، وفهم مقاصدها في ضوء محاولة إدراك مسارات خطّ السلطة الذي يتقلّب داخل السياق التفاعلي بين العلاقات غير المتكافئة حينًا، والعلاقات المتكافئة أحيانًا أخرىٰ.

من هنا، يهدف هذا البحث إلىٰ الإجابة عن أسئلةٍ محدّدة في إطار الموقف التفاعلي التخاطبي المدروس؛ هي:

١- ما الاستراتيجيات التي وظّفها المتكلّم لاختيار الوجه الذي يُهدّده؟

٢- ما الاستراتيجيات التي وظّفها المتكلّم في أثناء تهديده للوجه الذي اختاره؟

٣- ما الاستراتيجيات التي وظّفها المخاطَبَان في أثناء صيانة وَجهَيهِما بجانِبَيهِما

ضدّ تهديدات المتكلّم؟

٤- ما أثر اختلاف اتجاهات المخاطَبَين في صيانة وجهَيهِما بجانِبَيهِما في إنجاز مقاصد المتكلم؟

ولتحقيق ذلك؛ نُظّمت خطة البحث؛ بحيث يبدأ بتمهيدٍ يتناول مفهوم التأدب، ثم يُعرّف بمبدأ الوجه وَفق نموذج (براون) و(لِيفنسون) من جهة المفاهيم والاستراتيجيات، ثم يُورِد نصّ الخبر المختار للدراسة. يتلو ذلك المبحث الأول بعنوان: استراتيجيات المتكلِّم في انتقاء الوَجه؛ ليُجيب عن السؤال الأول، ثم المبحث الثاني: استراتيجيات المتكلِّم في تهديد الوجه؛ ليُجيب عن السؤال الثاني، ثم يأتي المبحث الثالث: استراتيجيات المخاطَب في صيانة الوجه؛ ليُجيب عن السؤالين الثالث والرابع معًا؛ وينتهي البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج التي توصّل إليها التحليل في أُطره المنهجية المحددة.

وعلىٰ الرغم من قِصَر الخبر، ومحدودية شخصياته التي تُدير التفاعل المحادثيّ؛ إلاّ أنّه كان مكثّفًا يُربِك في متابعة تداخل اتجاهات السلطة الإنجازية، مع الحاجة إلىٰ اختبارات متكررة للتأكد من صحّة تحديد مساراتها، والموضِع الذي رجحتْ فيه؛ ليكون صاحب النجاح في الإنجاز.

***

تمهيد

١- مفهوم التأدب:

يُعرَّف التأدُّب في عملية التفاعل الخِطابي بأنه «الوسائل الموظَّفة لبَيان الإدراك بوَجْهِ شخصٍ آخر»[١]. أو هو «مجمَل الإجراءات المستعمَلة للحِفاظ علىٰ طابع الانسجام في العلاقة بينشخصية»[٢]؛ أي: إنه مجموع الوسائل التي يستثمرها المتكلّم - أو المتخاطِبون بعمومهم - في التفاعل التخاطبي الذي يراعي حرية الآخرين، ورغباتهم، وتصوّراتهم عن ذواتهم؛ دَفعًا لتحوّل موقف التفاعل التخاطبي إلىٰ موضِعٍ للصراع.

٢- مبدأ الوجه: المفاهيم والاستراتيجيات:

اخترتُ مبدأ الوجه لـ(بِينيلُوب براون) و(ستيفن كورتيس لِيفنسون) وفق النموذج الذي ابتكراه في نشرة كتابهما (التأدّب: بعض الكليّات في استعمال اللغة) بطبعته الثانية باللغة الإنجليزية الصادرة بتاريخ ١٩٨٧م؛ من بين المبادئ والتصورات الأخرىٰ في إطار التأدُّب؛ لأنه «الأكثر إحكامًا، وشهرةً، واستغلالاً، وبالطبع أكثرها عُرضةً للنقد أيضًا»[٣]؛ لأنه ينظر إلىٰ عملية التفاعل علىٰ أنها ميدانٌ للصراعات السلبية بين أطراف الخطاب؛ إذ يَبقون منشغِلين بذواتهم، وبإنتاج أفعال تهديد الوجه وإبطالها[٤]، ويبدو أنّ السبب في كثرة الانتقادات كان ماثِلاً في أنّ هذا النموذج لم يتوافق مع الطُّرق الشائعة في فهم الأدب وتفسيره في العالم الناطِق باللغة الإنجليزية قُبيل أواخر القرن العشرين؛ حيث حوّل (براون) و(لِيفنسون) الفَهم الاجتماعي الشائع لمصطلح (الوَجه) إلىٰ فهمٍ فرديّ[٥]؛ ومع ذلك فإنّ هذا التصوّر يُعَدّ «الأكثر

تأثيرًا في تقديم نموذج للتأدّب اللساني الذي يتجاوز أنْ يكون مجرّد امتدادٍ للقِيم التي وضعها (غْرايس)»[٦] (Herbert Paul Grice) (١٩١٣م-١٩٨٨م)؛ فضلاً عن أنّه يُناسب نَصَّ الخبر المُختار للتحليل التداولي.

يتضمّن هذا المبدأ عدّة مفاهيم رئيسة واستراتيجيات؛ هي علىٰ النحو الآتي بإيجاز:

- **الوَجْه (Face):** هو «صورة الذات العامّة التي يرغب كلُّ فَرْدٍ أنْ يدّعيها لنفسه، وهي تتمثَّل في جانبَين مُترابِطَين: الوجه الدّافِع (Negative Face)... والوَجه الجالِب (Positive Face)»[٧]. وصرّح (براون) و(لِيفنسون) بأنّ مفهومَهما للوجه في النموذج الذي يقترحانه مُشتقٌّ من مفهوم الوجه لدىٰ (إيرفنج غوفمان) (Erving Goffman) (١٩٢٢م-١٩٨٢م) ومفهوم الوجه في المصطلح الشعبي الإنجليزي؛ حيث رَبْط فِعْل المواجَهة بمفاهيم الوقوع في أسْر الحرَج، أو الشعور بالإهانة، أو خسارة الوجه[٨].

- **الوجه الدّافِع:** هو «رغبة كلّ (فَرْدٍ راشدٍ مُؤهَّلٍ) أنْ لا تكونَ أفعالُه مُعرقَلةً مِنْ قِبَلِ الآخرين»[٩].

- **الوجه الجالِب:** هو «رغبة كلّ فَرْدٍ أنْ تكون مُيُولُه مرغوبةً من قِبَلِ بعضِ الآخرين علىٰ الأقلّ»[١٠].

في أثناء عملية التفاعل بين الأشخاص تدخل أفعال تهديد الوجه (Face Threatening Acts)، وهي تُعارِض رغبات وجه المخاطَب (Face Wants) التي قد تُقابلها أفعال صيانة الوجه/ حِفظ ماء الوجه (Face Preserving/Saving Acts)، وهي بدورها أفعال تهديد أو تلطيف معاكِسة تتصارع معها[١١]، وتتأثر بعدّة عوامل؛ أبرزها العوامل الاجتماعية الكامنة في:

١ – المسافة الاجتماعية؛ حيث العلاقة المتكافئة بين طرفَي التفاعل التخاطبي.

٢ – السُّلطة النسبية بينهما أو درجة حِيازة السلطة؛ حيث العلاقة غير المتكافئة.

٣– التصنيف الرّتبي المطلق المتصل بحِيازة السلطة والسيطرة بناءً علىٰ إملاءات ثقافية محددة(١٢).

وأفعال تهديد الوجه منها ما يتجه إلىٰ جانِبَي وجه المخاطَب الدّافِع والجالِب، ومنها ما يتجه إلىٰ جانِبَي وجه المتكلّم الدّافِع والجالِب، ومنها ما يهدّد جوانِب وجهَيهما معًا(١٣)!

وحين يشرع المتخاطبون أو المتكلّم – فقط – في بناء عملية التفاعل التخاطبي، فهو قد:

أ/ لا يتعمَّد القيام بأفعال تهديد الوجه (No Doing for the FTAs)(١٤).

ب/ يتعمّد القِيام بتنفيذ الأفعال المُهدِّدة للوَجه (Doing the FTAs) من خلال مجموعة استراتيجيات؛ هي(١٥):

١/ ب: التصريح (On Record) بتلك الأفعال المهدِّدة للوجه، وهذا التصريح قد يكون بإحدىٰ استراتيجيّتَين:

أ/ ١/ ب: دون أفعال إصلاحٍ تلطيفية؛ أي: بجُرأةٍ ومُباشَرة مكشوفة (Without Redressive Actions, Baldly)!

ب/ ١/ ب: مع أفعال إصلاحٍ تلطيفية (With Redressive Actions)، فيتخذ الاستراتيجيتَين الآتيتين أو إحداهما بحسب سياق التفاعل والمقاصد: (Negative Politeness) (Positive Politeness)

١/ ب/ ١/ ب: التأدّب الدّافِع (Negative Politeness) باستراتيجياته المتعدّدة

التي تؤثّر في وجهِ المخاطَب وحدَه، أو في وجهِ المتكلّم وحده، أو في وجهَيهما معًا.

٢/ ب/ ١/ ب: التأدّب الجالِب (Positive Politeness) باستراتيجياته المتعدّدة التي تؤثّر في وجهِ المخاطَب وحدَه، أو في وجهِ المتكلّم وحده، أو في وجهَيهما معًا.

٢/ ب التلميح/ التأدّب التلميحيّ[١٦] (Off Record) إلىٰ تلك الأفعال المهدِّدة للوجه، وتُستثمَر فيه استراتيجيات بلاغية متعددة؛ لتعزيز التأدّب.

ويظهر لدىٰ (براون) و(ليفنسون) أنّ الاستراتيجيات هي مجموع الوسائِل المنظَّمة التي يتّخذها المتكلّم في تخطيط بنائه للتفاعل التخاطبي مع الآخرين وتنفيذه بما يُنجِز مقاصِده[١٧].

٣- نَصّ الخبر[١٨]:

«قال أبو عليّ: وقرأتُ عليه، قال: حدّثني أبو العبّاس؛ محمد بن يزيد الأزدي، قال: حدّثني أبو عثمان المازني عن الأصمعي، قال: سِرتُ في تَطوافي في العرب بجَبَلَي طَيء، فدفعتُ إلىٰ قومٍ منهم يَحتلبون اللّبن، ثم يصيحون: الضّيفَ الضيفَ! فإن جاء مَن يَضِيفهم وإلاّ أراقوه، فلا يَذوقون منه شيئًا دون الضّيف إلاّ أنْ يَجهدهم الجوع، ثم دفعتُ إلىٰ رجلٍ من ولَد حاتمٍ بن عبد الله، فسألتُه القِرىٰ، فقال: القِرىٰ - والله - كثير، ولكن لا سبيل إليه! فقلتُ: ما أحسب عندكَ شيئًا! فأمرَ بالجِفان، فأُخرجت مُكرَّمةً بالثريد عليها وَذْر[١٩] اللحم، وإذا هو جادٌّ في المنع، فقلتُ: والله ما أَشْبَهْتَ أباك؛ حيث يقول:

وَأُبْرِزُ قِدْرِيْ بِالْفِنَاءِ قَلِيلُهَا * يُرَىٰ غَيْرَ مَضْنُوْنٍ بِهِ وَكَثِيْرُهَا[٢٠]

فقال: إلاّ أُشْبِهه في هذا؛ فقد أَشبهتُه في قوله:

أَمَاوِيَّ إِمَّا مَانِعٌ فَمُبَيِّنٌ * وَإِمَّا عَطَاءٌ لاَ يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ[٢١]

فأنا – والله – مانِعٌ مُبيِّنٌ! فرحلتُ عنه، ودفعتُ إلىٰ امرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة، فسألتُها القِرَىٰ، فقالت: إنّي – واللهِ – مُرْمِلةٌ مُسْنِتةٌ[٢٢] ما عندي شيء! فقلتُ: أمَا عندكِ جَزُور؟ فقالت: واللهِ ولا شاةٌ، ولا دجاجةٌ، ولا بَيضة! فقلتُ: أمَا ابن هَرْمة أبوكِ؟ فقالت: بلىٰ! واللهِ إنّي لَمِنْ صَمِيمِهم! قلتُ: قاتل اللهُ أباكِ! ما كان أكذبَه؛ حيث يقول:

لاَ أُمْتِعُ العُوْذَ بِالفِصَالِ[٢٣] وَلاَ * أَبْتَاعُ إِلاَّ قَرِيْبَةَ الأَجَلِ

إِنِّيْ إِذَا مَا البَخِيْلُ أَمَّنَهَا * بَاتَتْ ضَمُوْزًا[٢٤] مِنِّيْ عَلَىٰ وَجَلِ[٢٥]

وولَّيتُ، فنادتْ: اِرْبَعْ[٢٦]، أيّها الراكِب! فِعْلُهُ – واللهِ – ذلكَ أَقلَّه[٢٧] عندنا، فقلتُ: إلاّ تكوني أوْسعْتِينا[٢٨] قِرًىٰ، فقدْ أوسَعْتِينا جَوابًا»[٢٩].

***

المبحث الأول
استراتيجيات المتكلِّم في انتقاء الوَجه

يَظهر من نصّ الخبر السابق العالِم اللغوي الأصمعي قائمًا بتشكيل عملية التفاعل بينَه والمخاطَبَين وخَلْق السياق الخارجي والداخلي لها؛ لذا سيُشير البحث إليه بوَصف (المتكلِّم). ومن سياق الخبر - كذلك - يَظهر معيار السلطة المعرفية الاجتماعية التي يبني عليها المتكلِّم سيطرتَه علىٰ عملية التفاعل وتوجيهها؛ إذ يُصرّح بـ:

١- معرفته حدود المكان المُشيرة إلىٰ معرفته حدود ساكِني المكان وخصائص وُجوهِهم الاجتماعية بخاصة: «سِرتُ في تَطوافي في العرب بجبلَي طيء»؛ «ثمّ دفعتُ إلىٰ رجلٍ من ولَد حاتمِ بن عبد الله»[٣٠]؛ «ودفعتُ إلىٰ امرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة»[٣١].

تنتمي هذه المعرفة الاجتماعية إلىٰ مستوىٰ الواقِع الحقيقي؛ لأنها ترتبط بمعرفة جذور التاريخ الإنساني وأعراف الجماعة التي ينتمي إليها الآخرون، وهي معرفة تجعل المتكلِّم واعيًا برغبات الوجه الدّافِع والوجه الجالِب لدىٰ كُلٍّ منهم، ويتبع ذلك وَعيُه بما يُهدّدها!

٢- معرفته بخلفيّة الأفعال الإنجازية للمخاطَبين، وهي تنقسم إلىٰ:

أ/ أفعال إنجازية تلفّظية واقعية مُقيَّدة بالأفعال الحركية: تتمثّل فيما رآه المتكلِّم من فِعْل بعضِ بني طيء الذين لَحَظَ أنّهم في وضعِ اتّزانٍ وتوازنٍ بين الفِعل التلفّظي والحَركي بطريقةٍ منتظِمة: يُنادُون الضيف؛ ليُقْبِل عليهم؛ لأنهم يُريدون إكرامَه، ويُعِدّون القِرىٰ (اللبن)؛ فإنْ عَدِموا استِجابةَ الضيف لنِدائهم؛ أراقوا قِراهُم ما لم يكونوا في عَوَز؛ وإنْ كانوا في عَوَزٍ أخذوا من قِراهم حدودَ كِفايتِهم حين يَعزِف عنهم الضيف[٣٢].

يبدو الوجه الدّافِع لديهم مُتَصالِحًا مع الوَجه الجالِب من خِلال شَرْطٍ سياقيٍّ مُقيِّد؛ وهو حُلول العَوَز بهم بعد إعراض الضيف عن الوَجه الجالِب لهم.

ب/ أفعال إنجازية تلفّظية تتفاوت واقعيّتها وصِلتها بالأفعال الإنجازية الحركية: يتمثّل هذا في مخزون الشواهِد الشعرية التلفّظية التي استحضرها المتكلِّم بغرض تهديد وجهَي المخاطَبَين: الرجل من ولَد حاتمٍ بن عبد الله المَشهور بالكرم علىٰ مستوىٰ الأفعال الإنجازية الحركية، والمرأة من ولَد ابن هَرمة (ت١٧٦هـ) المشهور بالبُخل علىٰ مستوىٰ الأفعال الإنجازية الحركية[٣٣].

يَظهر من سرْد المتكلِّم لتفاصيل سِياق التفاعل أنّه لحَظ غياب دلائل الكِفاية، والوَفرة، والفَيض لدىٰ المخاطَبَين؛ لهذا كانا هدفًا لتهديد وَجهَيهما من باب قَصْدِ الاختبار، والتندّر أو السخرية، وفَرْض الذات، وليس بقصْد بناء علاقة تواصلية اجتماعية حميمة[٣٤].

بناءً علىٰ ذلك، يتّضح أنّ المتكلِّم قد اعتمد في انتقاء الوجه الذي يُهدِّده علىٰ ثلاث استراتيجيات:

١- **الدَّفْع:** وهو يعني: الاندفاع[٣٥]؛ أي: عزيمة الوَجه المتمثّل للقصْد المكتمل غير القابل للتراجع أو الإحساس بوجه الآخر! وهذا خاصٌّ بالمتكلِّم في ذاته.

٢- **الملاحظة:** اتضحت في مراقبة المتكلّم للأفعال التلفّظية، والأفعال الحركية، والأحوال المَرئيّة. وهذا خاصٌّ بتقويمه الجزئي الآني للآخرَين.

٣- **القِياس:** برز في الموازنة الضمنية والربط لدىٰ المتكلِّم من خلال الصّلة «مِن وَلَد...»[٣٦] بين المخاطَبَين الحاضِرَين أمامه، والعلَمين الاجتماعيين الثقافيين اللَّذَين يرتبطان بهما من جهة الانتِساب الاجتماعي وشُهرة الوَجه؛ مما يَجعله يستنتج من

خلال ذلك القياس المنطقي أنّ الجزء (المخاطَبَين) من أجلِ الكُلّ (الأبَوين الأصْلَيْن)[٣٧]. وهذا خاصٌّ بتقويمه الكلي التعاقبي للآخرَين.

إنّ الرغبتين المُسيطِرتين علىٰ المتكلِّم في عملية التفاعل هما: «الرغبة في توصيل محتوىٰ أفعال تهديد الوجه... والرغبة في أنْ يكون التهديد فعّالاً أو فوريًّا»[٣٨] أكثر من «الرغبة في صِيانة وَجه المخاطَب»[٣٩]؛ لذلك لم يكن يَهدف إلىٰ تخفيف التهديد لوَجهَي المخاطَبَين، وإنما كان يَهدِف إلىٰ تضخيم التهديد والوصول به إلىٰ أقصاه[٤٠]!

* * *

المبحث الثاني
استراتيجيات المتكلِّم في تهديد الوجه

تبرز الاستراتيجية الرئيسة في تنفيذ أفعال تهديد جانِبَي وَجهَي المخاطَبَين في التصريح، بل في التصريح المكشوف (Bald on Record)[٤١] المتوالِي؛ إذ كان المتكلِّم يحرص علىٰ تكثيف التهديد المؤكِّد علىٰ التصريح به، والإلحاح عليه، بدلاً من السعي إلىٰ تلطيفه؛ مراعاةً لوَجْهَي المخاطَبَين بشِقَّيهما[٤٢]!

كان الوجه الدّافِع للمخاطَبين مُستَهدَفًا بشكلٍ مُكثّفٍ من قِبَل المتكلِّم من خلال تهديد حريّته بإعاقة رغبته في منع المتكلِّم من نَيْل مَطالِبه، وفي استِفزازه بإشعاره بالخَطَر علىٰ ممتلكاته التي تحتاج منه حمايةً لها وإنقاذًا من أطماع المتكلِّم المُلِحّة[٤٣]، ثم يأتي استِهداف الوجه الجالِب مُدَعِّمًا استهدافَ الوجه الدّافِع حين يتناوب معه في نموذجٍ تلفّظيٍّ حَركيٍّ تكرّر في الموقفين التّخاطُبيَّين التفاعليَّين:

١- فتْح الموقف التفاعلي بعُنف (الدّفْع):

ظهر المتكلِّم وهو يُصرِّح بامتلاكه خَلْقَ الموقف التفاعلي، وسياقَه، وشُروطَه: «ثمّ دفعتُ إلىٰ رجلٍ من ولَد حاتمٍ ابن عبد الله»؛ «ودفعتُ إلىٰ امرأةٍ من ولَد ابن هَرْمة»[٤٤]. وهو حين يُصرّح بالفعل التلفّظيّ الحركي: (دفعتُ) يُوجِز عملية الاستهداف للوجه الدّافِع والجالِب للمخاطَبَين، تلك التي تتضمن ترتيبًا عقليًّا مُسبَّقًا للخطاب وفق مقاصِد مرتّبة وواضحة؛ بمعنىٰ أنّ المتكلِّم سيكون مُتعاوِنًا تمامًا مع المخاطَبَين في المحادَثة التي يَستهدِف إنشاءَها؛ لأنه يعتمدُ استراتيجية التصريح المكشوف المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقِيَم الأربع لمبدأ التعاون[٤٥] كما سيتضح لاحقًا.

هذا الفعل الحركيّ مُحدَّد الهدَف: (إلىٰ)، وهو مبنيٌّ علىٰ اختياراتٍ اجتماعيّةٍ واضحة؛ فالتصريح بجِنسَي المخاطَبَين: (رجل) و(امرأة) مع تقديم الرجل علىٰ المرأة يدلّان علىٰ نوايا التقويم المُبَيَّتَة التي تَستهدف الوجهَ الدّافِع والوجه الجالِب بشكلٍ جزئيٍّ أو كُلّيّ[٤٦]، وتقييد جِنسَي المخاطَبَين بالانتماءات القَبَلِية التي تَعني مجموعةً من معايير التقويم الثقافية والأخلاقية دليلٌ علىٰ جُرأة المتكلِّم في فعل التهديد؛ فهو لا يخشىٰ عقوبةً من المخاطَبَين؛ لأنه يَظهر بوصفه الأكثر تفوُّقًا بامتلاك هذه الخِبرة عنهما، واقتِحام مجالِهما الخاص بخطابه المحادَثي الحاليّ؛ مما يُضيّق حرّيتَهما أمام صيغته المباشرة، الواضحة، الموجزة، المحدَّدة بموضوع حضورِه في سياق المخاطَبَين[٤٧] بوصفهِ ضَيْفًا ذا سُلطةٍ واجِبَ الإكرام مرّتين:

أ/ ١: مرّةً بوصفهِ ضيفًا دخل سياقَيهما، ولكلٍّ منهما خلفيّته الاجتماعية والثقافية العربية العامة، وخلفيّته الاجتماعية والثقافية الخاصة من جهة العِرْق الذي يتفرّع من سُلالته: «مِن وَلَد حاتمٍ بن عبد الله»؛ «مِن وَلَد ابن هَرْمة». ومن الواضح تقديم الذَّكَر المُماثِل للمتكلِّم في الجنس، وهو الذي - ربما - كان المتكلّم يتوقّع منه حمايةَ جانِبَي وَجهِه أكثر، علىٰ الأنثىٰ التي - ربما - كان يتوقّع منها حمايةً أقلّ؛ فيحتاجُ البدءَ به؛ لاستثمار معظم طاقة التهديد تجاهه؛ بخاصة مع ارتباط هذه التراتبيّة بتراتبيةٍ أخرىٰ؛ هي: تقديم خلفية الكرم الواقعي المرتبط بالذَّكَر علىٰ خلفيّة البُخْل المرتبِط بالأنثىٰ. وهذا يؤكّد حضور العوامل الاجتماعية في المحادثَة التفاعلية القائمة؛ فالعلاقة بين المتكلِّم والمتخاطِبَين غير متكافئة؛ لأنّ السلطة النسبية في هذا الافتتاح تميل إلىٰ كفّة المتكلّم[٤٨]؛ فالمتكلِّم يَحضر بوصفه الخبير والمُقوِّم الأخلاقي، والمخاطَبان يحضران بوصفَيهما المُختَبرَين والمُقوَّمَين في ذاكرة العُرف الأخلاقي

الذي ينحدران منه. ويُضاف إلىٰ ذلك تَحْكِيم المتكلِّم للتصنيف الطبقيّ المطلق[٤٩] وفق فُروض الثقافة العربية؛ حيث افتِراض الالتزام والإلزام بأفعال الأب (مَن ترجع إليه صِلة الدم) التلفّظيّة والحركية السلوكية، وإلاّ كان الشخص هدفًا مباشِرًا لفَقْدِ وَجهِه!

ب/ ١: مرّةً ثانيةً بسبب فِعله التلفّظيّ المباشر المَحكِيّ: «فسألتُه»، و«فسألتُها»[٥٠] الذي يتوسّل صيغة الأمر الطلبي المباشِر في المستوىٰ الضمني للحكاية؛ مُعِيْقًا حُرية المخاطَبَين في وُجوب الاستجابة لطلبه ليصونا وجهَيهما الدّافِعَين، أو وُجوب الرفض[٥١]؛ مما سيجلبُ - علىٰ الأرجح - تهديدًا آخر إلىٰ وَجهَيهما!

عرّف هذا الافتتاح للتفاعل بالمخاطَبَين بعباراتٍ واضحةٍ، وموجزة، وصادقة، أو ملائمة للواقع المحادَثي والخلفية التي يُحيل إليها، وهي مرتّبة ترتيبًا يُوصِل دلالاتٍ ضمنية متعددة أكبر من حجم الكلمات المتلفَّظ بها[٥٢]؛ لإبراز تفعيل مبدأ التعاون من جانب المتكلّم حتىٰ وإن كان يستهدِف به زيادة الضغط والإحراج لوجهَي المخاطَبَين دون التوسّط بصيانة الوُجوه المتقابلَة (وجه المتكلّم ووجهَي المخاطَبَين)؛ تحسُّبًا لقابلية انعكاس أثر التهديد علىٰ المتكلّم نفسه[٥٣]!

٢- تهديد حرية الوجه الدّافِع:

استثمر المتكلّم في الموقِفَين التفاعليّين مع المخاطَبَين: الرجل من ولد حاتم، والمرأة من ولد ابن هَرْمة؛ نسقًا متشابهًا في تنظيم تقنيات تهديد الحرية من خلال الآتي:

أ/ ٢: استعمال صيغة الفعل الطلبي المباشر بإصدار أمرٍ بإطعامه واجِب الضيافة، وهو محكِيٌّ ضمنيٌّ في روايته للحدَث:

- «فسألتُه القِرَىٰ».

- «فسألتُها القِرَىٰ»[٥٤].

وهذه الصيغة المَحكيّة تدلّ علىٰ أنّ المتكلّم قد استعمل صيغة التصريح المكشوف في خطابه المباشِر معهما؛ مما يعني أنّه مارس عليهما ضغوطاتٍ تلفّظيةً حادّة؛ لأنّ الصيغة الطلبية النافذة تتطلّب منهما إنجازَ المَطلوب في الزمن الحالي دون توانٍ؛ ففعل الأمر الإنجازي دالٌّ علىٰ التوجيه القائم بقيام سياقه الأصلي الذي أُنشِئ فيه مُقترِنًا باستمرار شرط ثبوت السلطة للمتكلّم علىٰ المخاطَبَين، وتوجُّه المَنفعة إليه[٥٥]؛ مما لا يمنحهما حريّة اتّخاذ القرار، أو الرفض بسلامةٍ من العواقب علىٰ الأقل[٥٦]؛ بخاصة أنّه حدّد المَطلوبَ إنجازه بأنّه من صِنف (القِرَىٰ)؛ ليَستحضر ضغوطًا ثقافيةً اجتماعيةً عُرفيةً، تتضمّن التهديدَ بعواقب غير محمودة لعدم الاستجابة أو تأخّرها، ليس مِن قِبَلِهِ هو - فقط - بانتقادهم والتشهير بهم، وإنما من قِبَل الجماعة التي ينتميان إليها نسبًا، وعِرقًا، وثقافةً؛ لأن قِرَىٰ الضيف واجبٌ في العُرف العربي، ومما يُتَمدّح بفِعله، ويُذمّ بعَدَمِه!

والضغوط التي في داخل عملية التفاعل الخِطابي قائمة علىٰ الإحالة الظاهرة والمباشِرة لضغوط الجماعة القَبَلية والعُرفية وسُلطتها الكامنة خارج عملية التفاعل الخطابي أو المحيطة بها، ولا سيما أنّه صرّح بشواهد لتلك السلطة التلفّظية الشعرية؛ مما يُضيّق الخيارات أمام المخاطَبَين، ويقودهما نحو إجابة طلب المتكلّم صاحب الخبرة، والكفاءة، والهيمنة علىٰ أغلب الظنون من خلال عملية توسيعه للسياق الذي سيُحَاكمان فيه[٥٧]!

ب/ ٢: تكثيف التصريح المكشوف برغبة المتكلّم فيما يمتلكه المخاطَبَان، وشدّة طمَعه فيه من خلال الإلحاح علىٰ الاستجابة لطلبه القِرَىٰ في الحال، وعدم

الاكتفاء بالرفض الأوّلي للمخاطَب، وإغلاق موقف الخطاب التفاعلي، وإنّما قام بتمطيط الموقف التخاطبي، وتعقيده، وتعميق استثارة المشاعر السلبية لدىٰ المخاطَبَين بتأكيد أنّه طامِعٌ، وهما مَطمُوعٌ فيما يَحوطانِه عنه؛ أي: أوقعهما في فَخِّ الإحساس بالخطر علىٰ وَجهَيهِما الدّافِعَين، وأنّه لا بدّ أنْ يتّخذا موقف الدّفاع، والحماية، وإثبات القوة؛ فلا يمنحانه ما يطلبه؛ وسيواجهان عقابهما من الجماعة الثقافية العرفية! أو سينصاعان له، وسيستسلمان بمنحه ما يُريد دون عواقب[٥٨]! وهذا الأسلوب فيه زيادة ضغوط علىٰ تقييد حرية المخاطَبَين من خلال إجبارهما علىٰ تلبية رغبات المتكلِّم ومَطالِبه!

٣- تهديد الوجه الجالِب:

مع تمطيط المتكلّم للموقف الخطابي التفاعلي يتصاعد التهديد ليصل إلىٰ الوجه الجالِب للمخاطَبَين؛ فلا يُبالي بمشاعرهما تجاهه، ولا رغباتهما في الاحتفاظ بممتلكاتهما دون بذلِ شيءٍ له، حتىٰ وإنْ كان لازِمًا عُرفيًّا علىٰ مستوىٰ قِرَىٰ الضيف!

تتمثّل تهديدات المتكلّم لوجهَي المخاطَبَين الجالِبَين في الآتي:

أ/ ٣: السخرية والتشكيك في الصدق:

ويبرز هذا في قول المتكلّم:

- «فقلتُ: ما أحسِبُ عندكَ شيئًا»!

- «فقلتُ: أَمَا عندكِ جَزُور»[٥٩]؟

في التهديد الأوّل للرجل من ولَد حاتم، يسخر المتكلّم من ظاهِر رفضِه إجابة طلبِه بأنّه لا يمتلكُ شيئًا يُمكِنه أنْ يرفض بناءً علىٰ حيازتِه إيّاه! أي: إنّه يُشكّك - من خلال أسلوب النفْي - في قدرة المخاطَب علىٰ امتلاك الرفض؛ لعدم امتلاكِه الشيءَ

الـذي يطلبـه المـتكلّم، وفي هـذا اتّهـامٌ ضـمنيٌّ بالكـذِب؛ لأنـه يُقـدّم المخاطَـب – والمخاطَبَـة كـذلك – بـصورةٍ غيـر منطقيـة في وضـعٍ منطقـيّ؛ ممـا يحـوّل وجـهَ المخاطَب الجالِب إلىٰ ضحيّةٍ للنقد، والتقريع، ثم الإقصاء[٦٠]!

وأمّا في خطابه للمرأة من ولَد ابن هَرْمة، فقد استعمل أسلوبَ الاستفهام الذي يتضمّن فِعلاً طلبيًّا يستلزِم إنجازَه بالإجابة، والاستفهام في ظاهره يُهدّد الوجه الدّافِع؛ لأن المتكلّم يَهدف من استعماله إلىٰ السيطرة علىٰ ذِهن المخاطَبة وتفكيرها، وجَعْلِها تتوجَّه إلىٰ مقصوده وحده اتجاهًا عمليًّا إنجازيًّا[٦١]؛ ولأنه بدأ في تفصيل الطلَب؛ فالجَزور «أطراف البعير: فراسِنه ورأسه»[٦٢] من بقايا ما ذُبِح، وطلبُ القليل في الظاهر هو ممارسةٌ ضمنيةٌ لضغطٍ حقيقيٍّ أكبر، يتّجه ليُهدّد الوجه الجالِب المستَهدَف[٦٣]؛ فهو يُشكِّك في صدقها كذلك، ويرفض إجابتَها الكلية بالنفي المغلَّظ لأنْ يكون عندها شيءٌ، ويتّهمها بتخبئةِ شيءٍ ما، لا تريد منحَه إيّاه، وهي لا تمتلك مَنعَه من اختراق خصوصيّتها؛ لأنه أدخلَها في إطار كشف التناقض التفصيلي المثير للسخرية والهُزء اللَّذَين يُهدّدان جانِبَي وَجهِ المخاطَبَة بمؤشرات الاتهام بالكذب مع التقريع[٦٤]!

من خلال هذه التشكيكات في صدق المخاطَبَين، يُقوِّم المتكلّم بعضَ جوانب وجهَيهِما الجالِبَين بالكَذِب، متضمّنًا توبيخهما عليه من خلال تمطيط الخطاب بأسئلة التحقُّق من صدق ملفوظاتهما؛ بهدف كشف تناقضاتهما، وأنّه واعٍ بِحِيَلِهما الدفاعية، لا يمكن أنْ يُضلِّلاه عن تحقيق غايته[٦٥]، ويتضمّن هذا تعريضًا بعدم تعاون المخاطَبَين مع المتكلّم!

ب/ ٣: كشف خيانة العِرْق:

في هذا المنعطف الحادّ من إدارة المتكلِّم للموقفين الخِطابيين التفاعليّين، ينحو

المتكلّم إلىٰ تصعيد طُرق تهديداته للوَجه الكلي الجالِب للمخاطَبَين من خلال كشف تناقضٍ حادٍّ مع طبائع العِرْق الذي ينحدر منه كلٌّ منهما، وإثارة قضية العِرْق أو الانتماء والجذور الإنسانية من القضايا العاطفية الخطِرة التي تخلق جوًّا شديد الخطورة علىٰ وَجْه المخاطَب، وتُصدِّر إليه مجموعةً من المشاعر العنيفة التي تجعله يخاف المخاطَبَ، أو يُحرَج منه؛ فيتحوّل إلىٰ الإذعانِ لـمَطالبِه ورغباته[٦٦]! ويتمثّل ذلك في قول المتكلّم للمخاطَبَين:

- «فقُلتُ: واللهِ ما أشبَهْتَ أباكَ»؛ حيث يقول:

وَأُبْـرِزُ قِـدْرِيْ بِالْفِنَـاءِ قَلِيلُهَـا * يُـرَىٰ غَيْـرَ مَـضْنُوْنٍ بِـهِ وَكَثِيْرُهَـا[٦٧]

- «فقُلتُ: أَمَا ابنُ هَرْمةٍ أبوكِ»؟

- «قُلتُ: قاتَلَ اللهُ أباكِ! ما كانَ أكذَبَهُ»؛ حيث يقول:

لاَ أُمْتِـعُ العُـوْذَ بِالفِـصَالِ وَلاَ * أَبْتَـاعُ إِلاَّ قَرِيْبَـةَ الْأَجَـلِ

إِنِّـيْ إِذَا مَـا البَخِيْـلُ أَمَّنَهَـا * بَاتَـتْ ضَـمُوْزًا مِنِّـيْ عَلَىٰ وَجَلِ[٦٨]

واستدعاء هذين الاستشهادَين الشعريين من شعر الأجداد/ أُصول العِرْقَين استدعاءٌ لسلطة قاهِرة يَحتجّ بها ضدّ المخاطَبَين بما يُعمّق خطر التهديد لوَجهَيهِما الجالِبَين[٦٩]، وهو يتضمّن كشْف مناقضَة المخاطَبَين لسلُوك الآباء المُدَّعىٰ في الملفوظات الشعرية، وهو ادّعاء الإفراط في فِعل الكرم/ السخاء، وتعمُّد المتكلّم إنجاز هجومه علىٰ وجهَي المخاطَبَين الجالِبَين من خلال استحضار المُنجَز التلفّظي الشعري - قائمٌ علىٰ قوّة هذا النوع من التلفّظ في الاحتِجاج في العُرف العربي، وبلاغته في تحقيق ما يُوظَّف لأجله، إضافةً إلىٰ ثباتِه، وأنّهُ حجّةٌ دامِغة[٧٠]!

إنّ استعمال المتكلّم لصيغة الفِعل الطلبي (الاستفهام) مع المخاطَبَة الأنثىٰ

لافِتٌ هنا - أيضًا - في تهديده الوجهَ الجالِب لها عقِب الوجه الدّافِع، وهو سؤالٌ تقريريٌّ لم ينتظر به إجابةً، وإنما قصَد به توبيخَها علىٰ الاعتذار عن إجابة طلبِه بالعدم! وهذا السؤال الخِطابيّ يمثّل تحدّيًا للمخاطَبة، هدفه تأجيج المفارقة الحِجاجية؛ لدَفعِها إلىٰ دخول المناظرة التفاعلية بالأسلوب التلفّظي الذي كان يتوقّعه لإنتاج تخاطبٍ تفاعليٍّ ساخِرٍ أو فكاهيّ[٧١]! ويعود السبب - فيما يبدو - إلىٰ أنّ المتكلِّم يُلمّح لمراقِب الموقف الخِطابي التفاعلي الافتراضي بأنّه واعٍ بحقيقة ما وراء ادّعاء الكرم في المُنجَزين التلفُّظيّين الشعريين العائِدَين إلىٰ الأصلَين العِرقيّين اللَّذَين ينتمي إليهما المخاطَبان، وفي هذا نوعٌ من التلميح إلىٰ أنّ أصْلَ الموقف الخطابي التفاعلي مَشحونٌ بما وراء الخطاب من استهدافٍ لوظيفة التنذّر أو السخرية[٧٢]؛ فالأصل الأوّل (حاتم) يُوافِق واقِعُه الاجتماعي الفِعْلِيّ واقِعَ تلفّظه الشعري المُنجَز؛ في حين أنّ الأصل الثاني (ابن هَرْمة) يُخالِف واقِعُه الاجتماعي الفِعْلِيّ واقِعَ تلفّظه الشعري المُنجَز؛ لأنه مُمْتَهِنٌ لسُلوكيّات البُخْل والامتِناع عن العطاء في أفعالِه السلوكية[٧٣]، بدليل أنّ المتكلّم حين حلَف بعدم مشابهة ولَد حاتم لحاتم في كرَمِه؛ كان يَعلَم - يقينًا - صِدْق تلفُّظ حاتمٍ بالكرم، وحينَ سَبّ ابنَ هَرْمةَ بانتِقاد إيغالِه في الكذب بادّعاءِ الكرَم؛ كان يَعلَم - يقينًا - كذِبَ تلفّظه بالكرم، ولكنه أراد التضييق علىٰ وَجْه المخاطَبَة الجالِب، وتوسيع الهجوم عليه، ومحاصرته؛ لإنجاز طلبِه! ولا سيما أنّ استعمالَه للأسئلة الخِطابية البلاغية يرتبط بقيمة النوعية - إحدىٰ القِيَم الأربع لمبدأ التعاون - بمعنىٰ: كُوني صادِقةً! حيث تتحول الإجابات المعلَّقة غير المُنتَظَرة إلىٰ أعمال تهديدٍ للوجه[٧٤]! وفي هذا تقييدٌ مكثَّفٌ لحرية الوجه الدّافِع كذلك!

إنّ هذا الأسلوب؛ أي: تَعمُّد إثارة هذه القضية الخِلافية من محاكمة الفروع (الأبناء/ الأحفاد) في ضوء الأفعال السلوكية والقولية الشعرية المُنجَزَة من قِبَل أُصول أعراقهم (الآباء/ الأجداد)؛ يَدفع بالتهديد إلىٰ أقصاه؛ لأنه يُمثّل مُجابهةً للمخاطَب بأخبارٍ سيئةٍ تَنتقِص من قِيمتِه، وتُنذِر بتعرُّض وَجهِه للعَار والذّم؛ كما أنّه يحمل شحناتِ مشاعر عاطفيةٍ عنيفةٍ، تَجعل المخاطَب يقع في الخوف الشديد منْ أنْ يكون اكتِمال وُقوع الإساءة علىٰ وجهه الفردِيّ إساءةً إلىٰ وجه القبيلة والجماعة التي ينتمي إليها! وليس هذا في الزمن الحاضِر والمستقبل فقط، وإنما سيرتَدّ الأثر إلىٰ الزمن الماضي؛ ليتحوّل المَجْدُ المَمدُوحُ إلىٰ أداةٍ للسخرية والإسقاط من شأن القبيلة والأعراق! ولا سيما أنه يهدّد جوانِب وَجهَي المخاطَبَين بالأنموذج الموثَّق في ذاكرة الشعر المُعتبَرة في السياق الذي يتخاطب معهما فيه؛ مما يُشعِرهما بأنهما دخيلان غير مُرحَّبٍ بهما[٧٥]!

وفي المقابل، فإنّ المتكلّم يستعرض ما لديه من مشاعر القوّة، والتسلُّط، والعنف؛ ابتِداءً من امتِلاك المعرفة بالخلفية العِرقيّة والثقافية لأصول المخاطَبَين، وإثارته قضيّة التشكيك في صفاء النسَب من جهة الدم؛ لاستنكاره عدم صفاء النسَب من جهة السلوكيات الأخلاقية (الكرم/ البُخل)، ولإدراكه أنّ وجه الفرد يمثّل وجه القبيلة والجماعة؛ لذلك يستعرض المتكلّم قدراته التلفّظية علىٰ تصعيد التهديد الكلّي للوجه الجالِب للمخاطَبَين مع الوجه الدّافِع من خلالِ تقييد حريته، دون أنْ يترك مجالاً للتراجُع من طرفِه؛ اعتِمادًا علىٰ أنّ بُلوغَه هذا الحَدّ من التهديد بإيذاء وَجه القبيلة/ العِرْق سيُجبِر المخاطَبَين علىٰ تلبية طلبِه؛ فهو لا يَعبأ بمخاوِفِهما، ولا بصِيانة وَجهَيهِما من أيّ حرَجٍ أو أذىٰ[٧٦]؛ لافتراضِه امتِلاكَ النفوذ الكامل بالسيطرة

علىٰ سلوكيات المخاطَبَين من خلال تشكيله سُلطةً خاصة للذاكرة الخِطابية التي استجلبَها من خارج زمن عملية التخاطب التفاعلي؛ ليؤسس بها ذاكرةً داخليةً نصيّة في الخِطابات المحادثية الجارية، تفرض سُلطتَها المزدوجة علىٰ المخاطَبَين وفق مقام التخاطب الحالي وارتباطاته[٧٧]، تلك السيطرة التي جعلتْه يتفنّن في تلفّظات التصريح المكشوف مع التعريض بعدم تعاونهما معه في إنجاح الموقف التخاطبي التفاعلي!

٤- قَفل الموقف التفاعلي بعُنف (الرحيل):

من المفاجئ - عَقِب تصعيد المتكلّم الواضح للهجوم علىٰ الوجهَين الدّافِع والجالِب لكلٍّ من المخاطَبَين، ودَفعه التهديدات المكشوفة التصريح والضمنية إلىٰ ما وراء الوجهَين الفرديين؛ حيث وجها القبيلتَين والعِرْقَين اللَّذَين ينتمي إليهما المخاطَبان - من المفاجئ أنْ ينسحب بِقَطْعِ التخاطُب، وقَفْل الموقفين التخاطبيين التفاعليين بعد إظهار الاستيقان من فَشل هجومَيه المكثَّفين في انتهاك حرية الوجهَين لكلٍّ من المخاطَبَين وإرضاخهما لتلبية مطالِبه! وهذا الانسحاب وقَفْل الموقفين جاءا في التلفّظ المَحكِيّ عن المتكلّم نفسه حركيًّا:

- «فرَحلْتُ عنهُ».
- «ووَلَّيْتُ»[٧٨].

وبينهما تفاوتٌ واضِحٌ من جهة مِقدار الانسحاب ونوعيّة القفْل؛ فالرحيل عن ولَد حاتمٍ جاء بعد هجومٍ من ولَد حاتم، لم يستطِع المتكلّم تفادِيه أو صَدَّه؛ فانسحب صيانةً لماء وجهه هو؛ لأنّ الرحيل «مُضِيٌّ في سفَر»[٧٩]! وحدّد النقطة التي ارتحل عنها، وهي المخاطَب الذي هدَم مَشروعه في الهجوم التخاطبي؛ فهو ليس مجرّد إغلاقٍ لعملية التخاطب، وإنّما مُفارَقةٌ لمكان التخاطُب والتقارُب كاملا؛ لأنّ المخاطَب من

ولَد حاتمٍ قد رَدّ الهجوم بالطريقة التلفّظية الشعرية نفسها علىٰ المتكلّم، ليجعلَه يقع في الإقرار الضمني بالذنْب، والخطأ، والتعدّي علىٰ المخاطَب بتحريضٍ من معرفتِه الناقصة بالسلوكيات التلفّظية والفِعلية للعِرْق الذي ينتمي إليه؛ وهذا سلوكٌ متوقَّعٌ في صيانة وُجوه المخاطَبَين لذَاتَيهما عن طريق مهاجمة وجهِ المتكلّم[٨٠]؛ فهناك يبدو أنّ المتكلّم «يُشير إلىٰ أنّه يعتقد أنّه كان لديه سببٌ وجيهٌ ليَفعل ما فعَلَه، أو ليَفشل في فِعلِه، وهو الفِعل الذي انتقدَه المخاطَب»[٨١]! مما يعني أنّ السلطة المعرفية والخِطابية التي ظنّها المتكلِّم مُخوِّلةً إيّاه لتهديد المخاطَب والسيطرة علىٰ سلوكيّاته، ما هي إلاّ سلطةٌ وهميّةٌ مُضلِّلةٌ، وهذا ما أدّىٰ إلىٰ انهيار المتكلّم التلفّظي، وتسرّبه الجسَدي من المكان بعد أنْ خسِر وجهَه الجالِب كاملاً[٨٢] في مناورتِه مع المخاطَب من ولَد حاتم، كما خسِر – ضمنيًّا – وجهَه الدّافِع بقبول رَفْضِ المخاطَب تلبية طلبِه مع قُدرتِه عليه؛ وذلك من خلال فِعل الرحيل، وترْك الحرية له.

أمّا فيما يتصل بقفْل المتكلّم للموقف التخاطبي مع المخاطَبة من ولَد ابن هَرْمة التي لم تردّ هجومَه بشيءٍ، واستسلمتْ لهُ؛ ليَشعر بالانتصار، وانتهاك وجهها الجالِب كاملاً من خلال التقويم الذي استهجَن به اعتذارَها عن تلبية طلبِه؛ فقد صانَ ماءَ وجهها الدّافِع بعدم مواصلة التضييق عليها بسلْب حريّتها في الرفض والامتناع عن قِرَاه، وقد كان أسلوب انسحابه الحركيّ كامِنًا في فِعْلٍ قريبِ المدىٰ، وهو التّولّي؛ أي: الإدبار/ الإعراض، والنأْي المحدود، والانصراف عن وجهِها[٨٣]؛ وهو لا يدلّ علىٰ إيغالٍ في البُعد مثل الرحيل؛ إذ كان فِعْل الإعراض بالوجه والجسد لمسافةٍ قصيرةٍ عن المخاطَبَة كفيلاً بفتْحِها مُناورَةً جديدةً تَكسِر قفْل الموقف التخاطبي التفاعلي معها؛ لصيانة ماءِ وَجهِه الجالِب، والتلميح إلىٰ قبول الاستجابة لطلبه، والإقرار بالانقِياد

الأخلاقيّ الذي كان قد وجّهَه إلىٰ الوجهِ الغائب لسَلَفِها الأصل (ابن هَرْمة)؛ لأنّه كان انتِقادًا صَادِقًا، وافَقَ فيه المتكلِّمُ موقفَ المخاطَبَةِ وغيرِها من ولَد ابن هَرْمة، وربّما كان الداعي إلىٰ صَمْتِها في أثناء الموقف التخاطبي التفاعلي هو احترامُ خصوصية السلَف الأصل (ابن هَرْمة)، وعَدِّه من المَسكوت عنه؛ باعتبار الحديث في مغامِز السلَف من مناطِق الكلام المحظورة غالبًا؛ تقديسًا لها ولهم[٨٤]!

والمخاطَبَة - هنا - تخرج من تشخيص التخاطب وتهديدات المتكلّم لجانِبَي وجهِها من خلال حرصها علىٰ أنْ تتفادىٰ خطر تهديداته في مقام خطابه المُصطَنَع؛ فسايرتْه، ومَنحتْه الفُرصة ليُنهِيَ أفعالَ تَهدِيداتِه لوَجهِها[٨٥]؛ لأنها كانت في موقفٍ حرِجٍ، لا تُريد أنْ يكون لها مشاركةٌ في تصعيده من خلال الدخول في دفاعاتٍ احتِجاجيةٍ علىٰ استعانة المتكلّم بالاستشهادات التلفّظية الشعرية في الطعن في وجه سلَفها؛ ازدراءً له، واختبارًا لمصداقيّتها في الخبرة المعرفية، ومعايير قبول الذات وتقديرها. والمخاطَبَة - بهذا الفِعل - تنقُل إدارة الموقف الخطابي التفاعلي إليها دون أيّ مواجهاتٍ أو مُصادَمات علنية وصريحة، وتُجرّد المتكلِّم بطريقتها الخاصة من سُلطته في هذا المَوضِع من الموقف التفاعلي!

***

المبحث الثالث
استراتيجيات المخاطَب في صيانة الوجه

لضروراتٍ منهجيّةٍ، فصلتُ تحليل استراتيجيات صيانة المخاطَبَين لجانِبَي وَجهَيهما عن استراتيجيات تهديدات المتكلّم وهجماته المتصاعدة عليها؛ وذلك ليبرز الجهد الذي يبذله أطراف التخاطب في هذا الموقف التخاطبي التفاعلي المتوتّر. ومثلما كان للمتكلّم نسَقٌ متشابِهٌ في هجومه علىٰ وُجوه المخاطَبَين، فإنّ للمخاطَبَين نسقًا متشابِهًا في تأسيس جدار الحماية، والصيانة، والصَّدّ مع اختلافاتٍ سياقيةٍ داخليةٍ، وهي علىٰ النحو الآتي:

١- رفض الطلب/ صَدّ التوقّعات:

كان المتكلّم قد بادر بطلبِ قِرَىٰ ضيافته مُستغِلاًّ سُلطتَه بوصفه ضيفًا عابِر سبيل، يَعرِف أنّ إجابة طلبِه في السياق العرفي العربي الواسع/ الخارجي واجبة؛ مما يجعلها مُسلَّمًا بها في سياق التخاطب الداخلي بحسب ظنّه، ولكنْ جاء الردّ مخالِفًا لتوقّعاته بمستوياتٍ مختلفةٍ في تهديد وجهه الجالِب:

- «فقال: القِرَىٰ - والله - كثيرٌ، ولكن لا سبيل إليه»!

- «فقالتْ: إنّي - والله - مُرْمِلَةٌ، مُسْنِتَةٌ، ما عندي شيءٌ»[٨٦]!

يشترك المخاطَبان في عدم المبالاة بالوجه الجالِب للمتكلّم ومطالبه[٨٧]؛ إذ تجاهلا - بشكلٍ تامٍّ - تصنيفَه نفسَه ضيفًا؛ أي: بادراه بتهميش هذه السلطة السياقية التي تعمّد إنشاءَها؛ للضغط عليهما! كذلك، اشتركا في تأكيد خطابَيهما بالتغليظ التأكيدي لمصداقيتهما بالحلف بصيغة واحدة: «والله»! ليقطعا أيَّ توقّعاتٍ لوعود

مستقبلية يلتزمان بها تجاهَه، وينفردان في مناطق الانطلاق من الزوايا التي أسّساها لِقَلْبِ التهديد باتجاه وجهِه، وإعلامه بتهميشه؛ فـَـ:

أ/ ١: الرجل من ولَد حاتم: انطلق من الحديث عن المرغوبِ لدىٰ المتكلِّم بأنّه موجودٌ في حَوزتِه بوَفرة، ولكنّه يتحدّاه، ويُنذره بالتلميح: «ولكن لا سبيل إليه»؛ إذ فصَل الأملَ في ترقُّب الإذعان للضغوط بـ(لكن)، وهي من الروابط الحِجاجية الفاصِلة التي تؤدّي وظيفة الإقصاء الذي يقوّيه النفي التابع لها، وقد حقّقت الإضراب الأسلوبي عن تحقيق الرغبة نحو الامتناع عنها[٨٨]، وعن الدخول في الموضِع الذي يريد المتكلّمُ أنْ يضع المخاطَبُ فيه وجهَه، وهو بتلفُّظه غير المباشِر: «لا سبيل إليه» يُكثِّف الامتناع؛ ليجعله أصلَ جوابه/ ردّة فِعله الحالية والمستقبليّة؛ فهو يقطع أيَّ حَبْلٍ للارتباط والوَصْل بينه والمتكلّم!

إنّ التلميح أقوىٰ وأكثر إيغالاً في المَنع والتحدّي لسُلطة المتكلّم من التصريح أو التصريح المكشوف؛ لأنه أوجز، وأوضح، وأصدق في التعبير عن موقف المخاطَب من رغبات وجه المتكلّم الجالِب، وأشمل من جهة استيعاب المَنع الكلّي التعميمي بإيحاءاته الواسعة، الذي يُلوّح بعدم الاهتمام بالدخول في مناوراتٍ خِطابية أكثر صُدودًا، وأوجز تلفُّظًا وانفِعالاً!

ب/ ١: المرأة من ولَد ابن هَرْمة: انطلقتْ من الحديث عن المَرغوبِ ما بحَوزتِه؛ أي: ذاتها، سالِكةً طريقًا عكس طريق ولَد حاتم؛ إذْ جزَمتْ بعدمها وعدم القدرة علىٰ الدّخول في الموضِع الذي استهدَف المتكلّم إيقاعَها فيه جزمًا تفصيليًّا؛ فهي: لا زاد معها إلىٰ درجة لُصوقها بالرّمل من رِقّة حالِها وفقرها[٨٩]، وقد أصابتْها سَنَةٌ، وقحطٌ، وجدب[٩٠]! وأَتْبَعتْ هذا الإطناب الوصفيّ المبالَغ فيه بالنفي: «ما عندي

شيءٌ»؛ إيغالاً في العَدَم! ومَن يكون هذا حالُها - وهي أنثىٰ - فمن اللؤم التضييق عليها بطلَب القِرَىٰ منها!

لقد استثمرت المرأة إمكانات اللغة الوصفية الصرفية والتركيبية في وَصْل مجموعةٍ من الأوصاف المتصاعِدة من هيئة العدَم الواقِع عليها رُغم أنفِها: (مُرْمِلَة)، نحو أسبابِه (مُسْتِتَة) الخارِجة عن إرادتها، نحو تأكيده الكلّي (ما عندي شيءٌ)؛ تكرارًا للَباقَة اعتذارها غير المباشر عن مطاوعة المتكلّم، والتعاون معه في التّموضُع حيث أرادها في الموقف التخاطبي التفاعلي الذي أنشأه، وكأنّها تلمّح إلىٰ خطأٍ أو ضلالٍ في اختياره إيّاها ضحيّةً لتهديد جانِبَي وَجهِها؛ طمعًا في انتهاك حيِّزه وجهَها الدّافِع الخاص؛ وهي بهذا تُحرِج وجه المتكلّم الجالِب؛ فعلىٰ الرغم من قوّته إلاّ أنّها بإعلان عدم كفاءتها شكّلتْ عائقًا أمام استغلال سلطته في حشْد الجمهور المحيط بالموقف الخطابي التفاعلي؛ لتدمير وجهِها بشكلٍ ساحِقٍ[٩١]، وأحالتْه إلىٰ مرجعيّةِ المَنْع الخارِجة عن سلطتها وإمكاناتها، وهي سُلطة الحال والأقدار المكتوبة التي لا يمكن أنْ يتواصل معها المتكلّم أو يُغالِبها؛ لأنها قوة علوية مطلقة!

بهذا، يظهر أنّ الرجل من ولَد حاتم قد صَدَّ هجوم المتكلّم بنَسْفِ وجهِه الجالِب كاملاً دون تكلّف، مع صيانة وجه المخاطَب الدّافِع من الانتهاك، في حين تلطّفتِ المرأة من ولَد ابن هَرْمة في صيانة وجهِ المتكلّم الجالِب بالتلميح إلىٰ عدم مُمانعتِها الشخصية في الرضوخ لسُلطتِه، ومَنحه وجهَهَا الدّافِع الخالِي كما يشاء، ولكنّها لا تملك شيئًا من عناصر الكفاءة ولا التعاون؛ لتصون وجهَهَا الدّافِع عبر هذه الحيلة التلفّظية من حِيَل التأدب الجالِب[٩٢].

٢- نَقْض التشكيك:

حين انتقل المتكلّم إلىٰ الطعن في مصداقية المخاطَبين، وتهديد وَجهَيهِما الجالِبين بفِعل التشكيك في مطابقة محتوىٰ تلفُّظَيهما لواقِعَيهما غيرَ عابئٍ باحترام رغبتَيهِما في صَدِّه، وعدم إقامتهما علاقةً ودّيةً معه؛ قام كلٌّ منهما بصَدِّ التهديد بفِعلٍ تلفُّظيٍّ يوافق اتجاهَيهِما في فِعلَي الصدّ الأوَّلَين؛ وذلك علىٰ النحو الآتي:

أ/ ٢: اتّجه الرجل من ولَد حاتم إلىٰ المواجهة الصّدامية المباشِرة مع المتكلّم وتَحدّيه بإبراز الفَيْض الذي يَمتلكه من الطعام، ومع هذا فهو لا يَعبأ بالوَجه الجالِب للمتكلّم ألبتّة، ويقوم بأفعالٍ حركيّةٍ تُبلِّغه معنىٰ الإصرار علىٰ الصَّدّ والمَنْع بشكلٍ مُتواتِرٍ يُفْهَم من صيغة حكاية المتكلّم لأفعال المخاطَب الحركية:

- «فأمَر بالجِفان، فأُخرِجتْ مُكرَّمةً بالثريد، عليها وَذْرُ اللحم، وإذا هو جادٌّ في المَنْع»[٩٣]!

وكَوْن المخاطَب يَأمُر مَنْ تَحتَه لكشْف ما يَنقض تشكيكَ المتكلّم، فهذا دلالة علىٰ امتلاكه سُلطتَه الخاصة في مكانه وفي السياق التخاطبي التفاعلي، والجدّية في المَنْع بصيغة الاستمرار الواعِي الإراديّ المُلِحّ: «جادٌّ في المَنع» يُصَعِّد صيانة وجْهَي المخاطَب الدّافِع والجالِب معًا، وتُوْقِعُ المتكلّم في حرَج الرّضوخ لعدم التعاون الفاضح، ولقبول التلفّظات العنيفة التي تنسلخ من مَنْح أيِّ اعتبارٍ للوَجه الجالِب الكلّي للمتكلّم[٩٤]، وتُعرّضه لفَشلٍ آخر في تهديده وجهَي المخاطَب هذا، واستفزازه.

في التهديد الأوّل، كشَف المخاطَب للمتكلّم جَهْلَه بقوّة إرادتِه، وفي التهديد الثاني كشَف لهُ جَهْلَه بتَمام امتلاكِه للمَرغُوب مع تمام سُلطتِه الفردية عليه؛ مما يَعني أنّ السُّلْطتَين التّخاطُبيّتَين التفاعليّتَين صارتا متكافئتين في القوّة مع اختلاف

الاتجاهات؛ مما يُحمّل المتكلّم عبء التفكير في الانسحاب أو إعداد هجومٍ تلفّظيٍّ آخر سيكون علىٰ قلقٍ من مَآلِه بعد ما تكشّف له من فجواتٍ في توقّعاتِه، وفي مَعرفتِه بالمخاطَب، وفي مدىٰ سيطرتِه علىٰ سياق التخاطب التفاعليّ. وهذه العقبات تُبَطِّئُ تَصعِيْدَ المتكلّم للمُفارقات التي ستُحوِّل الموقف إلىٰ الفُكاهة والسخرية التي يظهر أنّها الهدف الضمنيّ من وراء إنشاءِ هذا الموقف التفاعليّ.

ب/ ٢: تتخذ المرأة من ولَد ابن هَرْمة موقفَ الضعْف وتقديم الأعذار التفصيلية للمتكلّم؛ ابتداءً من الأكبر نحو الأصغر؛ إيغالاً في تأكيد تلبُّس العدَم بها، وعدم كفاءتها للدخول في الموقف التخاطبي التفاعلي؛ فحِين سألَها إنْ كانتْ تَمتلِك أحقَرَ ما يُقرَىٰ به الضيف، وهو الجَزور؛ «قالتْ: واللهِ ولا شاةٌ، ولا دجاجةٌ، ولا بيضة»[٩٥]! وهذه هي المرّة الثانية التي تُصدّر فيها تلفُّظاتِها بالحِلْف الغليظ، وقد تجنّبت الإجابة عن سؤاله المباشِر بالهرب من حصاره، مُنطلِقَةً من اعتماد درجاتِ النفي لما هو دُون الجَزور، وما دُون ما دونها؛ فليس لديها ما يُتَغذَّىٰ به مما يمشي علىٰ أربع، ولا اثنتين، ولا مما هو في جَمادٍ يَحُوطُه! وهي حريصةٌ علىٰ التقسيم الثلاثي في إجاباتها النافية لكفاءة الامتلاك وكفاءة التخاطُب. ومبالغتُها في تتبُّع أوصاف العدَم وعلاماته التي هي أوصافٌ لها ولحَالِها؛ تُغرِي المتكلّم بتَمطِيط التخاطب معها؛ لأنها تُميِّع الثغرات التي يُهاجمها، فلا تَثبُتُ له سهامٌ فيها؛ مما يُشعِره بالتضليل مع أنّه يَنتصر في هجومه بسهولة؛ لأنها لا تُبدِي أيَّ مقاومةٍ أو أيَّ مساوَماتٍ للتعويض بالتزاماتٍ مستقبليّةٍ تتحمّلها، كما ظهر تقويمُها لأفعال التهديد من خلال الاعتذار عن التداخل مع المتكلّم أو التعدّي عليه؛ لأنها تتخذ مجموعةً من الاحتياطات التلطيفية ضدّ القوة الإنجازية للفعل الطلبي[٩٦]؛ لذلك بادرَ المتكلّم وجهَها الجالِب الكلّي بتهديدٍ آخر،

يستعمل فيه فِعلاً طلبيًّا استفزازيًّا يتّجه به إلىٰ التشكيك في صِدق نسَبها إلىٰ ابن هَرْمة، وتُجيبه بطريقةِ الحلف المغلّظ مباشرةً كما فعلتْ إزاء التهديدَين السابقَين: «فقلتُ: أمَا ابن هَرْمةٍ أبوكِ؟ فقالتْ: بلىٰ! واللهِ إنّي لَمِن صمِيمِهم»[٩٧]! ورَدُّها يَتبع نسقَ التقسيم الثلاثي السابق نفسه؛ حيث أجابتْه بالتصديق: «بلىٰ»، وأَتبعتْه بالحلف المغلّظ «والله»، ثم أوغلتْ في التأكيد بجملةٍ خبريةٍ مُثقَلة بالمؤكِّدات؛ لتُبدّد شكوكَه التي يحاول إرباكَها بها، وانتقاؤها لوَصْف (الصميم[٩٨]) فيه تهديدٌ ضمنيٌّ للمتكلّم؛ فهي لا تَخجل من ذلك، وإنما تفتخر بالتصريح المكشوف به، وهو إشعارٌ بخروجها عن وضعيّة التلفّظ الحيادية السابقة[٩٩]؛ مما يُلمّح للمتكلّم بأنّ تهديداته كلَّها لمْ تُصِبْ منها أيَّ جانبٍ من وَجه، ولم تُشعِرها بأيّ خطر، وإنما هي التي بدأتْ تُشْعِرُه بالخطر علىٰ وجهه الجالِب؛ لأنّ هذا الفخر بعد تلك الاعتذارات يَصْدَع توقّعات المتكلّم بنجاحه في إنجاز أفعاله المهدِّدة لجَانِبَي وَجهِها؛ فهي تلمّح له بتقييمٍ سلبيٍّ محتواه القضوي أنّه يَجهل صلابَة العِرْق الذي تنتمي إليه، وصلابة المَوضِع الذي تتّخذه إزاءَه في مقام التخاطب التفاعلي المتوتر؛ فهي مستعدّةٌ لإيذائه ومضايقته[١٠٠]، وإنْ لم تُبْدِ له أيَّ تضرُّرٍ أو تَضايُقٍ من هجماته المتعاقبة علىٰ جانِبَي وَجهِها!

٣- تَمييع الهجوم بالحجّة:

حين ينتقل المتكلّم بالتخاطب إلىٰ مستوًىٰ حادٍّ من الجدَل والابتزاز بأنّ المخاطَبَين خالفَا عُرْفَ أَصْلَيْهِما/ أبَوَيْهِما في الكرم/ السخاء، ويُفصّل بالاستدلال بأبياتٍ شعريةٍ لأبَوَيْهِما يَقصِد من ورائها ذَمَّ المخاطَبَين وإحراجهما بمشاعر الغضب، والازدراء، والانتقاد التي تهدد الوجهَين الدّافِع والجالِب معًا[١٠١]؛ يستفزّ ردودَ فعلٍ متناقضة من المخاطَبَين علىٰ النحو الآتي:

أ/ ٣: يقود الرجل من ولَد حاتم هجومًا يُصادِر سُلطةَ المتكلّم الذي يدّعي المعرفةَ بذاكرةِ أبيه/ عِرْقِه، كما يدّعي امتلاكَ الحُجّة الدامغة بانتِقاد هفوته الكامنة في نَقْص معرفتِه وتشوُّه ذاكرتِه؛ وذلك بقوله:

«فقال: إلاّ أُشْبِهه في هذا؛ فقد أَشبهتُه في قوله:

أَمَـــاوِيَّ إِمَّـــا مَـــانِعٌ فَمُبَـــيِّنٌ * وَإِمَّـــا عَطَـــاءٌ لاَ يُنَهْنِهُـــهُ الزَّجْـــرُ

فأنا – والله – مانِعٌ مُبيِّنٌ»(١٠٢)!

وهو هجومٌ اعتمَد علىٰ تحويل حجّة المتكلّم من صِفة الشاهد الكلّي إلىٰ الشاهِد الجزئي؛ لتتضح ثغرة الجهل بالوَجْه الثاني من ذاكرة الأب/ الأصل التي تجعل سلوك المَنْع وعدم الاحتفاء بالوجه الجالِب للمتكلّم أصلاً من أُصول الأب/ العِرْق السلوكية الأخلاقية المُنجَزَة، وهذا يُحقّق الصيانة الكاملة للوجه الدّافِع والوجه الجالِب للمخاطَب؛ لأنه يُطابِق بصدِّه المتكلّم منهجَ أصْلِه السلوكي المُنجَز، ولا سيّما أنّ المخاطَب عقّب – بالتأكيد – علىٰ حجّة المَنْع الشعرية المنجزَة؛ ذلك المَنْع الذي لا تَحوُّلَ عنه بجملةٍ خبريةٍ مؤكَّدَةٍ بالحلف المغلظ مع مؤكّداتٍ أخرىٰ، تتمحور حول ذاتِه والصفة الفِعلية المنجَزَة فيها في هذا المقام التخاطبي التفاعلي؛ مما يُبدّد السلطة الكاملة للمتكلّم، ويسحق وجهَه الجالِب بعنف دون أيّ تلطُّفٍ أو مجاملة، ويقطع أيَّ أملٍ في ارتباطٍ ودّيٍّ بينهما، بخاصة أنّ المتكلّم قد خرج وهو مَوْضِع السخرية والتنذُّر، لا المخاطَب!

ب/ ٣: تُفاجِئ المخاطَبَة من ولَد ابن هَرْمة المتكلّم وهو يُفْحِش في هجومه علىٰ وَجهِها الجالِب بتشويه أصْلِها/ أبيها، وشَتمه، ووصمه بالكذب في ادّعاء المدح مع تفصيله بالاحتجاج ببَيتَين شعريّين مُنجَزين:

«قلتُ: قاتل اللهُ أباكِ! ما كان أكذبَه؛ حيث يقول:

لاَ أُمْتِــعُ العُــوْذَ بِالفِــصَالِ وَلاَ ❊ أَبْتَــــاعُ إِلاَّ قَرِيْبَــــةَ الأَجَــــلِ

إِنِّــيْ إِذَا مَــا البَخِيْــلُ أَمَّنَهَــا ❊ بَاتَتْ ضَمُوْزًا مِنِّيْ عَلَىٰ وَجَلِ»[١٠٣]

فمع هذا، كان جوابها علىٰ هذا التهديد هو الصمت، وكأنّها تُسلّم له سلبَ وَجهها الجالِب بهذا الإذلال، والازدراء، والشتم المحمَّل بالحجة الدامغة علىٰ فضح التناقض في ادّعاءات أصْلِها/ أبِيها وسلُوكه الذي يوافقه سلوكُها الماثل في الاعتذار عن امتلاك كفاءة المَنْح والمفاوضَة أو المناورَة الصريحة أمام تهديداته وهجماته!

وهذا يُشعِر المتكلّم بأنّ امتلاكَه الكامل للسلطة امتلاكٌ فارغ مائِعٌ؛ لأنه لم يصطدم بأيّ قوّةٍ تُقاوِم أو تتوسّل ببدائل من العُروض أو الوُعود؛ مما يجعل الانتصار – هنا – أشبَه بخسارة السلطة مع الرجل من ولَد حاتم، وفَقْد الوَجه الجالِب الكلّي؛ ومع هذا فسلوكيات المتخاطِبَين التلفظية والحركية تدلّ علىٰ وجود أدنىٰ حدٍّ من التعاون مع المتكلّم، وتعاون المرأة من ولَد ابن هَرْمة أكثر وضوحًا من تعاون الرجل من ولَد حاتم؛ وذلك لأنهما في هجماتهما الدفاعية لصيانة وُجوههما يُجارِيانه في طبيعة التلفّظ، وموضوعه، والحجة المضادّة، وغايات التبيين[١٠٤].

٤- تهميش التهديد بعد قفل الموقف التفاعلي:

يظهر في ختام الموقف التفاعلي ما بيّتَه أحدُ المخاطَبَين في أثناء تصعيد المتكلّم لتهديداته؛ وذلك علىٰ النحو الآتي:

أ/ ٤: الرجل من ولَد حاتم: التزم الإهمال الكامل والقطيعة مع المتكلّم، وتهميش محاولات تهديده السابقة لجانِبَي وجهِه مع تهميش السعي إلىٰ تلطيف آثار التهديد العكسي المحرِجة لوجه المتكلّم الجالِب؛ ليدع المتكلّم يغادر منهزِمًا خاسِرًا!

ب/ ٤: أمّا المرأة من ولَد ابن هَرْمة، فقد فاجأت المتكلّم بمناورةٍ أخيرةٍ بعد أنْ أعلن انهيارَه الجسدي وتسرّبه عن الموقف؛ إذ منحتْه فرصة التحوّل عنها وعن الخطاب التفاعلي؛ لِتَشرع هي في إدارة التحكّم التي تُقفِل بها الموقف التفاعلي؛ فكما روىٰ:

- «وولَّيتُ، فنادتْ: اِرْبَعْ[١٠٥]، أيّها الراكِب! فِعْلُهُ - واللهِ - ذلكَ أَقلَّه[١٠٦] عندنا، فقلتُ: إلاّ تكوني أوْسعْتِينا[١٠٧] قِرًىٰ، فقدْ أوسَعتِينا جَوابًا»[١٠٨].

استعمال المخاطَبة أسلوب النداء الطلبي من وسائل التوجيه اللغوي لتحفيز المتكلِّم - المخاطَب الآن للقيام بردِّ فعلٍ محدَّدٍ تجاه المتكلِّمة - المخاطَبَة الآن، وهو تَنبيهيٌّ يَعقُبه التوجيه التفصيلي الذي جاء تقديمًا له[١٠٩]، وقد استجاب لها المتكلّم - المخاطَب الآن، وتَمكّث، وهو في صفة ليست صفة الضيف المتسلِّطة، وإنما هو الآن يحمل صفة الراكِب الراحِل، وصفة المخاطَب المُستقبِل، وهذا خالٍ من السلطة، ولا سيّما أنها تهدّد وجهَه الدّافِع الآن بتحكّمها في حريته بهذا الطلب الذي تُتبِعه بتهديدٍ آخر لوجهه الجالِب، يقوم علىٰ تفسير الحجة التي هاجمها بها؛ ظنًّا أنه يفضح تناقضاتها مع ادّعاءاتِ أصلِها/ أبِيها، ويسخر منها؛ فالعدَم الذي اعتذرتْ له بهِ عن إجابة طلبِه سببُه كامنٌ في صِدْق الحجة الشعرية التي هاجمها بها؛ فوالدها مِتْلافُ مالِه بالكرم/ السخاء، وتَحلف مرةً رابعةً؛ للتوكيد المثقَّل، وتُعيد تَبيين التفسير بأنّ إتلافَ مالِه في الكرَم هو الذي أعدم القِرَىٰ لديها وعائلتها، وفي هذا بيانٌ لأنّ صمتَها واعتذاراتها الضمنية السابقة كانتْ حِيَلاً بلاغيةً مواربة، كانت تناور بها المتكلّم؛ لإضعاف تهديداته لجانِبَي وجهِها، وأمانِه علىٰ جانِبَي وَجهِه؛ فإنْ كان المخاطَب من ولَد حاتم قد استعمل تبادلاتٍ تلفّظية تأكيديةً صِداميّةً لقَطْع العلاقة مع المتكلّم، فإنّ

هذه المرأة من ولَد ابن هَرْمة قد استعملتْ تبادلاتٍ تلفّظيةً إصلاحيةً تُلطّف بها تهديداتِ المتكلّم، وتستعيد توازن التخاطُب التفاعلي بينهما[١١٠]؛ لأنها بيّتت النيّة لتأجيل سلبِه السلطة، وسحبها إليها في الوقت الذي تنتهك فيه سلطتَه الوهمية التي تبيّنتْ هشاشتَها بهشاشة المعرفة التي تقوم عليها ونُقصانها. وبما أنّ المتكلّم - المخاطَب الآن كان قد قرّر خسارة الموقف التفاعلي، وانسحب منه؛ فإنه الآن أكثر قبولاً لتبيينها الذي تُصوِّب به هفواته بلُطف؛ مما يجعله يحاول صيانة وجهِه الدّافِع بتهديد وجهِها الدّافِع من خلال شُكرها علىٰ زاد المعرفة وثرائها التي تعوّض بها عن مَنْعِ زادِ الطعام الذي كانتْ رغبتُه تتمحْورُ فيه. وتقديم العذر لها وتصديقها فيه صيانةٌ لماء وجهه الجالِب باعترافه الضمني بجَهله وبطلبه لما هو أدنىٰ أهمية[١١١]! وهذا يُغلق الموقف التخاطبي التفاعلي بتحوّل المتكلّم-المخاطَب الآن إلىٰ حامِلٍ للسخرية، وليس صانِعًا لها كما كان في الافتتاح الذي كان يُخطط فيه لتفاصيل الموقف التخاطبي التفاعلي؛ مما يُظهِر خطابَ السخرية الضمني بوصفه تواطُؤًا علىٰ المجاملَة/ النّفاق المتعمَّد، وهو ما يُمكن أن يُسمّىٰ بالتكتّم الشفيف؛ لتخفيف حِدّة التهديد للتلفّظات المتبادَلة[١١٢]؛ فالتكتّم الشفيف يَبرز في تلفّظ المتكلّم - المخاطَب الآن النهائي: «فقلتُ: إلاّ تكوني أوْسعْتِينا قِرًىٰ، فقدْ أوسَعتِينا جَوابًا»! ففِعل القِرىٰ أدّتْه المخاطَبَة - المتكلّمة الآن علىٰ مستوىٰ فائدة التلفّظ، لا علىٰ مستوىٰ فائدة الإطعام المادي؛ بمعنىٰ: أوسعتِينا جوابًا تلفّظيًّا تخييليًّا ادّعائيًّا مثلما فعل والدكِ/ أصْلُكِ في التلفّظ الشعري المستشهَد به، والمتكلّم - المخاطَب الآن تعمّد استعمال استراتيجية السخرية من قبِيل التأدّب الدّافِع التلميحي؛ لإيصال مقصودِ تلفّظه بشكلٍ غير مباشر ذي إيحاءاتٍ كثيفةٍ ومتعددة[١١٣]؛ مما يجعل تلفّظه التقويمي

الساخِر يُراوِح بين المصداقية التي تَعني الثناء علىٰ المخاطَبة – المتكلِّمة الآن، وكَظْم الغَيظ والانتِقاد الذي يَعني تعاوُنًا مزيَّفًا بإظهار الشكر والتقدير للمُخاطَبة – المتكلّمة الآن، وهذا انتصارٌ ضمنيٌّ للمتكلّم – المخاطَب الآن حين حوّل المخاطَبة – المتكلّمة الآن إلىٰ ضحيّةٍ له، تَدِينُ له بمقابل هذا الثناء؛ مما يُهدّد وجهَها الدّافِع مستقبَلاً بأداء الثمن والمجاملَة[١١٤]!

إنْ بَدا أنّ المتكلّم – المخاطَب الآن يحتفي بانتِصاره الضمني علىٰ المخاطَبَة – المتكلّمة الآن، وعلىٰ ذاتِه التي جعلَها عُرضةً لتهديد جانِبَي وجهِها في المناورة الأخيرة، إلاّ أنّه يُعلن بذلك تجاوز موقف التهديد والخطَر؛ مما يجعله مُبرِّرًا لاستِباحة حِمَىٰ المخاطَبَين[١١٥]:المخاطَب الغائب الذي أقصاه بتصادُمِه معه، والمخاطَبَة – المتكلّمة الحاضِرة التي جعلها تتورّط – دون وعيٍ – في استئناف الموقف التخاطبي التفاعلي بعدما أغلقَه وانسحب منه؛ لِتُدِين جانِبَي وَجهِها بجَعْل حُرّيتها المستقبلية رَهْنَ ردّ فعلِ المتكلّم – المخاطَب الآن، وصُورتها رَهْنَ تقديرِه أو عدمِه!

***

خاتمة

تناول البحث فيما سبق تحليل نصّ الخبر المختار للدراسة التداولية في ضوء مبدأ الوجه الذي وضع نموذجَه (براون) و(لِيفنسون)، وهو من ضمن المبادئ التنظيرية لمبدأ التأدّب؛ وذلك من زاويتين تُعنَيان بالمتكلم والاستراتيجيات التي اتّخذها في انتقاء الوجوه التي استهدفها بتهديداته، ومن بعدها الاستراتيجيات التي بنىٰ بها تهديداته لها، وأطلقها تجاهها أو ناوَر بها، ثم انتقل البحث إلىٰ تحليل استراتيجيات المخاطَب التي يبنيها لِصَدّ تلك التهديدات أو تَلطِيفها وتخفيف إضرارها بوجهِ المخاطَب أو المتكلِّم، ومن ذلك انتهىٰ البحث إلىٰ النتائج الآتية:

١ – فيما يتصل باستراتيجيات المتكلم في انتقاء الوجه الذي يُهدّده، اتضح من خلال التحليل اعتماده علىٰ الآتي:

أ/ إنشاء سُلطة مزدوجة؛ لها جذورٌ خارج السياق التفاعلي التخاطبي وقبلَه بوصفه الخبير، وداخل السياق، وتمتدّ بعده بوصفه الضيف المُلِحّ المُطالِب بحقّه الواجِب في العُرف العربي الذي ينتمي إليه المخاطَبَان والمتكلم.

ب/ التصريح المكشوف بأنّه يستهدف تصعيد تهديداته للوجه الدافِع والوجه الجالِب لكلٍّ من المخاطَبَين، دون قَصْدٍ إلىٰ التلطيف أو بناء علاقةِ تواصلٍ حميمة.

ج/ إضمار سياق السخرية والتندّر والتلميح إليه من خلال مَسارات رواية المشهَد الحواري التفاعلي في بدايته، وإهماله الوجه الجالِب للقوم الذين يُنادون الضيف في سياقٍ مفتوحٍ للتواصل التفاعلي، واندفاعه لاقتِحام السياق المغلَق للأشخاص المنصرِفين عن فتح سياقات التواصل التفاعلي.

٢- أما ما يتصل باستراتيجيات المتكلم في تهديد جانِبَي وجهِ كلِّ مخاطَب؛ فقد اتّخذت نسقًا واحدًا مع اختلافٍ في الكثافة أو مسافة التّمطيط؛ لأنّ المخاطَب الرجل من ولَد حاتم كان صارِمًا في قَطْع التواصل، في حين كانت المخاطَبة المرأة من ولَد ابن هَرْمَة محايِدةً في موقِفها من التواصل مع المتكلّم؛ ومع هذا، فقد برزت الاستراتيجيات الآتية:

أ/ المراوَحة بين أفعال التهديد الحركية والتلفّظية التي تصرّح بقوّةٍ بمقاصد إيذاء الوَجه وعدم احترامه.

ب/ التدرّج في التهديد انطلاقًا من تهديد الوجه الدافِع لكلٍّ من المخاطَبَين؛ لسلب حرّيتهما، ثم تهديد الوجه الجالِب لكلٍّ منهما؛ للضغط عليهما في سبيل إجابة مطالبِه، ثم جمع تهديد الوجهَين الدافع والجالِب لكلٍّ منهما حين بدأ المتكلم يشعر بالخطر علىٰ وجهه الدافع ووجهه الجالِب من قِبَل المخاطَبَين علىٰ ما بينهما من تفاوتٍ في التصريح والحِدّة.

ج/ تمطيط الموقف التفاعلي التخاطبي من خلال استثمار الاستراتيجية التوجيهية بطُرق مختلفة؛ فإن انطلق من فعل الأمر واستلزاماته القاطِعة، فإنه قد نوّع في توظيف فعل الاستفهام ما بين استفهامٍ معرفيٍّ لا يُشكّل خطرًا مباشرًا، واستفهامٍ تفصيليٍّ مَقصده كشف تناقضات المخاطَب المثيرة للسخرية والحرَج وانتقاد عدم تعاونِه معه، والاستفهام التقريري الذي يستدرِج به المخاطَبة؛ لإجبارها علىٰ الدخول في المناظرَة التفاعلية التخاطبية المتوترة.

د/ الإلحاح علىٰ خَلْق تناقضاتٍ يستدعي حُجَجها الشعرية في سياق قضيّةٍ حساسيتها عالية الخطورة؛ لارتباطها بالأصل، والعِرْق، ووجه القبيلة، والأسلاف؛

بهدف إظهار وَجهَي المخاطَبَين بجانِبَيهِما بصورةٍ غير منطقيّةٍ مُثيرةٍ للسخرية وسط إثباتاته المتوالية لوَعيِه المحيط بسياق التفاعل التخاطبي، وإحكام سُلطته علىٰ إدارته.

هـ/ الانسحاب والتسرّب الجسدي من الموقف التفاعلي؛ حيث كان مقصد المتكلّم من هذه الاستراتيجية صيانة وجهِه أمام التهديدات النافِذة والمكشوفة من قِبَل المخاطَب من ولَد حاتم الذي فضَح ثغرات سُلطته، وجابَهه بسُلطةٍ أقوىٰ منه؛ في حين كان مقصده من هذه الاستراتيجية مع المخاطَبَة من ولد ابن هَرْمَة استدراجها للدخول الصريح في الموقف التفاعلي التخاطبي، وتفادِي هجومها الذي ألمحَتْ إليه؛ ليُحاصِرَها باستراتيجية التأدب الدافِع الذي يُبقيها ضحيّةً لسخريته المضمَّنَة في ثنائه عليها، وشُكره غير المباشِر لها.

٣- وأما بشأن استراتيجيات المخاطَبَين في صيانة الوجه أمام تهديدات المتكلّم، فقد اتّخذا في ذلك نسقًا متشابِهًا في عُمومه، ولكنه مختلِفٌ في اتجاهه ومقاصده؛ وذلك علىٰ النحو الآتي:

أ/ كلاهما أظهر عدم المبالاة بالوجه الجالِب للمتكلّم ورغباته، مع تهميش سُلطته السياقية؛ فالرجل من ولَد حاتم كثّف الامتِناع عن المطاوَعة، وسعىٰ لقطْع التواصل بإيجاز ووضوح يَنسفان الوجه الجالِب للمتكلم كاملاً؛ في حين اعتمدت المرأة من ولَد ابن هَرْمَة علىٰ تكثيف صورة عدم الكفاءة في الدخول في الموقف التفاعلي التخاطبي وإنجاز المستلزَمات الـمُحادَثية؛ حيث كان تكرارها للاعتذار بلباقةٍ استراتيجيةً مُعِيقَةً للوجه الجالِب للمتكلم، بخاصة حين أحالتْه إلىٰ مرجعيّة القَدَر مُستَثمِرَةً حِيَل التأدّب الجالِب، وكأنها لا تُمانِع الاستجابة، ولكنها لا تمتلك مؤهِّلات تلك الاستجابة!

ب/ تكرار الرجل من ولد حاتم لهُجوم النّقْض التلفّظي والحركي المتصاعد والصدامي مع المتكلم؛ لفَضح سُلطته الوهمية الهشّة، وتكرار تعريض وجه المتكلم الجالِب كلّه للانسِحاق بما يؤكّد للمتكلم أنّ السلطتين متكافئتان وإن كانت سلطة المخاطَب كامنة، وخرجت بالتدريج؛ مما جعل المتكلّم يبطّئ الهجوم، ويؤجّل إنجاز السخرية، وينشغل بإنقاذ ماء وجهِه!

وعلىٰ النقيض من ذلك، تُكرّر المرأة من ولَدِ ابن هَرْمَة اعتذاراتها التفصيلية المتدرّجة غير المباشرة؛ لتأكيد عدم كفاءتها في التأثُّر بأفعال القول والتعاون بإنجازها أو في الدخول في موقف التفاعل التخاطبي، وهي من وسائل تلطيف الهجوم، التي أغرت المتكلّم بتمطيط موقف التخاطب، وقد حرصت المخاطَبَة علىٰ نسق التقسيم الثلاثي في رُدودِها، وكانت نقطة تشكيك المتكلّم في انتِسابها لأصلها ذروةَ التحفّز لديها للهُجوم عليه؛ لتكتفي بالتلميح بتقييمٍ سلبيٍّ للمتكلّم من جانِب جهْلِه بفخرِها بعِرقِها مع ما فيه من عُيُوب؛ مما يُلْمِح له بأنّها علىٰ استعدادٍ لإيذاء وجهِه الجالِب!

ج/ قطْع الموقف التفاعلي كاملاً من قِبَل الرجل من ولَد حاتم حين صعّد المتكلّم الهجوم علىٰ الوجه الدّافِع والوجه الجالِب معًا للمخاطَب؛ فردّ بما يُصادِر سُلطة المتكلّم كاملةً بفَضْح هفواته ونقص معرفته؛ مما سَحَق الوجه الجالِب كلّه بعُنف؛ ليَخرج المتكلّم من الموقف حاملاً السخرية في ذاته؛ في حين أثبتَ المخاطَب نجاح القوّة الإنجازية لملفوظاتِه في صيانة جانِبَي وَجهِه، وسحْب ظِلال التهديدات السابقة.

أمّا المرأة من ولَدِ ابن هَرْمَة، فقد اختارتْ قطْع الموقف التفاعلي عند ذروة التصعيد بالصّمت؛ إيهامًا بخسارة وجهِها الجالِب كلّه؛ ومع هذا فقد جاءتْ ردّة فِعل

المتكلّم سلبيّةً بتسرّبه من الموقف؛ لأنها أَشْعَرَتْهُ بفَراغ سُلطتِه؛ مما أوقعَها في فخّ فتح سياق التفاعل التخاطبي من جديد؛ لتفسير الحُجّة التي هاجمها بها لتؤذي وجهَه الجالِب مع إصلاحٍ تلطيفيٍّ؛ لإعادة توازن عملية التخاطب وكأنها تقدّم اعتذارًا أخيرًا، ولكن المتكلّم قام بفِعل مجاملةِ الثناء عليها التي تدخل من ضمن استراتيجيات التأدب الدافِع التقويمي؛ لأنها تأسرها بدَيْنٍ عليها سداده له مستقبلاً، وهي تتضمن السخرية التي جعلتها ضحية للمناوَرة التي خاطرتْ بفتحِها!

٤- مع اختلاف اتجاهات المخاطَبَين في صيانة الوجه الدّافِع والوجه الجالِب لكلٍّ منهما أمام المتكلّم، وسعيهما إلىٰ قطْع الموقف التفاعلي التخاطبي إلاّ أنهما أظهرا تعاوُنًا معه من خلال مجاراته في مضمون التخاطب، وفي أنواع وسائل التخاطب، وفي مستوىٰ اللغة بين الوضوح والتلميح - الذي ظهر لدىٰ المرأة أكثر - والصدق، والإيجاز. وقد كان تبادل الأدوار في نهاية الموقف الثاني مثيرًا لشحن الموقف بالصراع الحاد الذي قاد إلىٰ استراتيجية المجاملة الساخرة التي تُبقِي منفذًا للتواصل الاجتماعي الحميم بين المتكلم والمرأة المخاطَبَة من ولَدِ ابن هَرْمَة بما يحفظ ماء وجهَي كلٍّ منهما، وكأنّهما يُصلِحان الأعطاب السابقة في عملية التخاطُب المتصارِعة.

* * *

الهوامش والتعليقات

(١) التداولية، جورج يُول، (٩٨-٩٩).

(٢) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، وآخرون، (٤٢٨).

(٣) السابق، (٤٢٩).

(٤) ينظر: السابق، (٤٣٠). وقد عقّب (براون) و(لِيفنسون) علىٰ عددٍ من الانتقادات في بداية الطبعة الثانية من كتابهما، بدءًا من التصريح بالشكر والامتنان لكلّ مَن أسهم في ذلك.

See: Politeness, Penelope Brown & Stephen C. Levinson, pp. 51-54.

(5) See: Politeness in Language, ed. Richard J. Watts, Sachiko Ide, & Konrad Ehlich, pp. xi-xii.

(6) Ibid, p.7.

(7) Politeness, Penelope Brown & Stephen C. Levinson, p. 61.

وقد اخترتُ ترجمة د.عبد الهادي بن ظافر الشهري الوجهَ الدّافِع بدلاً من الوجه السلبي، والوجه الجالِب بدلاً من الوجه الإيجابي؛ لتغليب دلالة الوصف الإنجازية علىٰ دلالة القِيمة. يُنظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، (١٠٣).

(8) See: Politeness, Penelope Brown & Stephen C. Levinson, p. 61.

(9) Ibid, p. 62.

(10) Ibid, p.62.

(11) See: Ibid, p. 61.

(12) See: Ibid, p. 74.

(13) See: Ibid, pp. 61-68.

(14) See: Ibid, p. 68.

(15) See: Ibid, pp. 68-71.

(16) See: Ibid, pp. 2-3.

(17) See: Ibid, pp. 7-8.

(١٨) اعتمدتُ رواية الخبر في طبعة الهيئة المصرية العامة لكتاب (ذيل الأمالي والنوادر)، لأبي علي القالي (٢٨٠هـ/ ٢٨٨هـ-٣٥٦هـ) بتاريخ ١٩٧٦م دون الطبعة القديمة التي أصدرتها دار الكتب المصرية بتاريخ ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م للكتاب نفسه، ولا اختلاف بين النصّين في الطبعتين إلا في كلمةٍ واحدة؛ ففي طبعة دار الكتب العلمية جاء: «يَجتلبون اللبن».

(١٠٩)؛ في حين جاء في طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب: «يَحتلبون اللبن». (١٢٢)، وهي أكثر ارتباطًا باللّبن.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ هناك روايةً متأخّرةً للخبر في (تاريخ مدينة السلام/ دمشق) للبغدادي (٣٩٢هـ-٤٦٣هـ) يختلف فيها السند كلّه عن رواية أبي علي القالي، ونِسبة حُدوث التخاطب في الخبر إلىٰ رجلٍ من أهل الشام، لم يُسمِّه الأصمعي، ويُحدَّد فيه أنّ المخاطبَة بُنيّةٌ صغيرةٌ، ويختلف فيه البيتُ الشعري الذي حاجّها الرجل به؛ وهذه الرواية تكشف معنىٰ تلفّظ المرأة الأخير في رواية أبي علي القالي: «فِعْلُه - والله - ذلكَ أقلَّه عندنا»؛ إذ كان تلفّظ الفتاة الصغيرة: «فذلكَ الفِعلُ من أبي هو الذي أصارَنا إلىٰ أَنْ لَيْسَ عندنا شيءٌ». تاريخ مدينة السلام، الخطيب البغدادي، (٧/ ٤٩). وبما أنّ البغدادي لم يلتزِ تاريخيًّا بأبي علي القالي؛ فقد رجحتْ رواية أبي علي القالي؛ لدقّتِها في رواية السياق الذي يجمَع قصّتين مُتماثِلتَين في أنساقِهما، ولقُربها من زمن أشخاص الحدث تاريخيًّا.

(١٩) الوَذْر: قِطَع اللحم. ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (وَ ذَ رَ)، و(فَ دَ رَ).

(٢٠) ورد البيت في ديوان حاتم الطائي بكلمة «الفَضاء» دون «الفِنَاء». ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، (٢٣٢).

(٢١) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، (١٩٩).

(٢٢) سيأتي بيانُ المَعنَيين في أثناء التحليل في المتن؛ دَفعًا للتكرار.

(٢٣) العُوذ: النُّوْق حديثات الوَضْع، والفِصال: جمع فصيل، وهو ولد الناقة المفصول عن أمّه. ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (عَ وَ ذَ)، مادة (فَ صَ لَ).

(٢٤) الضَّمُوز: الناقة المُمسِكة عن الجِرة؛ أي: الرُّغاء. ينظر: السابق، مادة (ضَ مَ ز)، و(جَ رَ رَ)، و(رَ غَ وَ).

(٢٥) ورد البيتان في أصل مجموع شعر ابن هرمة بتقديم البيت الثاني علىٰ الأول. ينظر: شعر إبراهيم بن هَرمَة القُرشي، (١٨٥).

(٢٦) أي: «تَمكَّث، وانتظِر». مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (رَ بَ عَ).

(٢٧) أي: جَعلَهُ قليلاً. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (قَ لَ لَ).

(٢٨) أي: أغنَيتِنا وأثْرَيْتِنا. ينظر: السابق، مادة (وَ سَ عَ).

(٢٩) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(٣٠) السابق، (١٢٢).

(٣١) السابق، (١٢٢-١٢٣).

(٣٢) يُنظر: السابق، (١٢٢).

(٣٣) يُنظر: السابق، (١٢٢-١٢٣). وقال الجاحظ (ت٢٥٥هـ) عن ابن هَرْمة في كتابه (البخلاء): «ومَن كان أكثرَ نَحْرًا لِجَزْرةٍ لمْ تُخْلَق من ابن هَرْمَة»؟! البخلاء، الجاحظ، (١٨١).

(٣٤) يُنظر: التداولية، جورج يُول، (ص٩٧-٩٨).

(٣٥) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (دَ فَ عَ).

(٣٦) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(٣٧) يُنظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، باتريك شارودو، (٣٦-٣٧).

(38) Politeness, Penelope Brown & Stephen C. Levinson, p.68.

(39) Ibid, pp.68-69, 95-98.

(40) See: Ibid, p.68.

(٤١) يُقصَد به الأفعال اللغوية أو ما تتضمّنه من أوامر تُوجَّه إلىٰ المخاطَب بشكلٍ مباشرٍ يُجلّي من خلالها القوة الوظيفية. يُنظر: التداولية، جورج يُول، (١٨٥).

(42) See: Politeness, Penelope Brown & Stephen C. Levinson, p.68.

(43) See: Ibid, p.66.

(٤٤) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(45) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, pp.94-95.

(46) See: Ibid, pp. 69-70.

(47) See: Ibid, p.69.

(48) See: Ibid, p.74.

(49) See: Ibid, p.74.

(٥٠) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(51) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, pp.65-66.

(٥٢) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، (٢٠٤، ٢١٤-٢١٧، ٢٦٦)، والمصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، (٣٣-٣٤).

(53) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p.61.

(٥٤) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(٥٥) يُنظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، (٣٤٢-٣٤٣).

(56) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 66.

(٥٧) يُنظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، وآخرون، (٨٧).

(58) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 66.

(٥٩) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(٦٠) يُنظر: السخرية والبلاغة والحِجاج، إيكيهارد إيغس، (١٠٤).

(٦١) ينظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، (٣٥٢).

(٦٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (جَ زَ رَ).

(63) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 67.

(٦٤) يُنظر: السخرية والبلاغة والحِجاج، إيكيهارد إيغس، (١١٥).

(65) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 66.

(66) See: Ibid, pp. 66-67.

(٦٧) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢).

(٦٨) السابق، (١٢٣).

(٦٩) يُنظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، وآخرون، (٨٧).

(٧٠) يُنظر: مقامات الاستشهاد بالشعر وغيره بين الإعمال والإحالة، د.عبد الرزاق صالحي، (٩١).

(٧١) يُنظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، وآخرون، (٤٦٧-٤٦٨).

(٧٢) يُنظر: السابق، (٣٦٢-٣٦٣).

(٧٣) سبق ذكر ما يتصل بذلك.

(74) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 223.

(٧٥) يُنظر: مقامات الاستشهاد بالشعر وغيره بين الإعمال والإحالة، د.عبد الرزاق صالحي، (٩٤).

(76) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, pp. 66-67.

(٧٧) ينظر: التداولية، جورج يول، (ص١٠٣)، والمصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، (٨٤-٨٥).

(٧٨) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(٧٩) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (رَ حَ لَ).

(80) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 61.

(81) Ibid, p. 67.

(82) See: Ibid, p. 68.

(٨٣) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (وَ لَ يَ).

(84) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 67.

(٨٥) يُنظر: التداولية، جورج يول، (ص١٠٧-١٠٨).

(٨٦) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(87) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 66.

(٨٨) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وآن ريبول، (٣٠١-٣٠٣).

(٨٩) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (رَ مَ لَ).

(٩٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (سَ نَ تَ).

(91) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 69.

(92) See: Ibid, p. 122.

(٩٣) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢).

(94) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, pp. 66-67.

(٩٥) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(96) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 70.

(٩٧) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(٩٨) أي: الخالِص والأُسّ. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (صَ مَ مَ).

(٩٩) يُنظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، وآخرون، (١٥٢).

(100) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 67.
(101) See: Ibid, pp. 66-67.

(١٠٢) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٢-١٢٣).

(١٠٣) السابق، (١٢٣).

(١٠٤) يُنظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، (٣٤).

(١٠٥) أي: «تَمكَّث، وانتظِر». مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (رَ بَ عَ).

(١٠٦) أي: جعلَهُ قليلاً. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (قَ لَ لَ).

(١٠٧) أي: أغنَيتِنا وأثْرَيْتِنا. ينظر: السابق، مادة (وَ سَ عَ).

(١٠٨) ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، (١٢٣).

(١٠٩) يُنظر: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، (٣٦٠).

(١١٠) يُنظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، (٤٥، ٧٤-٧٥).

(111) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, pp. 67-68.

(١١٢) يُنظر: السخرية والبلاغة والحِجاج، إيكيهارد إيغس، (١١٥-١١٦).

(113) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 221-222.
(114) See: Politeness, Penelope Brown and Stephen C. Levinson, p. 66.

(١١٥) يُنظر: بلاغة السخرية الأدبية، د.محمد العمري، (٣١).

***

قائمة المصادر والمراجع

أ-العربية:

(١) إيغس (Eggs)، إيكيهارد (Ekkehard)، السخرية والبلاغة والحِجاج، ترجمة: وئام المددي، الورشة الخامسة، أبحاث في الفكاهة والسخرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير (أغادير)، جامعة ابن زهر، المغرب، ٢٠١٤م، ص ص ٩٩-١٢٥.

(٢) البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحدِّثيها وذِكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارِديها، تحقيق وضبط وتعليق: د.بشّار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) البغدادي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم القالي، ذيل الأمالي والنوادر، طبع علىٰ نفقة: إسماعيل يوسف بن دياب، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(٤) البغدادي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم القالي، ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء، تحقيق وتعليق: طه الحاجري، ط٧، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

(٦) ابن زكريّا، أبو الحسن؛ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٧) شارودو (Charaudeau)، باتريك (Patrick)، الحجاج بين النظرية والأسلوب (عن كتاب المعنىٰ والمبنىٰ)، ترجمة: د.أحمد الودرني، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٨) شارودو (Charaudeau)، باتريك (Patrick)، ومنغنو (Maingueneau)، دومينيك (Dominique)، وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، ط١، دار سيناترا، والمركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.

(٩) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.

(١٠) صالحي، د.عبد الرزاق، مقامات الاستشهاد بالشعر وغيره بين الإعمال والإحالة، مجلة آفاق أدبية، ع٥، ٢٠١٢م، ص ص ٩١-١٠٤.

(١١) الطائي، حاتم بن عبد الله، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة: يحيىٰ بن مدرك الطائي، رواية: هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: د.عادل سليمان جمال، ط٢، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(١٢) العمري، د.محمد، بلاغة السخرية الأدبية، علامات، ج٢٠، مج. ٥، صفر ١٤١٧هـ - يونيو ١٩٩٦م، ص ص ٢١-٤٧.

(١٣) القُرشي، إبراهيم بن هَرْمَة، شعر إبراهيم بن هَرمَة القُرشي (٩٠هـ-١٧٦هـ)، تحقيق: محمد نفّاع وحسين عطوان، ط١، مَجْمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(١٤) مانغونو (Maingueneau)، دومينيك (Dominique)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، ط١، منشورات الاختلاف - الجزائر، الدار العربية للعلوم - بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

(١٥) ابن منظور، أبو الفضل؛ جمال الدين؛ محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، نحو ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(١٦) موشلر (Moeschler)، جاك (Jacques)، وريبول (Reboul)، آن (Anne)، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، إشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.

(١٧) يُول (Yule)، جُورج (George)، التداولية، ترجمة: د.قصيّ العتّابي، ط١، الدار العربية للعلوم-بيروت، دار الأمان-الرباط، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

ب-الإنجليزية:

(18) Brown, Penelope, and Levinson, Stephen C., Politeness: Some Universals in Language Usage, (Studies in International Sociolinguistics 4), General Editor: John J. Gumperz), Cambridge University Press, Cambridge, New York, New Rochelle, Melbourne, and Sydney, 1987.

(19) Watts, Richard J., Ide, Sachiko, & Ehlich, Konrad (editors), Politeness in Language: Studies in its History, Theory and Practice, 2nd edition, Mouton de Gruyter, Berlin-New York, 2005.

***

ثنائية السؤال والجواب
في رسائل الجاحظ

إعداد

د. خلود بنت عبد اللطيف الجوهر

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية

kaalgohar@imamu.edu.sa

ثنائية السؤال والجواب في رسائل الجاحظ

د. خلود بنت عبد اللطيف الجوهر

(قدم للنشر في ١٤/ ٠٧/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٠٥/ ٠٨/ ١٤٤١هـ)

المستخلص: لم تنل رسائل الجاحظ نصيبًا وافيًّا من الدرس مثلما نالت كتبه الأخرىٰ، كالبيان والحيوان والبخلاء؛ وهذا ما حفزني لتسليط الضوء علىٰ رسائله، واخترت منها ثنائية السؤال والجواب، وتناولت منها بالدراسة والبحث: الحاسد والمحسود، ومفاخر السودان علىٰ البيضان، والأوطان والبلدان، والشارب والمشروب، وتبين أنَّ السؤال جاء فيها متنوعًا في الرسائل الأربع فتارة سؤال مباشر، وتارة غير مباشر، وتارة جمع بين المباشر وغير المباشر، أما السؤال غير المباشر فقد ورد في صيغة فعل أمر.

ورصدت الدراسة أنَّ السؤال المباشر تأطر بأسماء الاستفهام فحسب، وخلا من الحروف، ولا غرو في ذلك؛ إذ طبيعة الرسالة تفرض ذلك، وليس الاقتصار علىٰ الإجابة بـ (نعم) أو (لا). وفسح له المجالَ رحبًا للتعبير عن أفكاره وثقافته. فليس الجاحظ من أولئك الذين يقفون عند حدود (نعم) أو (لا)، وإنما هو يناقش الآراء ويقارع الرؤىٰ، ويتعمق في الكيفيات.

وظلَّ السائل غائبًا في رسائل الجاحظ، وهذا يدفع إلىٰ تأويلات متباينة، كما زخرت رسائله بعدة أساليب كالقصر والشرط والأمثال والشواهد.

الكلمات المفتاحية: الرسائل، الجاحظ، السؤال والجواب، السؤال المباشر، السؤال غير المباشر.

***

THe Question answer Duality in Al-Jahiz Articles

Dr. kaloud abdullateef al-johar

(Received 09/03/2020; accepted 29/03/2020)

Abstract: Al Jahiz essays (rasāil) have not had their fair share of study as his other books did, such as Kitab al-Bayan wa al-Tabyin (The Book of eloquence and demonstration), Kitab al-Hayawan (Book of the Animals), and Kitab al-Bukhala (Book of Misers). This has been the motive behind highlighting his essays. I have focused on the question-answer duality in the four essays: "The Envious and the Envied", "the Prides of Blacks over Whites", "Homelands and Countries", and "the Drinker and Drinks"**.** The question form turns out to be direct sometimes, indirect other times, and frequently a combination of indirect and indirect, but the indirect question was expressed in the form of imperatives.

The study found out that the direct question was framed by question word markers only, devoid of prepositions, and this is not surprising because the nature of the message dictates this. The questions asked are just yes/no type, giving the speaker ample space to express his ideas and culture. Al-Jahiz does not stop at the yes and no limits, but rather he discusses opinions and debates visions. The questioner remains absent in the essays of al-Jahiz, which leads to various different interpretations, as his essays were full of rhetorical devices such as specifications, conditionals, proverbs and citations.

Keywords: Essays, Al-Jahiz, Question and Answer, Direct Question, Indirect Question.

❊ ❊ ❊

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وبعد،،،

فإنَّ القراءة في كتب التراث ضربٌ من ضروب العيش في أكناف القدماء وإنْ صاروا في الأجداث، حينئذ يكون القارئ في أشد الحاجة إلىٰ أرماث[1] قبل ركوب بحر تلك الكتب، ولعمري كيف لو كان المؤلِّف عمرو بن بحر، حقًّا إنَّه ابن بحر حقيقة ومجازًا؛ إذ كتب مصنفات عديدة، وهضم علومًا كثيرة. بل هو صريع الكتب[2] إن صحَّ التعبير.

وبعد الكرِّ والفرِّ في مؤلفات الجاحظ – التي تؤتي أكلها كلّ حين – استوقفني ما كتبه د. محمود الطناحي (ت ١٤١٩هـ) عنه؛ إذ يقول: «قراءة الجاحظ إذا أُخذت بحقّها قادت إلىٰ المكتبة العربية كلها، بفنونها وعلومها المختلفة؛ إذ كان الجاحظ كثير الإلمام بالعلوم العربية، لا يكاد يشذّ عنه منها شيء وبخاصة في (رسائله) التي لم تؤت ما تستحقه من الدرس؛ لأن الناس شغلوا عنها بكتبه الأخرىٰ: البيان والحيوان...»[3]؛ لذا وقع الاختيار علىٰ رسائل الجاحظ، وسأقتصر في هذا البحث علىٰ رسائله ذات الثنائية الجدلية بين السؤال والجواب؛ لأنهل من نمير بيانه، وحسن نظمه وافتتانه.

وتهدف هذه الدراسة إلىٰ تتبع هذه الثنائية الجدلية التي تشكل ظاهرة جاحظية، وترصّدت من خلالها تعميق النظر في تشكلات السؤال، وتفرعات الجواب، وسأتناولها من خلال مقاربة تداولية تراعي النص وسياقاته المختلفة.

وتتألف الدراسة من مبحثين: المبحث الأول أفردته لبلاغة بنية السؤال ووظيفته، أما المبحث الثاني فخصصته لبلاغة الجواب، ثم ختمت بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج. أسأل الله التوفيق والتسديد.

تمهيد

ليس من اليسير أن يقرأ الإنسان في مؤلفات مَنْ لسانه يزينه التحبير، وكأنَّه علىٰ الجميع أمير[٤]، ولو ثبت في ديوان الرسائل لأضحىٰ نذير شؤم علىٰ الكُتَّاب؛ إذ عدَّ سهل بن هارون (ت ٢١٥هـ) ثبوته سببًا في أفول نجم الكُتَّاب[٥].

إنَّه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ذو الفنون كما قال الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في ترجمته[٦]، أيُضير الجاحظ أنَّه في أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخَر يقف[٧]، وهو من الثلاث الأنفس في الأمة العربية الذين يحسدنا عليهم ثابت بن قرة (ت ٢٨٨هـ)؟! ألا يكفي ما قيل: «لكلّ زمان جاحظ»[٨]؟!

وقد أشاد القدماء والمحدثون بنفاسة كتبه ورسائله، إلا أنهم انشغلوا بكتبه أكثر فاستخرجوا منها القضايا الفكرية والبلاغية، وتتبعوا طريقته في التأليف والتعبير، وقلّ نظرهم في دراسة رسائله، مع ما تحبل به من فوائد جليلة؛ لذا سأعدل عن كتبه ذات الرياض الزاهرة، فقد أزهر فيها الباحثون؛ لأضع نصب عيني في رسائله ذات الأفنان المثمرة[٩].

ومن قوة ذيوع رسائل الجاحظ وانتشارها في الآفاق أحجم غير واحد عن انتقاده وهجائه، وعدل عن ذلك، قيل لأبي هفان (ت ٢٥٧هـ): «لم لا تهجو الجاحظ، وقد ندّد بك، وأخذ بمخنّقك؟ فقال: أمثلي يخدع عن عقله؟ والله لو وضع رسالة في أرنبة أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت لما طنّ منها بيت في ألف سنة»[١٠]، ولا أعلم هل قال أبو هفان هذا قبل أن يكتب الجاحظ رسالته التربيع والتدوير أو بعده؟ أيا كان الأمر فلم يخدع عن عقله؛ مما ينبئ عن وعيه بشأو الجاحظ

ورسائله التي لا تلحق، فرسالة واحدة من رسائله تفوق ألف بيت من الشعر.

الرسالة فن أدبي نثري بدأ مع العصر الجاهلي وتعاظم بناؤه الفني ودوره الفكري في العصور الموالية، بفعل التطورات الاجتماعية والثقافية والسياسية. ويقتضي إيصال المرسل معلومات وخبرات إلىٰ المرسل إليه في عرض مقنع منظم معتدل الطول، وتنقسم رسائله إلىٰ رسائل إخوانية ورسائل ديوانية ورسائل أدبية، وبرع في هذا الفن الجاحظ براعة لا تدانىٰ، فشعَّبه شعبًا كثيرة؛ لذا فالرسالة عنده تؤول إلىٰ مفاخرة أو وصية أو مناظرة أو غير ذلك من الأنواع؛ وفقًا للغرض الذي سيقت من أجله[١١]، فهي تكاد تلتهم سائر الأنظمة الأجناسية[١٢].

كتب الجاحظ ست عشرة رسالة، في مجالات شتَّىٰ، أضاء بعضها بالمرسل إليه[١٣]، وجاءت معظمها غفلاً من ذلك.

وفي تصوري أنَّ الجاحظ وجد في هذا الفن التمثل التطبيقي والصدىٰ الإجرائي لنظريته في الكتابة القائمة علىٰ البيان والإيضاح والمراوحة بين المعاني الجادة واللاهية والعلم الغزير، فضلاً عن الصياغة الأدبية الرفيعة المتخففة من المحسنات البديعية.

***

المبحث الأول
بلاغة السؤال ووظيفته

❋ أولًا: السؤال: مفهومه وقيمته:

اهتمَّ علماء البلاغة بمصطلح (السؤال والجواب)، وقد سمَّاه الحموي (ت ٨٣٧هـ) المراجعة، وعرَّفه بـ: «أن يحكي المتكلم مراجعة في القول، ومحاورة في الحديث بينه، وبين غيره، بأوجز عبارة وأرشق سبك، وألطف معنىٰ، وأسهل لفظ، إما في بيت واحد أو في أبيات»[١٤]، وعرَّف أحمد مطلوب (ت ١٤٣٩هـ) السؤال والجواب في معجمه بقوله: «هو ورود السؤال وجوابه في بيت أو بيتين، وأيضًا حكاية الكلام بـ (قال)، ثم الجواب بـ (قال) أيضًا»[١٥]. والواقع أنَّ السؤال والجواب لا ينحصران في الشعر فحسب، بل يحضران بوفرة في النثر ويتشكلان فيه تشكيلات متنوعة في البناء الأسلوبي والوظيفة البلاغية.

يتضح من خلال ما سبق، أنَّ البلاغة العربية ضيّقت دائرة السؤال والجواب، فقصرته في الشِّعر وقيّدته بمؤشرين أحدهما: لفظي (قال)، والثاني: أسلوبي (الإيجاز). أما في النثر فلم يتطرَّقوا إليهما، ويختلف الأمر في ذلك؛ لتباين الشعر عن النثر، وعدم تقييده بوزن وقافية؛ لذا فالإيجاز ليس مطلبًا من مطالب الجواب في النثر.

وعلىٰ الرغم من التفات البلاغة العربية للعلاقة القائمة بين السؤال والجواب، إلا أنها ركزت عنايتها علىٰ السؤال أو الاستفهام لما لمست فيه من طاقة دلالية وتداولية، وفي هذا الصدد يرىٰ سيبويه (ت ١٨٠هـ) أنّ الاستفهام أن تطلب «من المخاطَبِ أمرًا لم يَسْتقِرَّ عند السائل»[١٦]، وقد فرق العسكري (ت ٣٩٥هـ) بين

السؤال والاستفهام؛ إذ يقول: «الاستفهام: لا يكون إلَّا لِما يجهله المستفهم فيه أو يشكُّ فيه، ويجوز أن يكون السائل يسأل عمَّا يعلم وعمَّا لا يعلم، فالفرق بينها ظاهرٌ. وأدوات السؤال: هل والألف وأم وما ومن وأي وكيف وكم وأين ومتىٰ، والسؤال: هو طلب الإخبار بأداته في الإفهام، فإن قال: ما مذهبك في حدث العالم؟ فهو سؤال؛ لأنه قد أتىٰ بصيغة السؤال، وإن قال: أخبرني عن مذهبك في حدث العالم. فمعناه معنىٰ السؤال ولفظه لفظ الأمر»[١٧]، ورغم محاولة تفريق العسكري بين السؤال والاستفهام، إلا أنّ الملاحظ أنّهما مندغمان فيما بينهما، ولا يكاد يفرق أغلب القدماء بينهما.

وقد آثر د. عيد بلبع لفظة (السؤال) علىٰ (الاستفهام)[١٨]، ورأت بسمة الحاج أنَّ السؤال أشمل من الاستفهام عند الجاحظ، بل هو (أي: الاستفهام) من أغراض السؤال، تقول في ذلك: «ميَّز الجاحظ بين السؤال والاستفهام، فجعل الاستفهام غرضًا من أغراض السؤال ووظيفة من وظائفه المتعددة، وذكر للسؤال أغراضًا أخرىٰ تؤكد سعة هذا المفهوم»[١٩]، وبرهنت علىٰ قولها بقول الجاحظ: «فمنهم من أراد الطّعن، ومنهم من أراد الاستفهام، ومنهم من أحبّ أن يعرف ذلك من جهة الفتيا»[٢٠].

ومهما يكن من أمر فالسؤال والاستفهام شبه مترادفين، إلا أني آثرت لفظة السؤال علىٰ الاستفهام؛ إذ لكلّ سؤال جواب، أما الاستفهام فليس بالضرورة أن يكون له جواب، كما أنَّ السؤال لا يشترط أن يكون بإحدىٰ أدوات الاستفهام، فقد يكون بصيغة فعل أمر: (اكتب، اشرح،...)، أو الإخبار بالفعل الماضي: (سألت...)، أو المضارع: (أسأل...).

إنَّ السؤال جزء من بنية كبرىٰ تتألف من «أربعة أطراف (السائل – المسؤول –

السؤال – الجواب) في ثنائيتين إحداهما قرينة للأخرىٰ:

١ – ثنائية السائل والمسؤول.

٢ – ثنائية السؤال والجواب»[٢١].

ويوسّع النقد الحديث من قيمة السؤال، فالتلقي برمته «ينطوي علىٰ سؤال، لكنه سؤال ينطلق من القارئ إلىٰ النصِّ الذي يتملكه»[٢٢]. ويرىٰ النص أو الأدب عمومًا إجابة عن سؤال حضاري نوعي متشكل في مرحلة الكتابة.

ويرىٰ موريس بلانشو أنَّ ثمة علاقة معقدة بين السؤال والجواب، «ويؤكد أنَّ ما يميز السؤال أساسا هو أنَّه بحث، والبحث دومًا بحث عن الجذور، إنَّه استقصاء وغوص حتَّىٰ الأعماق وحفر في الأسس وتقصٍّ للأصول، وعلىٰ ذلك فهو حركة وانفتاح»[٢٣].

يتبوأ السؤال مكانة عند البعض حتىٰ عدّ من عتاد الحرب، لذا قيل[٢٤]:

وَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيْرَ جَيْشٍ ❋ لَمَا قَاتَلْتُ إِلَّا بِالسؤالِ

❋ ثانيًا: بنية السؤال:

السؤال عند الجاحظ هو الحاضر الغائب في كتاباته؛ فقد «كان دائما يجمع بين الفكرة والسؤال، كانت محبة النصوص والأفكار عنده محبة مساءلة رفيقة»[٢٥]، وبالنظر إلىٰ رسائله وبنيتها أجد أنها لم تبن جميعها علىٰ سؤال وجواب، فثمة رسائل هي ردود علىٰ رسائل وردته، منها: (كتاب ذم أخلاق الكتاب)[٢٦]، و(فصل من صدر كتابه في تفضيل البطن علىٰ الظهر)[٢٧]، و(فصل من صدر كتابه في النبل والتنبل وذم الكبر)[٢٨]، أو رسالة ابتدأها لأصحابها ابتداءً، من ذلك: (فصل من صدر رسالته إلىٰ

محمد بن عبد الملك في الجد والهزل)[٢٩]، (فصل من صدر كتابه في المعاد والمعاش)[٣٠].

أما رسائله التي تقوم علىٰ ثنائية السؤال والجواب بصورة جلية، فقليلة، وهي: الحاسد والمحسود، ومفاخر السودان علىٰ البيضان، والأوطان والبلدان، والشارب والمشروب. وهي التي تهم هذه الدراسة.

ثمة عدد من الأسئلة مطروحة علىٰ قارعة طريق تلك الأسئلة التي وردت في تلك الرسائل، وهي: هل السؤال ورد في تلك الرسائل كما جاء من لدن المرسل دون تغييره قيد أنملة أم غيَّر الجاحظ في صيغتها؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل يحق للمرسل إليه أن يغيّر ويحور في صيغة السؤال وفقا لما يراه المسؤول بوصفه أعلم من السائل وكأنَّ لسان حاله يقول: «لعمرك ما أدري وإن كنت داريا»[٣١]؟ وهل أورد الجاحظ جميع الأسئلة، ولم يوار أي سؤال أم أنَّه خاتل المرسل إليه والقارئ معًا؟ أليس المرسل صاحب الفضل في إنشاء الرسالة، فلا يحقّ للمرسل إليه التغيير؟ ولم تعددت الأسئلة وتباينت الصيغ في بعض الرسائل دون بعض؟

كما تشترك الرسائل الأربع في أنَّها لم تصرّح باسم السائل (المرسل)، ولا أعلم لم أضرب الجاحظ صفحًا عن التصريح به؟ هل كان ذلك عمدًا منه أو سقط سهوا أو لأنَّ الفكرة أهم من ذكر المرسل؟ أو لأنَّ الجاحظ هو من نسج السؤال، فهو المرسل والمرسل إليه في آن؟ أو لم تصل إلىٰ يد من نسخ هذه الرسائل أو أنَّ النساخ لهم يد في ذلك؟

كلُّ ذلك جائز، ولا سيما أنَّ الجاحظ يُؤثر نسبة الكلام إلىٰ غيره، «وهي طريقة عزيزة عليه، وكثيرًا ما يلجأ إليها، ليس في كتاب الحيوان فحسب، وإنما في سائر كتبه

ورسائله، وهذا يقتضي منا أن نحترس، وألا نسارع إلىٰ الاعتقاد بأنه يؤمن ضرورة بما يعرضه من آراء»[٣٢]، وكأنه يعرض تلك الأفكار عرضًا دون فرضها.

إنَّ قارئ رسائل الجاحظ الأربع يلحظ أن بنية الرسالة قامت علىٰ طرفين: طرف المرسل / السائل وهو غير معلوم، ولم يصرّح به، وطرف المرسل إليه/ المسؤول (الجاحظ)، وهو معلوم بالضرورة. وعلىٰ أية حال، فـ«السؤال حركة»[٣٣]، وفاتحة للقول، ومسوغ له.

وتنقسم بنية السؤال في الرسائل الجاحظية الأربع إلىٰ ثلاثة أضرب:

١- أسئلة مباشرة: وأعني به السؤال الذي تصدر بأداة من أدوات الاستفهام، وهذا الضرب يمثله رسالته (الحاسد والمحسود).

٢- سؤال غير مباشر: وأعني به السؤال الذي لم يتصدر بأداة من أدوات الاستفهام، وإنما أتىٰ بفعل (أكتب لك)، وهذا الضرب يمثله رسالته (مفاخر السودان).

٣- أمشاج من السؤال المباشر وغير المباشر: يمتزج بين أداة الاستفهام وبين فعل الطلب، ويتجلىٰ في رسالته (الأوطان والبلدان)، ورسالته (الشارب والمشروب).

*** ثالثًا: وظيفة السؤال:**

للسؤال وظائف عدة؛ إذ «إن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلىٰ الإقرار

بجواب غير جواب المتكلم. وبإمكان المتكلم كذلك تعميق نقاط الاتفاق مع المخاطب إذا ما كان مقرًّا بما يطرحه عليه من أجوبة»[٣٤].

وربما تتعاظم وظيفة السؤال عند الجاحظ عندما نأخذ في الحسبان أنَّه لا يفصح عن هوية السائل، ولا يعلم المتلقي عنه شيئًا: هل هو شخصية حقيقة أو وهمية متخيّلة؟ وما ملامح هذا السائل؟ ولم أحجم الجاحظ عن تعيينه؟

وسأتناول أضرب السؤال التي صاغها الجاحظ وهي:

الضرب الأول/ سؤال مباشر: وأعني به السؤال الذي تصدر بأداة من أدوات الاستفهام، وهذا الضرب يمثله رسالته (الحاسد والمحسود)؛ إذ استخدم في رسالته أسئلة متعددة الصيغ: (ما، من أين، كيف، بم، لم)، يقول في ذلك: «وهب الله لك السلامة. وأدام لك الكرامة، ورزقك الاستقامة، ورفع عنك الندامة.كتبت إلي - أيدك الله - تسألني عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو؟ وما دليله وأفعاله؟ وكيف تعرف أموره وأحواله، وبم يعرف ظاهره ومكتومه، وكيف يعلم مجهوله ومعلومه، ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء وقل في البعداء؟ وكيف دبَّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟ وكيف خصّ به الجيران من بين أهل جميع الأوطان»[٣٥].

استهلَّ الرسالة بدعاء يتناغم مع موضوع الرسالة، لقد صدر الجاحظ رسالته بالدعاء لمن أرسل إليه في أربعة أمور، فبدأها بالسلامة، وانتهىٰ بالدعاء له، أن يرفع الله عنه الندامة، وبينهما دعاء له بالكرامة والاستقامة.

وهناك وشيجة بين الدعاء الذي في صدر الرسالة والذي في نهايتها، فعندما قارب علىٰ الانتهاء ذكر: «وما أرىٰ السلامة إلا في قطع الحاسد...»[٣٦]، والندامة وردت في

تضاعيف الرسالة؛ إذ يقول: «وأصبح عليه نادمًا صارخًا»[٣٧]، فالدعاء في صدر الرسالة – وإن كان المخاطب مجهولاً ولم يصرّح به الجاحظ – إلا أنه أتىٰ منسجمًا مع ما جاء في تضاعيف الرسالة ونهايتها.

وأتىٰ بعد الدعاء سيلٌ من أدوات الاستفهام لمعرفة كُنه المستفهم عنه (الحسد)، إنَّ الوقوف علىٰ معاني أدوات الاستفهام «في كثير من صورها سوانح خفية أشبه بالأسرار الغامضة، تجري في النفس جريانًا خفيا، تحسها ولا تستطيع وصفها»[٣٨]، وبعد التأمل في معاني تلك الأدوات يتجلىٰ أنَّ الجاحظ كرَّر استخدام (لم) مرتين، و(كيف) ثلاث مرات، متعجبًا ومستبعدًا في آن من شيوعه بين فئة يظن بها الظن الجميل دون أخرىٰ؛ لما يحملون من صفات تبعدهم من دائرة الحسد، مستنكرًا من ذيوعه رغم مكانة تلك الفئة من حيث: (العلم، الرحم، الصلاح، الجوار)، وما يحملونه من صفات نقيضة لأضدادهم.

العلماء	الأقرباء	الصالحين	الجيران
العلم	الود	الصلاح	الإحسان

أسئلة تدعو إلىٰ التعجب والتفكير والبحث عن علَّة ذلك؛ لاستبعاد المرء وجود الحسد فيمن يتسم بتلك السمات والأوصاف.

ويحضر هنا السؤال الآتي: هل صيغت تلك الاستفهامات كما وردت في كتاب ذلك السائل عندما قال: «كتبت إلي»[٣٩]؟ هل غيَّر الجاحظ في طرائق الأسئلة أو قدَّم أو أخرَّ حسب الأهمية؟ وهل ذلك الشخص له وجود في مخيلة الكاتب افترضه وافترض معه تلك الأسئلة؟ هل ألَّف هذه الرسالة لوزير المتوكل كما ألف رسالته (فصل ما بين العدواة والحسد)، يقول محقق الرسائل في مقدمة رسالته السابقة: «وهذه الرسالة

التاسعة من رسائل الجاحظ، وعنوانها (فصل ما بين العداوة والحسد)...، ويبدو أنه ألَّف هذه الرسالة لأبي الحسن عبيد الله بن يحيىٰ ابن خاقان، وزير المتوكل ثم المعتمد، كما تدلّ عليه أواخر هذه الرسالة...»[٤٠].

إنَّ الأسئلة في قوله السابق: «ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء وقلّ في البعداء؟ كيف دبّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟...، وكيف خصّ به الجيران من بين أهل جميع الأوطان؟»[٤١]. تتشح بالمفارقة والاستنكار، ويتطلب من المسؤول التعليل والتبرير؛ إذ «تتم المطالبة بالحجة، وببناء الموقف وتعليله. إنَّه سؤال لا يستدعي الحكم فقط، بل يستدعي دعائمه ويستوضح الأسس التي قادت إليه. وبذلك فسؤال التبرير اختبار وقياس للحدود الإقناعية للموقف المتبنىٰ»[٤٢].

ويتضح من صيغة الأسئلة أنَّه بنىٰ سؤالين علىٰ (أفعل التفضيل/ أكثر، أقل)، واستخدام هذه الصيغة يفيد معنيين: الزيادة علىٰ المضاف إليهم في الخصلة، وهم فيها شركاء، والثاني: الإطلاق[٤٣]، بينما السؤالان وإن لم يستخدم فيهما (أفعل التفضيل)، ولكنهما تشيان به، مستخدما في أحدهما المقابلة: «ولم كثر في الأقرباء وقلّ في البعداء؟»[٤٤]، والثانية «وكيف خصَّ به الجيران من بين أهل جميع الأوطان؟»[٤٥].

وثمّة سؤال يطرح علىٰ أسئلة الجاحظ نفسها: هل هذه الرسالة ثمرة من ثمار تجربة مرَّ بها الجاحظ مع حاسديه الذين اكتوىٰ هو نفسه بنار حسدهم ومرارة حقدهم؟

الضرب الثاني/ سؤال غير مباشر: وتمثله الاستفهامات الضمنية في رسالة (مفاخر السودان علىٰ البيضان) يتَّضح ذلك في قوله: «وذكرت أنك أحببت أن أكتب

لك مفاخر السودان، فقد كتبت لك ما حضرني من مفاخرهم»[٤٦]، أي ما مفاخر السودان؟ وبالرغم من أنَّه سؤال واحد إلا أنَّه يدعو المجيب إلىٰ الإطناب والتفصيل، فهو سؤال مفتوح، آية ذلك الجمع في لفظة: (مفاخر).

إنَّ السؤال في مفاخر السودان علىٰ البيضان أتىٰ علىٰ الضرب الثاني: (بصورة طلب) واحد مضمر: ما ميزة اللون الأسود في الحياة عامة؟ بينما أتىٰ السؤال في الحاسد والمحسود علىٰ هيئة أسئلة، أوسؤال تتولد منه سلسلة من الأسئلة المشتقة منه، كأنه ينشر بالسؤال سعة علمه، مستعرضا كفاءته الثقافية، لا سيما أنَّ ثقافة الجاحظ ليست ثقافة واحدة بل «ثقافة القرون الثلاثة كلّها - رواية وتدوينًا - وهذا شأن الكاتب الكبير، يفتح منفذًا يفضي إلىٰ منافذ، ويشق بابًّا يدلّ علىٰ أبواب»[٤٧]، إنَّ ثقافته ليس «ثقافة عصره بل ثقافات عصره ومثلها خير تمثيل في كتبه الكثيرة المتنوعة»[٤٨]، ربما يكون سؤاله سؤال العصر، فيلجأ إلىٰ السؤال بغية التعبير عن عصره وزمنه.

الضرب الثالث/ سؤال جمع بين المباشر وغير المباشر: يتجلَّىٰ ذلك في رسالته (فصل من صدر كتابه في الأوطان والبلدان)، حيث قال: «سألت - أبقاك الله - أن أكتب لك كتابًا في تفاضل البلدان، وكيف قناعة النفس بالأوطان، وما في لزومها من الفشل والنقص...، وقلت: ابدأ لي بالشام ومصر، وفضل ما بينهما، وتحصيل جمالهما، وذكرت أن ذلك سيجر العراق والحجاز...، وقلتم: خبرونا عن الخصال التي بانت بها قريش عن جميع الناس»[٤٩].

لم يأت السؤال في رسالته (في الأوطان والبلدان) في مفتتح الرسالة، بل تقدّمه دعاء للسائل: «زيَّنك الله بالتقوىٰ وكفاك المهم من أمر الآخرة والأولىٰ، وأثلج

صدرك باليقين، وأعزَّك بالقناعة، وختم لك بالسعادة، وجعلك من الشاكرين»[٥٠].

وسيبقىٰ الدعاء ملازمًا للرسالة عن طريق الجمل الاعتراضية (أبقاك الله). ودلَّ الدعاء علىٰ علاقة التقدير الخاصة التي تربط المسؤول بالسائل، كما تضمن صفات اليقين والقناعة والسعادة والشكر التي تتصل بمضمون الرسالة، علىٰ سبيل براعة الاستهلال.

وثمة رابط بين الدعاء وبين سؤال السائل؛ إذ يدعو له بالقناعة، وفي تضاعيف سؤاله عن كيفية قناعة النفس، يقول: «أعزك بالقناعة...، سألت - أبقاك الله - أن أكتب لك كتابًا في تفاضل البلدان، وكيف قناعة النفس بالأوطان»[٥١].

وبعد هذه التوطئة الدعائية، خصص الجاحظ فقرة لسؤال السائل: «سألت - أبقاك الله - أن أكتب لك كتابًا في تفاضل البلدان وكيف قناعة النفس بالأوطان وما في لزومها من الفشل والنقص وما في الطلب من علم التجارب والعقل. وذكرت أنَّ طول المقام من أسباب الفقر كما أنَّ الحركة من أسباب اليسر وذكرت قول القائل: الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم»[٥٢].

وفي هذه الفقرة، أتىٰ السؤال بفعل الطلب حول حقيقة تفاضل البلدان، وكيفية قناعة الأنفس بها، وما يترتب عن كل ذلك من فشل وعلم. ويلحظ أنَّ الجاحظ أضاف سؤالاً آخر للسائل في بداية الفصل الذي اقتصره علىٰ قريش، يقول: «وقلتم: خبرونا عن الخصال التي بانت بها قريش عن جميع الناس»[٥٣].

وقد قوّىٰ السائل مطلوبه بتوجيهين:

١- أحدهما: معرفي يرتبط بأن طول المقام من أسباب الفقر.

٢- ثانيهما: منهجي يتصل بما يجب أن يقدمه الحاجظ ويؤخره. يقول السائل:

«وقلت: ابدأ لي بالشام ومصر وفضل ما بينهما وتحصيل جمالهما وذكرت أن ذلك سيجر العراق والحجاز والنجود والأغوار وذكر القرىٰ والأمصار والبراري والبحار»[٥٤].

والملاحظ أنَّ المقطع التساؤلي من الرسالة، قام علىٰ جملة من الخصائص الصريحة والضمنية المستفادة:

١- تقدير السائل، بالدعاء له.

٢- تلخيص سؤاله بتركيز، تمهيدًا للإجابة عن متطلباته الجزئية.

٣- الإشارة إلىٰ ثقافته وذكائه. ويظهر في دقَّة أسئلته، وحدود توجيهاته.

فالفكرة التي يعالجها الجاحظ في أحشائها أفكار من الدرِّ كامن؛ لذا فإنَّ «قراءة الجاحظ فوق أنها تمتع الوجدان، تحرك العقل، وتفتح أبوابًا من النظر، وتستثير دفائن من الفكر»[٥٥].

كأنَّ الرسالة موازنة بين لونين، وموازنة بين ثقافتين، اللون هنا - في تصوّر الجاحظ - يرمز إلىٰ توجه ثقافي وصورة ثقافية، فالأسود يرمز إلىٰ قوة البنية والتعب، أما الأبيض فيرمز إلىٰ النقاء والفطنة، فالسؤال كان مغايرًا؛ إذ الأصل أن يذكر مفاخر البيضان.

وإذا صحب القارئ أثناء قراءة هذه الرسالة لون الجاحظ وأصله وما قيل في ذلك، ومنه أنَّ الجاحظ[٥٦] كان «أسود اللون كجدّه فزارة، قصيرًا، دميمًا، جاحظ العينين، قبيح المنظر. إلىٰ أن قيل فيه:

لو يُمسَخُ الخِنزيرُ مَسْخًا ثانيًا * ما كانَ إلاَّ دونَ قُبحِ الجاحِظِ

وهو نفسه كان يتحدث عن قبحه. فقد روي أنَّ امرأة طلبت منه أن يصطحبها إلىٰ

دكانه أحد الصاغة، فلما وصلت هناك قالت للصائغ: مثل هذا، وانصرفت. فسأل الجاحظ الصائغ، ماذا قد عنت المرأة بقولها ذاك؟ فأجابه بأنها قد طلبت رسم صورة شيطان علىٰ فصّ خاتمها، فاصطحبتك لتمثيل صورته. وهذا ما يؤكّد بشاعة الصورة التي كان عليها»[٥٧]، يتبين مما سبق أنَّ الجاحظ كأنه يلبس قناعًا من زاويتين: الأولىٰ يقنِّع ذاته، فهي أسئلة تنغص عليه حياته وتؤرقه، فهو يتخفىٰ وراء تلك الأسئلة، والزاوية الأخرىٰ أسئلة يتقنَّع فيه جملة من ذوي البشرة السوداء.

فضَّل ابن قتيبة الجاحظ عن باقي المتكلمين، فرأىٰ أنه آخرهم و«أَحْسَنُهُمْ لِلْحُجَّةِ اسْتِثَارَةً»[٥٨] بل إنه يتحدث عن الشيء ونقيضه، وهذا ضرب من ضروب الاقتدار[٥٩]، وأحسب أنَّه مثلما تصالحت الأضداد علىٰ جسده[٦٠]، توافقت في فكره أيضًا، هي حقًّا أضداد لكنها أضداد متصالحة إذا نُظر إلىٰ فكر الجاحظ في مجموعه لا في آحاده.

وقد تساءل د.نادر كاظم عن علَّة إفراد الجاحظ مفاخر السودان برسالة، وذكر من بين جملة تلك الأسئلة: «هل أراد الجاحظ أن يرد عن نفسه أية شبهة باتهامه بالشعوبية، وذلك حين جمع بين العرب والسودان، فقد كان وصف العرب بالسواد من وسائل الشعوبيين للانتقاص من شأن العرب»[٦١]، وينهي د.نادر بسؤالين في غاية الأهمية: «وهل لهذه الرسالة دور في تفجر الزنج في شهر رمضان ٢٥٥هـ، بعد وفاة الجاحظ في محرم من العام ذاته؟ أم إنَّ الغرض منها لم يتجاوز إثبات القدرة الحجاجية والقوة الجدلية عند الجاحظ وذلك بالاستفادة من كل ما حضره من مفاخر السودان؟»[٦٢].

يدلّ اهتمام الجاحظ بمناقشة هذا الموضوع أنَّه كاتب ينصت لنبض مجتمعه؛ إذ

ثمة ثقافة حينئذ تريد إقصاء المهمش، وثمة عنف يحدث، ولو آل الأمر إليه لوضع من يستحق في موضعه بغض النظر عن لونه أو أصله دون إنقاص أو تهميش، ولو قُدِّر المهمش مثلما قدَّره الجاحظ لما حدث ما حدث من ثورة الزنج، فالعنف لا يولد إلا عنفًا مضاعفًا. ثمة استشراف لديه، وكأنه ينذر بما يقع في المجتمع بفعل الإقصاء حتىٰ يحصل توازن، إنَّه «علىٰ كل حال تموج الحرية والحقوق العامة في صدره»[٦٣]. وكأنَّ أسئلة الجاحظ أوجاع مجتمعه شبه الغافية، ولا غرو في ذلك؛ فـ«الجاحظ مهموم بثقافة ومجتمع من خلال التأويل، قلَّ أن يعبر عن فكرة الأزمة تعبيرًا مباشرًا»[٦٤]. فالجاحظ لا يفهم من خلال كتاب واحد، إنما من خلال مجموع كتبه؛ لأنه صاحب رؤية متشعبة.

أما رسالته في الشارب والمشروب، فبدأها بقوله: «سألت - أكرم الله وجهك، وأدام رشدك، ولطاعته توفيقك، حتّىٰ تبلغ من مصالح دينك ودنياك منازل ذوي الألباب، ودرجات أهل الثّواب - أن أكتب لك صفات الشّارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب»[٦٥]، إنَّ الدعاء يتناسب مع الموضوع الذي هو بصدده، فموضوعه عن الأنبذة والخمر، وهو مما يذهب اللب، ويكون شاربها مغيبًا وكأنه في غيابات الجب، وتذهب بدينه ودنياه، فدعا له بالكرامة، والرشد، والتوفيق، وكانت الرسالة مزيجا بين (سألتَ)، فعل ماض، وفعل مضارع (أن أكتب لك، أميز، أقفك، أعرفك)، ثم استعرض أسئلة السائل، وجمع بينها وبين آرائه المفصلة، من ذلك قوله: «وقلت: وما نصيب الشّيطان، وما حاصل الإنسان؟... وقلت: ومع كل ذلك فهو يلجلج اللسان، ويكثر الهذيان، ويظهر الفضول والأخلاط، ويناوب الكسل بعد النّشاط...»[٦٦].

وتخلل الأسئلة أيضًا ما طلبه السائل من المسؤول بشأن صورة الإجابة وهيئتها، فقال: «وسألت أن أقصد فيٰ ذلك إليٰ الإيجاز والاختصار، وحذف الإكثار»[٦٧].

ويلحظ علىٰ بنية الافتتاح في رسائل الجاحظ أمورٌ أربعة:

الأمر الأول: أنَّ الضمير الموظَّف في رسائل الجاحظ منحصر في نوعين: إما متكلم أو مخاطب، ولم يرد فيها ضمير الغائب، و«ضمير المتكلم أخصّ من ضمير المخاطب وضمير المخاطب أخصّ من ضمير الغائب»[٦٨].

أما الأمر الثاني: فهو أنَّ السؤال كان متصدِّرًا الرسالة، بعد استهلال دعائي من الجاحظ في رسائله الثلاث ماعدا رسالته (الشارب والمشروب) فقد سبق الدعاء الفعل (سألت)، يقول: «سألت - أكرم الله وجهك، وأدام رشدك، ولطاعته توفيقك...- أن أكتب لك صفات الشارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب...»[٦٩]، وكأنه يبتدر القارئ أنَّ هذه الرسالة أنشئت بسبب سؤال ورده.

والأمر الثالث: هو السجع والتأنق في الألفاظ في صدور رسائل الجاحظ الأربع، وأحيانًا يكثر منه؛ مما حدا بمحقق الرسائل/ عبد السلام هارون أن يعلل في هامش تحقيقه سبب شيوع السجع في رسالته (الشارب والمشروب) بقوله: «هذا السجع الشائع في صدر هذا الكتاب، إنما هو حكاية لقول السائل أما صميم كلام الجاحظ وردِّه علىٰ السائل فهو يبدأ في ص٢٧٣»[٧٠].

وربما فات المحقق أنَّ الجاحظ له «في كتبه أسلوبان، أسلوب أنيق: فيه صناعة وموازنة وسجع...، ويكاد يكون هذا الأسلوب مقصورًا علىٰ مقدّمات كتبه ومطالع فصوله. ثمّ له أسلوب يجري فيه علىٰ السليقة ويعالج به الموضوعات التي يتناولها في متون كتبه»[٧١].

ويرىٰ صالح بن رمضان أيضًا أنَّ السجع أسلوب في صدور الرسائل وخواتيمها للتمييز بينها وبين المتون، وعدَّ الجاحظَ من أبرز الكتاب الذين اعتنوا بالأسجاع في صدور رسائلهم، بل يرىٰ أنَّ ثمة فرقًا واضحًا بين صدور رسائل الجاحظ ومتونها «من ناحية التصنيع اللفظي ندركه حين نخلص من الصدر إلىٰ المتن. ونتابع تحرر الكاتب شيئًا فشيئًا من بعض مظاهر الموازنة الصوتية؛ إذ يتخلص من السجع ويحافظ علىٰ الازدواج، ويعدل عن الجمل القصار الموقَّعة إلىٰ الجمل المركَّبة بما تتضمنه من خصائص النثر المرسل، وهو يعمد في هذه الصدور إلىٰ إعادة ترتيب عناصر الجملة بما يلاءم بنية السجع»[٧٢].

والأمر الرابع: تنطلق الرسائل من أسئلة محورية، والذات حاضرة جدًّا، رسائل أشبه بردة فعله، الرسالة أشبه بمتنفس عن ذاته، في الرسالة تجتمع الذات مع الآخر، أيا كان الآخر، سواء كان نفسه أو شخصًا آخر.

إنَّ الجانب التداولي من السؤال مجهول، حتىٰ نعرفه ونعرف قيمته، إذا كان صاحب سلطة، أو صاحب نحلة. أسئلة تحرِّض علىٰ أسئلة أخرىٰ، ما اسم المرسل؟ وما منزلته؟ وهل له وجود حقيقي؟ وإذا افترضنا أنها أسئلة مفتعلة؟ أليست تلك الأسئلة تعبِّر عن همومه وما يجري في عصره؟ أليست تلك الرسائل ضربًا من الاحتكاك مع الآخر أو ضربًا من أسئلة الذات أو مزيجًا بينهما؟ خاصة أنَّ «كتبه، ورسائله أشبه ما تكون بدوائر معارف، فليس هناك جدول من جداول الثقافة في عصره، إلا وتسرّبت منه فروع، ومنعطفات إلىٰ كتابات وتأليفاته»[٧٣]. فالسؤال في الغالب لا يكون بريئًا، إنما يصطبغ برؤية صاحبه، إنها أسئلة تنم عن المرحلة التي يعيشها الجاحظ، فالحسد كان ساريا في عصره. ولاتساع رقعة الدولة العباسية تولّد

فئتان: البيض والسود، وكثر التنقل بين الأوطان والبلدان، وكثرت أصناف المشروب، فالجاحظ يفلسف ويناقش قضايا مرحلته، فهي قضايا حضارية، والسؤال ضرب من ضروب الانخراط في الحياة، ولا غرو في ذلك؛ إذ «السؤال هو رغبة الفكر»[٧٤].

***

المبحث الثاني
بلاغة الجواب

أدلف من هذا المبحث إلىٰ شقاء السؤال علىٰ حدّ تعبير موريس بلانشو، الذي صرَّح ذات مرة: «الجواب شقاء السؤال»[٧٥]. وقد جاءت أجوبة الجاحظ استجابة لتلك الأسئلة التي عرضها في صدور رسائله، فكيف أجاب الجاحظ عن هذه الأسئلة الصريحة والمضمرة في صدور رسائله؟ وهل أجاب بنفس ترتيب الأسئلة حين تكون الأسئلة متعددة؟ وهل كانت الرسالة برمتها إجابة؟ وهل اتسمت إجابته بالوضوح أو الالتواء؟ وكيف ختم إجابته؟ وما الأساليب التي اتبعها في صياغة إجابته؟

بالقراءة الفاحصة يتبين أنَّ جواب الجاحظ ينهض علىٰ قضايا وأساليب عديدة أهمها:

*** أولًا: العَرْض والاعتراض:**

يمزج الجاحظ في إجابته بين مكونين متضافرين: أحدهما عرض وجهة نظره وتصوره للسؤال، والثاني اعتراضه علىٰ من يخالفه النظر والتصور؛ مما أسس إجابته بثنائية الهدم والبناء.

أ/ العرض:

يؤطر الجاحظ رسائله بأسئلة مفتاحية، وكأنه عقد بين الكاتب والمتلقي؛ إذ يَرِد سؤال السائل في صدر الرسالة في حيز ضيق موازنة بالإجابة، ومن القراءة الأولية لجواب تلك الرسائل أجد أنه لم يجب عن الأسئلة بنفس الترتيب التي جاءت به؛ إذ انبجست من تلك الأسئلة إجابة متفرعة ذات تكوثر[٧٦]، وكانت مختلفة البناء في

رسائله الأربع.

وقد أخذت الإجابة من الجاحظ الحصة الكبرىٰ في رسائله الثلاث موازنة بالسؤال ما عدا رسالته (الشارب والمشروب)، وهو أمر طبعي؛ لأنَّ من طبيعة الإجابة أن تكون مسترسلة ومتشعبة، ومجلبة للأدلة والحجج الداعمة، فكلما اتسعت الإجابة، دلَّت علىٰ اتساع أفق المجيب، وأبانت عن قوته العلمية في المجال المعرفي الذي يسأل عنه.

يجد المتأمل في رسائله الأربع أنَّ عرض الإجابات متباينة، فالإجابة في رسالته (الحاسد والمحسود) مقسمة إلىٰ خمسة فصول: الأول أتىٰ معنونًا (فصل من صدر كتابه في الحاسد والمحسود)، والثاني معنونًا أيضًا: (فصل في حسد الجيران)، والثالث والرابع والخامس اكتفىٰ فقط بقوله: (فصل منه) دون عنوان، ماعدا الرابع فقد حذف كلمة (منه) في العنوان.

بدد الجاحظ التعجب والعلة الواردين في بعض الأسئلة، في قوله: «لم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء وقل في البعداء؟ وكيف دبَّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟ وكيف خص به الجيران من بين أهل جميع الأوطان»[٧٧] موضحًا العلة من كثرة الحسد في الأقرباء، وشيوعه في الصالحين أكثر من الفاسقين، واختصاص الجيران به عن البقية فأضحىٰ التعجب قاعًا صفصفًا في جوابه بله وصف الجاحظ الدواء لهذا الداء، وكيفية الاحتراس من هذا البلاء؛ إذ قصر السلامة والسرور والراحة والربح في عدم مصاقبته وقطعه، يقول: «وما أرىٰ السلامة إلا في قطع الحاسد، ولا السرور إلا في افتقاد وجهه، ولا الراحة إلا في صرم مداراته، ولا الربح إلا في ترك مصافاته، فإذا فعلت ذلك فكل هنيًّا مريًّا، ونم رضيًّا، وعش في

السُّرور مليًّا»[٧٨].

إنَّ الجاحظ يدرك أنَّ الحاسد موجود لا محالة، فذكر ثلة من النصائح؛ لاقتفاء تلك النصائح والتوجيهات، وختم رسالته بدعاء له وللمرسل إليه، ثم ختمها بالسلام، يقول: «ونحن نسأل الله الجليل أن يصفّي كدر قلوبنا، ويجنّبنا وإياك دناءة الأخلاق، ويرزقنا وإيّاك حسن الألفة والاتّفاق ويحسن توفيقك وتسديدك. والسّلام»[٧٩]. إنه دعاء يتماهىٰ والسؤال والجواب، مصحوبًا بالسجع.

أما رسالته (مفاخر السودان) فالسؤال فيها كان فضفاضًا دون تقييد؛ لذا كانت الإجابة فضفاضة مناسبة له، فهو يرىٰ أنَّ مفاخر السودان كثيرة جدًّا، إذ يذكر ما حضره فحسب، يقول: «وذكرت أنك أحببت أن أكتب لك مفاخر السودان، فقد كتبت لك ما حضرني من مفاخرهم»[٨٠]، إنه يعلي من ثقافة المهمش، ويمنحه التقدير بفسحه المجال للتعبير عن ذاته، بله الافتخار علىٰ غيره.

لا يُظهر الجاحظ انتماءه صراحة، إنما يستعرض ثقافتهم فحسب، والتي بدا من خلالها كالمنتصر لهم، وإذا نقبت في معنىٰ المعنىٰ في جوابه، أجد أنه انتصار مبطّن، وكأنها مرافعة عنهم، يحتشد فيها الأقوال تلو الأقوال التي ذُكرت فيمن اتصف بالسواد سواء من البشر أو من سواه من جماد أو نبات أو حيوان.

وقد جاء في صدر الرسالة قبل سرد السؤال، أنَّ تأخيره الحديثَ عن مفاخر السودان جاء عن قصد منه ووعي بذلك، ولم يفصح عن ذلك. وبعد السؤال، ذكر أنه كتب ما حضره من مفاخرهم، يقول في ذلك: «فقد كتبت لك ما حضرني من مفاخرهم»[٨١]، تشي هذه الجملة في صدر الجواب بزخم معارف الجاحظ، مقتصرًا علىٰ ما حضره، إذ بلغ الجواب صفحات عدة، تربو عن أربعين صفحة، ولا أعلم عن

الجواب أين يقف لو كتب جميع ما يعرفه، ما حضره وما غاب عنه؟!

ويمكن تقسيم جواب الجاحظ إلىٰ جزأين: انبنىٰ الجزء الأول «علىٰ إبراز خصائص طائفة من الأفراد السود متمثلين في حكماء وشعراء وملوك وشهداء ومقاتلين شجعان وغيرهم، وفي الجزء الآخر علىٰ خصائص السواد ومزاياه ومنافعه مما يفضي قياسًا علىٰ ذلك إلىٰ نتيجة منطقية مفادها أنَّ للسواد المزايا والمنافع نفسها التي تمتلكها تلك الأشياء والكائنات السوداء»[٨٢].

سرد الجاحظ ما حضره من مفاخر السودان دون تقيد بترتيب زمني، فأجاب عما حضره فحسب، يذكر مفاخرهم كما ترد علىٰ ذهنه عفو الخاطر، فينثال الجواب انثيالاً علىٰ الجاحظ، وقد يورد علمًا من أعلام السودان، ومن ثم يعود إليه مرة أخرىٰ بإطناب، من ذلك شاعرهم الحيقطان؛ إذ ذكر «ومنهم: الحيقطان الشاعر، الذي كان يفضل في رأيه وعقله وهمته...، ومنهم: جليبب الذي تحدث الرواة....، ومنهم: فرج الحجام وكان من أهل العدالة...، وأما الحيقطان فقال قصيدة تحتج بها اليمانية علىٰ قريش ومضر...»[٨٣]، ثم أطنب بذكر القصيدة مفسِّرًا ما ورد في بعض أبياتها.

وقد عدَّ باشا العيادي رسالة (مفاخر السودان علىٰ البيضان) ضربًا من ضروب المناظرة، إنَّها رسالة «انبنت علىٰ أقوال السودانيين وغابت فيها أقوال خصومهم البيضان، أو لعلَّها قُدّرت وبقيت في عداد المسكوت عنه الذي يتجلىٰ في أقوال السودانيين ذاتها»[٨٤]، معللاً هذا الإضمار بأنَّ «حجج البيضان معروفة ومشهورة، وأنَّ الطرافة في الحوار ووجه الإضافة يكمنان في استقصاء الفضل في المفضل عليه المعروف بالنّقص، المشهور بالذَّم، وليس في الفاضل الذي شُهر فضله وذاع حُسنه»[٨٥].

لا يسير جواب الجاحظ في مفاخر السودان علىٰ وتيرة واحدة؛ ففي البدء ذكر

أسماء مَنْ يحملون صفة اشتهروا بها متصدِّرًا بعبارة: (ومنهم)، يقول في ذلك: «لقمان الحكيم منهم...، ومنهم: سعيد بن جبير...، ومنهم بلال الحبشي...، ومنهم: مهجع...»[٨٦]، بعد ذلك يأتي بالأسماء والمفاخر علىٰ لسانهم متصدِّرًا بالفعل الماضي (قالوا) دون نسبة إلىٰ قائل بعينه، ولا أعلم هل السودان قالوا ذلك حقًّا أو أجرىٰ الجاحظ علىٰ لسانهم تلك الأقول متقمصًا شخصياتهم، متشرِّبًا شعورهم؟! علىٰ أية حال فقد لمعت في أقوالهم أعمالهم البيضاء رغم بشرتهم السوداء، فلم يقف اللون عقبة كأداء، من ذلك قوله: «قالوا: ومنا الغداف صاحب عبيد الله بن الحر...، قالوا: ومنا المغلول وبنوه....، قالوا: ومنا أقلح...»[٨٧]، ولم يأت من الفعل المضارع نحو: (يقولون) أو (يفخرون) إلا مرة واحدة، عندما قال: «وهم أيضًا يفخرون برباح أخي بلال...، ويقولون: ومنا مربح الأشرم، غلام أبي بحر...»[٨٨]، إنَّه يُشيد بهذا المنقول لكل ما هو مأمول من رفعة شأن السودان، وسرد مفاخرهم.

وفي هذا الصدد تساءل محمد مشبال مستنكرًا: «فهل خصال الشرف في السود تؤول إلىٰ بشرتهم السوداء؟ ما العلاقة بين سواد البشرة وبين القيم التي يتسم بها السود؟»[٨٩]. وفي اعتقادي أنَّ الربط بين اللون الأسود والقيم الإيجابية ليس من مغالطات الجاحظ، ولكنه من اعتقادات كثير من الناس الذين يرون في السود قيم الإخلاص وحب العمل والجدية وتقدير الآخر، وعلىٰ هذا الاعتقاد بنىٰ الجاحظ كلامه.

وعدَّ أحد الباحثين أنَّ خطاب الجاحظ عن السودان سيوقع القارئ في أتون الحيرة متسائلاً: هل يحمل هذا الخطاب محمل الجد أو يردَّه إلىٰ السخرية[٩٠]؟! والواقع أننا لا نحمل خطابه عن ثقافة السواد لا علىٰ محمل الجد ولا علىٰ محمل السخرية. فالجاحظ راصد كبير لكل ما يموج في مرحلته، بل قد عرف بتسليطه الضوء

علىٰ الثقافات الهشة والمهمشة التي كانت محط ازدراء أو شكّ، مثل: ثقافة البخل وثقافة الإعاقة وثقافة العوام.

وختم رسالته بقوله: «فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السّودان. وقد قلنا قبل هذا في مفاخر قحطان، وسنقول في فخر عدنان علىٰ قحطان في كثير مما قالوا إن شاء الله»[٩١]، مشيرًا ما ألفه من قبل، مفصحًا لما سيؤلف فيما بعد، ثم أردف أن هذا الكتاب من تأليفه مصحوبا بالدعاء له، ومخبرًا عما يلي هذه الرسالة من رسالة، ومبينًا المرسل إليه، حامدًا لله ومصليًّا علىٰ نبيه ﷺ، يقول: (تم كتاب فخر السودان علىٰ البيضان من تأليف أبي عثمان عمرو بن الجاحظ، بعون الله تعالىٰ وتوفيقه، ومشيئته وتأييده. يتلو إن شاء تعالىٰ رسالة له أيضًا إلىٰ محمد بن عبد الملك في الجد والهزل. والله الموفق للصواب. والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلواته علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلامه)[٩٢].

أما رسالته (الأوطان والبلدان) فقد سار في إجابته من الأهم إلىٰ المهم، واختار الجاحظ طريقة عرض جوابه أن تكون استنباطية تبدأ من العام، وهو ذكر قيمة الأوطان في أنفس أصحابها، ثم استرسل إلىٰ الجزء ببيان خصائص جملة من الأوطان العربية، ولم يتقيد في جوابه بنصّ السؤال، بل يجيب إما بتقديم أو تحوير الصيغة وفق ما يقتضي الأمر، فقال: «وقلت: ابدأ لي بالشام ومصر، وفضل ما بينهما، وتحصيل جمالهما، وذكرت أن ذلك سيجر العراق والحجاز، والنجود والأغوار، وذكر القرىٰ والأمصار، والبراري والبحار. واعلم – أبقاك الله – أنا متىٰ قدمنا ذكر المؤخر وأخرنا ذكر المقدم، فسد النظام وذهبت المراتب. ولست أرىٰ أن أقدم شيئًا من ذكر القرىٰ علىٰ ذكر أم جميع القرىٰ. وأولىٰ الأمور بنا ذكر خصال مكة، ثم خصال المدينة.

ولولا ما يجب من تقديم ما قدم الله وتأخير ما أخر لكان، الغالب علىٰ النفوس ذكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان»[٩٣].

وعندما أطنب عن الوطن طرح إشكالاً علىٰ القارئ لا مناص من مواجهته فيجيب داحضًا ما يعتري السائل من شكّ في أنَّه خالف المنهج الذي يسير عليه، يقول: «ونحن، وإن أطنبنا في ذكر جملة القول في الوطن، وما يعمل في الطبائع، فإنّا لم نذكر خصال بلدة بعينها، فنكون قد خالفنا إلىٰ تقديم المؤخّر وتأخير المقدّم»[٩٤]، تسفر عباراته عن التزامه بما جاء في صدر جوابه.

وقال أيضًا: «قلتم: خبرونا عن الخصال التي بانت بها قريش عن جميع الناس. وأنا أعلم أنك لم ترد هذا، وإنما أردت الخصال التي بانت بها قريش من سائر العرب، كما ذكرنا في الكتاب الأول الخصال التي بانت بها العرب عن العجم؛ لأنَّ قريشًا والعرب قد يستوون في مناقب كثيرة. قد يلفىٰ في العرب الجواد المبر وكذلك الحليم الشجاع، حتىٰ يأتي علىٰ خصال حميدة؛ ولكنا نريد الخصائص التي في قريش دون العرب»[٩٥]. إنَّه يغيّر في الصيغة وكأنه فهم مبتغىٰ السائل ومراده، فإنْ فات السائل أهمية التقديم وإدراكه، لم يفت الجاحظ إعادة صيغة السؤال واستدراكه، يريد السائل أن يبدأ ويعكف بالشام ومصر، ولكن الإجابة فيها نوع من تمحيص السؤال: بدأ بالخصال التي بزَّت بها قريش وأفاض فيها، ثم عرج علىٰ ذكر مكة فأورد الخصال التي بانت بها بنو هاشم دون قريش، وبعدها ذكر المدينة، ثم مصر فالكوفة، ثم أطنب في حديثه عن البصرة، وختم رسالته بالحيرة، وقد ذكرها لمامًا[٩٦].

وذكَّر الجاحظ السائل بما نسيه مصطحبًا هذا التذكير بدعاء؛ وهذا أدعىٰ للقبول، يقول في ذلك: «وذكرت أن طول المقام من أسباب الفقر، كما أن الحركة من

أسباب اليسر، وذكرت قول القائل: (الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم). ونسيت - أبقاك الله - عمل البلدان، وتصرف الأزمان، وآثارهما في الصور والأخلاق، وفي الشمائل والآداب...»[٩٧].

عند حديث الجاحظ عن البصرة يتحدث بـ (نا الدالة علىٰ الفاعلين)، (نا) الدالة علىٰ الافتخار بها والانتماء والولاء لها، من ذلك قوله: «فأمّا **بحرنا** هذا فقد طمّ علىٰ كلّ بحر وأوفىٰ عليه؛ لأنّ كلّ بحر في الأرض لم يجعل الله فيه من الخيرات شيئا إلّا **بحرنا** هذا. الموصول ببحر الهند إلىٰ ما لا تذكر»[٩٨]، وقوله: «وقال بعض **خطبائنا:** نحن أكرم بلادًا، وأوسع سوادًا...»[٩٩]، وقد أطنب الجاحظ في حديثه عنها، ولم يكتف بذلك. كما يؤكد بأسلوب الشرط أنَّه مهما اجتهد أعلم الناس وأنطقهم علىٰ جمع منافع (البطيحة/ البصرة) لما قدر عليها، يقول: «ومن العجب لقوم يعيبون البصرة لقرب البحر والبطيحة ولو اجتهد أعلم النّاس وأنطق النّاس أن يجمع في كتاب واحد منافع هذه البطيحة، وهذه الأجمة، لما قدر عليها»[١٠٠]، ويؤكد بمؤكد آخر، وهو إقراره أنه لم يأل جهدا بغية جمع منافعها، معترفًا بعجزه عن ذلك، يقول في ذلك: «وبحقّ أقول: لقد جهدت جهدي أن أجمع منافع القصب ومرافقه وأجناسه، وجميع تصرّفه وما يجيء منه، فما قدرت عليه حتّىٰ قطعته وأنا معترف بالعجز، مستسلم له»[١٠١]، فأي فخر للبصرة بعد هذا؟!

ولا غرو في إطناب الجاحظ في حديثه عن البصرة وتفضيله لها موازنة بحديثه عن الكوفة؛ فهي مسقط رأسه ومهده، فينازعه قلبه إليها، وحنين المرء دومًا لأوّل بلد يسكنه. وهو الذي ذكر في رسالته (الحنين إلىٰ الأوطان) هذه الوصية: «وقال آخر: احفظ بلدًا رشّحك غذاؤه، وارع حمًىٰ أكنَّك فناؤه. وأولىٰ البلدان بصبابتك إليه بلدٌ رضعت ماءه، وطعمت غذاءه»[١٠٢]. هذا أمر.

أما الأمر الثاني فربما ما دار بين البصرة والكوفة من معارك نحوية، وكلّ يدَّعي وصلاً بمدينته، وأنها هي الأبهىٰ.

ثمة رابطان بين السؤال والجواب في رسالته (الأوطان والبلدان): الأول رابط خفي يربط رسالته؛ إذ اهتم بتقديم المقدم، وتأخير المؤخر، ويتجلىٰ في موطنين: الموطن الأول، يظهر في قوله: «وكفاك المهمّ من أمر الآخرة والأولىٰ»[١٠٣]، هذه الجملة هي الجملة الثانية من صدر رسالته الأوطان؛ إذ قدَّم الأهم عن المهم الآخرة قبل الأولىٰ فأتت بعد قوله: «زيَّنك الله بالتقوىٰ»[١٠٤]، هنا قدَّم الآخرة علىٰ الأولىٰ؛ لأنها أولىٰ بالتقديم، إذ صلح للإنسان أمر الآخرة صلح له دنياه.

أما الموطن الثاني الذي يظهر فيه اهتمام الجاحظ بالتقديم والتأخير، قوله: «واعلم – أبقاك الله – أنّا متىٰ قدّمنا ذكر المؤخّر وأخّرنا ذكر المقدّم، فسد النّظام وذهبت المراتب. ولست أرىٰ أن أقدّم شيئًا من ذكر القرىٰ علىٰ ذكر أمّ جميع القرىٰ. وأولىٰ الأمور بنا ذكر خصال مكّة، ثمّ خصال المدينة. ولولا ما يجب من تقديم ما قدّم الله وتأخير ما أخرّ، لكان الغالب علىٰ النفوس ذكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان»[١٠٥]، بدأ الجاحظ بقاعدة عامة، أشبه ما تكون بنتيجة، ثم أتىٰ بحجة تاريخية، ثم أردفه بحجة وجودية.

متىٰ قدّمنا ذكر المؤخّر وأخّرنا ذكر المقدّم، فسد النّظام وذهبت المراتب	نتيجة
ولست أرىٰ أن أقدّم شيئا من ذكر القرىٰ علىٰ ذكر أمّ جميع القرىٰ. وأولىٰ الأمور بنا ذكر خصال مكّة، ثمّ خصال المدينة.	حجة تاريخية
ولولا ما يجب من تقديم ما قدّم الله وتأخير ما أخرّ، لكان الغالب علىٰ النفوس ذكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان.	حجة وجودية

والرابط الآخر: رابط جلي يربط بين السؤال والجواب؛ إذ إنَّ سؤال الجاحظ «وكيف قناعة النّفس بالأوطان، وما في لزومها من الفشل والنّقص، وما في الطّلب من علم التّجارب والعقل، وذكرت أنّ طول المقام من أسباب الفقر، كما أنَّ الحركة من أسباب اليسر»[١٠٦] – يحمل بين طياته تعجبًا ممزوجًا بشك، التعجب من القناعة بالأوطان رغم أن لزومها مجلبة للفشل والنقص؛ لذا دعا له باليقين في صدر الرسالة: «وأثلج صدرك باليقين»[١٠٧]، و«اليَقِينُ: العِلْم وَإِزَاحَةُ الشَّكِّ وتحقيقُ الأَمر»[١٠٨]، وفي جوابه أتىٰ بلفظ (اليقين) مرتين، قال: «فسبحان من جعل بعض الاختلاف سببًا للائتلاف، وجعل الشك داعية إلىٰ اليقين، وسبحان من عرفنا ما في الحيرة من الذلة، وما في الشك من الوحشة، وما في اليقين من العز، وما في الإخلاص من الأنس»[١٠٩].

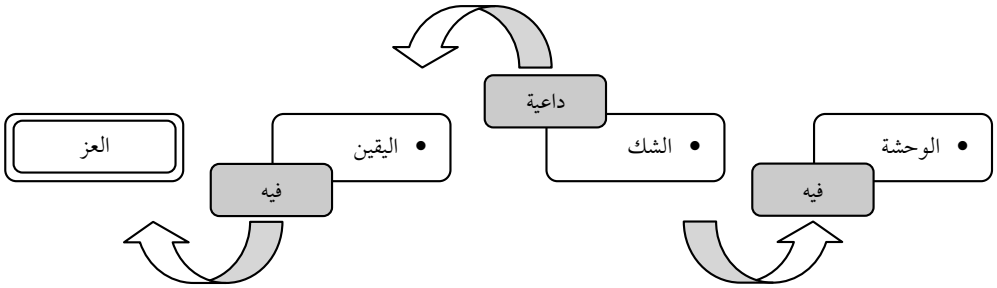

وقد امتد التعجب من السؤال إلىٰ الجواب أيضًا، إذ وردت لفظة (عجب) بتصريفاتها: (عجب، تعجب، أعجوبة، أعجب، أعاجيب، عجائب) في جوابه ما يربو علىٰ أحد عشر موضعًا[١١٠]، من ذلك قوله: «وفي ولد أبي طالب – أيضًا – أعجوبة أخرىٰ، وذلك أنّه لم يوجد قطّ في أطفالهم طفل يحبو، بل يزحف زحفًا لئلا ينكشف منه عن شيء يسوءه. ليكون أوفر لبهائه، وأدلّ علىٰ ما خصّوا به»[١١١]، إنَّ هذا التكرار يتماهىٰ والتعجب الذي يحمله السؤال في صدر الرسالة.

وأتت رسالته (الأوطان والبلدان) غفلاً من الخاتمة؛ إذ يقول: «والحيرة أرض

باردة في الشّتاء، وفي الصّيف ينزعون ستور بيوتهم مخافة إحراق السّمائم لها»[١١٢].

وفي جوابه لرسالته (الشارب والمشروب) يفترض افتراضات واعتراضات علىٰ قوله ومن ثم يجيب عليها، فقد يفترض الاعتراض تارة بأداة الشرط (إنْ)، من ذلك قوله: «فإن قال لنا قائل: ما تدرون، لعلَّ الأنبذة قد دخلت في ذكر تحريم الخمر، ولكن لما كان الابتداء أجري في ذكر تحريم الخمر، خرج التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة، ودخل سائر الأشربة في التّحريم بالقصد والإرادة. قلنا: قد علمنا أنَّ ذلك علىٰ خلاف ما ذكر السّائل؛ لأسباب موجودة، وعلل معروفة...»[١١٣].

ويفترض الجاحظ اعتراضًا تارة أخرىٰ بـ(لعلَّ) ثم يجيب عليه، كقوله: «ولعلَّ قائلاً يقول: وأهل مدينة الرسول ﷺ وسكان حرمه ودار هجرته، أبصر بالحلال والحرام، والمسكر والخمر، وما أباح الرّسول وما حظره، وكيف لا يكون كذلك والدّين ومعالمه من عندهم خرج إلىٰ النّاس؛ والوحي عليهم نزل، والنبي ﷺ فيهم دفن. وهم المهاجرون السّابقون، والأنصار المؤثرون علىٰ أنفسهم. وكلّهم مجمع علىٰ تحريم الأنبذة المسكرة، وأنّها كالخمر... وإنّا نقول في ذلك: إنَّ عظم حقّ البلدة لا يحلّ شيئًا ولا يحرّمه، وإنّما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق، والسّنّة المجمع عليها، والعقول الصّحيحة، والمقاييس المصيبة. وبعد، فمن هذا المهاجريّ أو الأنصاريّ، الذي رووا عنه تحريم الأنبذة ثم لم يرووا عنه التحليل؟ بل لو أنصف القائل لعلم أنّ الذين من أهل المدينة حرّموا الأنبذة»[١١٤].

ولا أعلم لم ذكر بصيغة الجمع (لنا/ قلنا، علمنا)؟ هل دلالة علىٰ التفخيم، أو دلالة علىٰ كثرة من يرىٰ رأي الجاحظ في النبيذ أو الاثنين معًا؟!

يبيّن الجاحظ مسوغات ذكره لجميع الأشربة، يقول في ذلك: «والذي دعاني إلىٰ

وضع جميع هذه الأشربة والوقوف علىٰ أجناسها وبلدانها، مخافة أن يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف جميعها، ولم يسمع بذكرها، فيتوهّم أنّي في ذكر أجناسها المستشنعة وأنواعها المبتدعة، كالهاذي برقية العقرب، وإن كان قصدي لذكرها في صدر الكتاب لأقف علىٰ حلالها وحرامها، وكيف اختلفت الأمّة فيها، وما سبب اعتراض الشّكّ واستكمان الشّبهة؛ ولأن أحتجّ للمباح وأعطيه حقّه، وأكشف أيضًا عن المحظور فأقسم له قسطه، فأكون قد سلكت بالحرام سبيله، وبالحلال منهجه، اقتداء مني بقول الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (المائدة:٨٧)»[١١٥].

أما خاتمة رسالته (الشارب والمشروب)، فقد أفصح عن منهجه في الإجابة، قائلاً: «وقد كتبت لك - أكرمك الله - في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بسطت القول لوجدته متّسعًا، ولأتاك منه الدّهم. وربّما كان الإقلال في إيجاز أجدىٰ من إكثار يخاف عليه الملل. فخلطت لك جدًّا بهزل، وقرنت لك حجّة بملحة، لتخفّ مؤونة الكتاب علىٰ القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع، فجعلت الهزل بعد الجدّ جَمَامًا، والمُلحة بعد الحجّة مُستراحًا»[١١٦]، انماز الجاحظ في خاتمته الآنفة الذكر أنها الخاتمة «ذات الصبغة الحكمية التي يسعىٰ فيها إلىٰ إقناع قارئه بطريقته في الكتابة»[١١٧].

ب/ الاعتراض:

الجاحظ مولع بأسلوب الاعتراض لما يجد فيه من قدرة علىٰ إضافة المعاني الجديدة، فكأن الاعتراض عنده هو كلام آخر متعاضد مع الكلام الأصلي إغناء أو حصرًا، وهذا يدلّ علىٰ المنزع الحواري للجاحظ، يتجلّىٰ ذلك خاصة في رسالته (الأوطان والبلدان)؛ إذ قام الجواب علىٰ الاعتراض؛ فقد اعترض الجاحظ علىٰ

الرأي الذي ذيّل به السائل سؤاله، حينما قال: «سألت - أبقاك الله - أن أكتب لك كتابًا في تفاضل البلدان، وكيف قناعة النّفس بالأوطان»[١١٨]. فاعترض - بطريقة مخففة - عن وجهة نظر السائل القائلة بأنَّ من أسباب الفقر إطالة المقام في بلد واحد، ليدله علىٰ أنَّ الموضوع أوسع مما يتصوره، وفيه جوانب تمس الأجساد والقيم والعواطف، لا المكاسب وحدها. يقول: «ونسيت - أبقاك الله - عمل البلدان وتصرف الأزمان وأثرهما في الصور والأخلاق وفي الشمائل والآداب وفي اللغات والشهوات وفي الهمم والهيئات وفي المكاسب والصناعات علىٰ ما دبَّر الله تعالىٰ من ذلك بالحكمة اللطيفة والتدابير العجيبة. فسبحان من جعل بعض الاختلاف سببًا للائتلاف، وجعل الشكّ داعية إلىٰ اليقين وسبحان من عرفنا ما في الحيرة من الذلة وما في الشك من الوحشة وما في اليقين من العز وما في الإخلاص من الأنس»[١١٩].

وارتفعت درجة الاعتراض عند الجاحظ، أثناء تعقيبه علىٰ التوجيه المنهجي الذي ساقه السائل، الذي فهم منه أن ما ذكره من تقديم للشام ومصر لا يراعي ما أكدَّ عليه من ترتيب منهجي، يقول: «واعلم - أبقاك الله - أنا متىٰ قدمنا ذكر المؤخر وأخرنا ذكر المقدم فسد النظام وذهبت المراتب. ولست أرىٰ أن أقدم شيئًا من ذكر القرىٰ علىٰ ذكر أم جميع القرىٰ. وأولىٰ الأمور بنا ذكر خصال مكة ثم خصال المدينة. ولولا ما يجب من تقديم ما قدم الله وتأخير ما أخر لكان الغالب علىٰ النفوس ذكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان»[١٢٠].

وفي تصوري، أنَّ هذا الاعتراض الثاني من الجاحظ له خصوصية؛ فكأنه اعترض من خلال السائل عن كل من أشار إلىٰ أنَّ طريقة الجاحظ في التأليف موسوعية، ولا تعنىٰ بالبناء المنهجي، وهو ما نبّه عليه القدماء وبالغ فيه المحدثون، فأتىٰ رد

الجاحظ، مبينًا أنَّه علىٰ وعي تام بالمسألة المنهجية في الكتابة.

وهناك اعتراض ثالث، له طبيعة توضيحية، ويوضح فيه المقصود من كلام السائل؛ أي أنَّه لم يقصد تميّز قريش عن باقي البشر، بل عن باقي العرب، يقول مبينًا: «وأنا أعلم أنك لم ترد هذا، وإنما أردت الخصال التي بانت بها قريش من سائر العرب»[١٢١]، وهذا دليل علىٰ دراية الجاحظ بما وراء السؤال، وقصد السائل، وإنْ انحرف السؤال عن مجراه.

بينما في رسائله الثلاث أجاب الجاحظ عن الأسئلة التي أتت في صدر الرسالة دون اعتراض علىٰ أسئلة السائل أو أدنىٰ تغيير في الأسئلة.

❋ ثانيًا: الأساليب:

رصد بعض الدراسين أنَّ الجاحظ نقل من بلاغة الأسلوب إلىٰ بلاغة الحياة[١٢٢]؛ إذ انتقل إلىٰ بلاغة أرحب، وبالرغم من ذلك ظل وفيًّا للأسلوب، وبالأسلوب نعبر إلىٰ هذه الحياة، ومن الأساليب التي لها شيوع في رسائل الجاحظ:

أ/ أسلوب التفضيل:

يعرف اسم التفضيل بأنَّه «ما اشتقّ من فعل لموصوف بزيادة علىٰ غيره، وهو (أفعل)»[١٢٣]، بمعنىٰ أن المفضل والمفضل عليه «وإن اشتركا في المحمول الدلالي نوعا فإنهما اختلفا فيه كما»[١٢٤]، وقد أورد الجاحظ أسلوب التفضيل في رسائله، من ذلك رسالته الحاسد والمحسود، يقول: «أحسن ما تكون عنده حالاً أقل ما تكون مالاً، وأكثر ما تكون عيالاً، وأعظم ما تكون ضلالاً. وأفرح ما يكون بك أقرب ما تكون بالمصيبة عهداً، وأبعد ما تكون من الناس حمدًا. فإذا كان الأمر علىٰ هذا

فمجاورة الموتىٰ، ومخالطة الزمنىٰ، والاجتنان بالجدران، ومصر المصران، وأكل القردان، أهون من معاشرته، والاتصال بحبله»[١٢٥].

إنَّ الاتكاء علىٰ التفضيل يعزز من دلالات تهويل أمر الحاسد، والإقناع من الفرار منه كفرارك من داء لا بُرء منه، وقد تمكن الجاحظ من خلال توظيفه لأفعل التفضيل من إقناع السائل أن يبتعد عن الحاسد بقدر ما أوتي من قوة، وعبر سلسلة من الموازنات الضدية بين الحاسد والمحسود، فالعلاقة بينهما عكسية؛ إذ يرىٰ أنَّ أحسن حال محسوده في قلة ماله، وكثرة عياله، وعظمة ضلاله، ويكون أفرح إذ حال محسوده قريبًا من المصيبة، بعيدًا عن ثناء الناس عليه.

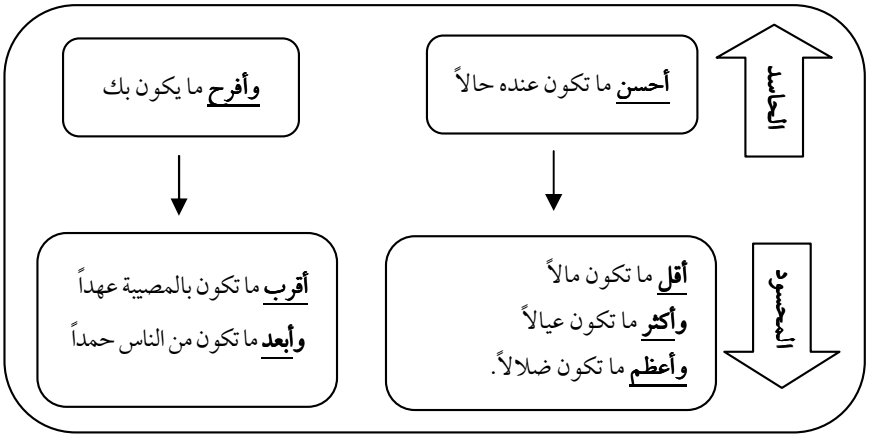

لقد جاء أفعل التفضيل مقرونًا بالسجع: (حالاً، مالاً، عيالاً)، و(عهدًا، حمدًا)، والطباق: (أقل، أكثر)، (أقرب، وأبعد)، وقوله أيضًا: «وربما كان الحسود للمصطنع إليه المعروف أكفر له وأشد احتقادًا، وأكثر تصغيرًا له من أعدائه»[١٢٦].

وفي رسالة فخر السودان علىٰ البيضان، أتىٰ (أفعل التفضيل) علىٰ لسان السودان، بيد أنها من اختيارات الجاحظ:

جاء الجواب مشحونًا بكتلة من أسلوب التفضيل (أفعل)، ولا غرو في ذلك؛ فهذا الأسلوب يتماهىٰ والافتخار الذي ينشده الجاحظ، وبفضل «تواتر صيغة التفضيل وقع استقصاء كل ما هو جميل في الإنسان، وله علاقة باللون الأسود وتقديمه بتدرج فني محكوم بثنائيّتين:

– العام والخاص: الإنسان، الشعر، الحدقتان، الكبد، القلب الشفتان.

– الخارج والداخل: (الإنسان، الشعر، الحدقتان، الشفتان)/ الكبد، القلب»[١٢٧].

وورد في رسالته الأوطان والبلدان، علىٰ لسان أهل الكوفة مزاعمهم في ذم البصرة عن طريق توظيف (أفعل) التفضيل: «زعم أهل الكوفة أنَّ البصرة أسرع

الأرض خرابًا، وأخبثها ترابًا، وأبعدها من السماء وأسرعها غرقًا»[١٢٨]، فانبرىٰ الجاحظ يرد تلك المزاعم بنفس أسلوب التفضيل (أفعل)، يقول: «وليس نهر من الأنهار التي تصب في دجلة إلا هو أعظم وأكبر وأعرض من موضع الجسر من نهر الكوفة...، فإما نهرهم فالنيل أكبر منه، وأكثر ماءً، وأدوم جرية...، وهم أشد بغضًا لأهل البصرة من أهل البصرة لهم»[١٢٩]، وأهل البصرة هم أحسن جوارًا وأقل بذخًا، وأقل فخرًا»[١٣٠]، وفي مدح البصرة يتجلىٰ من أفعل التفضيل أن الأعلم والأنطق لا يقدر علىٰ جمع منافعها، يقول: «ولو اجتهد أعلم الناس وأنطق الناس أن يجمع في كتاب واحد منافع هذه البطيحة، وهذه الأجمة، لما قدر عليها»[١٣١].

ويمدح طعام البصرة وأسعارهم متكئًا علىٰ أسلوب التفضيل، فيقول: «طعامهم أجود الطّعام، وسعرهم أرخص الأسعار، وتمرهم أكثر التُّمور، وريع دبسهم أكثر، وعلىٰ طول الزّمان أصبر»[١٣٢]، وذكر ما جاء علىٰ لسان بعض خطباء البصرة مادحًا البصرة بأسلوب التفضيل: «وقال بعض خطبائنا: نحن أكرم بلادًا، وأوسع سوادًا، وأكثر ساجًا وعاجًا وديباجًا، وأكثر خراجًا»[١٣٣].

إنَّ استخدام (أفعل التفضيل) سواء أكان من أسلوب الجاحظ نفسه، أو من اختياراته علىٰ لسان من يتحدث عنهم، وسواء غيَّر في عباراتهم أو لم يغيِّرها، تدلُّ علىٰ اختيار الجاحظ لأسلوب مشحون بدلالات التفخيم والترتيب السلمي، متخذًا منه رافدًا إضافيًّا من روافد تأكيد ما يرمي إليه، فالاتكاء علىٰ التفضيل «من أجل تفخيم النتائج وتقوية الحجج أولاً، وثانيا من أجل منح الأسلوب تواز صوتي»[١٣٤].

ب/ أساليب الطلب والدعاء:

تحبل الرسائل الجاحظية بنصائح وتوجيهات متعددة الصيغ، تارة بفعل الأمر:

(أقلل، حصن)، وتارة بأسلوب التحذير: (إياك والرغبة...)، وتارة بالنهي: (لا يغرنك...)، بهذه الأساليب الطلبية التي يرىٰ الجاحظ أنها كفيلة بتحصينه من حاسده، أرسل نصحًا وإرشادًا من خلالها.

إنَّ تعدد هذه الأساليب ليس بلاغة تنميقية يكسو بها الجاحظ نصه فحسب، وإنما ينشىء بوساطتها مدلولات أخرىٰ يكشف عنها السياق، حاملاً المتلقي علىٰ إنجاز الطلب.

تتضاعف الأوامر عندما يعضدها بالحجة، كما هو الحال في الأمثلة الموالية:

الطلب	الحجة
فأقلل ما استطعت من مخالطته	فإنه أعون الأشياء لك علىٰ مسالمته
وحصن سرك منه	تسلم من شره وعوائق ضره.
وإياك والرغبة في مشاورته، ولا يغرنك خدع ملقه، وبيان ذلقه	فإن ذلك من حبائل نفاقه.
فأدنين إليه من يهينك عنده، ويذمك بحضرته	فإنه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل.

يرىٰ المتأمل نزوع الجاحظ إلىٰ تأكيد رسالته باستعمال عدة قرائن، منها: الاستفهام، والمثل، والتأكيد، وكأنَّ الجاحظ أقرب إلىٰ إلزام المتلقي بتلك الأمور من النصح والإرشاد.

ومن الأساليب الطلبية الاستفهام؛ إذ يعرض في رسائله جملة من الاستفهامات التي تضيء الأبعاد التي يرمي إليه الجاحظ في جوابه، من ذلك سؤاله: «ألا تراهم قد اختاروا ما هو أقبح علىٰ ما هو أحسن من الأسماء والصّناعات، ومن المنازل

والدّيارات، من غير أن يكونوا خدعوا أو استكرهوا»[١٣٥]، وقوله: «ألا ترىٰ أنَّ الله لم يجعل إلف الوطن عليهم مفترضًا، وقيدًا مصمتًا، ولم يجعل كفاياتهم مقصورة عليهم، محتسبة لهم في أوطانهم؟ ألا تراه يقول: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ (المزمل: ٢٠) فقسَّم الحاجات فجعل أكثرها في البعد...»[١٣٦].

وسؤاله: «ألا ترىٰ أنّهم عند بنيان الكعبة قال رؤساؤهم: لا تخرجوا في نفقاتكم علىٰ هذا البيت إلّا من صدقات نسائكم، ومواريث آبائكم! أرادوا مالا لم يكسبوه ولا يشكّون أنه لم يدخله من الحرام شيء»[١٣٧].

اتكأ في إقناعه علىٰ أسئلة رؤيوية/ بصرية (ألا ترىٰ) ليبدد التعجب في السؤال الذي تصدر الرسالة، ويشي السؤال بالإقناع بالرؤية، وغير خافٍ لما لهذا الأسلوب من قوة إقناعية لا يمكن ردها أو حتىٰ الاعتراض عليها.

وفي رسالته (الحاسد والمحسود) يتساءل متعجبًا تارةً من الحاسد، يقول: «كيف يصبر من استكنّ الحسد في قلبه علىٰ أمانيه»[١٣٨]، وتارةً من المحسود، يقول: «كيف لا تقرُّ أعين المحسودين بعد يوسف وقد ملَّكه الله خزائن الأرض»[١٣٩].

ومن الأساليب غير الطلبية لديه الدعاء؛ إذ يسبغ الجاحظ علىٰ المرسل إليه جملة من الأدعية التي لا يتضح كُنهها إلا بعد قراءة تأملية، ولم ترصع الجمل الدعائية بها الصدور والمتون والخواتم علىٰ نسق واحد، إنما خضعت وفقًا لمقتضىٰ التخاطب، وتباينت لتباين مقاصد الرسائل وأغراضها[١٤٠].

أتت بعض الأدعية في تضاعيف رسالته (الحاسد والمحسود)، وبلغ مجموعها خمسة، مرة «أيَّدك الله»[١٤١]، ومرة «أبقاك الله»[١٤٢]، والدعاء بالرحمة مرتين بصيغة

الماضي: «رحمك الله»[١٤٣]، وواحدة بصيغة المضارع «يرحمك الله»[١٤٤]، وأتىٰ الدعاء في رسائله مرة للتخلص من معنىٰ إلىٰ آخر، وتارة للتنبيه، وللربط بين أجزاء الرسالة[١٤٥] والتلطف قبل الأوامر، فذلك أدعىٰ للقبول بفعل الأوامر، نحو قوله: «إذا أحسست - رحمك الله - من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت من مخالطته...، وحصن سرك منه تسلم من شره وعوائق ضره. وإياك والرغبة في مشاورته، ولا يغرنك خدع ملقه، وبيان ذلقه...»[١٤٦]، ولم يأت الدعاء جملة اعتراضية في تضاعيف الرسالة إلا في الفصل الأول ثلاث مرات[١٤٧]، وفي الفصل الثاني مرة واحدة[١٤٨].

إنَّ الدعاء في هذه الرسالة أشبه بمرتكزات انتقالية ومنبهات يتكئ عليها الجاحظ في الانتقال إلىٰ جواب آخر بدلاً من اللجوء إلىٰ إعادة السؤال الذي ورد في صدر الرسالة.

اصطفىٰ الجاحظ الدعاء للمرسل إليه في رسالته (مفاخر السودان) بقوله: «أعاذك الله من الغش»[١٤٩]، إنها جملة اعتراضية لا محلّ لها من الإعراب إلا أنَّ لها محلاً متمكنًا في المعنىٰ والنفس، جملة دعائية ممهدة لما يروم به وتخدم هدفه المنشود، ورغم أنها جملة إنشائية إلا أنها تضمر جملة خبرية، وهي: (إني لم أغشك)، دعاء يبعث للمرسل إليه بوعي المرسل بما يكتب، وتبعد عنه ما قد يجول في خاطر المرسل إليه من وسواس الشك والريب في المرسل، وتدعوه إلىٰ الطمأنينة، فتغدو هذه التعويذة فيئا إلىٰ ظلال الثقة بجواب المرسل، ومبعدًا عن المرسل نفسه صفة الغش وإن كان في الظاهر دعاء للمرسل إليه.

ثمة ملمح في رسالته (مفاخر السودان علىٰ البيضان) حيث خلت الرسالة في تضاعيفها من الدعاء عدا الدعاء الذي جاء في مطلعها.

أما في رسالته (الأوطان والبلدان) فقد أورد قوله: «ونسيت – أبقاك الله – عمل البلدان وتصرف الأزمان»[١٥٠]، وقوله: «ونحن ذاكرون – وبالله التوفيق – الخصال التي بانت بها بنو هاشم دون قريش»[١٥١].

علىٰ الرغم من اختلاف الدعاء في الرسائل صيغًا وضروبًا وعددًا، إلا أنه جاء متصلاً بضمير عائد علىٰ المخاطب (المرسل إليه) بوصفه مخاطبًا مقربًا إليه وإن لم يصرّح إليه، وقد حرص الجاحظ في رسائله علىٰ تصدير الرسائل بدعاء، وكأنه همزة وصل وحب قبل البدء تتوخىٰ القبول لدىٰ المرسل إليه، وتنشد الميل إلىٰ جواب المرسل.

ج/ أسلوب الشرط:

تنماز كثير من رسائل الجاحظ بشيوع أداة الشرط (إنْ)، و(إنْ) هي أم حروف الجزاء علىٰ رأي الخليل؛ لأنها لا تفارق المجازاة[١٥٢]، ولا تقع إلا «في المعاني المحتملة المشكوك في كونها»[١٥٣]، وكما ذكر الجرجاني أن «(إنْ) فيما يترجَّح بينَ أن يكون وأنْ لا يكون، وبـ (إذا) فيما عُلمَ أنه كائنٌ»[١٥٤]، وفي رسالته (الحاسد والمحسود) وردت في تسعة مواضع متتالية، يقول: «إنْ كان المحسود غنيًّا أن يوبخه علىٰ المال فيقول: جمعه حرامًا ومنعه أثامًا. وألَّب عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصماء، وأعانهم في الباطن وحمل المحسود علىٰ قطيعتهم في الظاهر وقال له: لقد كفروا معروفك، وأظهروا في الناس ذمك، فليس أمثالهم يوصلون، فإنهم لا يشكرون. وإنْ وجد له خصمًا أعانه عليه ظلمًا، وإنْ كان ممن يعاشره فاستشاره غشه، أو تفضل عليه بمعروف كفره، أو دعاه إلىٰ نصر خذله، وإنْ حضر مدحه ذمه وإنْ سئل عنه همزه، وإنْ كانت عنده شهادة كتمها، وإنْ كانت منه إليه زلة عظمها، وقال: إنه يحب أن يعاد

ولا يعود، ويرىٰ عليه العقود. وإنْ كان المحسود عالـمًا قال: مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل ومبتغي نيل، لا يدري ما حمل، قد ترك العمل، وأقبل علىٰ الحيل. قد أقبل بوجوه الناس إليه، وما أحمقهم إذ انثالوا عليه. فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته، وأقل رِعَته[١٥٥]، وأسوأ طعمته. وإنْ كان المحسود ذا دين قال: متصنع يغزو ليوصىٰ إليه، ويحج ليثنىٰ بشيء عليه، ويصوم لتقبل شهادته، ويظهر النسك ليودع المال بيته، ويقرأ في المسجد ليزوجه جاره ابنته، ويحضر الجنائز لتعرف شهرته»[١٥٦].

قد أغنىٰ الجاحظ حال الحاسد مع المحسود المتدثر بالغنىٰ، فيصبح حاسدًا وواشيًّا ومفسدًا أيما إفساد، فعندما أحاط الحاسد بما لدىٰ محسوده من خير ورزق طفق يؤلب عليه، وينسج له القصص والغصص، ويذمَّه ولا يعدم من لديه حسن ذامًّا. وذكر كيف يسلط الحاسد علىٰ محسوده أقاربه، وخصومه، بل هو نفسه حينما يستشيره أو يستنصره إلىٰ غير ذلك، والنصّ تنهمر منه عدة أسئلة: لم استخدم الجاحظ أسلوب الشرط في بيان شأن الحاسد في محسوده؟ ولم قسم المحسود إلىٰ ثلاثة أضرب: غني، وعالم، وذي دين، أليس هناك ثمة رابط بين ما جاء في مستهل كتابه من أسئلة التعجبية (العلماء، الأقرباء، الصالحين)؟ ولم افترض علىٰ لسان الحاسد أقوالاً، يقول: «إنْ كان المحسود غنيًّا...، فيقول:....، وإنْ كان المحسود عالـمًا قال:...، وإنْ كان المحسود ذا دين قال:...»[١٥٧]، ولِمَ أجرىٰ الجاحظ علىٰ لسان الحاسد في حال المحسود العالم -دعاء فحسب دون سواه؟ ونتذكر في السياق ذاته ما أطنب في رسالته: «كتاب: فصل ما بين العدواة والحسد»[١٥٨]؛ إذ ذكر عبدالسلام هارون (ت ١٤٠٨هـ) أنَّ هذه الرسالة يبدو أنها ألَّفها الجاحظ لأبي الحسن عبيد الله ابن يحيىٰ بن خاقان، وزير المتوكل ثم المعتمد[١٥٩].

فإذا رأىٰ أنَّ محسوده سعده طالع، وبريق أمواله لامع، وصيته ذائع، وحاله مورق فذاك يؤرقه فلا يهدأ له بالٌ حتىٰ يرىٰ أثر المحسود قد انمحىٰ واندثر، ولا يهنأ حتىٰ يكون المحسود قاعًا صفصفًا، وكأنّه الحزن الذي اعترىٰ المتنبي، ولسان حال المحسود: «فَلَيتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَها بِيدُ»[١٦٠]، فالحاسد يتجانف عن الحق؛ لذا فثمة نصائح قدمها الجاحظ؛ إذ يرىٰ أنها من مغبات النجاة؛ إذ يقول: «فإنْ أردت أن تعرف آية مصداقه فأدنين إليه من يهينك عنده، ويذمك بحضرته، فإنّه سيظهر من شأنه»[١٦١].

أجاب الجاحظ عن أسئلة السائل ثم حذَّره بأسلوب شرط من الجهل والاعوجاج والتبلد والضلال والنسيان: «إنْ كنت تجهل بعد ما أعلمناك، وتعوج بعد ما قومناك، وتبلد بعد ما ثقفناك، وتضل إذ هديناك، وتنسىٰ إذ ذكرناك، فأنت كمن أضله الله علىٰ علم فبطلت عنده المواعظ، وعمي عن المنافع، فختم علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة. فنعوذ بالله من الخذلان. إنه لا يأتيك ولكن يناديك ولا يحاكيك ولكن يوازيك. أحسن ما تكون عنده حالاً أقل ما تكون مالاً، وأكثر ما تكون عيالاً، وأعظم ما تكون ضلالاً. وأفرح ما يكون بك أقرب ما تكون بالمصيبة عهدًا، وأبعد ما تكون من الناس حمدًا. فإذا كان الأمر علىٰ هذا فمجاورة الموتىٰ، ومخالطة الزمنىٰ، والاجتنان بالجدران، ومصر المصران، وأكل القردان، أهون من معاشرته، والاتصال بحبله»[١٦٢].

إنَّ العدول في جواب الشرط عن الجملة الفعلية إلىٰ الجملة الاسمية في الشاهد السابق له وظائف حجاجية ثلاث علىٰ الأقل، كما قال د. عبد الله صولة:

١ - «حصول دلالة التضمن من الجملة الاسمية عوضًا عن الدلالة التصريحية التي يمكن أن يحصل عليها من الفعلية»[١٦٣].

فلو استخدمت الجملة الفعلية، وهي: (إن كنت تجهل بعد ما أعلمناك،... (فلا تجهل....)، دلّت علىٰ وجوب عدم الجهل فحسب، أما الدلالة الحاصلة من استخدام الجملة الاسمية في جواب الشرط «فأنت كمن أضله الله علىٰ علم فبطلت عنده المواعظ، وعمي عن المنافع، فختم علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة»[١٦٤]، فثمة دلالة تضمنية لدلالتها تضمنا علىٰ وجوب عدم الجهل، في المثال الأول، وعدم الاتصال بالحاسد في المثال الثاني، وهذا جزء من الدلالة العامة للجملة، وهي جمة، يجمع بينها أنها «فأنت كمن أضله الله علىٰ علم»[١٦٥].

٢- الجملة الاسمية في الجواب تقوم من الجملة الفعلية المحذوفة مقام العلة والسبب، والتعليل من شأنه أن يدفع بالمتلقي إلىٰ التسليم بالحكم[١٦٦]، ففي المثال الأول: «إن كنت تجهل بعد ما أعلمناك...، فأنت كمن أضله الله علىٰ علم»[١٦٧] إذن لا تجهل، وفي المثال الثاني: «فإذا كان الأمر علىٰ هذا فمجاورة الموتىٰ...، أهون من معاشرته...»[١٦٨]؛ إذن لا تعاشر الحاسد.

٣- إنَّ التعبير بالجملة الاسمية «محاولة لجعل ما نقوله يقع خارج دورة الزمان، فلا تلابسه ذاتية، ولا يداخله انحياز»[١٦٩]، فتصبح بمنزلة الحقائق والمسلمات، وتغدو ضربًا من التأكيد والمبالغة كما ذكر ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)[١٧٠].

قد أطنب الجاحظ في شأن الحاسد مع محسوده متكئًا علىٰ أداة الشرط (إن) حتَّىٰ ليخيَّل للمتلقي من خلال الشرط ودقَّة الرصد في جوابه أنَّ الجاحظ عالم من علماء النفس المستقصي الذي لايشق له غبار، بله هو عينه الحاسد الذي تنوع حالات محسوده، فرصد ردة فعله رصدًا لا يحيد عنه أيّ حاسد، وقد حول الجاحظ معنىٰ أداة الشرط (إن) من دلالة الشك والاحتمال إلىٰ دلالة الاستقصاء في الممكنات، ففتح

الشرط بـ (إن) على آفاق أرحب؛ مما يدلُّ على أنَّ الجاحظ يستثمر الأساليب ويطورها.

د/ أسلوب القصر:

عرَّف البلاغيون القصر بأنَّه «تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضًا: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه»[١٧١].

استثمر الجاحظ أسلوب القصر، ومال إلى طريق القصر بـ (ما) و(إلا)، ولا ريب في أنَّه لمس في القصر «بعدًا حجاجيًّا أعمق وأنجع في التوجيه نحو النتيجة الضمنية»[١٧٢]، وإذا كان النفي عادة ما «يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض»[١٧٣]، فإنَّ دعمه بالاستثناء يعدل تلك الوجهة ويسير بها لصالح النتيجة المرجوة. ويكون هذا أبلغ تعبيرًا وأجدى حجاجًا.

وقد تحدَّث عبد القاهر الجرجاني بإسهاب عميق عن التفاوت الدلالي والتداولي بين طرق القصر، نحو: (إن وإلا)، و(ما وإلا)، و(لا العاطفة)، و(إنما). ونبَّه على اشتراك الطريقين: (إن وإلا)، و(ما وإلا) في رفع الشك والإنكار عن المخاطب، يقول في ذلك: «أما الخبر بالنفي والإثبات، نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هذا إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإن قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ. قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت. وإذا رأيت شخصًا من بعيد وقلت: ما هو إلا زيد، لم قلته إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجدّ في الإنكار أن يكون زيدا، وإذا كان الأمر ظاهرًا كالذي مضى، لم تقله كذلك، فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحاب: ما هو إلا أخوك»[١٧٤].

وقد أكثر الجاحظ من أسلوب القصر في رسالته (الحاسد والمحسود)، يقول: «ما خالط الحسد قلبًا إلا لم يمكنه ضبطه»[١٧٥]، ويقول: «وما أحب أن تكون عن حاسدك غبيًّا، وعن وهمك بما في ضميره نسِيًّا، إلا أن تكون للذلِّ محتملاً، وعلىٰ الدناءة مشتملاً، ولأخلاق الكرام مجانبًا، وعن محمود شيمهم ذاهبًا»[١٧٦].

جاء القصر في المثالين ليرفع كل وهم محتمل من المخاطَب كأن يقلل من خطورة الحسد وألا يضعه في موضع الحذر الشديد، حتىٰ لا يكترث به، فيقع فيما لا تحمد عقباه بعد ذلك. فالقصر الموظف من الجاحظ هو قصر يفيد الحرص البالغ.

والملاحظ أنَّ الجاحظ نوَّع طريقة عرض القصر إلىٰ نوعين، وهما الغالبان علىٰ كل ما جاء به من قصر في رسائله:

- النوع الأول: هو قصر مفرد علىٰ مفرد: مخالطة الحسد للقلب- عدم الضبط.

- النوع الثاني: هو قصر مركب علىٰ مركب: لا تكن عن الحاسد غبيا + ولا عنه نسيا - ستكون للذل محتملاً + وللدناءة مشتملاً + ولأخلاق الكرام مشتملاً + وعن محمود شمائلهم ذاهبًا.

ويتضح مما سبق أنَّ القصر المركب أقوىٰ في جعل المخاطَب يعدل عن تقصيره في التعامل مع الحاسد؛ لأنه ينفي عنه صفات مكارم الأخلاق التي يتصف بها الكرام.

ويمضي الجاحظ في استعمال أسلوب القصر، من ذلك قوله: «وما أتي المحسود من حاسده إلا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه»[١٧٧]، وقوله: «وما لقيت حاسدًا قطُّ إلا تبيَّن لك مكنونه بتغيُّر لونه وتخوُّص عينه وإخفاء سلامه، والإقبال علىٰ غيرك والإعراض عنك، والاستثقال لحديثك، والخلاف لرأيك»[١٧٨]، وقوله: «وما استوجب

ذلك إلا بعدما استجمع له لُبُّه، وتبين لهم عقله، وافتقدوا منه جهله...»[١٧٩]، وقوله: «ولولا أنَّ المحسود بنصر الله إيَّاه مستور، وهو بصنعه محجوب لم يأت عليه يوم إلاَّ كان مقهورًا، ولم تأت ليلة إلا وكان عن منافعه مقصورًا. ولم يُمَسِ إلاَّ وماله مسلوب، ودمُه مسفوك، وعرضه بالضَّرب منهوك»[١٨٠]، وقوله: «لا يحب من الناس إلا من يبغضك، ولا يبغض إلا من يحبك»[١٨١]، وقوله: «فما أنزلهم دار كرامته إلا بعد ما نزع الغلَّ والحسد من قلوبهم»[١٨٢]، وقوله: «وما أرىٰ السلامة إلا في قطع الحاسد، ولا السرور إلا في افتقاد وجهه، ولا الراحة إلا في صرم مداراته، ولا الربح إلا في ترك مصافاته»[١٨٣].

بنىٰ الجاحظ أسلوب القصر غالبًا علىٰ طريق (ما وإلا) التي يظهر فيها التناوب بين النفي والإثبات، ولا ريب في أنَّ «تداخل النفي والإثبات في القصر يجعله مركزًا مخطومًا، ذا إشعاع وظلال، وقوة حسم»[١٨٤]؛ لأنَّه «تأكيد فوق تأكيد»[١٨٥]، وأتساءل لِمَ كل هذا الإقناع والتوكيد لمجانبة الحاسد؟ أضاق بحاسديه ذرعًا، خاصة أنَّ رسالته الشهيرة (التربيع والتدوير) أكبر دليل علىٰ ضجره وضيقه منهم؟

والملاحظ أنَّ هذا البناء اللغوي القصري كفيل بتحقيق ما ينشده الجاحظ من نقد عنيف لسيكلوجيا الحسد؛ إذ يروىٰ عن الجاحظ «أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم، فينسبه إلىٰ نفسه فلا يرىٰ الأسماع تصغي إليه ولا الإرادات تيمم نحوه، ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبد الله ابن المقفع أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين، ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين فيقبلون علىٰ كتبهم، ويسارعون إلىٰ نسخها لا لشيء إلا لنسبتها إلىٰ المتقدمين، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ومنافسته علىٰ المناقب التي

يخص بها»[١٨٦]، إنَّ هذا النص يبدد العلة من إكثار الجاحظ من أسلوب القصر في معرض حديثه عن الحسد والحساد، فقد ذاق منهم الويلات، وتجرّع النكبات؛ إلىٰ حد بلغ به إبعاد اسمه في المؤلفات التي ألَّفها من تلافيف فكره وعصارة روحه كما جاء في رسالته (العدواة والحسد)[١٨٧]؟!

هـ/ الإطناب والإيجاز:

لم يكن الجاحظ غير واعٍ بإجابته، أو يستطرد بالخروج عن صلب السؤال الذي هو بصدد الإجابة عنه، يقول: «ولم يكن قصدنا في أول هذا الكتاب إلىٰ ذكر هاشم، وقد كان قصدنا الإخبار عن مكة بما قد كتبناه في صدر هذا الكتاب، ولكن ذكر خصال مكة جر ذكر خصال قريش، وذكر خصال قريش جرَّ ذكر خصال بني هاشم»[١٨٨]. ثم يعود ليذكر القارئ «فإن أحببت أن تعرف جملة القول في خصال بني هاشم فانظر في كتابي هذا الذي فرقت فيه بين خصال بني عبد مناف وبين بني مخزوم، وفرقت ما بين عبد شمس؛ فإنه هناك أوفر وأجمع، إن شاء الله تعالىٰ»[١٨٩]، وكأنَّ «الجاحظ باستمرار خطاب من داخل خطاب»[١٩٠]، وهذا الخطاب لا ينبتّ عن الخطاب الآخر، إنما يدور في فلكه، ويحوم في حماه، متصلاً لا منفصلاً عن خطابه الرئيس.

إنَّ الجاحظ كان واعيًّا وحريصًا في آن ألا يخرج عما هو بصدد الحديث عنه، من ذلك عندما تحدّث عن المقصود من لفظة (الأرض) الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ (يوسف:٨٠)»[١٩١]، وأردف قائلاً: «والأرض هاهنا مصر. وفي هذا الموضع كلام حسن. ولكنّا ندعه مخافة أن نخرج إلىٰ غير الباب الذي ألّفنا له هذا الكتاب»[١٩٢]، في الموطنين يتجلّىٰ نكوص الجاحظ علىٰ عقبيه مغبة الإطالة والإطناب.

وفي رسالته (الشارب والمشروب)، عندما أورد في تحليل النبيذ عن الخمر ذكر أنَّ «هذا باب يطول شرحه إنْ استقصيت جميع ما فيه من المسألة والجواب»[١٩٣]، وقبيل أن يختم رسالته قال: «وقد أحببت - أيّدك الله - التّوثّق من إصغاء فهمك، وسؤت ظنّا بالتغرير فقدّمت لك من التّوطئة ما يسهّل لك سبيل المعرفة...، ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص عليّ البرهان في إظهاره، واحتجت في الإبانة عنه إلىٰ ذكر ضدّه، ونظيره وشكله، لم أحتشم من الاستعانة بكلّ ذلك. فكيف والقدرة - بحمد الله - وافرة، والحجّة واضحة»[١٩٤]، اعتراف صريح من الجاحظ بحسن الإصغاء وقدرته الكلامية.

وفي ختام رسالته أفصح عن منهجه في الإجابة، يقول: «وقد كتبت لك - أكرمك الله - في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بسطت القول لوجدته متَّسعًا، ولأتاك منه الدّهم. وربّما [كان] الإقلال في إيجاز أجدىٰ من إكثار يخاف عليه الملل. فخلطت لك جدًّا بهزل، وقرنت لك حجّة بملحة، لتخفّ مؤونة الكتاب علىٰ القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع، فجعلت الهزل بعد الجدّ جمامًا، والملحة بعد الحجّة مستراحًا»[١٩٥]، لقد كان الجاحظ مستدركًا بالإجابة، قادرًا علىٰ المضي في البسط، بيد أنَّه وضع نصب عينيه الإيجاز والحجة والملحة، فهو يدور في محور الإجابة ولا يبعد عن فلكها وحدودها، ولا يفتأ الجاحظ مذكّرًا المتلقي أنَّ إجابته جاءت أمشاجًا من الجد والهزل.

إنَّ ما وُصف به أسلوب الجاحظ من استطراد، عدّه د. عباس أرحيلة «منهجًا في التأليف؛ جاء نتيجة تنوّع معارفه، وسعة ثقافته، ونتيجة ما يجده من لذة في تنويع المادة واستقصاء جوانبها والبحث عن غرائبها ودقائقها. فهو يبدو في بعض الأحيان كأنما يعبث

بكل تخطيط وتنظيم وتسلسل في الأفكار، وتراه يتحرك بين الأفكار بكل حرية ووعي وتحدٍّ، وغايته أن يلم بالموضوع من جميع أطرافه، ويرده إلىٰ مختلف عناصره»[١٩٦].

❋ ثالثًا: الشواهد والحجج:

لم يكن للجاحظ منهجٌ قارٌّ في إيراد الشواهد والحجج، إلا أنها كانت تتفق في المنثور والمنظوم فيما سيقت إليه من غرض، ولا ريب في أنَّ الشواهد «تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها»[١٩٧].

إنَّ السؤال في صدر رسائل الجاحظ أشبه ما يكون اختباريا من أن يكون معرفيًّا، إنَّ الجاحظ يعي ما وراء السؤال؛ فيظهر قدرته علىٰ الجواب من خلال البحر الذي ينهل منه؛ إذ تتشعب الأودية التي يمتح منها الجاحظ شواهده، ويستقي منها حججه، وقد عزّز الجاحظ جوابه في رسائله عن أسئلة السائل بكثير من الحجج النقلية والعقلية، وهي:

أ/ الحجج النقلية:

تنوعت الحجج النقلية في رسائل الجاحظ، حيث اعتمد علىٰ القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ والأدب.

١ - الحجج القرآنية:

اختار الجاحظ من الكتاب العزيز، بوصفه حجة الحجج؛ إذ يورد النص القرآني بنصِّه، أو يورد فحوىٰ القصة ليتناسب وسياق الرسالة، فقد أورد في رسالته (الحاسد والمحسود) قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، دون ذكر الآية، إنما صاغ فحوىٰ القصة، وقد أشار مبالغة إلىٰ أنَّه شقيقهم، حيث يقول: «وهو شقيقهم وبضعة منهم»[١٩٨]، وتدلُّ

القصة كما وردت في القرآن أنهم أبناء علات، آية ذلك، قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ ﴾ (يوسف:٥٩).

وفي رسالته عن (الأوطان والبلدان) فقد احتج بآيات تتحدث عن الأماكن، وشرح مدلولها في السياق الذي هو بصدده، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾ (النساء:٦٦)، وقوله: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ ﴾ (البقرة:٢٤٦).

وفي رسالته (فخر السودان علىٰ البيضان) أورد في جوابه ما يتمتع به اللون الأسود من جمال مؤيدا قوله بشاهد من القرآن الكريم؛ إذ يقول علىٰ لسان السودان: «قالوا: وأحسن الخضرة ما ضارع السّواد. قال الله ﷻ: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٦٢)، ثم قال لـمّا وصفهما وشوّق إليهما: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٦٤)، قال ابن عباس: خضراوان من الرّيّ سوداوان»[١٩٩].

إنَّ هذا «الشاهد القرآني يخدم المفاخرة من جوانب متعددة، فهو يخرج المعنىٰ المدحي في أبلغ الصور وأكملها، ويقنع السامع أو القارئ بفضل هذا اللون علىٰ سائر الألوان، ويعطي السواد أبعادًا جمالية تتجاوز الجمال الدنيوي المحسوس إلىٰ مراتب الجمال الخالد أي: جمال الجنة»[٢٠٠].

٢- الحجج الحديثية:

يورد تلك الشواهد لتعزيز المعنىٰ الذي رام إليه وقصده، وتعضيده، من ذلك استقدم قول الرسول ﷺ بوصفه ثاني حجة بعد الكتاب العزيز، مثل قوله عن المدينة المنورة: «إنها طيبة تنفي خبثها وتنصع طيبها»[٢٠١]، والحديث في صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا المَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طِيبُهَا)[٢٠٢].

٣- الحجج التاريخية:

استجلب الجاحظ أقوال العارفين، ولوعيه بقيمة الحجج النقلية، ابتدأ بها قبل الإجابة لتكون بمثابة ثريا تضيء إجاباته. يقول: «وقد قال الأول: (عمر الله البلدان بحب الأوطان)، وقال ابن الزبير: (ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم)...، ومثل ما قيل عن مصر: وقال عبد الله بن عمرو: (البركة عشر بركات: تسع بمصر والواحدة في جميع الأرض)»[٢٠٣].

يتَّضح من خلال بعض الرسائل أنَّ الجاحظ لم يكتفِ بالشواهد علىٰ النقل فحسب، وإنما علىٰ السماع أيضًا، وينصُّ علىٰ ذلك، منه قوله في رسالته (الأوطان والبلدان) عند حديثه عن ميزات بني هاشم: «وهذا شيء سمعته من أبي عبيدة، ومنه استمليت هذا المعنىٰ»[٢٠٤]، وقوله في حديثه عن الكوفة: «وخبّرني من بات أنّه لم ير كواكبها زاهرة قطّ، وأنّه لم يرها إلّا ودونها هبوة»[٢٠٥]، وفي حديثه عن (منف)، وهو موضع منزل فرعون، يقول: «وأخبرني شيخ من آل أبي طالب من ولد عليّ»[٢٠٦].

٤- الحجج الأدبية:

تنوَّعت الشواهد الأدبية ما بين أمثال وشواهد شعرية، أمَّا الأمثال ففي ضربها «من تقرير المقصود ما لا يخفىٰ...، وفيه أيضًا تبكيت الخصم»[٢٠٧]، ويكتسي استدعاء الأمثال العربية حجة تقود المتلقي إلىٰ الإقناع؛ إذ «يكون المثل المضروب مجربًا مسلمًا عند السامع»[٢٠٨]، والمثل «جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلىٰ كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلىٰ أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها»[٢٠٩]، وكأنَّ المثل صوت ينبعث من

الماضي المضيء، ممارسًا حضوره؛ ليفسح مجال التأثير والإقناع[٢١٠].

نهل الجاحظ من الأمثال، وهذا من شأنه تأكيد المعنىٰ الذي يرمي إليه الجاحظ، وكأنه يعرّض بالمتلقي، مؤثرًا فيه أيما تأثير؟ «أتطلب ويحك أثرًا بعد عين، أو عطرًا بعد عروس، أو تريد أن تجتني عنبًا من شوك، أو تلتمس حلب لبن من حائل. إنك إذن أعيا من باقل، وأحمق من الضبع، وأغفل من هرم»[٢١١].

فالسؤال لم لجأ الجاحظ إلىٰ تلك الأمثال؟ ولِمَ لَمْ يكتف بمثل واحد فحسب، ولم ازدانت الأمثال بالسؤال؟ وهل حذف النفي من بعض تلك الأمثال ضرب من ضروب إقرار السائل ومشاركته؛ إذ الأمثال كما جاءت عند العرب: «لا تطلب أثر بعد عين، لا مخبأ لعطر بعد عروس،...»[٢١٢]؟ ولم لجأ إلىٰ إجابة افتراضية من السائل؟ ولم أردف تلك الإجابة بأمثال أيضًا؟

أتت أمثال الجاحظ مصدرة باستفهام وأربعة أمثال معطوفة بـ(أو) التي تفيد التخيير، وإن كان اتحاد في مجرىٰ نهر الأمثال، فالنفي مصير تلك الأمثال، فلا يطلب الأثر بعد المعاينة، ولا العطر بعد عروس، ولا من الشوك العنب ولا يلتمس الحلب من حائل، بعد ذلك أتىٰ الجواب، وإن لم يجب السائل؛ إذ افترض الجاحظ أن تكون الإجابة بنعم، حينئذ ينهال عليه بثلاثة أمثلة معطوفة بـ(الواو)، متصدرة بمؤكد بـ(إنك)، وكأنَّ الجاحظ خاض غمار الحاسدين وخبر غبارهم.

أثرًا بعد عين	**حاسة البصر**
أو عطراً بعد عروس	**حاسة الشم**
أو تريد أن تجتني عنبًا من شوك.	**حاسة اللمس**
أو تلتمس حلب لبن من حائل.	**اللمس والبصر**

فيسبغ الجاحظ عليه صفة العي والحمق والغفلة بصيغة التفضيل (أفعل): (أعيا..، أحمق، أغفل...).

إنَّ استخدام الجاحظ للأمثال ليشير إلىٰ أنَّ عدم اقتناع المتلقي سيؤول مصيره إلىٰ مصير من أصيب بالعي والحمق والغفلة بل أشد، مسلمًا بوجوب الابتعاد عن الحاسد، إنَّ الأمثال بمنزلة جسور يعبر بها إلىٰ ذهن المتلقي لإقناعه.

أما بشأن الشواهد الشعرية فهي «تعلو الكلام العادي درجة؛ مما يجعلها في السلم الحجاجي إلىٰ ما هو أرفع»[٢١٣]، وبالتتبع الدقيق للشواهد الشعرية في (مفاخر السودان) يجد القارئ أنَّ الجاحظ لم يتغاض عن نسبة الشواهد إلىٰ قائليها إلا لمامًا، جاء ذلك في خمسة مواضع فتارة ينسبه إلىٰ أعرابي فقط، إذ يقول: «وقال أعرابيّ وقد أصابته براغيث عند امرأة كان نزل بها...»[٢١٤]، وتارة ينسبه إلىٰ آخر: «وقال الآخر...»[٢١٥]، وتارة ينسبه إلىٰ فئة، يقول: «وقد قال شاعركم...»[٢١٦]، وتارة ينسبه إلىٰ الراجز، وجاء ذلك في موضعين: «قال الراجز: سود غرابيب...»[٢١٧]، و«قال الراجز:...»[٢١٨]، وقد انصرف الجاحظ في جل رسالته (مفاخر السودان) إلىٰ «إنشاء نص أدبي حول كلمة أسود، عماده في ذلك الشاهد الأدبي»[٢١٩]، ولا ريب في أنَّ تنوّع تلك الشواهد ووفرتها «عمل يكسب الخطاب حجية عالية، ويضمن لبانيه ما عقد العزم عليه، وتحصيل ما وجه النوايا إليه، وهو ما قضىٰ بذلك، وحتمه»[٢٢٠].

ب/ الحجج المنطقية:

لم يفت الجاحظ، وهو الخبير بأمور الجدل والإقناع، أن يدعم رسائله بالحجج العقلية، ومن أقواها في الرسالة القياس؛ فقد استند الجاحظ علىٰ القياس في بداية جوابه؛ ليكون كلامه مقنعًا متماسكًا لا يرد، من ذلك قوله: «واعلم - أبقاك الله - أنَّا

متىٰ قدَّمنا ذكر المؤخر وأخرنا ذكر المقدم فسد النظام وذهبت المراتب. ولست أرىٰ أن أقدِّم شيئًا من ذكر القرىٰ علىٰ ذكر أم جميع القرىٰ. وأولىٰ الأمور بنا ذكر خصال مكة ثم خصال المدينة. ولولا ما يجب من تقديم ما قدَّم الله وتأخير ما أخر لكان الغالب علىٰ النفوس ذكر الأوطان وموقعها من قلب الإنسان»[٢٢١].

ففي هذا النص قياس، يمكن بناؤه علىٰ النحو الآتي:

- مقدمة كبرىٰ: كل كلام مرتّب من المقدَّم فالمؤخَّر يدل علىٰ نظام.
- مقدمة صغرىٰ: أنا أقدّم أم القرىٰ علىٰ كل القرىٰ.
- نتيجة: رسالتي منظمة.

وهذا قياس مضمر؛ لأنَّ الجاحظ لم يذكر النتيجة صراحة، ولكنها فهمت من ثنايا المقدمتين. ومعلوم أنَّ الغالب علىٰ الكلام والكتابة هو هذا النوع من الأقيسة التي تتواءم مع انسيابية الكلام وسلاسته، كما أنها تفتح أمام المخاطَب مجالاً لملء شواغر الكلام، فتكون ذات طبيعة حوارية تبادلية.

ومنه أيضًا، ما جاء به في الاحتجاج لإلف الأوطان مهما كانت تبدو عن غير الساكنين بها غير جديرة بذلك، قوله: «ولولا ما منَّ الله به علىٰ كلِّ جيل منهم من الترغيب في كل ما تحت أيديهم وتزيين كل ما اشتملت عليه قدرتهم وكان ذلك مفوَّضًا إلىٰ العقول وإلىٰ اختيارات النفوس - ما سكن أهل الغياض والأدغال في الغمق واللثق ولما سكنوا مع البعوض والهمج»[٢٢٢].

وأصوغ هذا القياس علىٰ الشكل الآتي:

- مقدمة كبرىٰ: كل ما تحت الناس زينه الله لهؤلاء الناس.
- مقدمة صغرىٰ: الأوطان المذمومة تحت الناس.

- نتيجة: الأوطان المليئة بالبعوض والهمج لها ألفة في عيون القاطنين فيها.

ومن ذلك أيضًا قوله: «فأمّا بحرنا هذا فقد طمّ علىٰ كلّ بحر وأوفىٰ عليه، لأنّ كلّ بحر في الأرض لم يجعل الله فيه من الخيرات شيئًا إلّا بحرنا هذا. الموصول ببحر الهند إلىٰ ما لا تذكر. وأنت تسمع بملوحة ماء البحر، وتستسقطه وتزري عليه. والبحر هو الذي يخلق الله تعالىٰ منه الدّرّ الذي بيعت الواحدة منه بخمسين ألف دينار، ويخلق في جوفه العنبر، وقد تعرفون قدر العنبر. فشيء يولّد هذين الجوهرين كيف يحقّر؟»[٢٢٣]، ففي العبارة السابقة حجتان متعاضدان، الحجة الأولىٰ:

- مقدمة كبرىٰ: كل بحر فيه خيرات كثيرة (الدر والعنبر).
- مقدمة صغرىٰ: البحر خير من غيره.
- نتيجة: البحر لا يحتقر.

أما الحجة الثانية:

- مقدمة كبرىٰ: بحرنا فيه خيرات وثروات.
- مقدمة صغرىٰ: بحرنا موصول ببحر الهند العجيب.
- نتيجة: بحرنا أحسن بحور الدنيا.

*** رابعًا: الصور البلاغية:**

لم تظفر رسائل الجاحظ بالتشبيهات والاستعارات الكثيرة، فالمعاني لديه «تؤدىٰ في دقة، تفسر الوقائع، والأحداث تفسيرًا لا تستره أسجاف الاستعارات والأخيلة، وليس معنىٰ ذلك أن الجاحظ لم يكن دقيق التصوير، فإنه إنما عزف عن الأخيلة؛ لما تضع أمام القارئ من مبالغات، أما بعد ذلك، فإنه كان مصورًا عظيمًا، إذ

كان يعرف كيف ينقل المشاهد بجميع تفاصيلها، ودقائقها تسعفه في ذلك قدرة غريبة علىٰ الملاحظة، وهي قدرة جعلته يحسن التصوير من جهة كما يحسن القصص من جهة أخرىٰ»[٢٢٤]. وهذا لا يعني خلوُّ الرسائل من هذه الصور جملة، بل إنها تخلو من التشبيهات والاستعارات الشعرية البعيدة، أما ما كان ذا طبيعة خطابية تداولية بيانية فهو موظف عند الجاحظ.

استثمر الجاحظ التشبيه بوصفه «استقراء بلاغيا، وهو حجة تقوم علىٰ المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية أحدهما بالنظر إلىٰ نهاية مماثلتها»[٢٢٥]، ومن التشبيهات الواردة في رسائله قوله في رسالته الحاسد والمحسود، وقد أسبغ علىٰ الحاسد عدة تشبيهات مصوّرًا خبايا نفسه: «فهو الكَلْب الكَلِب، والنَّمر النَّمر والسُّمُّ القشب، والفحل القطم، والسيل العرم»[٢٢٦]، فقد كشف الجاحظ هنا عن النوازع النفسية للحاسد، وأورد الجاحظ التشبيه في معرض الذم. وشبه الحسد بداء عسر علاجه، يقول: «والحسد - أبقاك الله - داء ينهك الجسد، ويفسد الود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر. وهو باب غامض»[٢٢٧]. كما وظَّف التمثيل، وأدرجه في موطن الذم؛ ليكون «مسّه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحدّ»[٢٢٨]، ويبلغ الحاسد غاية الذم عندما شبهه بالذباب وبالسيل المنحدر، يقول: «وهو ألح في حسده لك من الذباب، وأسرع في تهريقك من السيل إلىٰ الحدور»[٢٢٩]، شبَّه إلحاح الحاسد في الحسد علىٰ محسوده بإلحاح الذباب، الذي كلّ ما ذبَّ آب، بل أكثر منه، فهو يألف القذارة - كرم الله القارئ - إذ يطرد ويؤوب مرة أخرىٰ، وكما هو معلوم أنَّ السيل إلىٰ الموضع المنحدر قوي وفتاك وسريع، فالحاسد أسرع منه في تمزيق المحسود.

واتخذه في موطن الوعظ والإقناع قال الجاحظ في نصيحة وعظية للمحسود: «إنْ

كنت تجهل بعد ما أعلمناك، وتعوج بعد ما قومناك...، فأنت كمن أضله الله علىٰ علم فبطلت عنده المواعظ، وعمي عن المنافع، فختم علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة»[٢٣٠]، والتمثيل في موطن الوعظ يكون «أشفىٰ للصدر وأدعىٰ للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر»[٢٣١].

ولجأ الجاحظ إلىٰ التمثيل لرسم صورة ذهنية عن الحسد، مستمدًّا مادته من القرآن الكريم، من ذلك قوله: «فأنت كمن أضله الله علىٰ علم فبطلت عنده المواعظ، وعمي عن المنافع، فختم علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة»[٢٣٢].

أما الاستعارات الشعرية البعيدة فلم يوظفها الجاحظ في رسالته، إلا ما جاءت عفو الخاطر ذات غاية تواصلية، ومنسجمة مع الطبيعة النصية لرسالة تنحو إلىٰ الإعلام والإخبار والإجابة. فمن استعاراته السلسة قوله: «ونسيت - أبقاك الله - عمل البلدان وتصرف الأزمان وآثارهما في الصور والأخلاق وفي الشمائل والآداب...»[٢٣٣]، فقد جعل البلدان والأزمان كإنسان يعمل ويتصرف وله أثر في الأشياء المادية والمعنوية، وقوله: «وأكثر ذلك ما كان مع طول الاغتراب والبعد، والعقل المولود متناهي الحدود وعقل التجارب لا يوقف منه علىٰ حد»[٢٣٤]، فقد جعل العقل مولودًا، كما جعل للتجارب عقلاً جريا علىٰ عادة الجاحظ في أنسنة الأشياء والأفكار، وقوله: «وليس في الأرض بلدة أرفق بأهلها من بلدة لا يعز بها النقد وكل مبيع بها يمكن»[٢٣٥]، فجعل البلدة مثل إنسان رفق بأهله.

ومن استعاراته أيضًا عن الحسد: «والحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق، وحرب البيان»[٢٣٦]، وقوله: «ولو لم يدخل علىٰ الحاسد بعد تراكم الغموم علىٰ قلبه»[٢٣٧].

ويحرص الجاحظ على استثمار الصور البلاغية ذات الطبيعة التداولية؛ لتوجيه القراء والتأثير فيهم، فالصورة عنده بناء من ذاتين: المتكلم والقارئ؛ «لأنَّ الصورة كلام نصفه، وهو المصرّح به من صنع النص أو المتكلم، ونصفه هو الضمني من صنع المتلقي، وهذا الوضع يكفل للصورة قدرتها الحجاجية»[٢٣٨].

*** خامسًا: المحسنات البديعية:**

لم يكن الجاحظ شديد الولع بالبديع إلا ما جاء عفو الخاطر، ولا غرو في ذلك؛ إذ «العارفين بجواهر الكلام لا يعرِّجون على هذا الفنّ إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحَّته، وإلا حيثُ يأمَنون جنايةً منه عليه، وانتقاصًا له وتعويقًا دونه»[٢٣٩]، آية ذلك «خُطَب الجاحظ في أوائل كتبه، هذا - والخُطبُ من شأنها أن يُعْتَمَد فيها الأوزانُ والأسجاعُ، فإنها تُرْوَى وتُتناقل تَنَاقُلَ الأشعار، ومحلُّها محلُّ النسيب والتشبيب من الشعر»[٢٤٠]؛ لذا فـ «الاحتفالُ في الصنعة، والدَّلالةُ على مقدار شَوْطِ القَرِيحَة، والإخبارُ عن فَضْل القوة، والاقتدار على التفنُّن في الصنع»[٢٤١]، وكأنه مطلب فيها، وعلى الرغم من ذلك فلم يهرع إليه الجاحظ إلا إذا اقتضاه المعنى؛ لأنه يرى أنَّ «التوفيق بين المعاني أحقُّ، والموازنة فيها أحسنَ، ورأى العناية بها حتى تكونَ إخوةً من أبٍ وأمٍّ؛ ويذَرَها على ذلك تَتَّفقُ بالوداد، على حسب اتّفاقها بالميلاد، أَوْلى من أن يَدَعها، لنُصْرَة السجع وطلب الوزن، أولادَ عِلَّة، عسى أن لا يوجد بينها وفاق إلا في الظواهر»[٢٤٢].

ومن المحسنات البديعية لديه السجع والجناس، من ذلك قوله: «وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه، فعصى ربّه وأثكل أباه. وبالحسد طوّعت له

نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. لقد حمله الحسد علىٰ غاية القسوة، وبلغ به أقصىٰ حدود العقوق، فأنساه من رحمه جميع الحقوق، إذ ألقىٰ الحجر عليه شادخًا، وأصبح عليه نادمًا صارخًا»[٢٤٣]، فالسجع والجناس في (أخاه/ أباه)، (العقوق/ الحقوق)، (شادخًا/ صارخًا)، أحدث تجاوبًا صوتيًّا بين أواخر الجمل.

وقوله علىٰ لسان حاسد العالم: «وإن كان المحسود عالـمًا قال: مبتدع، ولرأيه متبع، حاطب ليل ومبتغي نيل، لا يدري ما حمل، قد ترك العمل، وأقبل علىٰ الحيل. قد أقبل بوجوه الناس إليه، وما أحمقهم إذ انثالوا عليه»[٢٤٤].

إنَّ تلك المحسنات لم تثقل كاهل رسالته، فهي جمل متواطئة لتتناغم والمعنىٰ المنشود، فقد زيَّن الجاحظ بهذا الحلي عروسه تزيينًا طفيفًا لطيفًا، فلم ينل تلك العروس من ذلك مكروه في نفسها، فالمعنىٰ هو الذي ساق نحوه[٢٤٥].

كما برع الجاحظ في استعمال الطباق استعمالاً حجاجيا تفاضليا مفارقًا، نحو قوله: «لم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولم كثر في الأقرباء وقل في البعداء؟ وكيف دبَّ في الصالحين أكثر منه في الفاسقين؟»[٢٤٦]. فالطباق يزري بالعلماء والأقرباء والصالحين في هذا الموطن.

***

الخاتمة

بعد تطواف في فكر الجاحظ من خلال رسائله، والتنقيب في (أسئلته) و(أجوبته) تبينت عدة نتائج، أهمها:

– تحكمت ثنائية السؤال والجواب في رسائل الجاحظ؛ مما منح الرسائل طابعًا حواريًّا جداليًّا. ولعلَّ يمكن تعميم مفاده أنَّ هذه الثنائية هي مداخل إلىٰ فهم فكر الجاحظ. ذلك البلاغي والناقد الإشكالي.

– الرسالة موطن الجاحظ الذي يرتاح فيه، ويستجيب للتصريح بأفكاره ورؤاه. إنَّه المجال الذي يبرهن فيه للثقافة العربية في مختلف عصورها علىٰ ريادة فكره الحر، وثقافته الموسوعية التي تتشابك فيها الثقافات العربية وغير العربية.

– رصدت الدراسة أنَّ السؤال جاء متنوعًا في الرسائل الأربع فتارة سؤال مباشر، وتارة غير مباشر، وتارة جمع بين المباشر وغير المباشر، أما السؤال غير المباشر فقد ورد في صيغة فعل أمر.

– تأطّر السؤال المباشر بأسماء الاستفهام فحسب، وخلا من الحروف. ولا غرو في ذلك؛ إذ طبيعة الرسالة تفرض ذلك، وليس الاقتصار علىٰ الإجابة بـ(نعم) أو (لا)، وفسح له المجال رحبًا للتعبير عن أفكاره وثقافته. ليس الجاحظ من أولئك الذين يقفون عند حدود (نعم) أو (لا)، وإنما هو يناقش الآراء ويقارع الرؤىٰ، ويتعمق في الكيفيات.

– ظلَّ السائل غائبًا في رسائل الجاحظ، وهذا يدفع إلىٰ تأويلات متباينة: فهل المقصود أنَّ السؤال هو الأهم أو أنَّ السائل لا يرغب في تبيان هويته أو أنَّ الأمر يتعلق

باستراتيجية يقوم بها الجاحظ لإدهاشنا بموسوعيته...؟

– أكدت الدراسة أنَّ المرسل حاذق في الدعاء للمرسل إليه؛ إذ جاءت في الدعاء إشارات إلىٰ ما يرمي إليه.

– اتسم الجواب في رسائل الجاحظ بثراء الأمثال العربية؛ مما أكسبها قوة حجاجية وإقناعية.

– هيمن أسلوب القصر بأداة الاستثناء المنفية علىٰ الجواب خاصة في رسالته (الحاسد والمحسود).

– شيوع أداة الشرط خاصة في رسالتيه (الحاسد والمحسود) و(الأوطان والبلدان).

– أكدت الدراسة أنَّ الحجج النقلية والعقلية التي لجأ إليها الجاحظ قبل أن تكون شاهدة علىٰ صحة جوابه، هي شاهدة أولاً علىٰ براعته، وتمكنه، وسعة ثقافته، وغزارة علمه، فقد غزت الحجج الدينية والتاريخية والشعرية خاصة في جواب رسالته مفاخر السودان؛ إذ أتىٰ بالشاهد تلو الشاهد؛ ليقف شاهدًا علىٰ صحة جوابه، ولئلا يظن أنَّ مفاخرهم برق خلب، فمنهم الشاعر والفقيه والشجاع المهاب الذي لا يغلب.

– لم يكن الجاحظ مستطردًا في جوابه، خارجًا عن متطلبات السؤال المطروح، إنما كان التوسع في الجواب هو الأثير لديه، فجاءت الأجوبة بإطناب بلا ملل منه ولا كلل.

– لم يقتصر الجواب في رسالته (مفاخر السودان) علىٰ مفاخر الإنسان الأسود؛ إنما ينأىٰ عنه قليلاً؛ إذ أتىٰ بمفاخر الأسود في شتَّىٰ ضروبه من (جبل، نبات، حيوان،

جماد) الجامع بينهما اللون الأسود، إنَّ الجواب يتماهىٰ مع السؤال المطلق الفضفاض غير المباشر الذي سأله السائل، ويمكن عدّ الرسالة احتفاء بمطلق السواد.

- انكب الجاحظ في رسالته (الحاسد والمحسود) علىٰ تصوير دقيق للحسد وشعور الحاسد وموقفه من المحسود.

- تشي رسالته (الحاسد والمحسود) ببعض الإسقاطات النفسية التي مرَّ بها الجاحظ مع معاصريه، وإن كانت الرسالة إجابة عن سؤال سائل.

***

الهوامش والتعليقات

(١) الأرماث: «جمع رَمَث، بفتح الميم: خشب يضم خشب يُضمُّ بعضه إلىٰ بعضٍ، ويُشدُّ، ثمَّ يُرْكب في البحر»، لسان العرب، (٥/ ٣٠٩).

(٢) ذكر الزركلي في ترجمة الجاحظ أنَّ سبب وفاته مجلدات من الكتب وقعت عليه فقتلته، ينظر: الأعلام، الزركلي، (٥/ ٧٤).

(٣) مقالات العلامة الدكتور/ محمود محمد الطناحي: صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، (١/ ٢٦١).

(٤) جاء في معجم البلدان أن الجاحظ كتب إلىٰ أحمد بن أبي دواد:

كلهم فاضل عليّ بمال * ولساني يزينه التحبير

فإذا ضمّنا الحديث وبيت * وكأني علىٰ الجميع أمير

معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، الحموي (ت ٦٢٦هـ)، (٥/ ٢١٠٤).

(٥) السابق، (٥/ ٢١٠٥).

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩/ ٤١٣).

(٧) جاء في المقامة الجاحظية: «إنَّ الجَاحِظَ في أَحَدِ شِقَّيِ البَلاَغَةِ يَقْطِفُ، وفِي الآخَرِ يقَفُ»، مقامات بديع الزمان الهمذاني، (٨٢).

(٨) مقامات بديع الزمان الهمذاني، (٨٢).

(٩) ذكر الحموي في ترجمته: «كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة»، خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، (١/ ٢١٩).

(١٠) معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، (٥/ ٢١١٤).

(١١) ينظر: خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، (١٨-١٩)، والرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، (٢٩٤-٣٠٧).

(١٢) ينظر: الرسائل الأدبية، ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، (٤٨٥).

(١٣) رسائل الجاحظ، (١/ ٨٩، ٢٣٢، ٢٨٣)، (٢/ ٥)، (٣/ ٥٤، ١١٣، ١٦٣)، (٤/ ٨٣، ١٩١).

(١٤) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، (ت ٨٣٧هـ)، (١/ ٢١٩)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال – بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.

(١٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، د. أحمد مطلوب، (٥٠٢).

(١٦) الكتاب، سيبويه، (١/ ٩٩)، سيبويه (ت ١٨٠هـ).

(١٧) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ت ٣٩٥هـ)، (٤٨).

(١٨) ينظر: أسلوبية السؤال، (٤٨- ٥٢).

(١٩) السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، (١٠).

(٢٠) الحيوان، (٤/ ٧٤).

(٢١) جماليات السؤال والجواب، عز الدين إسماعيل، (١٤-١٥).

(٢٢) جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبيرت ياوس، (١٣٤).

(٢٣) ميتولوجيا الواقع، عبد السلام بنعبد العالي، (٩٢)، ولمزيد من التفصيل، ينظر: أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، (٩).

(٢٤) اختلف في نسبة البيت، ونسب إلىٰ الأبيوردي، في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٢٥) محاورات مع النثر العربي، د. مصطفىٰ ناصف، (٩٨).

(٢٦) قال فيها: «قد قرأت كتابك ومدحتك أخلاق الكتّاب وأفعالهم، ووصّفك فضائلهم وأيّامهم، وفهمته....». رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٢/ ١٨٧).

(٢٧) جاء فيها «عصمنا الله وإيّاك من الشّبهة، وأعاذنا وإيّاك من زيغ الهوىٰ، ومضلّات المنىٰ، ووهب لنا ولك تأديبا مؤدّيا إلىٰ الزّيادة في إحسانه، وتوفيقا موجبا لرحمته ورضوانه. وقد كان كتابك يا ابن أخي – وفّقك الله – ورد عليّ، تصف فيه فضيلة الظّهور وصفا يدلّ علىٰ

شغفك بها...». رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٦٩).

(٢٨) جاء في صدرها: «قد قرأت كتابك وفهمته، وتتبعت كل ما فيه واستقصيته، فوجدت الذي ترجع إليه بعد التطويل، وتقف عنده بعد التحصيل، قد سلف القول منا في عيبه، وشاع الخبر عنا في ذمه، وفي النصب لأهله، والمباينة لأصحابه...». رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ٦٩).

(٢٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ٢٢٧).

(٣٠) قال فيها: «أما بعد فإن جماعات أهل الحكمة قالوا: واجب علىٰ كل حكيم أن يحسن الارتياد لموضع البغية، وأن يتبين أسباب الأمور، ويمهد لعواقبها. فإنما حمدت العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور، واستشفاقهم بعقولهم ما تجيء به العواقب....، وإني قد عرفتك -أكرمك الله - في أيام الحداثة، وحيث سلطان الهوىٰ المخلط للأعراض أغلب علىٰ نظرائك...». رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ٤١).

(٣١) قَالَ الْأسود بن يعفر: «لعمرك مَا أَدْرِي وَإِن كنت داريـًا...»، وقال عمر بن أبي ربيعَة: «لعمرك مَا أَدْرِي وَإِن كنت داريـًا...». خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، (١١/ ١٢٢).

(٣٢) لن تتكلم لغتي، عبد الفتاح كيليطو، (٣٨).

(٣٣) أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، (١١).

(٣٤) البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، محمد علي القارصي، (٣٩٩).

(٣٥) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٣).

(٣٦) السابق، (٣/ ٢٢).

(٣٧) نفسه، (٣/ ٧).

(٣٨) دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسىٰ، (٢١٧).

(٣٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٣).

(٤٠) السابق، (١/ ٣٣٦).

(٤١) نفسه، (٣/ ٣).

(٤٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، (٢١٤).

(٤٣) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، (٢/ ١٥٨).

(٤٤) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٣).

(٤٥) السابق، (٣/ ٣).

(٤٦) نفسه، (١/ ١٧٧).

(٤٧) مقالات العلامة الدكتور/ محمود محمد الطناحي، (٢/ ٥٢٦).

(٤٨) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، د. أمجد الطرابلسي، (١/ ١٢٠).

(٤٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٠٩، ١١٠، ١١٤).

(٥٠) السابق، (٤/ ١٠٩).

(٥١) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(٥٢) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(٥٣) نفسه، (٤/ ١١٤).

(٥٤) نفسه، (٤/ ١١٠).

(٥٥) مقالات العلامة الدكتور/ محمود محمد الطناحي، (١/ ٢٦٠).

(٥٦) يلقب بالجاحظ، وأيضًا بالحدقي: استأذن الجاحظ والسكاك علىٰ رئيس، فقال الخادم: «الجاحد والشكاك بالباب، فقال: هما من أسماء الزنادقة، فقال له الجاحظ: قل الحدقي، فولىٰ وهو يقول: الحلقي، فقال: ويحك! ارجع إلىٰ الجاحد». ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري، (٢/ ٤٨٠).

(٥٧) مقدمة البخلاء، الجاحظ، (٨).

(٥٨) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، (١١١).

(٥٩) ينظر: السابق، (١١١).

(٦٠) ورد في سير الأعلام أنه «قال فِي مَرَضِهِ لِلطَّبِيْبِ: اصْطَلَحَتِ الأَضْدَادُ عَلَىٰ جَسَدِي، إِنْ أَكَلْتُ بَارِداً، أُخِذَ بِرِجْلِي، وَإِنْ أَكَلْتُ حَارّاً، أُخِذَ بِرَأْسِي». سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩/ ٤١٣).

(٦١) تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، (٢٨٠).

(٦٢) السابق، (٢٨٢).

(٦٣) محاورات مع النثر العربي، د. مصطفىٰ ناصف، (٣٦).

(٦٤) محاورات مع النثر العربي، د. مصطفىٰ ناصف، (٧٩).

(٦٥) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ٢٦١).

(٦٦) السابق، (٤/ ٢٦٢-٢٦٥).

(٦٧) نفسه، (٤/ ٢٦٣).

(٦٨) شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك، ابن عقيل، (١/ ١٠٦).

(٦٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ٢٦١).

(٧٠) السابق، (٤/ ٢٦١).

(٧١) تاريخ الأدب العربي: الأعصر العباسية الأدب المحدث: إلىٰ أواخر القرن الرابع الهجري ١٣٢-٣٩٩هـ، عمر فروخ، (٣٠٧).

(٧٢) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، (٥٦٢).

(٧٣) الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، (١٥٥).

(٧٤) أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، (١١).

(٧٥) السابق، (١٢).

(٧٦) التكوثر: تدلّ علىٰ التفرّع والبناء، استقيت كلمة (تكوثر) من كتاب طه عبد الرحمن، ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، (٢١-٣٠).

(٧٧) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٣).

(٧٨) السابق، (٣/ ٢٢، ٢٣).

(٧٩) نفسه، (٣/ ٢٣).

(٨٠) نفسه، (١/ ١٧٧).

(٨١) نفسه، (١/ ١٧٧).

(٨٢) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، د. محمد مشبال، (٢٤٧).

(٨٣) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ١٧٧).

(٨٤) فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية – تداولية، باشا العيادي، (٢١١).

(٨٥) السابق، (٢١١).

(٨٦) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ١٧٩، ١٨٠).

(٨٧) نفسه، (١/ ١٩٣).

(٨٨) نفسه، (١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٨٩) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، د. محمد مشبال، (٢٦٢).

(٩٠) السخرية في أدب الجاحظ، د. علي البوجديدي، (٣٠٢).

(٩١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ٢٢٥).

(٩٢) السابق، (١/ ٢٢٦).

(٩٣) نفسه، (٤/ ١١٠).

(٩٤) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١١٣).

(٩٥) السابق، (٤/ ١١٤).

(٩٦) ينظر: نفسه، (٤/ ١١٤ – ١٤٧).

(٩٧) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(٩٨) نفسه، (٤/ ١٤٦).

(٩٩) نفسه، (٤/ ١٤٧).

(١٠٠) نفسه، (٤/ ١٤٦).

(١٠١) نفسه، (٤/ ١٤٦).

(١٠٢) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٢/ ٣٨٥).

(١٠٣) السابق، (٤/ ١٠٩).

(١٠٤) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(١٠٥) نفسه، (٤/ ١١٠).

(١٠٦) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(١٠٧) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(١٠٨) لسان العرب، (١٥/ ٤٥٤).

(١٠٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٠٩، ١١٠).

(١١٠) ينظر: رسائل الجاحظ، (٤/ ١١٥، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٦).

(١١١) وردت في رسائله، رسائل الجاحظ، (٤/ ١٢٤).

(١١٢) السابق، (٤/ ١٤٧).

(١١٣) نفسه، (٤/ ٢٧٤).

(١١٤) نفسه، (٤/ ٢٧٦).

(١١٥) نفسه، (٤/ ٢٨٠).

(١١٦) نفسه، (٤/ ٢٨٠، ٢٨١).

(١١٧) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، (٣٢٢).

(١١٨) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٠٩).

(١١٩) السابق، (٤/ ١٠٩).

(١٢٠) نفسه، (٤/ ١١٠).

(١٢١) نفسه، (٤/ ١١٤).

(١٢٢) هذا ما رآه شوقي ضيف على حد تعبير د. محمد مشبال، ينظر: البلاغة والسرد: جدل

التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د. محمد مشبال، (١٦١)، والفن ومذاهبه في النثر العربي، (١٦١).

(١٢٣) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب، (٤٢).

(١٢٤) الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية: مقاربة نحوية عرفانية، (١٦٥).

(١٢٥) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٢٠، ٢١).

(١٢٦) السابق، (٣/ ١٧).

(١٢٧) فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية – تداولية، باشا العيادي، (٢١٣).

(١٢٨) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٣٩).

(١٢٩) السابق، (٤/ ١٤١، ١٤٢).

(١٣٠) نفسه، (٤/ ١٤٣).

(١٣١) نفسه، (٤/ ١٤٦).

(١٣٢) نفسه، (٤/ ١٤٥).

(١٣٣) نفسه، (٤/ ١٤٧).

(١٣٤) البلاغة والخطاب الديني: مناظرة الباجي أنموذجًا، الإمام العزوزي، ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني، (٢٥٨).

(١٣٥) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١١١).

(١٣٦) السابق، (٤/ ١١٢، ١١٣).

(١٣٧) نفسه، (٤/ ١١٦).

(١٣٨) نفسه، (٣/ ١٥).

(١٣٩) نفسه، (٣/ ١٥).

(١٤٠) ينظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، (٥٤٠-٥٤١).

(١٤١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٣).

(١٤٢) السابق، (٣/ ٣).

(١٤٣) نفسه، (٣/ ٦، ١٦).

(١٤٤) نفسه، (٣/ ١١).

(١٤٥) ينظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، (٥٣٩).

(١٤٦) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٦).

(١٤٧) السابق، (٣/ ٣، ٦).

(١٤٨) نفسه، (٣/ ١١).

(١٤٩) نفسه، (١/ ١٧٨).

(١٥٠) نفسه، (٤/ ١٠٩).

(١٥١) نفسه، (٤/ ١٢١).

(١٥٢) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، (١/ ٢٤٠).

(١٥٣) السابق، (٥/ ١١٣).

(١٥٤) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (٨٢).

(١٥٥) الرعة: الورع والكف عن السوء والقبيح.

(١٥٦) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٧، ٨).

(١٥٧) السابق، (٣/ ٧، ٨).

(١٥٨) ينظر: السابق، (١/ ٣٣٧- ٣٧٣).

(١٥٩) نفسه، (١/ ٣٣٦).

(١٦٠) ديوان المتنبي، (١٣٥).

(١٦١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٦).

(١٦٢) نفسه، (٣/ ٢٠، ٢١).

(١٦٣) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٤٣٧).

(١٦٤) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٢٠).

(١٦٥) السابق، (٣/ ٢٠).

(١٦٦) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٤٣٨).

(١٦٧) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٢٠).

(١٦٨) السابق، (٣/ ٢١).

(١٦٩) هذا القول قول برليمان وتيتيكاه نقلاً من الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٤٤٠).

(١٧٠) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، (٢/ ٥١)، والحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٤٣٤- ٤٤٢).

(١٧١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، السيوطي، (١/ ١٣٦).

(١٧٢) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، (١/ ١٣٤)، ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة)، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي.

(١٧٣) شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلىٰ اليوم، (٣٨١).

(١٧٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، (٣٣٢).

(١٧٥) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٢).

(١٧٦) السابق، (٣/ ١٧).

(١٧٧) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٤).

(١٧٨) السابق، (٣/ ٨).

(١٧٩) نفسه، (٣/ ٩).

(١٨٠) نفسه، (٣/ ١١).

(١٨١) نفسه، (٣/ ١٨).

(١٨٢) نفسه، (٣/ ٢٢).

(١٨٣) نفسه، (٣/ ٢٢، ٢٣).

(١٨٤) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، د. صبَّاح عبيد دراز، (٢٣)، وينظر: حاشية عبد الحكيم، (٣٣٤).

(١٨٥) السابق، (٩).

(١٨٦) التنبيه والإشراف، المسعودي، (١/ ٦٦)، وينظر: رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ٣٥١).

(١٨٧) ينظر: رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ٣٥١).

(١٨٨) السابق، (٤/ ١٢٥).

(١٨٩) نفسه، (٤/ ١٢٥).

(١٩٠) محاورات مع النثر العربي، د. مصطفىٰ ناصف، (٩٨).

(١٩١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٣٢).

(١٩٢) السابق، (٤/ ١٣٢).

(١٩٣) نفسه، (٤/ ٢٧٥).

(١٩٤) نفسه، (٤/ ٢٧٤).

(١٩٥) نفسه، (٤/ ٢٨٠، ٢٨١).

(١٩٦) الكتاب وصناعة التأليف عند الجاحظ، عباس أرحيلة، (١٣٦).

(١٩٧) في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: الخطابة في القرن الأول نموذجًا، د. محمد العمري، (٩٠).

(١٩٨) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٥).

(١٩٩) السابق، (١/ ٢٠٤).

(٢٠٠) الجاحظ والأشكال التعبيرية في رسائل الجاحظ الأدبية، (١٤).

(٢٠١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١٢٩).

(٢٠٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، (٣/ ٢٢).

(٢٠٣) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١١٠، ١٣٤).

(٢٠٤) السابق، (٤/ ١٢٢).

(٢٠٥) نفسه، (٤/ ١٤٣).

(٢٠٦) نفسه، (٤/ ١٣٢).

(٢٠٧) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (١/ ٤٨٨).

(٢٠٨) السابق، (١/ ٤٨٨).

(٢٠٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، (١/ ٣٧٥).

(٢١٠) ينظر: شعرية النص النثري: مقاربة تحليلية لمقامات الحريري، محمد عبد الجليل أبلاغ، (٧٣).

(٢١١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٩، ٢٠).

(٢١٢) الأمثال، ابن سلاّم (ت ٢٢٤هـ)، (١٢٦، ٢٤٨، ٢٦٤، ٣٠٣، ٣٦٨).

(٢١٣) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، (٢/ ٣٢٩).

(٢١٤) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (١/ ١٨٦).

(٢١٥) السابق، (١/ ١٨٩).

(٢١٦) نفسه، (١/ ١٩٤).

(٢١٧) نفسه، (١/ ٢٠٥).

(٢١٨) نفسه، (١/ ٢٠٨).

(٢١٩) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، (٤٣٦).

(٢٢٠) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: بحث في الأشكال والاستراتيجيات، د. علي الشبعان، (٣١٢).

(٢٢١) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٤/ ١١٠).

(٢٢٢) السابق، (٤/ ١١٠).

(٢٢٣) نفسه، (٤/ ١٤٦).

(٢٢٤) الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف، (١٦٤).

(٢٢٥) في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: الخطابة في القرن الأول نموذجًا، د. محمد العمري، (٨٢).

(٢٢٦) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٨).

(٢٢٧) السابق، (٣/ ٣، ٤).

(٢٢٨) أسرار البلاغة، الجرجاني، (١١٥).

(٢٢٩) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ١٦).

(٢٣٠) السابق، (٣/ ٢٠).

(٢٣١) أسرار البلاغة، الجرجاني، (١١٦).

(٢٣٢) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٢٠).

(٢٣٣) السابق، (٤/ ١٠٩).

(٢٣٤) نفسه، (٤/ ١١٢).

(٢٣٥) نفسه، (٤/ ١٤٤).

(٢٣٦) نفسه، (٣/ ٤).

(٢٣٧) نفسه، (٣/ ٥).

(٢٣٨) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، (٥٦٢، ٥٦٣).

(٢٣٩) أسرار البلاغة، الجرجاني، (٩).

(٢٤٠) السابق، (٩، ١٠).

(٢٤١) السابق، (١٠).

(٢٤٢) أسرار البلاغة، الجرجاني، (١٠).

(٢٤٣) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٦، ٧).

(٢٤٤) السابق، (٣/ ٨).

(٢٤٥) يقول الجرجاني بشأن ذلك: «وربَّمَا طَمَسَ بكثرة ما يتكلَّفه علىٰ المعنىٰ وأفسده، كمن ثقَّل العروسَ بأصناف الحَلْي حتىٰ ينالها من ذلك مكرُوهٌ في نفسها...، وعلىٰ الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولاً، ولا سَجَعًا حَسَنًا، حتىٰ يكون المعنىٰ هو الذي طلبه واستدعاه وسَاق نحوَه، وحتىٰ تَجِده لا تبتغي به بدَلاً، ولا تجِد عنه حِوَلاً». أسرار البلاغة، الجرجاني، (١١).

(٢٤٦) رسائل الجاحظ، الجاحظ، (٣/ ٣).

***

قائمة المصادر والمراجع

(١) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، د. صبَّاح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمَّان، ط٢، ٢٠١٥م.

(٣) أسرار البلاغة، الجرجاني، قرأه وعلق عليه: أبو فهر/ محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط١، ١٤١٢هـ.

(٤) أسلوبية السؤال، عيد بلبع، رؤية في التنظير البلاغي، ط١، دار الوفاء، ١٩٩٩م.

(٥) الاسم والاسمية والأسماء في اللغة العربية: مقاربة نحوية عرفانية، توفيق قريرة، قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١١م.

(٦) أسئلة الكتابة، موريس بلانشو، ترجمة: نعيمة بنعبد العالي، وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م.

(٧) الأعلام، الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٨) الأمثال، ابن سلاّم (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٩) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلىٰ اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، منوبة، ط١، ١٩٩٨م.

(١٠) البخلاء، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

(١١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

(١٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(١٣) بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(١٤) البلاغة والسرد: جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د. محمد مشبال، منشورات كلية الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ٢٠١٠م.

(١٥) تاريخ الأدب العربي: الأعصر العباسية الأدب المحدث إلىٰ آخر القرن الرابع الهجري ١٣٢-٣٩٩هـ، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

(١٦) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ.

(١٧) تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

(١٨) التنبيه والإشراف، المسعودي، المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ت.

(١٩) الجاحظ والأشكال التعبيرية في رسائل الجاحظ الأدبية، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات،ع ٢٩، ١٩٨٨م.

(٢٠) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢١) جماليات السؤال والجواب، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢٢) جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانس روبيرت ياوس، تقديم وترجمة: د. رشيد بنحدو، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

(٢٣) حاشية عبد الحكيم، د. صباح عبيد دراز، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢٤) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٢٥) الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، مجموعة من المؤلفين، تحرير وإشراف/ د. حافظ إسماعيلي علوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

(٢٦) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: بحث في الأشكال والاستراتيجيات، د. علي الشبعان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

(٢٧) الحيوان، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢٨) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.

(٢٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣٠) خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٥م.

(٣١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٣٢) دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة، مصر، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٣٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، قرأه مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ

(٣٤) ديوان شيخ شعراء العربية المتنبي، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، د. سعيد جودة السحار، وعبد العزيز جودة، ود. عبد العزيز شرف، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت.

(٣٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري (ت ٥٨٣هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣٦) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، دار الفاربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

(٣٧) رسائل الجاحظ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ.

(٣٨) السخرية في أدب الجاحظ، د. علي البوجديدي، تقديم: د. محمد مشبال، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٨م.

(٣٩) السؤال البلاغي: الإنشاء والتأويل، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠٠٧م.

(٤٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤١) شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك، ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ط٢٠، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٤٢) شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

(٤٣) شعرية النص النثري: مقاربة تحليلية لمقامات الحريري، محمد عبد الجليل أبلاغ، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢م.

(٤٤) فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية - تداولية، باشا العيادي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

(٤٥) الفن ومذاهبه في النثر العربي، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت١٤٢٦هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط١٣، د.ت.

(٤٦) في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: الخطابة في القرن الأول نموذجًا، د. محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.

(٤٧) الكافية في علم النحو، ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور/ صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠ م.

(٤٨) الكتاب وصناعة التأليف عند الجاحظ، عباس أرحيلة، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، الإصدار (٧٠)، أكتوبر، ٢٠١٣م، ذو القعدة ١٤٣١هـ.

(٤٩) الكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٥٠) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، اعتنىٰ بالتصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ.

(٥١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

(٥٢) لن تتكلم لغتي، عبد الفتاح كيليطو، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

(٥٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٥٤) محاورات مع النثر العربي، د. مصطفىٰ ناصف، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (٢١٨)، فبراير، ١٩٩٧م.

(٥٥) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٥٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٥٧) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب، الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٥٨) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، ط١، ١٤١٢هـ.

(٥٩) معجم المصطلحات البلاغية وتطوُّرها عربي- عربي، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٦٠) مقالات العلامة الدكتور/ محمود محمد الطناحي: صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٦١) مقامات بديع الزمان الهمذاني، الهمذاني (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.

(٦٢) ميتولوجيا الواقع، عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.

(٦٣) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، د. أمجد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية، ط٢، ١٣٧٦هـ.

❊ ❊ ❊

القسم الإنجليزي

A contrastive study of theme types and patterns in medical research article abstracts written in English by native and Saudi scholars

Dr. Hesham Suleiman Alyousef*, & Mrs. Maryam Hamad Alsharif**

* *Associate Professor, Department of English Language & Literature, Faculty of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.*
hesham@ksu.edu.sa

** *Applied Linguistics Lecturer & Academic Researcher, English Language Department, Jubail University College, Jubail Industrial City, Saudi Arabia.*
mariam-alshreef@hotmail.com

A contrastive study of theme types and patterns in medical research article abstracts written in English by native and Saudi scholars

Dr. Hesham Suleiman Alyousef, & Mrs. Maryam Hamad Alsharif

(Received 22/02/2020; accepted 15/03/2020)

Abstract: Abstracts of research articles are dense in nature and require authors to pack information in a concise cohesive paragraph. One principle of cohesion is employing various theme types and thematic progression patterns. The study conducted qualitative contrastive analyses of these aspects in medical research article (RA) abstracts written in English by native and Saudi scholars. The findings revealed the predominance of constant and linear thematic progression patterns. Whereas the two patterns are almost equally used in the native scholars' data, the constant pattern prevailed in the non-native scholars' data. Non-native authors tended to simplify complex subject matter by using shorter clauses to exert less effort in processing them. They also relied on cohesive ties to achieve cohesion rather than using various thematic progression patterns. Due to the factual nature of the medical abstracts, unmarked topical and textual themes were the most used instead of interpersonal themes. Multiple themes were minimally employed due to the generic features of abstracts. The study findings may have implications for novice RA scholars of medicine, English for specific purpose instructors, and researchers interested in both second language acquisition and cross-cultural variations. Future studies could investigate themes in medical RA abstracts written in other languages.

Keywords: thematic progression, theme types, research article abstract, textual cohesion, systemic functional linguistics (SFL).

❊ ❊ ❊

دراسة مقارنة لأنواع المبتدأ والتسلسل الموضوعي في المستخلصات الإنجليزية العلمية الطبية والتي كتبها باحثون ناطقين باللغة الإنجليزية وباحثين سعوديين

د. هشام سليمان اليوسف، و أ. مريم حمد الشريف

(قدم للنشر في 28/ 06/ 1441هـ؛ وقبل للنشر في 20/ 07/ 1441هـ)

المستخلص: تعتبر المستخلصات العلمية مركزة في طبيعتها ويحتاج المؤلف إلىٰ إيجاز المعلومات في كل قطعة بطريقة مختصرة ومتماسكة. ويعتبر تنوع استخدام أنواع المبتدأ وأنماط التسلسل الموضوعي أحد الأساسيات التي تساعد علىٰ الترابط النصي. وهدفت الدراسة إلىٰ تحليل نوعي مقارن لهذه الجوانب في المستخلصات الطبية العلمية والتي كتبها باحثون ناطقين باللغة الإنجليزية وباحثون سعوديين. وأظهرت النتائج كثرة استخدام النمط الموضوعي المتكرر والتسلسلي. بينما استخدم الباحثون الناطقين باللغة الإنجليزية النمطين الآنف ذكرهم بصورة متساوية، استخدم الباحثون السعوديين النمط المتكرر أكثر من النوع الآخر، حيث كانت نصوصهم مبسطة لاستخدامهم لعبارات قصيرة من أجل بذل مجهود أقل في فهمها. واعتمد الباحثون السعوديين علىٰ أدوات الربط لجعل النص متماسكاً عوضاً عن استخدام أنماط التسلسل الموضوعي المتنوعة. ونظرًا لتركيز المستخلصات الطبية علىٰ حقائق علمية فأكثر أنوع المبتدأ استخداماً كانت الموضوعية والنصية الطبيعية عوضاً عن المبتدأ التفاعلي. وندر استخدام الخبر المتفرع نظراً لطبيعة المستخلصات والتي عادة تكون موجزة ومختصرة. وقد تسهم النتائج في تطوير كتابة المستخلصات البحثية من قبل الأطباء الباحثون الجدد. وقد تفيد أيضاً مدرسي اللغة الإنجليزية لأغراض مخصصة والباحثين المهتمين بتعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية أو تعلم تنوع الاختلافات الثقافية. و يقترح الكاتب بدراسة المبتدأ في المستخلصات الطبية العلمية المكتوبة بلغات أخرىٰ.

الكلمات المفتاحية: التعاقب الابتدائي، أنواع المبتدأ، مستخلص الورقة العلمية، التماسك النصي، علم اللغة الوظيفي.

***

1. Introduction

A research article (RA) is one of the most profound forms of scientific writing and an abstract is the most concise form of that scientific piece of writing. Its necessity stems from the fact that in addition to providing a precise content or a summary of the article, it enables readers to decide whether or not to read or disregard the article. According to Holtz (2011), the role of abstracts has changed for a number of reasons such as the vast number of RAs published annually and their immediate online availability. Writers express their scientific contribution by condensing information into a relatively small text. However, a balance must be achieved between packing information and producing a coherent piece of text that presents their work professionally. One of the underlying elements to ensure textual organization is the use of various theme types and thematic progression patterns.

A theme is an element of a clause that gives it a character. "It serves as the point of departure of the message; it is that which locates and orients the clause within its context" (Halliday, 2014, p. 64). Hence, it is the starting point of the message and has the function of organizing the flow of information within the discourse. Typically, it signals a departure from familiar or given information to new information. The remaining part of the clause is the rheme, and these two elements constitute the structure of the message. Halliday (2014) describes three types of themes: topical, interpersonal, and textual. The topical theme is the first element of the clause, which expresses an experiential meaning and receives a transitivity function; it can be a *participant, circumstance,* or *process*. The interpersonal theme is a constituent that will be assigned mood labels which are typically mood adjuncts, e.g., *maybe, I think, just*, or comment adjuncts, e.g., *unfortunately, luckily*. The textual theme is an element that functions as a cohesive tie relating a preceding clause to that which follows. Conjunctive adjuncts are the most typical textual themes, e.g., *but, and, so*. Halliday (2014) explains that the principle of a thematic structure is to have one topical theme which expresses an experiential meaning. The other elements that precede the topical theme are interpersonal or textual and do not contribute to the experiential

meaning. The interpersonal theme "indicates the relationship between participants in the text, or the position or point of view that is being taken in the clause" (Paltridge, 2006, p. 130). It can express probability, usuality, typicality, obviousness, opinion, admission, persuasion, entreaty, presumption, desirability, or prediction (Halliday, 2014).

Thematic progression or method of development contributes significantly to a text's cohesion and coherence (Eggins, 2004). It is the process whereby a "theme of a clause may pick up, or repeat, a meaning from a preceding theme or rheme" (Paltridge, 2006, p. 131). The notion of thematic progression was first introduced by Daneš (1974) and later developed by Fries (1981) and Halliday (2014). Halliday (2014) identifies three main thematic progression patterns which can occur in a text: constant theme (or theme reiteration), linear (or zig-zag), and the fan (or split) rheme pattern.

The same theme is reiterated in the first pattern to create lexical cohesion and focus the text. However, if this pattern recurs, it may yield the text into becoming increasingly redundant and monotonous. Therefore, writers tend to vary the patterns by shifting to linear or fan rheme patterns. In the linear pattern, the subject matter, which is introduced in the rheme of a clause, becomes the theme of the following clause, thereby leading to the cumulative development of a text. The split rheme pattern introduces different pieces of (or classificatory) information in the rheme of a clause, which are then picked up as themes in the following clauses.

To the best of our knowledge, there is a lack of contrastive analysis studies investigating theme types and thematic progression patterns in medical RA abstracts written in English by native and Saudi scholars. This study, therefore, aimed to answer the following questions.

1. What are the most frequent thematic progression patterns in English medical RA abstracts?
2. What are the most frequent theme types in English medical RA abstracts?

3. Is there a difference in the use of theme types and thematic progression patterns between native and Saudi authors?

The reason for investigating medical journals is the vast number of medical journals published in Saudi Arabia. The support of the Saudi Ministry of Education to scientific research productivity and the government investment in research development has greatly influenced the annual publication output in the country which has outpaced many other Middle East countries. The analysis of this output by Al-Ohali and Shin (2013, p. 99) revealed that "the largest number of international publication is in the medical sciences." This study is therefore pertinent since it may be valuable for novice RA scholars of medicine, English for specific purpose instructors, and researchers interested in both second language acquisition and cross-cultural variations. Next, we review previous studies on thematic analysis in scientific journals and studies on native versus non-native use of theme.

2. Literature review

Researchers are eager to establish if abstracts are a genre of their own and therefore have specific recurrent thematic patterns, or form part of the scientific article genre. Holtz (2011) investigated this question by analyzing RA abstracts of four disciplines: computer science, linguistics, biology, and mechanical engineering. The analysis revealed that an abstract is a distinct type of text. Consisting of features of abstract nouns, passivization, greater lexical density, nominalization, and longer sentences makes them an expository type of text which distinguishes them from the argumentative nature of RAs. The comparison between abstracts across four disciplines indicates that abstracts are different genres. Genre is typically related to the purpose of the discourse. Abstracts are expository texts and have a different purpose and, therefore, are a different genre. Ebrahimi's (2016) findings revealed the disciplinary differences in the use of theme types and thematic progression patterns. This indicates that a discipline's requirements influence the choice of a particular theme type or pattern. The researcher investigated these aspects in RA abstracts from four

disciplines: applied linguistics, economics, agriculture, and applied physics. All the examined disciplines employed more unmarked topical themes than the other types of theme with greater use of textual themes than interpersonal; soft sciences, however, seemed to use more marked themes than did the hard sciences. This was ascribed to the preference of soft sciences to employ textual themes in order to mark the rhetorical moves of the RA abstract. Swales (2004) considers abstracts to be a part of the RA genre, while others (Nwogu & Bloor, 1991) perceive abstracts to be a genre in their own right since they can appear independently of the RA.

One of the earliest studies on thematic structure and progression of abstracts was Nwogu's (1989) study where it was found that medical RA abstracts evenly employ constant and linear thematic progression patterns which occur more frequently. The split rheme pattern was not found in the abstracts. Since thematic progression is determined by factors such as purpose, audience, and context, the abstract is typically the most concise form. Nwogu and Bloor (1991) reported similar findings in their study of thematic structure in medical RA abstracts. The themes of constant thematic progression patterns are typically realized by one of the following: simple nominal group (Ng.) with a common noun as head; complex Ng. with a common noun as head; adverbial group (adjunct) plus Ng. with common noun as head; prepositional phrase (adjunct) plus nominal group with common noun as head; empty existential *there*. The researchers, however, did not investigate theme in RA abstracts written by non-native authors. In a similar study, Lorés (2004) found that constant and linear thematic patterns are the prevalent patterns in abstracts of RAs in the field of linguistics.

Leong (2016) analyzed 200 abstracts from science and humanities disciplines which comprised 37,083 words. The findings showed that topical themes of main clauses are used more often in science abstracts. With regard to thematic progression, linear was the general thematic pattern in the two fields. Thematic density was found to be low in all

abstracts, which contradicts Holtz's (2011) study. In relation to theme types of medical articles, Leong, Toh, and Chin (2018) found that the use of the topical theme *we* was predominant, reflecting an active voice. However, this authorial presence is a typical feature of scientific research writing.

He and Tian (2018) compared abstracts written by foreign authors in a scientific journal to abstracts produced by Chinese authors to identify similarities and differences in terms of their use of thematic patterns and structures. The analysis revealed that simple theme was predominant compared to multiple and clausal themes for the two groups of authors. With regard to markedness, both groups were found to use unmarked themes; however, Chinese authors slightly tended to use unmarked themes more often. The two groups were found to favor the constant theme pattern, followed by linear pattern. The findings of this study, however, may be valuable only to Chinese authors. Along similar lines, Rahmawati and Kurniawan (2015) examined thematic progression in thesis abstracts written in English by students at an Indonesian university. The constant theme pattern was predominant followed by linear, while the split theme was only found once. However, the corpus of the study was relatively small as it consisted of only five undergraduate students' thesis abstracts.

The reviewed literature confirms that an abstract is a genre of its own, characterized by the use of constant and linear theme patterns. None of these studies, however, have compared the findings with those in English medical RA abstracts written by Saudi scholars. It is hoped that the current study will add to the growing literature on the thematic structure of English medical RA abstracts with more focus on the differences between native and Saudi authors.

3. Methodology

The present qualitative contrastive study investigated thematic choices and thematic progression patterns in English medical RA abstracts. Two sets of data were compared and contrasted: native and

Saudi scholars. The native set comprised 15,000 words of abstracts from the *New England Journal of Medicine*, a reputable leading American medical journal with an ISI impact factor above 55 during the last five years. The other dataset consisted equally of 15,000 words and was derived from two Saudi medical journals: *Journal of Nature and Science of Medicin*e, published by the College of Medicine at King Saud University, and the *Saudi Journal of Medicine and Medical Sciences*, published by the College of Medicine at Imam Abdulrahman Bin Faisal University. The latter journal is listed in the Emerging Sources Citation Index (ESCI). The selected RAs were published between 2015 and 2018. The abstracts in the two data groups are structured with the headings: background, aim, method, result, and conclusion. Hartley et al. (1996) found that structured abstracts are more effective and easier to read compared to traditional abstracts. Data analysis was framed by Halliday's (2014) SFL's categorization of theme and progression patterns discussed in Section 1. Following Halliday (2014) and Fries and Francis (1992), the basic unit of analysis used was a clause complex (or a T-unit), an independent clause along with all its dependent clauses. The reason for this selection and for not analyzing the dependent clause is that the thematic structure of a dependent clause is constrained by the independent clause. Thus the dependent clause "with respect to morbidity or health care costs" in the following example is considered part of the rheme: "A restrictive transfusion threshold after cardiac surgery [*theme*] was not superior to a liberal threshold with respect to morbidity or health care costs [*rheme*]" (*New England Journal of Medicine*, 2015, 372/11, 997). On the contrary, a dependent clause is identified as a marked theme along with the subject in the following independent clause when it occurs initially. Thus, the marked theme "In patients with acute heart failure" and the subject "early intervention with an intravenous vasodilator" are considered as theme in the following example: "In patients with acute heart failure, early intervention with an intravenous vasodilator [*theme*] has been proposed as a therapeutic goal to reduce cardiac-wall stress and, potentially, myocardial injury, thereby favorably affecting patients' long-term prognosis [rheme]" (*New England Journal of*

Medicine, 2017, 376, 1956). Theme types and thematic progression patterns were manually annotated. Although this study is qualitative, frequencies and percentages of theme types and thematic progression patterns were calculated using Excel in order to validate our claims when comparing the results of the two datasets in terms of their similarities and differences. The total frequency of occurrence of each thematic progression pattern was multiplied by 100 and then divided by the total number of T-units. The total frequency of occurrence of each theme type was multiplied by 1,000 and then divided by the total number of words in the data group, yielding the occurrence of a particular theme type per 1,000 words. Finally, each researcher revised the findings of one data group in order to make sure the results are reliable. Then we exchanged the data groups so that we all agreed on the analysis. We discussed any disagreements regarding the assignment of elided themes until we reached consensus before drawing conclusions.

4. Results and discussion

Though the two sets of data were equal in size, the non-native authors tended to use shorter clauses; therefore, their RA abstracts had many short clauses compared to those of the native authors. There were 795 main clauses in the non-native RA abstracts compared to 653 main clauses in the native abstracts (**Table 1**). The non-native authors used 21% more clauses compared to the native authors. This may explain the increase of constant (or the reiteration) thematic progression pattern in the non-native authors' abstracts. The analysis of the data indicated that the most predominant thematic progression patterns were the constant pattern, followed by the linear pattern. The non-native authors used the constant pattern 135 times compared to the linear pattern, which was used 72 times. The two patterns were almost equally used by the native authors. The constant thematic progression was used 81 times, whereas the linear pattern was employed 77 times.

Table 1. Thematic progression patterns in the two data groups

Group	T-Units	Constant		Linear		Split	
		Freq.	Percentage	Freq.	Percentage	Freq.	Percentage
Native	653	81	12.40%	77	11.79%	1	0.15%
Non-native	795	135	16.98%	72	9.05%	2	0.25%

Daneš (1974) considers these two patterns as the major or basic progression theme patterns. This finding is in line with Nwogu and Bloor's (1991) study of theme in medical RA abstracts where it was found that the use of constant pattern can be attributed to two factors. The authors assumed a mutual background knowledge with readers and tended to exploit this pattern instead of referring back to information mentioned in the rheme. Another justification is that one of the characteristics of scientific RAs is complexity. Authors are concerned with creating connections between objects and explaining matters that require the formulation of complex sentences. This will naturally lead to repeating the same object to simplify the processing of clauses. The following *complex* clauses were found to appear frequently in the abstracts of the native authors (*theme* is in italics).

1) "*The adjusted mean change from baseline in body weight in the surgery group* was −45.0 kg (95% confidence interval [CI], −47.2 to −42.9; mean percent change, −35.0) at 2 years, −36.3 kg (95% CI, −39.0 to −33.5; mean percent change, −28.0) at 6 years, and −35.0 kg (95% CI, −38.4 to −31.7; mean percent change, −26.9) at 12 years". (*New England Journal of Medicine*, 2017, 377, 1143)

2) "*Major secondary end points* included the change in the pyramidal tracts on diffusion tensor imaging, the magnetization transfer ratio in normal-appearing brain tissue, the thickness of the retinal nerve-fiber layer, and cortical atrophy, all measures of tissue damage in multiple sclerosis". (*New England Journal of Medicine*, 2018, 379, 846)

3) "*We* used data from 2007 through 2015 from a large insurance database to compare the rate of ADHD diagnosis among children

born in August with that among children born in September in states with and states without the requirement that children be 5 years old by September 1 for enrollment in kindergarten". (*New England Journal of Medicine*, 2018, 379, 2122)

The linear theme pattern is recurrent in discourse that "draws heavily on information contained in the rheme of the previous utterance as a means of increasing the amount of mutual knowledge" (Nwogu & Bloor, 1991, p. 367). In an RA, the audience is expected to be acquainted with the subject matter, experiments, and procedures. Therefore, it is less likely that the author will employ this pattern more than a constant pattern in RAs. In relation to abstracts, the present study confirmed that both the constant and linear patterns were employed with the constant pattern being used more often by non-native authors.

The split rheme pattern was rarely used in the two datasets (**Table 1**). This confirms previous findings (He & Tian, 2018; Lorés, 2004; Nwogu, 1989; Nwogu & Bloor, 1991). This pattern "tends to occur in paragraphs involving classification" (Nwogu & Bloor, 1991, p. 379). Thus, this tendency of authors to prefer one pattern can be accounted for in terms of the purpose of the text and the intended audience. The abstract is an expository genre which aims to inform readers – who are specialists in the field – in a concise manner about the major sections of the RA, such as aims of the study, methodology, findings, results, and conclusion. This justifies the use of constant and linear patterns.

With regard to theme markedness, the analysis indicated that unmarked theme was more employed than marked theme in the two datasets (**Table 2**).

Table 2. Frequency and percentage of thematic markedness in the two datasets

	Native			**Non-Native**		
Markedness	Freq.	%	per 1000 words	Freq.	%	per 1000 words
Marked	115	18.31%	7.67	69	9.05%	4.6
Unmarked	513	81.69%	34.20	693	90.95%	46.20
Total	**628**	**100%**	**n/a**	**762**	**100%**	**n/a**

This finding is in line with Ebrahimi's (2016) study of theme in four disciplines: applied linguistics, economics, agriculture, and applied physics. The native scholars, however, employed more marked themes than the non-natives; 18.31% and 9.05% respectively.

Table 3 presents the frequency of theme types in the two sets of data. This finding complies with previous studies on theme types used in RA abstracts (Ebrahimi, 2016; Ebrahimi & Khedri, 2011; Gosden, 1993).

Table 3. Frequency and percentage of theme types in the two datasets

	Native			Non-Native		
Theme Type	Freq.	%	per 1000 words	Freq.	%	per 1000 words
Topical	628	89.20%	41.8	762	84.29%	50.8
Interpersonal	0	0.00%	0	2	0.22%	.13
Textual	76	10.80%	5.06	140	15.49%	9.33
Total	**704**	**100%**	**n/a**	**904**	**100%**	**n/a**

For example, Ebrahimi and Khedri (2011, p. 289) compared unmarked theme to marked theme in two disciplines and stated that topical theme occupied subject positions, arguing that "Theme/subject compliance may also be indicative of structural simplicity of article abstracts." They explained that the overuse of unmarked theme in research abstracts can be attributed to the non-argumentative nature of abstracts. Likewise, Gosden (1993) suggested that most topical themes in scientific and academic writing are realized as subjects. It can be implied that due to their simple structure non-native writers use shorter clauses; hence more themes appeared in the data. Similarly, the overuse of unmarked themes by non-native writers could be due to the simplicity of structure construction.

There are similarities between the two sets of data regarding the application of theme types (Table 3) and these can be attributed to the genre. The analysis of the two sets of RA abstracts indicated that the interpersonal theme was the least utilized type which confirms the nature of abstract genre being expository, with an impersonal tone

(Ebrahimi, 2016). Whittaker (1995) emphasized the fact that academic articles are expected to have a low number of interpersonal themes and do not exceed 10% of theme types. Textual themes were more frequently used and Ghadessy (1999) explained that this is because it is expected that RA writers rely on textual themes to create cohesion. The findings revealed that the non-native authors overused textual themes (9.33 per 100 words), compared to the native authors (5.06 per 100 words). This finding corresponds with a number of studies (Chang & Lee, 2019; Hůlková, Dontcheva-Navratilova, Jančaříková, & Schmied, 2019; Schmied, 2015; Wei, 2016). For example, Hůlková et al. (2019) found that Czech authors using English as an Additional Language (EAL) employed more textual themes than native writers. Three types of textual themes are identified by Halliday (2014): continuatives, conjunctions, and conjunctive adjuncts. The results in the present study showed that 85.3% of the conjunctions used by native authors are what Eggins (2004) refers to as tactic conjunctions, which link clauses within a complex clause such as *but* and *and*. This can be attributed to their tendency to produce complex clauses compared to non-native authors. The use of intricate clause complexes seems to be one of the main features of English scientific discourse where authors attempt to give it extra value "by marking it off as the discourse of an intellectual elite" (Halliday, 2004, p. 161). The following clauses are extracted from native authors' abstracts (*Topical Theme* is in italics, Interpersonal underlined, and **Textual** in bold).

4) "*A total of 209 patients* underwent randomization, of whom 108 received pregabalin **and** *101* received placebo; *after randomization*, *2 patients in the pregabalin group* were determined to be ineligible **and** were excluded from the analyses." (*New England Journal of Medicine*, 2017, 376, 1111)

5) "*The Amish and Hutterites* are U.S. agricultural populations whose lifestyles are remarkably similar in many respects **but** *whose farming practices, in particular,* are distinct; *the former* follow traditional farming practices **whereas** *the latter* use industrialized

farming practices. *The populations* also show striking disparities in the prevalence of asthma, **and** little is known about the immune responses underlying these disparities." (*New England Journal of Medicine*, 2016, 375, 411).

Non-native authors also used tactic conjunctions but these comprised 64.3% of the textual themes. The two datasets included the extension devices *or, whereas,* and *whether* which are typically used to add related/contrasted information. Non-native authors overused cohesive ties such as *however, therefore, in addition, furthermore, thus, on the other hand* and *overall* as they are concerned with creating cohesion within a concise piece of writing. In the non-native abstracts, the following extracted clauses are recurrent in the data where short clauses are constructed and cohesive ties are used.

6) "**However**, *serum TRX levels* were not significantly different between stroke patients and healthy controls (P = 0.405). **Moreover**, *we* observed a significant positive correlation between TRX and TXNIP levels (R2 = 0.476, P < 0.003)." (*Journal of Nature and Science of Medicin*e, 2018, 1/2, 55)

7) **"However**, *no statistical significance* was observed for the remaining risk factors. *The frequency of retinopathy in newly-diagnosed T2DM patients* was similar to previous reports. *Vision threatening maculopathy* was present in two of seven patients, requiring further intervention. **Therefore**, *early screening* is strongly recommended for all newly-diagnosed T2DM patients." (*Saudi Journal of Medicine and Medical Sciences*, 2017, 5/1, 26)

The conjunctive adjunct *however* is among the most frequently used cohesive devices in the RA genre (Biber, Johansson, Leech, Conrad, & Finegan, 1999; Hůlková, 2017). Non-native writers typically prefer to use short clauses in order to avoid syntactic ambiguity and/or semantic discontinuity (Halliday, 2004). The two types of cohesive ties which appeared in the two sets of data were contrastive and additive.

Ebrahimi (2016) argues that these two types of cohesive ties appear frequently in abstracts to intrigue readers sufficiently to read further and to influence organizers of conference and journal reviewers to accept and publish the RAs.

With regard to simple and multiple themes, it was found that 13.45% of themes in the non-native authors' data were multiple, while native authors used multiple themes for not more than 7% of the total themes appearing in the data. The non-native authors used two textual themes *and thus* before the topical theme, as exemplified in Extracts 8–10 (*Topical Theme* is in italics, Interpersonal underlined, and **Textual** in bold).

8) "*Our data* suggest that the clinical use of MSC in therapy depend on MSC site of origin, **and thus,** *BM-hMSC* are better suited for clinical trials aiming at enhancing bone regeneration." (*Journal of Nature and Science of Medicin*e, 2018, 1/2, 48)

9) "*Seventy-one patients (70.3%)* mounted a response with HBsAb >10 mIU/ml 6 weeks following the fourth dose of vaccine, **and thus** were considered as adequate responders." (*Saudi Journal of Medicine and Medical Sciences*, 2017, 5/3, 218)

10) "Significantly *higher odds of pain* were associated with visiting when in dental pain (odds ratio = 6.81) and never visiting a dentist (odds ratio = 3.44), **whereas** significantly *lower odds* were associated with regular checkups (odds ratio = 0.28)." (*Saudi Journal of Medicine and Medical Sciences*, 2018, 6/2, 89)

This tendency of non-native authors for multiple themes more than native authors can be justified in relation to the fact that the abstracts of the former had more clauses which would naturally lead to having more themes. Another reason is related to the fact that non-native authors overused textual themes, which appeared before the topical themes. Elements that appear after the topical theme were not counted in the theme analysis.

> "If the first element is a topical element, you call that theme and all the rest of the clause rheme. If other elements (interpersonal, textual) come before the topical element, you include them in the theme up to the end of the first topical element." (Eggins, 2004, p. 308)

Ebrahimi and Khedri (2011) state that the use of multiple themes in abstracts can lead to cohesive text. However, in examining abstracts from different disciplines, Ebrahimi (2016) found that in research abstracts, there were few combinations of topical themes with interpersonal and/or textual elements. He explained that "this could indicate that the multiple theme is not the norm in AL [applied linguistics] RA abstract writing" (Ebrahimi, 2016, p. 109). This may support the claim that an abstract can be treated as a genre of its own with its own features; however, it is beyond the scope of the study to prove that abstracts exhibit similar generic features and hence can be perceived as an independent genre. The finding that multiple themes are not the norm is in line with other studies; for instance, He and Tian (2018, p. 5) found that "simple theme is more likely to satisfy the requirements of scientific paper abstracts to be concise and direct."

5. Conclusion and implications

The present study investigated thematic choices and thematic patterns in medical RA abstracts written in English by native and Saudi scholars. The data which consisted of 30,000 words was analyzed contrastively. Based on the results of analysis, the research questions have been answered.

The study provided a broader understanding of thematic choices in medical RA abstracts. It was found that topical and textual themes were the most used theme types by both native and non-native scholars. The findings are in line with previous studies that, due to the impersonal and factual nature of scientific research including its abstracts, interpersonal themes are rarely used whereas unmarked topical and textual themes are the basic types of theme. Both sets of data indicated that multiple themes are less likely to outweigh the single theme due to

the concise nature of the abstract. Non-native authors were found to use more multiple themes due to the overuse of textual themes. They appeared to be preoccupied with the fact that a text has to be cohesive through the use of conjunctions; whereas native speakers achieved cohesion by employing more complex clauses.

The equal use of constant and linear theme patterns by native authors supports previous studies which indicated that these two patterns are recurrent in scientific RAs and abstracts; however non-native authors used constant pattern 55.5% more than the linear pattern. The possible justifications are that non-native authors tended to simplify the complexity of the subject matter by using shorter clauses and exerting less effort in processing the abstract. The redundant use of constant theme pattern may retrieve a non-coherent text although this pattern provides a strong topical focus if used reasonably. Another possible reason for using one pattern of thematic progression is that non-native authors rely on cohesive ties to achieve cohesion rather than using thematic progression patterns which create unity within the texture of the text. Knowledge of theme types and thematic progression patterns help non-native authors construct cohesive and coherent RA abstracts. The study suggests that thematic progression patterns need to be emphasized in EFL courses. Despite the differences in the use of theme patterns, abstracts of native and non-native authors appeared to share common features. This finding may support the argument that an abstract is a genre of its own. Future research is needed to verify whether this is the case or whether it is a hybrid genre, with its features being blended with those of the RA genre.

Finally, it need to be noted that the difference in the use of thematic choices and thematic progression patterns between native and Saudi scholars was where the English RA abstracts of native speakers have been, or are thought to have been, the model since they were published in a very high ranking journal. In addition, the context of publication ranking of the Saudi scholars' RA abstracts and, thereby, different audiences may have affected the findings. Therefore, future studies may look at and investigate

thematic progression patterns in medical RA abstracts written by native speakers of different languages. That is to say, a researcher may investigate how academic native speakers of Arabic write their abstracts in Arabic; likewise, how Chinese, Spanish write in their own languages.

Authors' Bios

Hesham Suleiman Alyousef is an associate professor in the Department of English and Literature at King Saud University in Riyadh, Saudi Arabia. Currently, he teaches and supervises a number of postgraduate students and works as an editor and a reviewer in refereed journals. He received his Ph.D. in 2014 from the University of Adelaide, Australia. Dr Hesham has published a number of book chapters and papers in refereed academic journals. His research interests include academic literacies, systemic functional linguistics, multimodal discourse analysis, metadiscourse, assessment and evaluation tools for ESL/EFL students, and the use of Web 2.0 technology in higher education. Dr Hesham has over 30 years of experience teaching ESL/EFL. He can be contacted via email: hesham@ksu.edu.sa

Maryam Hamad Alsharif is a lecturer of applied linguistics in the English Language Department at Jubail University College, Jubail Industrial City, Saudi Arabia. She has a master's degree in applied linguistics and is currently a Ph.D. student in the English Language and Literature Department, College of Arts, King Saud University. Her research interest is mainly in the area of discourse analysis and corpus applications in EFL teaching. She can be contacted via email: mariam-alshreef@hotmail.com

Acknowledgments

The authors are indebted to the two anonymous reviewers for their insightful and helpful comments. The authors also wish to express their gratitude to both the Deanship of Scientific Research at King Saud University and the Research Centre at the Faculty of Arts for funding the present study. They also thank RSSU at King Saud University for their technical support.

References

Al-Ohali, M., & Shin, J. C. (2013). Knowledge-based innovation and research productivity in Saudi Arabia. In L. Smith & A. Abouammoh (Eds.), *Higher education in Saudi Arabia: Higher education dynamics* (pp. 95–102). Netherlands: Springer.

Biber, D., Johansson, S., Leech, G., Conrad, S., & Finegan, E. (1999). *Longman grammar of spoken and written English*. London: Longman.

Chang, P., & Lee, M. (2019). Exploring textual and interpersonal Themes in the expository essays of college students of different linguistic backgrounds. *English for Specific Purposes, 54*, 75–90. doi:https://doi.org/10.1016/j.esp.2019.01.002

Daneš, F. (1974). Functional sentence perspective and the organization of the text. In F. Daneš (Ed.), *Papers on functional sentence perspective* (pp. 106–128). Prague: Academic.

Ebrahimi, S. F. (2016). Theme types and patterns in research article abstracts: A cross disciplinary study. *International Journal of English Language & Translation Studies, 4*(3), 104–115.

Ebrahimi, S. F., & Khedri, M. (2011). Thematicity in research article abstracts: A cross-disciplinary study. *Educational Quest: An International Journal of Education and Applied Social Sciences, 2*(3), 287–292.

Eggins, S. (2004). *An Introduction to Systemic Functional Linguistics* (2nd ed.). London/New York: Continuum.

Fries, P. H. (1981). On the status of theme in English: Arguments from discourse. *Forum Linguisticum, 6*(1), 1–38.

Fries, P. H., & Francis, G. (1992). Exploring theme: Problems for research. *Occasional Papers in Systemic Linguistics, 6*, 45–60.

Ghadessy, M. (1999). Thematic organisation in academic article abstracts. *Estudios ingleses de la universidad complutense, 7*, 141–161. Retrieved from https://revistas.ucm.es/index.php/EIUC/article/download/EIUC9999110141A/8299

Gosden, H. (1993). Discourse functions of subject in scientific research articles. *Applied Linguistics, 14*(1), 56–75. doi:https://doi.org/10.1093/applin/14.1.56

Halliday, M. A. K. (2004). The language of science. In J. Webster (Ed.), *Collected works of M.A.K.Halliday* (Vol. 5, pp. 162-178). London: Continuum.

Halliday, M. A. K. (2014). *Introduction to Functional Grammar. Revised by Christian M. I. M. Matthiessen* (4th ed.). London/New York: Taylor & Francis.

Hartley, J., Sydes, M., & Blurton, A. (1996). Obtaining information accurately and quickly: Are structured abstracts more efficient? *Journal of Information Science, 22*(5), 349–356. doi:https://doi.org/10.1177/016555159602200503

He, Y., & Tian, J. (2018). A comparative study of thematic progression in abstracts of

scientific papers: A case study of science and science bulletin. *International Journal of Arts and Commerce, 7*(7). Retrieved from https://www.ijac.org.uk/images/frontImages/gallery/Vol.7No.7/1.1–7.pdf

Holtz, M. (2011). *Lexico-grammatical properties of abstracts and research articles. A corpus-based study of scientific discourse from multiple disciplines.* (Ph.D. thesis). Technische Universität, TU Darmstadt, Germany. Retrieved from https://tuprints.ulb.tu-darmstadt.de/id/eprint/2638

Hůlková, I. (2017). *Conjunctive adverbials viewed as pragmatic markers in the genre of research articles*. Brno, Czech Republic: Masaryk University.

Hůlková, I., Dontcheva-Navratilova, O., Jančaříková, R., & Schmied, J. (2019). Intercultural variation in academic discourse: Theme zones and the build-up of coherence in research articles. *Topics in Linguistics, 20*(2), 33–53. doi:https://doi.org/10.2478/topling-2019-0008

Leong, A. P. (2016). Thematic density of research-article abstracts: A systemic-functional account. *WORD, 62*(4), 209–227. doi:https://doi.org/10.1080/00437956.2016.1248668

Leong, A. P., Toh, A. L. L., & Chin, S. F. (2018). Examining structure in scientific research articles: A study of thematic progression and thematic density. *Written Communication, 35*(3), 286–314. doi:https://doi.org/10.1177/0741088318767378

Lorés, R. (2004). On RA abstracts: From rhetorical structure to thematic organisation. *English for Specific Purposes, 23*(3), 280–302. doi:https://doi.org/10.1016/j.esp.2003.06.001

Nwogu, K. N. (1989). *Discourse variation in medical texts: Schema, theme and cohesion in professional and journalistic accounts.* (Unpublished Ph.D. thesis). University of Aston, Birmingham.

Nwogu, K. N., & Bloor, T. (1991). Thematic progression in professional and popular medical texts. In E. Ventola (Ed.), *Functional and systemic linguistics: Approaches and uses* (Vol. 55, pp. 369–384). Berlin & New York: Mouton de Gruyter. (Reprinted from: 2011).

Paltridge, B. (2006). *Discourse analysis: An introduction*. London & New York: Continuum.

Rahmawati, R. V., & Kurniawan, E. (2015). Thematic progression analysis in students' thesis abstracts. *Indonesian EFL Journal, 1*(1), 89–96. doi:http://dx.doi.org/10.25134/ieflj.v1i1.617

Schmied, J. (2015). Academic writing in English in comparison: Degree adverbs, connecting adverbials, and contrastive/concessive markers in the ChemCorpus and comparable data-bases. In R. P. Alastrué & C. Pérez-Llantada (Eds.), *English as a scientific and research language: Debates and discourses. English in Europe* (Vol. 2, pp. 159–184): De Gruyter Mouton.

Swales, J. (2004). *Research genres: Explorations and applications*. Cambridge: Cambridge University Press.

Wei, J. (2016). Thematic choice in Chinese college students' English essays. *English for Specific Purposes, 41*, 50–67. doi:https://doi.org/10.1016/j.esp.2015.09.003

Whittaker, R. (1995). Theme processes and the realization of meaning in academic articles. In M. Ghadessy (Ed.), *Thematic development in English texts* (pp. 105–128). London & New York: Pinter.

* * *

Translating idiomatic expressions in literary texts: Saving the pragmatic meaning

Dr. Tahani Saleh Alabdali
Assistant Professor, Department of English Language and Literature
College of Languages and Translation, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

tsalabdali@imamu.edu.sa

Translating idiomatic expressions in literary texts: Saving the pragmatic meaning

Dr. Tahani Saleh Alabdali

(Received 05/11/2019; accepted 22/03/2020)

Abstract: This paper investigates a problematic issue in many texts, particularly literary, that is of rendering hidden pragmatic meanings of idiomatic expressions into the TL. In order to arrive at the best strategy to do so from the perspective of the TL audience, in this case native speakers of English, the researcher provided the targeted audience with multiple translations of a single idiomatic expression, in context, and asked them to choose the best suiting translation from their point of view. Baker's strategies for translating idioms was the framework adopted for this study (Baker, 2018). The findings emphasized the importance of conveying the pragmatic meaning of idiomatic expressions with reservation of the aesthetic elements of the text. They also suggested that pragmatic and cultural highlights, in addition to translation strategies curricula, should be part of translation training programs.

Keywords: Literary translation; Baker's framework; pragmatic function; translation of idioms.

❊ ❊ ❊

ترجمة العبارات الاصطلاحية في النصوص الأدبية:
الحفاظ علي المحتوى الدلالي

د. تهاني صالح العبدلي

(قدم للنشر في 08/ 03/ 1441هـ؛ وقبل للنشر في 27/ 07/ 1441هـ)

المستخلص: تبحث هذه الورقة في إشكالية ترجمة المعاني الدلالية للعبارات الاصطلاحية في العديد من النصوص، لا سيما الأدبية منها. من أجل الوصول إلىٰ أفضل الاستراتيجيات لترجمة هذا النوع من العبارات من وجهة نظر قارئي النص المترجم، وهم في هذه الحالة الناطقين باللغة الإنجليزية، قدمت الباحثة للجمهور المستهدف عددًا من الترجمات المختلفة لعبارة اصطلاحية واحدة في سياقات متعددة وطلبت منهم اختبار أنسب ترجمة من وجهة نظرهم. كانت استراتيجيات بيكر لترجمة المصطلحات هي الإطار المعتمد لهذه الدراسة (Baker, 2018). وقد أكدت النتائج علىٰ أهمية نقل المعنىٰ الدلالي للتعبيرات الاصطلاحية مع الحفاظ علىٰ العناصر الجمالية للنص، كما تبين من الدراسة أهمية توعية طلاب مناهج الترجمة بالاستراتيجيات المتاحة لهم في حال مواجهتهم صعوبات في ترجمة العبارات الاصطلاحية وأهمية مراعاة العناصر الثقافية والدلالية للنص المترجم.

الكلمات المفتاحية: الترجمة الأدبية، إطار عمل بيكر، المحتوىٰ الدلالي، ترجمة العبارات الاصطلاحية.

***

Introduction

Although translation as a process of conveying propositions from one language to another proved to be possible (Hurford, Heasley and Smith, 2007), some aspects of language seem to be highly connected to a specific culture that they become harder to translate. Such items include culture-related expressions, like idioms, whose function seem to be affected by the context where they are used. Thus, even most professional translators sometimes fail to come up with one-to-one equivalents for them. This failure, if we may call it so, may actually be the successful way to approach the translation of such problematic cultural expressions (Tawfiq, 2008).

O'Dell and McCarthy (2010) define idioms as "fixed combinations of words whose meaning is often difficult to guess from the meaning of each individual word" (p.6). According to Olbasa, Raga, and Adola (2017) an idiom is an expression which consists of one word or more with a meaning different from that of its constituent parts. Shojaei (2012) believes that idioms may include some cultural aspects like religious beliefs, superstitions, and certain ideologies pertaining to the people originally from the culture where the idioms come from. According to Martirosyan (2013, p.219) "Idioms share cultural and historical information and broaden people's understanding and manipulation of a language".

Having to translate such expressions in a literary text adds to the problem, because in literary texts it is not just the content that the translator needs to convey, s/he also must attend to the aesthetic elements of the SL text. Kahrizsangi and Haddadi (2017) assert that in addition to L1 and L2 sufficient knowledge and competence, translators of literary texts need to be equipped with cultural competence in order to deliver the text properly. Hence comes the importance of this study in arriving at the perfect balance between content and style when translating literary texts. We assume that it is even more important to retain the pragmatic function of the original idiomatic expression over conveying its lexical and structural features into the target language. To verify this

assumption, the researcher consulted native speakers of English in what they believe to be the best and most acceptable technique for translating idioms among the techniques developed by Baker (2018).

Literature review

Previous studies

Aguado-giménez and Pérez-paredes (2005) explored the kind of translation strategies used by undergraduate university students when translating English texts into Spanish. The framework used by the researchers was that developed by Baker in 1992. They found out that when students faced difficulty in translating certain words they relied on the translation strategies that they have learned, which points out to the importance of teaching translation strategies in colleges. Moreover, they emphasized that the teaching of translation courses needs to be based on theoretical grounds as well as classroom experiences which may eventually add to such theories. Such findings support the recommendations of this research which is to incorporate examples from novels and poems written in local dialects in the learning experiences of translation students. By knowing the translation preferences of native speakers of different languages, we can create translation textbooks and syllabi that are more beneficial.

Jaber (2008) investigated the translatability of English metaphors into Iraqi Arabic.

Her underlying assumption was that matching experiences produced by the SL and the TL cultures should make the process of translating metaphors and finding near equivalents possible. To verify her assumption, she analysed a number of English metaphors into the meaning they represent, then borrowed metaphoric equivalents from the local Iraqi dialect. The researcher concluded that cultural experiences are not actually shared, yet speech communities live corresponding cultural experiences, which makes translating metaphors based on their functional equivalence possible. This supports the recommendation made by the present research that in translating idioms

it is more important to retain the pragmatic functional meaning of the original over keeping its literal and structural features.

Al-Masri (2009) explored the factors leading to cultural losses in the translation of Arabic literary texts, and the role of the translator as a vehicle to convey cultural meanings. So, the researcher analysed metaphors, idiomatic expressions, and proverbs in a number of Arabic short stories written by the novelist Youssef Idris alongside their English translations, adopting Pike's etic-emic approach to translation. She concluded that the translation was successful in analysing the communicative meaning but it failed to convey cultural and emotional meanings of the SL text. One of the recommendations put forward by the researcher, and supported by the findings of this study, was for translators to assume the role of the cultural insider to both texts, SL and TL, in order to render a successful translation.

Guerra (2012) examined some of the problems rising in literary translation. She analysed the translations of 96 university students translating cultural terms from English into Spanish and visa versa. One of the major problems that she identified was having many words in the literary text that are deeply rooted in the source culture to the extent that they might not have a proper equivalent in the target language. Therefore, she believes that the act of translating literary texts is merely a way of providing a subversion -not an equivalent- of the source text. The researcher, moreover, described the best translation strategies that a translator can utilize when attempting to translate a literary text, and showed a preference to the use of three translation strategies; namely: borrowing, description, and adaptation, when translating from their mother tongue and into it. Guerra interpreted this preference as an attempt to subversion, and at the same time, preserving the source language.

Shojaei (2012) investigated the obstacles facing translators when dealing with interlingual idiomatic pairs. He adopted Baker's (1992) framework for classification of difficulties and translation strategies in his analysis of English-Turkish and English-Persian equivalent pairs.

Findings of the study suggested that there are a number of factors which need to be considered when translating idiomatic expressions, among which are the socio and meta-linguistic elements, linguistic and stylistic considerations, and cultural aspects.

Prace (2013) investigated cultural specificity in translating Czech cultural-specific expressions in promotional texts into English. He also examined the strategies that need to be used to translate such expressions. He specified the levels translators need to pay attention to such as: the lexical level, collocations and idioms, the textual level, and the pragmatic level. He, then, identified the possible translation strategies to deal with cultural-specific expressions as being: functional equivalent, transposition, synonymy, retention, through translation, translation by less expressive word, adding guidance, translation by omission, and compensation. He concluded that the most frequently used strategies were loan words and generalization, which were not accurate strategies in conveying the meaning. The second most frequently used strategies were cultural substitution, functional equivalent, and particularization. He also found that translators sometimes resort to the use of two strategies at a time in translating cultural-specific expressions.

Samardali, Al Momani, and Kitishat (2013) examined the effect of failure to understanding the pragmatic and cultural meanings of Arabic idioms on rendering inappropriate English translations. The researchers distributed a questionnaire among 20 M.A translation students at Yarmouk University which included some Arabic cultural expressions involving pragmatic or cultural implied meanings. The expressions were selected from a Jordanian short story called “Habilat Bishra”. The students were asked to provide suitable equivalents to these expressions. The findings supported the assumption that lack of adequate pragma-linguistic knowledge leads to rendering of inappropriate translations. The participants provided literal translations of the SL expressions ignoring the cultural meanings associated with these expressions. This point is further investigated in this study, taking

into consideration native speakers' perspectives on the strategies they believe to be suitable for translating idiomatic expressions.

Ardeshiri and Zarafshan (2014) conducted a study on the work of 30 English-Persian Iranian translation students. Their errors were counted and analyzed in order to find out the source of the most prevalent errors. It was observed that most of the mistakes were caused by misunderstanding of the SL pragmatic meanings, which refers to the cultural and contextual meanings that go beyond the literal meaning of the expression, and hence occurs incomprehensive rendering of the message. To compensate for lack of pragmatic knowledge, the students resorted to different translation techniques, such as; omission, addition, and paraphrasing. The researchers interviewed lecturers of translation who claimed that this lack of knowledge is caused by various reasons among which are: problems in the reading comprehension skills, grammatical incompetence, and lack of interest in the SL author's main message.

Farghal and Almanna (2014) investigated the importance of incorporating pragmatic concepts like presuppositions, speech acts, and politeness in the translation field. To do so, they examined a number of Arabic translated texts, comparing the SL text with the TL text in order to prove that hidden pragmatic meanings affect the essence of the message that needs to be translated, and the quality of the translated texts. They concluded that pragmatic aspects of any text are very essential to the meaning and therefore provide a challenge to the translator. They also advised a more pragmatic approach to translation where translators' attention is drawn to the importance of rendering the implicit meanings of the text as well as the explicit meanings, a recommendation that goes in line with the results of the present study.

Alwafai (2015) analyzed two Arabic translations of the novella *The Old Man and the Sea* by Ernest Hemingway. The purpose of her study was to investigate the problems of translating English literary texts into Arabic and the strategies adopted by Arab translators to carry out the

translation task, in addition to suggesting some guidelines for better practices in the field of Arabic literary translation. In her analysis, the researcher adopted Baker's theory of equivalence, focusing mainly on two levels of equivalence; word and collocation. The findings showed that translations of literary texts should consider both contextual and cultural factors in the SL and TL. Moreover, the researcher recommended that untranslatable problematic culture- specific items could be tackled in various ways such as paraphrasing, rewording, lexicalizing new concepts, and adapting them culturally.

Daghoughi and Hashemian (2016) analysed the English translation of Jalal Al-Ahmad "by the pen" by Ghanoonparvar (1988) in the light of Newmark's proposed taxonomy for translating culture-specific items (1988). They recognized that the translator used all of Newmark's strategies in dealing with the cultural specific items found in the novel with modulation and paraphrase being the least frequently used strategies, and functional equivalent as the most frequently used one. They claimed that the functional equivalent strategy is the most effective one in translating literary texts with many culture-specific items because it makes the translated text comprehensive to the target language reader.

Hussein and Mhammad (2016) investigated the effect of context on translating the pragmatic meaning in three different translations of the famous Shakespearean tragedy 'Macbeth'. Their investigation focused on three main points; the extent to which translators restricted the context of the original text, how well did the translators resolve pragmatic ambiguity of the text, and whether translators were able to provide appropriate equivalents for items in the original text. They dealt with four types of context in their study; situational, cultural, sentimental, and linguistic. They tried to arrive at the impact of each on the translation process. Results showed that pragmatic ambiguity arises from translators' misunderstanding of SL contextual factors. They also found that semantic and communicative approaches can both be successfully adopted in literary translations. Finally, they concluded

that the type of context most translators relied on was situational context with some reference to the other three types.

Kahrizsangi and Haddadi (2017) examined the challenges facing literary translators and attempts to find solutions to them in order to improve literary translation competence through enabling students to "translate into the target language the content, expressive power, language style, and an equal function of the literary text" (p.350). To carry out this task, the researchers applied the function-focused theory developed by Nord (2008) to a translation of an anecdote by Heinrich von Kleist. They believed that the challenges facing the translator stem from the style of the target text, the aim of translation, cultural differences between source language and target language, and/or their pragmatic competence. Therefore, the authors suggested that a translator needs to identify the text type, its syntactic and stylistic structures, and the aim of the translation in order to decide which translation method will best suit the specific text case. They also believe in the importance of understanding the function and the style of the source text in addition to the stylistic, syntactic and expressive tools of the source text's author in order to achieve a competent equivalent in the target language.

Horvathova and Tabackova (2018) examined the translatability of multiword idiomatic expressions in the German novel Wer einmal aus dem Blechnapf frißt by Hans Fallada's into Slovak. They believed that in literary work, idioms are used to add local, time, and social meanings to the text. Thus, they attempted to define the criteria that were applied and to outline the strategies that were used in the translated version of the novel to arrive at a comprehensive translation. They concluded that the translator managed to preserve the artistic style of the SL by using idiomatic TL expressions whenever possible, with resorting to compensation as a balancing strategy when needed. Finally, the researchers suggested further investigation of the English translation of the novel in order to find out the effect of cultural closeness or lack thereof on the translation of literary texts.

Aldanani (2019) investigated the translation strategies used in the translation of the Arabic novel 'Scattered Crumbs' into English with special attention given to idioms. The researcher believes that in most translated idioms, the translator was successful in rendering the cultural meaning of the SL idiom, either by use of loan words or paraphrasing. However, he believes that the translator has failed in cases of absence of equivalent where the translator opted for literal translation of SL idioms, because such translations do not comprehensively convey the meaning of the original idiom and therefore may cause miscommunication.

Framework

The framework used in this study at approaching the translatability of idioms is that developed by Baker (Baker, 2018), whose framework and book are considered among the most influential in the field of translation training and translation studies (Munday, 2008). Baker's framework was also chosen for its focus on the relationship between translation and pragmatics. It looks at text equivalence at multiple levels; one of which is the pragmatic level (Baker, 2018). The other levels are the word, above-word, grammar, thematic structure, cohesion, semiotic and pragmatic levels. In this paper, we deal with the 'Above-word' and 'Pragmatic' levels of equivalence since the realm of cultural expressions falls mainly between these two.

Baker (ibid.) proposed a taxonomy for translating idioms and fixed expressions which includes the following strategies:

1- Using an idiom of similar meaning and form: in such a case the translator looks for an idiom in the TL that conveys roughly the same meaning of the idiom in the SL and consists of equivalent lexical items.
2- Using an idiom of similar meaning but dissimilar form: here the translator focuses on finding an idiom in the TL that conveys the same meaning as the original idiom regardless of the composing words.
3- Borrowing the SL idiom: this is a case similar to that of a loan

word, where the translator keeps the idiom in its SL form in the translated version.

4- Translation by paraphrase: this strategy is used when it is hard to find a suitable idiomatic expression in the TL or if the targeted stylistic classification does not suit the equivalent TL idiom. In this strategy, the translator resorts to analyzing a paraphrased version of the SL idiom or fixed expression.
5- Translation by omission of a play on an idiom: this strategy focuses on the literal meaning of an idiom, ignoring a side playful meaning the original idiom has.
6- Translation by omission of an entire idiom: a translator might be compelled to resort to this strategy when none of the strategies above proves effective or for stylistic reasons (Baker, 2018, p.77-87).

Methodology

In this paper, a single idiomatic expression from the Najdi Arabic novel Donia Ghareebah (Strange world), by the cyber writer who goes by the name Najdiah Asliah, is investigated. This expression (Allah yakhaleek), literally translated as may God preserve/keep you, has a non-fixed pragmatic meaning that changes based on the intentions of the speaker in each given context. Arriving at the intended meaning is dependent on the hearer's understanding of not only the co-text of the expression, but of all the elements of the situation; the identity of the speaker, the identity of the hearer, their relation to each other, and the topic being discussed. This cooperation of contextual and cultural elements in arriving at the intended meaning highlights the importance of pragmatic competence in translating literary texts.

Occurrences of the expression and its use in context were analyzed to determine its intended meaning in each instance. Afterwards, three translation strategies, adopted from (Baker, 2018) were applied to translate the expression, creating three or four translations for the same expression in each given context. Then, these translations, placed in context, were presented to and judged by native speakers of English to decide which translation strategy was more successful in conveying the

pragmatic meaning in the TL (English). The questionnaire consisted of six texts, at the end of each text, there was an allocated space for the participants' comments and/or suggested translations.

The participants were asked to provide some information about themselves in the first page of the questionnaire. Such information included their nationality, education, gender, and age. Only participants who were native speakers of English were included in the study. No restrictions regarding education, age or gender were applied. However, all participants were minimally BA holders and the youngest were in their mid-twenties.

The questionnaire was distributed manually and electronically to ensure receiving as many contributions as possible. Three manual copies were handed back, and 18 digital copies were received, out of which only 14 met the criteria described above. So, the total number of replies analysed was 17. The participants belonged to four countries all of which speak English as the first language; three Canadians, seven Americans, five British, and two Irish. Twelve of the participants were females and five were males. All of them were between the age of 25 and 50, and all of them have a college degree.

Data analysis

In this section, the items of the questionnaire are analyzed one by one. First, the item itself, is presented as it is in the questionnaire paper (see Appendix A for the original Arabic script), then a brief statistic of the number of votes each translation received is provided, followed by a comprehensive discussion of the participants' choices and added contributions, if any.

Text A

Reema goes to visit her friend Kholood after several days of the death of Kholood's father. She meets Kholood's mother, and the following conversation takes place:

Reema: my mother sends her greetings to you and apologizes for any unintentional negligence.

Kholood's mother: my greetings to you and your mother. How sweet of her. She's done more than enough.

1- Reema: God bless you.
2- Reema: Don't mention it.
3- Reema: May God preserve you.

The three numbered responses above are all translations of the expression under investigation. In each translation, the researcher adopted a translation strategy from those suggested by (Baker, 2018). Translation number 1 adopts strategy (a) "using an idiom of similar meaning and form" (p.77). Translation 2 adopts strategy (b) "using an idiom of similar meaning but dissimilar form" (p.79). Translation 3 adopts strategy (e) "translation by omission of a play on idiom" (p.85), which is the nearest in definition to literal translation.

It is necessary to point out that while translation (a) comes with similar meaning and form, it does not convey the pragmatic meaning of the original utterance. It only reserves part of the literal meaning related to praying for the sake of the hearer. The pragmatic meaning of the expression, as explained before, is not constant. Instead it acquires its meaning from the context where it is used. Therefore, translation (b) is actually the closest in meaning to that of the original. This classification applies to all the items discussed in this paper.

The following table shows the number of times each translation was chosen by the participants.

Table 1: Participants' choices of strategies in text A.

Translation	Corresponding strategy	Number of times chosen
1	a	5
2	b	7
3	e	3

Two participants did not choose any of the given translations; instead, they provided their own suggested versions. One of them suggested the following response: "we wish we could do more", while the other suggested that the response should be: "I am sorry for your loss, and I am sorry if you have needed anything I haven't provided". In these two suggestions, the participants preferred using fixed expressions in the TL that suit the context of the situation in which the utterance was used.

Table 1 above shows that the majority of the participants opted for the translation that contributed to the pragmatic meaning. Though they were not informed of the strategy applied in each translation, their choices show that they believed the translation that was based on the pragmatic function of the original is the best fit to the context. Even in the case of the two participants who provided their own translations, their contributions were based on what they believed to be a good response in light of the context and co-text provided for them. Not surprisingly, their suggestions were in line with translation (b) which can be characterized as being pragmatic-oriented.

Text B

Mshari: honey, I have been talking to you over the phone for 5 months and I don't even know how you look. This is unbelievable.

Njood (trying to change the subject): Mshari

1- God bless you.
2- Come on /please.
3- May God preserve you.

don't pressure me. I've just arrived at my friend's place.. I'll call you later.

Just as in the previous text, the first translation corresponds to strategy (a). The second translation provided conforms with strategy (b). The third translation corresponds to strategy (e). The first translation focuses on conveying the literal meaning by using similar form. The second

focuses more on conveying the pragmatic meaning, and the last one is merely a literal translation of the original. The following table shows the number of times each translation was chosen by the participants.

Table 2: Participants' choices of strategies in text B.

Translation	Corresponding strategy	The number of times it was chosen
1	a	0
2	b	15
3	e	1

One participant provided her own suggested translation. She suggested that the translation should be 'I am not ready to meet you and I am making an excuse'. Although the gist of this suggested translation goes in line with the original, its bluntness is not in conformity with the context. The context of the conversation shows that the two conversationalists; Mshari and Njood, are in a romantic relationship, yet they have never met face to face. Njood's response indeed shows that she is trying to delay their face-to-face meeting. However, the utterance she produced after the investigated idiomatic expression implies that she is doing that gently not aggressively.

Interestingly, the vast majority of the participants opted for the pragmatic-based translations. They believed that this translation is best used in this situation. No one chose the first translation which was an attempt to convey the literal meaning of the original with a similar idiomatic effect. Only one chose the literal translation of the original.

Text C

Sara: Thank you. Don’t forget my present as you promised. SIM with special number and the latest Nokia cell phone.

Her father: hhhh I've never seen someone who asks for a present and puts down conditions.

Sara: yes dad

1- God bless you.
2- May God be with you.
3- May God preserve you for me

Just like the two previous texts, translation number 1 corresponds to strategy (a), translation number 2 corresponds to strategy (b), and translation number 3 corresponds to strategy (e). The following table shows the number of times each translation was chosen by the participants.

Table 3: Participants' choices of strategies in text C.

Translation	Corresponding strategy	The number of times it was chosen
1	a	5
2	b	1
3	e	4

In this item, many of the responses were novel suggestions by the participants. Six participants provided their own translations, which implies that they believed that none of the given translations was adequate. Their suggested translations were: "thank you", "God help you", "I am one of a kind", "please", "pretty please", "I don't know where I went wrong raising you". Obviously, the participant who provided the last response misunderstood the utterance as belonging to the father not to the daughter. One participant did not understand the situation and wrote "I am confused by the above three as I feel I need more contextual information". However, most of the participants suggested translations that seem to acknowledge the pragmatic function of the speech act of asking a favour, or even begging as can be understood from their translations. They gave responses they believed suit the elements of the situation, i.e. the speaker, the hearer, the occasion, and the topic.

In translation number 3, 'for me' was added at the end. This is due to the use of a specific pronoun by the speaker attached to the fixed expression. Usually when pronouns are used in this way with this particular expression the intended meaning of the expression is actually its literal meaning. So, in this particular item the literal meaning goes in line with the pragmatic one.

Five participants chose translation 1, one chose translation 2, and four chose translation 3. As explained before, in this particular item, the

literal meaning is very similar to the pragmatic meaning. Therefore, all three translations have similar form (prayer) and meaning. So, we can assume that participants' choices were based on personal preference of one form over another rather than on deeper differences among the three translations.

Text D

Thamir: by the way, have you heard about the future husband of Haifa Wahbi (a famous singer)?

Nawaf: don't say a word

1- God bless you.
2- Please.
3- May God preserve you.

since I've heard the news (about the future husband), I've had a headache.

Table 4 below displays the translations, their corresponding strategies and the number of times each one was chosen.

Table 4: Participants' choices of strategies in text D.

Translation	Corresponding strategy	The number of times it was chosen
1	a	0
2	b	12
3	e	0

In this item, none of the participants chose translation 1 nor 3. Twelve participants chose translation 2, and four suggested different translations. One participant opted for the deletion of the item as a whole, which is one of the strategies proposed by Baker "translation by omission of entire idiom" (2018: 86). Two of the suggested translations dealt with the idiom as part of the previous utterance, thus instead of providing a sperate utterance they added word(s) to the previous one. One suggested adding the word 'ever', and the other suggested the phrase 'about it'. The two alternative translations for the idiom provided by the other two participants were 'Jesus Christ' and 'I beg you'.

The majority of the participants have chosen the second translation which corresponds to strategy b. According to this strategy, it is more important to convey the pragmatic function of an idiomatic expression than to render the literal meaning into the target language.

Text E

(Abeer refuses to meet her husband who has come to meet her in her parents' house to make amends)

Nawaf (Abeer's brother): Abeer shame on you. The man begged me, he told me to tell you he wants to talk to you about something.

Abeer: Nawaf

1- God bless you.
2- Please.
3- Stop it.
4- May God preserve you.

Today is Eid (Islamic festival) and fun. I don't want to ruin my day.

Table 5 below displays the translations, their corresponding strategies and the number of times each one was chosen in text E.

Table 5: Participants' choices of strategies in text E.

Translation	Corresponding strategy	The number of times it was chosen
1	a	1
2	b	10
3	b	5
4	e	0

In this text two translations corresponding to strategy b, which is to translate an idiom by using an idiom in the target language with the same meaning but dissimilar form, were provided. The two translations 2 and 3 combined received 15 responses. One participant chose translation 1 which is to translate using an idiom in the target language with similar form and meaning, and none chose translation 4 which is to use the literal translation of the original idiom. One participant provided their own translation which was a combination of translations

2 and 3 'please stop it', so we could say that this participant chose strategy b as well.

Text F

(Abeer staying at her parents' house with her kids after having a fight with her husband) Abeer: Reema (her younger sister)

1- God bless you.
2- If it is not much trouble.
3- Please.
4- May God preserve you.

See if my kids are awake or not.

Table 6 below displays the translations, their corresponding strategies and the number of times each one was chosen in text F.

Table 6: Participants' choices of strategies in text F.

Translation	Corresponding strategy	The number of times it was chosen
1	a	0
2	b	12
3	b	4
4	e	0

Again in this text, two translations were provided corresponding to strategy b. and once again the majority of the participants chose the two translations corresponding to this strategy, 12 choosing translation 2 and 4 choosing translation 3. None of the participants chose the first nor the last translations which correspond to strategies a and e respectively. One participant provided her own suggested translation which was not actually a translation, rather it was a conversation softener. She preferred adding the expression 'sweety' to the beginning of the following utterance, and treated what was originally two utterances in the SL text as one utterance in the TL translation.

Results and discussion

In this section, the common findings out of the six analyzed extracts will be highlighted. Unique cases and idiosyncratic responses will be

discussed as well.

1- In all extracts except one, C, the majority of the participants chose the translation(s) corresponding to strategy b 'using an idiom of similar meaning but dissimilar form'. The TL idiom varied from text to text based on the pragmatic function of the idiomatic expression in each specific conversation (table 7).
2- In text C, most of the participants felt that none of the provided translations suits the conversation so they provided their own. This may be due to cultural differences, i.e. the situation described in the conversation does not relate to the participants' cultures, or it may be due to the insufficiency of the extracted text to provide a comprehensive picture of the situation. One participant explicitly expressed her lack of understanding and refrained from neither choosing from the provided translations nor coming up with her own. In fact, facing translation problems caused by existing cultural gaps between SL and TL was one of the findings agreed upon among many researchers in the field of literary translation (Al-masri, 2009; Alwafai, 2015; Horvathova and Tabackova, 2018)
3- Most of the translations suggested by the participants were idioms as well. For example, one suggestion for text A was 'I am sorry for your loss'. For text C, many fixed expressions were suggested by the participants. To mention a few, one suggested 'God help you', another 'I don't know where I went wrong with raising you', and one wrote 'I am one of a kind'.
4- The least picked strategy was strategy e 'translation by omission of a play on an idiom'. This finding indicates that readers of literary texts actually value the aesthetic elements of the texts they are reading and feel that these elements are as important as keeping the content of the text.
5- One of the interesting findings was that the factors identified in the background questions section; i.e. age, education, nationality and gender, had no influence on the participants choices of strategies. There was no specific strategy that one nationality, age group, or gender, preferred over the other.
6- In three of the four texts where 'please' was provided as a

translation option (Texts B, D, E, and F), it was the preferred one compared to the other translation options. Thus, if we want to come up with a near equivalent for the idiom الله يخليك (Allah ykhaleek), literally translated as 'may God preserve/keep you', it would be the expression 'please'. Although 'please' does not fit the traditional definition of (idioms) since it consists of one word only, it is similar to idioms in that it carries figurative meaning that is not derived from the expression's original lexical meaning. What the investigated Arabic expression and 'please' have in common is that they are both expressions with inconsistent pragmatic function, which changes according to the contexts where they are used.

Table 7: The number of times each strategy was chosen in all texts.

Strategy	The number of times it was chosen
a	11
b	67
e	8

Conclusion and recommendations

In this study, six conversations containing the idiomatic expression under investigation were extracted from a local novel written in the local Najdi dialect. Despite having a constant form, this idiomatic expression changes its pragmatic function based on the context. The calculation of the pragmatic function is totally derivable from the context based on the relationship between the participants and mainly the topic of the conversation. Based on its literal meaning, which is sometimes the one intended, the closest equivalent for it in English is 'God bless you', while a literal translation of the idiom would be 'may God preserve/keep you'. Choosing the former equivalent as the best translation shows preference for conformity of form and meaning in translation of idiomatic expressions, which corresponds to translation strategy (a) in Baker's framework for translating idiomatic expressions (2018). Using the literal translation of the idiomatic expression's constituting words corresponds to Baker's strategy (e). Using a variable expression in the target language based on the pragmatic meaning conveyed by the expression in a specific context corresponds to Baker's strategy (b).

These three strategies were the ones employed in this study by providing three, sometimes four, translations for the same idiomatic expression in each extract, and asking the participants to choose the one they felt best to suit the conversation. The majority of the participants' responses showed preference to strategy (b), which recommends that a translator uses an idiom of the same meaning of that of the original paying less attention to conformity in form. This choice emphasizes the importance of understanding and conveying the pragmatic meaning of the SL idiom, while keeping in mind the aesthetic elements of the literary text since the participants still chose an idiom in place of the original, focusing more on the meaning the idiom is playing in a particular context rather than its literal meaning. This finding comes in agreement with the results of other previous studies which highlighted the importance of conveying not only the content meaning of words but also the pragmatic role they play in the text (Jaber, 2008; Shojaei, 2012; Prace, 2013; Daghoughi and Hashemian, 2016). Based on the results of the present study, the following recommendations are made:

1- Since many researchers have agreed that many of the translation mistakes in the field of literary texts arise from some level of incompetency in understanding the pragmatic meaning of idioms in SL (Samardali, et al., 2013; Ardeshiri and Zarafshan, 2014; Hussein and Mhammad, 2016), I recommend that translation programs should pay more attention to the pragmatic element that idioms, and many other language expressions, may carry. These programs should emphasize the importance of pragmatic function and train their students on how to arrive at that hidden meaning intended in the original text and ways to render it successfully into the TL. This was seen by many researchers as a way to improve the level of future literary translations (Farghal and Almanna, 2014; Kahrizsangi and Haddadi, 2017).
2- It is also important to teach future translators and train them on how to deal with problematic expressions in literary texts. In addition to being equipped with adequate linguistic, cultural, and pragmatic knowledge in both languages, source and target, translators need to know the available techniques provided for them by various tested

frameworks, which all proved to be successful when applied appropriately (Aguadogiménez and Pérez-paredes, 2005; Guerra, 2012). They also need to know how to choose from them and how to decide which technique or strategy will best serve the needs of their expected audience.

3- It is very important to weigh the significance of the aesthetic elements of the language in the text being translated. That is; stylistic and aesthetic features do not carry the same level of importance in scientific and literary texts. Aesthetic elements and figurative features of literary texts need to be attended to and addressed when translating to other languages, especially since they seem to be of high value to the audience of the TL text as suggested by the data of the present study.

4- It would be beneficial to translation students to include texts written in different regional varieties in their training programs. Being exposed to various varieties allow them to be acquainted with different cultures, and train them on ways for translating problematic cultural expressions.

* * *

References

Aguado-gimenez, P. and Pérez-paredes, P. (2005). Translation-Strategies Use: A Classroom-Based Examination of Baker's Taxonomy. *Meta: Journal des traducteurs*, pp. 294-311.

Aldanani, M. (2019). Idioms and cultural references in the translation of Muhsin Al-Ramli's novel "Scattered Crumbs". *International Journal of English, Literature and Social Sciences (IJELS). Vol-4 (6)* pp. 1773-1778.

Al-Masri, H. (2009). Translation and Cultural Equivalence: A Study of Translation Losses in Arabic Literary Texts. *Journal of Universal Language*. (10). pp.7-44.

Alwafai, S. (2015). Some Aspects of Equivalence in Literary Translation: Analysis of two Arabic Translations of Ernest Hemingway's *The Old Man and the Sea 1952*. *Arab World English Journal (AWEJ)*. 6 (4) pp. 320-337.

Ardeshiri, M. and Zarafshan, M. (2014). Students' Causes of Errors in Translating Pragmatic Senses. *International Journal of English and Education*. 3(4) pp. 238-252.

Baker, M. (2018). In other words: A coursebook on translation (3rd ed.). London: Routledge.

Daghoughi, S. and Hashemian, M. (2016). Analysis of Culture-Specific Items and Translation Strategies Applied in Translating Jalal Al-Ahmad's by the Pen. *English language teaching,* 9 (4). pp. 171-185.

Farghal, M. & Almanna, A. (2014). Some Pragmatic Aspects of Arabic/ English Translation of Literary Texts. *Jordan Journal of Modern Languages and Literature,* 6 (2). pp. 93-114.

Guerra, A. (2012). Translating culture: Problems, strategies and practical realities. *Art and subversion*, (1) pp. 1-27.

Horvathova, B. & Tabačková, Z. (2018). Approaching the translation of idioms through the compensation strategy. *XLinguae*, (11). pp. 107-126.

Hurford, J., Heasley, B. and Smith, M. (2007). Semantics a coursebook (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Hussein, H. and Mhammad, W. (2016). The impact of context in English-Arabic literary translation with reference to pragmatic ambiguity. *Journal of humanities Tekreet university,* (2). pp. 47-75.

Jaber, I. (2008). Translating Metaphoric Expressions: Translating Culture. *Journal of college of education for women*, 19(2). pp.195-210.

Kahrizsangi, A. and Haddadi, M. (2017). An Inquiry into the Challenges of Literary Translation to Improve Literary Translation Competence with Reference to an Anecdote by Heinrich von Kleist. *Journal of Education and Learning*, v6 n3 p350-357.

Martirosyan, A. (2013). The importance of idioms for English language learners. *Foreign languages in higher education*, Yerevan State University. (1) pp. 219-223.

Munday, J. (2008). Introducing translation studies (2nd ed.). Routledge: New York.

O'dell, F. & McCarthy, M. (2010). English Idioms in Use Advanced. United Kingdom: Cambridge University Press.

Olbasa, C, Raga, A. and Adola, S (2017). A conceptual comparative approach to teach Oromo and Amharic (major languages of Ethiopia) idioms. *International journal of social sciences, arts, and humanities* vol 4 (3) pp.58-70.

Prace, B. (2013). Translating Culture Specific Concepts into English (from Czech promotional and information texts). Filozofická fakulta Univerzity Palackého Katedra Anglistiky a Amerikanistiky. Obtained from: https://theses.cz/id/1q55ce/00176591https://theses.cz/id/1q55ce/00176591-422322012.pdf422322012.pdf

Samardali, M. , Almomani, M. and Kitishat, A. (2013). An investigation into some Pragmatic and cultural problems in translating Arabic implicature into English . A case study of Jaradat's" Habilat Bishra ". *The International Journal / Research Journal of Social Sciences & Management,* pp.1-26.

Shojaei, A. (2012). Translation of Idioms and Fixed Expressions: Strategies and Difficulties. *Theory and Practice in Language Studies*, 2 (6). pp. 1220-1229.

Arabic References

توفيق، خ. (2008). قواعد الترجمة الأساسية للمترجمين المبتدئين وطلاب الترجمة. جمهورية مصر العربية: هلا للنشر والتوزيع.

* * *

Appendix A

– النصوص العربية المستخدمة في البحث بعد ترجمتها إلىٰ الإنجليزية والمقتبسة من رواية دنيا غريبة.

– النصوص بين قوسين من صياغة الباحثة بهدف إيضاح سياق المحادثة وليست منقولة حرفيا من الرواية.

Text A

– تذهب ريما لزيارة صديقتها خلود بعد وفاة والد خلود بعدة أيام. تقابل والدة خلود ويدور بينهما الحوار التالي:

ريما: أمي تسلم عليك كثير السلام وتقول اعذريني عالتقصير.

أم خلود: الله يسلمك ويسلمها لا والله ياحليلها ما قصرت كفت ووفت.

ريما: **الله يخليك**

Text B

مشاري: حبيبتي أنا الحين لي أكلمك 5 شهور حتىٰ شكلك ما اعرفه.. بالله عليك احد يصدق؟!

نجود وهي تحاول تصرفه عشان يغير الموضوع:

مشاري **الله يخليك** لا تضغط علي.. أنا وصلت اللحين عند صديقتي أكلمك بعدين

Text C

سارة: الله يبارك في حياتك.. لا تنسىٰ الهدية يبا زي ما وعدتني جوال رقم حلو وجهاز نوكيا آخر واحد نزل.

أبو مشاري: هههههههههههههه أول مره أشوف واحد يبي هديه ويتشرط.

سارة: آيه **الله يخليك** لىٰ يبا

Text D

ثامر: علىٰ طاري اللبنانيات.. شفتوا هيفاء وهبي من بتاخذ؟؟

نواف: أقول اسكت **الله يخليك** من يوم سمعت الخبر.. وأنا راسي صاكني.

Text E

(ترفض عبير مقابلة زوجها والذي حضر لمنزل والديها لمقابلتها وحل المشكلة بينهما).

نواف (أخو عبير): عبير عيييب عليك الرجال طالبني قال ادخل قلها بكلمها بموضوع.

عبير: نواف **الله يخليك** اليوم عيد ووناسه ما أبي أضيق صدري.

Text F

(عبير مقيمة مع أطفالها في بيت والديها بعد مشاجرة حدثت بينها وبين زوجها).

عبير(مخاطبة أختها الأصغر): ريما **الله يخليك** شوفي عيالي صحوا ولا لا؟؟

* * *

"al-bahr" in the Holy Quran and Translation Variations: A Study upon Three Translations of the Holy Quran

Dr. Izzeddin Mohammad Ibrahim Issa
Assistant Prof, Department of English & Translation
Faculty OF Arts, Jadara University – Irbid – Jordan

izz.alzoubi@yahoo.com

"al-bahr" in the Holy Quran and Translation Variations: A Study upon Three Translations of the Holy Quran

Dr. Izzeddin Mohammad Ibrahim Issa

(Received 27/10/2019; accepted 24/03/2020)

Abstract: Recent translation studies principally concentrate on the quality of translation. They also focus on terms and their significance in drawing the scope of meaning. From this point, the present study is launched to explore the translation of the term "bahr" (= sea) in the Holy Quran through three spaced translations; a term that has a special image in Arabic literature and is used in many different situations to address an audience closely connected with desert. Have these translations succeeded in conveying a term that has signified "something" more or less than sea? Through a survey of thirty-nine verses, the study has found out that the broad meaning of the term "bahr" has narrowed down by time which reflects the fact that maintaining term meaning has the main concern even in dealing with authoritative texts. In addition, definiteness is brought to light through this paper as a translation norm mistreated in many cases.

Key words: religious, authoritative, Quran, sea, definiteness.

❊ ❊ ❊

البحر في القرآن الكريم واختلافات الترجمة: دراسة من خلال ثلاث ترجمات للقرآن الكريم

د. عز الدين محمد إبراهيم عيسىٰ

(قدم للنشر في 28/ 02/ 1441هـ؛ وقبل للنشر في 29/ 07/ 1441هـ)

المستخلص: تركز دراسات الترجمة الحديثة بشكل أساسي علىٰ نوعية الترجمة. كما أنها تركز علىٰ المصطلحات وأهميتها في رسم نطاق المعنىٰ. من هذه النقطة ، تم إطلاق الدراسة الحالية لاستكشاف ترجمة مصطلح «بحر» في القرآن الكريم من خلال ثلاث ترجمات متباعدة زمنيا ؛ وهو مصطلح له صورة خاصة في الأدب العربي استخدم في العديد من السياقات اللغوية لمخاطبة جمهور علىٰ صلة وثيقة بالصحراء. فهل نجحت هذه الترجمات في نقل مصطلح يدل علىٰ «شيء» أكثر أو أقل من البحر؟ من خلال دراسة استقصائية علىٰ تسعة وثلاثين آية ، توصلت الدراسة إلىٰ أن المعنىٰ الواسع لمصطلح «بحر» قد ضاق بمرور الوقت وهو ما يعكس حقيقة أن الحفاظ علىٰ معنىٰ المصطلح هو الشاغل الأكثر أهمية حتىٰ في التعامل مع النصوص ذات القيمة الأدبية العالية. إضافة إلىٰ ما سبق ، يتم تمييز ال المعرفة من الجنسية حيث أخطأتها الترجمة في كثير من الحالات.

الكلمات المفتاحية: ديني، موثوق، قرآن، بحر، المعرفة.

***

1. Introduction

Perhaps, translators should have the prime concern in seeking for extensive knowledge through which "optimal" translation constitutes the first priority. To achieve this, it is inevitable to know what others have achieved, and how to benefit from these achievements whether we want to improve the translation process or to avoid mishaps that trap even translation experts. From this point, the idea of studying, comparing, and evaluating comes into sight. Comparative in nature, the study critically surveys the term ***bahr*** (*sea* in English), finding out thirty-nine verses which include forty-one terms. Three well-known translations of the Holy Quran (HQ): Ali (1964) (T1), Al-Hilali & Khan (1993) (T2), and Qaribullah & Darwish (2009) (T3) are set respectively along with the Quranic verse text copy-pasted from an authentic site of the HQ (Abdul baqi 1994) with comments on both renditions and definiteness concerning the definite article in most citations to highlight the most appropriate translation that meets the intended discoursal and contextual meaning. In addition, this study seeks to examine whether the translation deviation is a context-related or a human related concern and to verify the consistency of each translation in dealing with repeated terms.

2. Related Literature

Terms constitute the solid ground on which sciences are based. While originators of terms encounter many obstacles of choosing the most suitable term for a concept in their mother tongue, translators endure the impact of many obstacles to attain the image of that term in the target language Enani (1996: 7). It goes without question that meaning is the main concern in translation. In this context, Leech (1983:5) argues that semantics construes both word and sentence meaning based on rules whereas pragmatics concerns much about communicative meaning based on principle. This vision is manifested by Aziz (1998: 138) who concludes that "translation has gone further in meaning: from propositional meaning to the pragmatic meaning." This, in turn, elevates our views from mere words and phrases to the world of ideas and images. Although religious texts always maintain specificity

and sanctity; they, eventually, remain written texts that are governed by linguistic rules to be understood. Dickens, Hervey, and Higgins (2002:178) state: "The subject matter of religious texts implies the existence of a spiritual world that is not fictive, but has its own external realities and truths." Elewa (2014:32) admits that, "The transfer of religious texts from one language to another involves, among other things, the scientific study of language, including phonology, morphology, lexis, and semantics". The Holly Quran, a rich text with unique realms of implications, overwhelms them with flowing meanings. Aziz and Lataiwish (2000:102) argue that religious texts concerning form and content may exhibit identical significance. The message expressed in a religious text principally depends on faith in addition to the information encapsulated in the message, and the way this information is conveyed.

3. Discussion

Before we start looking at the three renditions of each of the following verses, let us consider the norms of translating religious texts in general and the translation of the Holy Quran in specific. In the first place, translators prioritize formal equivalence at the expense of the other types of equivalence i.e. functional and ideational because they feel that it is more faithful to the origin and maintains creative metaphors whose formal rendition is as noteworthy as the conveyance of the messages they encapsulate (for more details, see Farghal and Shunnaq 1999: 9-17). Illyas (1989:89) argues that the translation of religious texts calls for extra concern when they are rendered because of their sacredness. This entails formal equivalence predilection. Besides, translators feel extra cautious in dealing with religious texts because of the sanctity of the text which may create language that seems unusual for many interested readers. Definiteness is very significant in the translation of nouns as it sheds light on the noun scope of meaning which is a crucial requirement in translation. The noun ***bahr*** in its singular, dual and plural forms: ***al-bahr, bahr, al-bahraan, al-bahrain, and Abhur*** has been mentioned forty one times in thirty nine verses in the HQ. It occurred thirty three times in singular,

five times in dual and three times in plural forms. (Two verses contained the term ***bahr*** twice: Al-Kahf: 109, no. 20 and Luqman: 27, no. 26 below).

Mukhtar Alsahah dictionary defines the term ***bahr*** as:

– البَحْرُ ضد البرّ قيل سمي به لعمقه واتساعه والجمع أَبْحُرٌ و بِحَارٌ و بُحُورٌ وكل نهر عظيم بحر.

Sea is the antonym of land, said to be so for being deep and extended, pl. abhor, behaar and buhuur. Every great river is a sea.

My Translation (MT)

Lesaan Al-Arab dictionary says that the meaning of the term ***muhiit*** is:

– البَحْرُ الَّذِي يُحِيطُ بِاليَابِسَةِ. تُغَطِّي الْمُحِيطَاتُ مَا يُقَارِبُ مِنْ ثُلُثَيِ الكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ الْمُحِيطُ الهَادِي والْمُحِيطُ الهِنْدِيُّ والْمُحِيطُ الأَطْلَسِيُّ ...

It is the sea that surrounds land. Oceans cover nearly two-thirds of the globe: the Pacific, the Indian, the Atlantic ... *(MT)*

Merriam Webster's Dictionary defines the term ***sea*** as:

1a: a great body of salt water that covers much of the earth *broadly*: the waters of the earth as distinguished from the land and air

b: a body of salt water of second rank more or less landlocked the Mediterranean *sea*.

It also defines ***ocean*** as:

1a: the whole body of salt water that covers nearly three fourths of the surface of the earth.

b: any of the large bodies of water (such as the Atlantic Ocean) into which the great ocean is divided.

For definiteness it is worthwhile to bear in mind that the definite article (the / أل) makes up a tricky question in translation between Arabic and English. Arabic utilizes the definite article both generically

(1a and 1b below) and referentially (1c and 1d below) with nouns in singular and plural forms, whereas English resorts to the zero article to attain generic use (2b below). Moreover, English doesn't employ the definite article to refer to the whole class (2c below). (for more details, see Farghal and Shunnaq 1999: 49-52).

1. a) al-kitaab-u mufiid-un
   DEF-book-NOM useful-NOM
   "The book is useful."
   b) al-kutub-u mufiidat-un
   DEF-book (pl) NOM useful-NOM
   "Books are useful."
   c) hal qara't-a al-kitaab-a
   DEF-book-NOM
   'Have you read the book?'
   d) hal qara't-a al-kutub-a
   DEF-book (pl) NOM
   'Have you read the books?'
2. a) The book is useful.
   b) Books are useful.
   c) *The books are useful.

In the following section, the term ***bahr*** along with its three renditions is set then discussion is raised.

1- "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي **بَحْرٍ** لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ..." (النور:40)

bahr in number 1 is rendered as:

T1: 1. Or (the unbelievers' state) is like the depths of darkness in a vast deep **ocean**…

(Al-Nur: 40)

T2: 1. Or [the state of a disbeliever] is like the darkness in a vast deep **sea**…

(Al-Nur: 40)

T3: 1. Or, they are like darkness upon a deep **sea**…

(Al-Nur: 40)

Considering the contextual meaning of the term **ba*h*r** in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **sea** as it generally denote any sea. T2 and T3 render the noun correctly, whereas T1 overtranslates it by opting for the term ocean (for more details, see Wang 2012: 129-133). The term is employed generically as it doesn't refer to a specific identity. Fortunately, the noun is used generically by all.

2– أ) "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ **الْبَحْرَ** فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ" (البقرة :50)

al-bahr in number 2- a is rendered as:

T1: 2. And remember We divided **the sea** for you…
(Al-Baqarah: 50)

T2: 2. And (remember) when We separated **the sea** for you…
(Al-Baqarah: 50)

T3: 2. We parted **the sea** for you …
(Al-Baqarah: 50)

ب) "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ **الْبَحْرَ**" (الأعراف: 138)

al-bahr in number 2-b is rendered as:

T1: 8. We took the children of Israel (with safety) across **the sea**…
(Al-A'raf: 138)

T2: 8. And We brought the children of Israel (with safety) across **the sea** …
(Al-A'raf: 138)

T3: 8. and We moved the Children of Israel from one side of **the sea** …
(Al-A'raf: 138)

ج) "وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ **الْبَحْرِ**" (الأعراف: 163)

al-bahr in number 2-c is rendered as:

T1: 9. Ask them concerning the town standing close by **the sea**.
(Al-A'raf:163)

T2: 9. about the town that was by **the sea**,…
(Al-A'raf:163)

T3: 9. Ask them about the village that overlooked **the sea**…
(Al-A'raf:163)

د) "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ **الْبَحْرَ**…" (يونس: 90)

al-bahr in number 2-d is rendered as:
T1: 11. We took the children of Israel across **the sea**…
(Yunus: 90)
T2: 11. And We took the children of Israel across **the sea**…
(Yunus: 90)
T3: 11. We brought the Children of Israel through **the sea**…
(Yunus:90)

هـ) "فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي **الْبَحْرِ** سَرَبًا" (الكهف :61)

al-bahr in number 2-e is rendered as:
T1: 17. …which took its course through **the sea**…
(Al-Kahf: 61)
T2: 17. …, and took its way through **the sea**…
(Al-Kahf: 61)
T3: 17. …, which made its way burrowing into **the sea**…
(Al-Kahf: 61)

و) "**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا** فِي **الْبَحْرِ** يَبَسًا…" (طه:77)

al-bahr in number 2-f is rendered as:
T1: 21. …and strike a dry path for them through **the sea**…
(Taha: 77)
T2: 21. …and strike a dry path for them in **the sea**…
(Taha: 77)
T3: 21. …and strike for them a dry path in **the sea**…
(Taha: 77)

ز) "…وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي **الْبَحْرِ** عَجَبًا" (الكهف:63)

al-bahr in number 2-g is rendered as:
T1: 18. …: It took its course through **the sea**…
(Al-Kahf: 63)
T2: 18. … It took its course into **the sea**…
(Al-Kahf: 63)
T3: 18. …it made its way into **the sea** in a marvelous fashion.
(Al-Kahf: 63)

ح) "فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ **الْبَحْرَ**" (الشعراء: 63)

al-bahr in number 2-h is rendered as:
T1: 23. …"Strike **the sea** with your rod."…
(Al-Shu'ara':63)
T2: 23. …"Strike **the sea** with your stick."…
(Al-Shu'ara':63)
T3: 23. …"'Strike **the sea** with your staff,"…
(Al-Shu'ara':63)

ط) "وَاتْرُكِ **الْبَحْرَ** رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ" (الدخان: 24)

al-bahr in number 2-i is rendered as:
T1: 29. "And leave **the sea** as a furrow…
(Al-Dukhan: 24)
T2: 29. "And leave **the sea** as it is…
(Al-Dukhan: 24)
T3: 29. "Then leave **the sea** calm…
(Al-Dukhan: 24)

Considering meaning of the term ***al-bahr*** in the verses above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **the sea** as it refers to one specific identity. It is used referentially as it refers to one specific sea viz. the Red Sea's parting in Exodus., (for more details, see Al-alusi: 86). Therefore, the three renditions are correct.

3– أ) "… وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي **الْبَحْرِ** بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ…" (البقرة: 164)

al-bahr in number 3-a is rendered as:
T1: 3…in the sailing of the ships through **the ocean**…
(Al-Baqarah: 164)
T2: 3… and the ships which sail through **the sea**…
(Al-Baqarah: 164)
T3: 3… in the ships that sail upon **the sea**…
(Al-Baqarah: 164)

ب) "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ**الْبَحْرُ** يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ… " (لقمان: 27)

al-bahr in number 3-b is rendered as:

T1: 26. And if all the trees on earth were pens and **the ocean**…
(Luqman: 27)

T2: 26. And if all the trees on the earth were pens and **the sea**...
(Luqman: 27)

T3: 26. If all the trees in the earth were pens and **the sea**…
(Luqman: 27)

ج) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي **الْبَحْرِ** بِنِعْمَتِ اللهِ…" (لقمان:31)

al-bahr in number 3-c is rendered as:

T1: 31. See you not that the ships sail through **the ocean…**
(Luqman: 31)

T2: 31. See you not that the ships sail through **the sea**…
(Luqman: 31)

T3: 31. Do you not see how the ships run upon **the sea**,
(Luqman: 31)

د) "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي **الْبَحْرِ** كَالْأَعْلَامِ " (الشورى:32)

al-bahr in number 3-d is rendered as:

T1: 28. …smooth running through **the ocean**…
(Al-Shura: 32)

T2: 28. And among His signs are the ships, in **the sea**...
(Al-Shura: 32)

T3: 28. And among His signs are the ships that run on **the sea**...
(Al-Shura: 32)

هـ) "**وَالْبَحْرِ** الْمَسْجُورِ" (الطور:6)

al-bahr in number 3-e is rendered as:

T1: 31. And by **the Ocean** filled with Swell-
(Al- Tur: 6)

T2: 31. And by **the sea** kept filled…
(Al- Tur: 6)

T3: 31. And **the sea** that is full…
(Al- Tur: 6)

Considering meaning of the term ***al-bahr*** in the verses above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **the sea.** T2 and T3 render the noun correctly, whereas T1 overtranslates it by using the term ocean. Despite the fact that the definite article is used, the noun is generic more than referential and it is rendered correctly by all.

4- "أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ **الْبَحْرِ** وَطَعَامُهُ... " (المائدة:96)

al-bahr in number 4 is rendered as:

T1: 4. Lawful to you is the pursuit of **water-game**…

(Al-Ma'idah: 96)

T2: 4. Lawful to you is (the pursuit of) **water-game**…

(Al-Ma'idah: 96)

T3: 4. … Made lawful to you is the fished of **the sea**…

(Al-Ma'idah: 96)

Considering meaning of the term ***al-bahr*** in the verse above, it can be seen that it is the counterpart of the English term **the sea**. It goes without question that the noun is employed generically more than referentially. T1 and T2 opt for the term **water-game** which is an undertranslation of the term because the image of the term ***bahr*** is lost. In addition, the definite article is mistakenly dropped by both translations; T3, per contra, conveys the term correctly.

5- "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ** " (الأنعام :59)

al-bahr in number 5 is rendered as:

T1: 5….He knows whatever there is on the earth and in **the sea**…

(Al-An'am: 59)

T2: 5….He knows whatever there is in (or on) the earth and in **the sea**…

(Al-An'am: 59)

T3: 5…. He knows that which is in the land and **sea**…

(Al-An'am: 59)

Clearly the term ***al-bahr*** in the verse above equals the English term **the sea** as the opposite of land and it is employed generically as it

includes all seas. T1, T2 and T3 render the noun correctly. From definiteness perspective the noun is rendered correctly by T1 and T2 whereas T3 erroneously drops the definite article.

6- أ) "قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ** تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً " (الأنعام:63)

al-bahr in number 6-a is rendered as:

T1: 6. Say:"Who is that delivers you from the dark recesses of land and **sea**…"

(Al-An'am: 63)

T2: 6…"Who rescues you from the darkness of the land and **the sea** …"

(Al-An'am: 63)

T3: 6. … Say: 'Who saves you from the darkness of the land and **sea** …"

(Al-An'am: 63)

ب) "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ**" (الأنعام :97)

al-bahr in number 6-b is rendered as:

T1: 7. through the dark spaces of land and **sea**…

(Al-An'am: 97)

T2: 7…., through the darkness spaces of the land and **the sea**…

(Al-An'am:97)

T3: 7…., in the darkness of land and **sea**…

(Al-An'am:97)

ج) "**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي** الْبَحْرِ **ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ**..." (الإسراء: 67)

al-bahr in number 6-c is rendered as:

T1: 15. When distress seizes you at **sea**…

(Al-Isra': 67)

T2: 15. And when harm touches you upon **the sea**…

(Al-Isra': 67)

T3: 15. When misfortune befalls you at **sea**…

(Al-Isra': 67)

Obviously the term ***al-bahr*** in the verses above is an equivalent of the English term **the sea** as the opposite of land and is used generically.

T1, T2 and T3 render the noun correctly. Fortunately, the noun is rendered correctly by T2 but it is mistranslated by T1and T3 as they drop the definite article.

7– أ) "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ**ۖ..." (يونس: 22)

al-bahr in number7-a is rendered as:
T1: 10. He it is Who enables you to traverse through land and **sea**…
(Yunus: 22)
T2: 10. He it is Who enables you to traverse through land and **sea**…
(Yunus: 22)
T3: 10. It is He who conveys you by land and **sea**…
(Yunus: 22)

ب) "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ**" (الإسراء: 70)

al-bahr in number 7-b is rendered as:
T1: 16. …provided them with transport on land and **sea**…
(Al-Isra':70)
T2: 16. ….and We have carried them on land and **sea**…
(Al-Isra':70)
T3: 16. …, and carried them on both land and **sea**…
(Al-Isra':70)

ج) "**ظَهَرَ الْفَسَادُ** فِي الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ** بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ" (الروم:41)

al-bahr in number 7-c is rendered as:
T1: 25. Mischief has appeared on land and **sea**…
(Al-Room: 41)
T2: 25. Evil has appeared on land and **sea**…
(Al-Room: 41)
T3: 25. Corruption has appeared on land and **sea**…
(Al-Room: 41)

Clearly the term ***al-bahr*** in the verses above is an equivalent of the English term **the sea** as the opposite of land and it is employed generically more than referentially. T1, T2 and T3 render the noun correctly but unfortunately they drop the definite article.

8 – أ) " وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي **الْبَحْرِ** بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ" (إبراهيم:32)

al-bahr in number 8-a is rendered as:

T1: 12. …it is He Who has made the ships subject to you, that they may sail through **the sea** by His Command;…

(Ibrahim: 32)

T2: 12. He has made the ships to be of service to you, that they may sail through **the sea** by His Command…

(Ibrahim: 32)

T3: 12. He has subjected to you ships which, by His command, run upon **the sea..**.

(Ibrahim: 32)

ب) "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ **الْبَحْرَ** لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا… " (النحل:14)

al-bahr in number 8-b is rendered as:

T1: 13. …it is He Who has made **the sea** subject…

(Al-Nahl: 14)

T2: 13. …And He it is Who has subjected **the sea** (to you)…

(Al-Nahl: 14)

T3: 13. …It is He who has subjected **the sea** to you…

(Al-Nahl: 14)

ج) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي **الْبَحْرِ** بِأَمْرِهِ" (الحج: 65)

Al-bahr in number 8-c is rendered as:

T1: 22. …and the ships that sail through **the sea**…

(Ai-Hajj: 65)

T2: 22. …and the ships that sail through **the sea**…

(Ai-Hajj: 65)

T3: 22. … and the ships which run upon **the sea**…

(Ai-Hajj: 65)

Obviously the term ***al-bahr*** in the verses above is an equivalent of the English term **the sea** as the opposite of land and is used generically. Fortunately, the noun is rendered correctly.

9- "رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي **الْبَحْرِ** لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ..." (الإسراء:66)

al-bahr in number 9 is rendered as:

T1: 14. Your Lord is He that makes the ship go smoothly for you through **the sea**…

(Al-Isra':66)

T2: 14. Your Lord is He Who drives the ship go smoothly for you through **the sea**…

(Al-Isra':66)

T3: 14. It is your Lord who drives your ships at **sea**…

(Al-Isra':66)

Noticeably the term in ***al-bahr*** the verse above is an equivalent of the English term **the sea** as the opposite of land and it is used generically. T1, T2 and T3 render the noun correctly. Luckily, the noun is conveyed generically by T1and T2 but it is mistakenly used by T3as it resorts to the zero article.

10- "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي **الْبَحْرِ**..." (الكهف :79)

al-bahr in number 10 is rendered as:

T1: 19. As for the boat, it belonged to certain men in dire want: they plied on **the water**…

(Al-Kahf: 79)

T2: 19. As for the ship, it belonged to poor people working in **the sea**…

(Al-Kahf: 79)

T3: 19. As for the ship, it belonged to poor people working in **the sea**…

(Al-Kahf: 79)

Considering meaning of the term ***al-bahr*** in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **the sea**, besides it is used referentially as it refers to one specific sea. T1 opts for the term ***water*** instead of ***sea*** which may be considered as an undertranslation of the term for its commonness. T2 and T3 convey the term correctly. Fortunately, the noun is used referentially in all renditions.

11- "قُلْ لَوْ كَانَ **الْبَحْرُ** مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ **الْبَحْرُ** قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي" (الكهف:109)

al-bahr in number 11 is rendered as:

T1: 20. Say: If **the ocean** were ink (wherewith to write out) the words of my Lord, sooner **the ocean** be exhausted…

(Al-Kahf: 109)

T2: 20. …" If **the sea** were ink for (writing) the Words of my Lord, surely, **the sea** would be exhausted…

(Al-Kahf: 109)

T3: 20. Say: 'If **the sea** were ink for the Words of my Lord, **the sea** would surely be spent before the Words of my Lord are spent…

(Al-Kahf: 109)

Clearly the term ***al-bahr*** in the verse above is used twice. The first one matches the English term **the sea** and it is used generically, while the second one it is an equivalent of the English term **the sea** and is used referentially as it is previously mentioned in the discourse - anaphoric *the* see Frank (1972:120). The noun is rendered correctly by all except in T1which opts for ocean instead of sea.

12- "أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ**الْبَحْرِ**" (النمل:63)

al-bahr in number 12 is rendered as:

T1: 24. …through the depths of darkness on land and **sea**,…

(An-Naml: 63)

T2: 24. …in the darkness of the land and **the sea**,…

(An-Naml: 63)

T3: 24. … in the darkness of the land and **sea**,…

(An-Naml: 63)

Obviously the term ***al-bahr*** in the verse above is an equivalent of the English term **the sea** as the opposite of land and it is employed generically. T1, T2 and T3 render the noun correctly but unfortunately T1 and T3 resort to the zero article instead of the definite article to attain generic with a singular noun. Thus, only T2 achieves the correct rendition.

13-"اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ **الْبَحْرَ** لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ " (الجاثية:12)

al-bahr in number 13 is rendered as:
T1: 30. It is Allah Who has subjected **sea** to you…
(Al-Jathiyah: 12)
T2: 30. Allah it is He Who has subjected to you **the sea**…
(Al-Jathiyah: 12)
T3: 30. It is Allah who has subjected to you **the sea**…
(Al-Jathiyah: 12)

Considering meaning of the term **al-bahr** in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **the sea.** Despite the fact that the definite article is used, the noun is generic more than referential. T2 and T3 render the noun correctly but unfortunately T1 resorts to the zero article instead of the definite article to attain generic with a singular noun.

14- "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي **الْبَحْرِ** كَالْأَعْلَامِ" (الرحمن :24)

al-bahr in number 14 is rendered as:
T1: 32. …the Ships sailing smoothly through **the seas**…
(Al-Rahman:24)
T2: 32. …the ships going and coming in **the seas**…
(Al-Rahman:24)
T3: 32. … Also, His are the ships that run, raised up like mountains upon **the sea**. …
(Al-Rahman:24)

Definitely, the term ***al-bahr*** in the verse above is an equivalent of the English term **the sea** as the opposite of land and is used generically. T1, T2 and T3 render the noun correctly. Unfortunately, T1 and T2 fall victim of using the definite article before a plural noun.

15-أ) "وَمَا يَسْتَوِي **الْبَحْرَانِ** هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ " (فاطر:12)

al-bahr in number 15-a is rendered as:
T1: 33. Nor are **the two bodies of flowing water** alike…
(Fatir: 12)

T2: 33. And **the two seas** (kinds of water) are not alike…

(Fatir: 12)

T3: 33. He has let forth **the two seas**…

(Fatir: 12)

ب) "وَجَعَلَ بَيْنَ **الْبَحْرَيْنِ** حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (النمل:61)

al-bahrain in number 15-b is rendered as:

T1: 37. …and made a separating bar between **the two bodies of flowing water**…

(Al-Naml: 61)

T2: 37. …and has set a barrier between **the two seas** …

(Al-Naml: 61)

T3: 37. …, and placed a barrier between **the two seas**…

(Al-Naml: 61)

Considering meaning of the term **al-bahraan** in the verses above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **the two seas.** Despite the fact that the definite article is used, the noun is generic more than referential as it refers to any two seas. T2 and T3 render the noun correctly but unfortunately T1 undertranslates the term by using *body of flowing water*.

16- "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ **الْبَحْرَيْنِ** " (الكهف:60)

al-bahrain in number 16 is rendered as:

T1: 34. … until I reach the junction of **the two seas**…

(Al-Kahf: 60)

T2: 34. … until I reach the junction of **the two seas**…

(Al-Kahf: 60)

T3: 34. …until I reach the point where **the two seas**…

(Al-Kahf: 60)

Clearly, the meaning of the term ***al-bahrain*** in the verse above is the English term **the two seas** and is used referentially as the addressor is referring to an identified place known to the addressee, (for more details, see Al-Alusi 1978:296). Therefore, the three renditions are correct. Luckily, the noun is rendered correctly by all.

17- "مَرَجَ **الْبَحْرَيْنِ** يَلْتَقِيَانِ" (الرحمن:19)

al-bahrain in number 17 is rendered as:

T1: 35. He has let free **the two bodies of flowing water**…
(Al-Rahman: 19)

T2: 35. He has let free **the two bodies of flowing water**…
(Al-Rahman: 19)

T3: 35. He has let forth **the two seas**, they meet together…
(Al-Rahman: 19)

Considering meaning of the term ***al-bahrain***, the dual form of ***bahr*** in Arabic, in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **two seas**, besides it is used generically as it refers any two seas. T1 and T2 undertranslate the term, whereas T3 renders it correctly. Sadly, the three translations fall victim of mistranslating the noun by utilizing the definite article before a plural (dual in Arabic) noun instead of the zero article.

18- "وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ **الْبَحْرَيْنِ** هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ " (الفرقان:53)

al-bahrain in number 18 is rendered as:

T1: 36. It is He Who let free **the two bodies of flowing water**...
(Al-Furqan: 53)

T2: 36. And it is He Who let free **the two seas** (kinds of water) …
(Al-Furqan: 53)

T3: 36. It was He who let forth **the two seas**…
(Al-Furqan: 53)

Considering meaning of the term ***al-bahrain***, the dual form of ***bahr*** in Arabic, in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **two seas**, besides it is used generically as it refers any two seas. T1 undertranslates the term, whereas T2 and T3 render it correctly. Sadly, the three translations fall victim of mistranslating the noun by utilizing the definite article before a plural noun instead of the zero article.

19- "وَإِذَا **الْبِحَارُ** سُجِّرَتْ" (التكوير: 6)

al-behaar in number 19 is rendered as:
T1: 38. When **the oceans** boil over with a swell;
(Al-Takweer: 6)
T2: 38. When **the seas** shall become as blazing Fire;
(Al-Takweer: 6)
T3: 38. When **the seas** are set boiling;
(Al-Takweer: 6)

Considering meaning of the term ***al-behaar***, the plural form of ***bahr*** in Arabic, in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **seas**, besides it is used generically as it refers to seas in general. T1 undertranslates the term, whereas T2 and T3 render it correctly. Sadly, the three translations fall victim of mistranslating the noun by utilizing the definite article before a plural noun instead of the zero article.

20- "وَإِذَا **الْبِحَارُ** فُجِّرَتْ" (الانفطار: 3)

al-behaar in number 20 is rendered as:
T1: 39. When **the Oceans** are suffered to burst forth;
(Al-Infitar: 6)
T2: 39. When **the seas** are burst forth (got dried up);
(Al-Infitar: 6)
T3: 39. When **the oceans** are gushed forth,
(Al-Infitar: 6)

Considering meaning of the term ***al-behaar***, the plural form of ***bahr*** in Arabic, in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **seas**, besides it is used generically as it refers to seas in general. T1 and T3overtranslatethe term by using the term ocean instead of sea, whereas T2 renders it correctly. Sadly, the three translations fall victim of mistranslating the noun by utilizing the definite article before a plural noun instead of the zero article.

21- " يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ **أَبْحُرٍ** مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ" (لقمان: 27)

abhur in number 21 is rendered as:
T1: 40. … with seven **oceans** behind it…

(Luqman: 27)

T2: 40. …With seven **seas** behind it…

(Luqman: 27)

T3: 40. …with seven more **seas** to replenish it (with ink),

(Luqman: 27)

Considering meaning of the term ***abhur***, another plural form of ***bahr*** in Arabic, in the verse above, it can be seen that it is an equivalent of the English term **seas**, besides it is used generically as it refers to seas in general. T1 and T3overtranslatethe term by using the term ocean instead of sea, whereas T2 renders it correctly. Sadly, the three translations fall victim of mistranslating the noun by utilizing the definite article before a plural noun instead of the zero article.

Surveying the renditions above, we can see that:
- T1 has gone for the term "Sea" 23 times with the ratio of 56%.
- T2 has gone for the term "Sea" 39 times with the ratio of 95%.
- T3 has gone for the term "Sea" 40 times with the ratio of 97.6%.

Concerning utilizing the definite article, we observe that:

Looking at the term ***bahr*** in the verses above with an eye to its contextual meaning, it can be observed that the line of meaning doesn't have any change in the source language which entails a parallel term in the target language; say **sea**. Therefore, T1 has gone far from meaning in dealing with the term. On the contrary, T2 & T3 have made use of the situation in keeping up with the same rendition.

Observing the timeline of the three translations above: 1964, 1993, and 2009, a truth comes out to demonstrate that translation is a progressing science which draws on previous experience to achieve "optimal" translation when full measures are given. The term ***bahr*** has its own position in the Quranic texts which generate along with its

rhythmic power a unique meaning in which form and content become intertwined and subsequently inseparable.

4. Conclusion

This paper has revealed a significant point to be considered in the translating process in general and when we translate long literary works through which terms are likely to appear over and over again. It showed that deviation from meaning i.e., using more than one rendition for the same term has narrowed down by the time as a result of translation progression on both theory and practice. In other words, deviation is likely to be a human related concern rather than a context-related one. Undoubtedly, translators are supposed to maintain the original message of the text even if they feel that a repeated term may exert some redundancy in the target language unlike authors who are "free" in term shifting as translators are not text initiators.

This paper provides even further evidence of the significance of translation consistency. In our case, in the presence of too many translations of the HQ, we feel a real need for more efforts to upgrade translation.

* * *

English References:

Abdelhamid, Elewa. (2014). *Features of Translating Religious Texts*. Volume 10, Number 1. pp (25-33).

Al-Hilali, Mohammad Taqi-udin and Khan Mohammad Muhsin. (1993). *The Noble Quran in the English Language: A Summarized Version of Al-Tabari, Al-Qurtubi and Ibn Kathir*. Riyadh: Maktabat Dar-us-Salam.

Ali, Abdullah Yusuf. (1964). *The Holy Quran. Text Translation and Commentary*. New York: Tahrike Tarsile Quran.Inc.

Aziz, Y.Y. (1998). *Translation and Pragmatic Meaning. Issues in Translation*. Irbed: Irbed National University & Jordanian Translation Association.

Aziz,Y.Y., Lataiwish, Muftah S. (2000). *Principles of Translation*. Banghazi: Garyounis University Press.

Dickins, James, Sandor Hervey, and Ian Higgins. 2002. *Thinking Arabic translation, a course in translation method: Arabic to English*. Abingdon, UK: Routledge.

Enani, Mohammed. (1996). *Comparative Movements.* Cairo: State Publishing House.

Leech, G. (1983). *The Principles of Pragmatics*. London & New York: Longman.

Farghal, Mohammad and Abdullah Shunnaq. (1999). *Translation with Reference to English and Arabic: A Practical Guide.* Irbid: Dar Al-Hilal for Translation.

Frank, Marcella, (1972). Modern English: *A Practical Reference Guide*. Englewood Cliffs. New Jersey: Prentice-Hall.

Illyas, Asem Ismail. (1989). *Theories of translation: Theoretical Issues and Practical Implications*. Mosul: Al-Basrah University Press.

Qaribullah, Prof. Hasan Darwish, Shaykh Ahmad. (2009). *The Meanings of the Holy Quran.*

Wang, Mian. (2012). *An Analysis of Over-translation and Under- translation in Perspective of cultural Connotation*. [On line]. Available at: https://www.academia.edu/11193688.

Arabic References:

الألوسي ، أبي الفضل شهاب الدين محمود البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (مجلد 1 – 30). بيروت: دار الفكر، 1978.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب (مجلد 1 – 15). ط 3. بيروت: دار صادر ، 1995.

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. عمان: دار الفكر ، 2007.

عبدالباقي ، محمد فؤاد. المعجم المفرس لألفاظ القرآن الكريم. ط 4. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، (1994).

Transliteration of Arabic Words and Names

The following table shows the system which has been followed in transliterating the letters of the Arabic alphabet:

أ	Alif = a (long vowel) = aa		ط	Taa' = t
ب	Baa' = b		ظ	Zaa' = dh
ت	Taa' = t		ع	Ayn = α
ث	Thaa' = th		غ	Ghayn =∞
ج	Jiim = j		ف	Faa' = f
ح	Haa' = h		ق	Qaaf = q
خ	Khaa' = kh		ك	Kaaf = k
د	Daal = d		ل	Laam = l
ذ	Dhaal = th		م	Miim = m
ر	Raa' = r		ن	Nuun = n
ز	Zaay = z		هـ	Haa' = h
س	Siin = s		و	Waaw = (w consonant) = uu (long vowel)
ش	Shiin = sh		ي	Yaa' = y (consonant) = ii (long vowel)
ص	Saad = s		ء	Hamzah = '(apostrophe)
ض	Dhad = dh			

Short vowels:
ـَ--- (fathah) = a
ـُ---(dammah) = o
ـِ--- (kasrah) = e

* * *